مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفاً لوالديه
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد العاشر

سورة الأنفال والتوبة

مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سَعْد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفًا لوالديه

ح مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية ، ١٤٤٦هـ
عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز،
مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير. / عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز ؛ صلاح الدين عثمان أحمد - ط١.
الرياض ، ١٤٤٦هـ
١٤ مج.

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٧٩٧٥
ردمك: ٠-٤٨ - ٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٩-٥٨-٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١٠)

الطبعة الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥م

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ

أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل

المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه

صلاح الدين بن عثمان أحمد

أمين مكتبة سماحته

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد العاشر

سورة الأنفال والتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الأنفال

وهي مدنية آياتها سبعون وست آيات، كلماتها ألف كلمة، وستمائة كلمة، وإحدى وثلاثون كلمة، حروفها خمسة آلاف ومائتان، وأربعة وتسعون حرفًا، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ **[الأنفال: ١]**[(١)].

قال البخاري: قال ابن عباس الأنفال: الغنائم: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا سعيد بن سليمان، أخبرنا هُشَيْم، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر[(٢)].

أما ما عَلَّقه عن ابن عباس، فكذلك رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس أنه قال: «الأنفال»: الغنائم، كانت لرسول الله ﷺ خالصة، ليس لأحد منها شيء. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وعطاء، والضحَّاك،

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأربعاء ٢٠ ـ ٥ ـ ١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الأنفال برقم (٤٦٤٥).

وقتادة، وعطاء الخراساني، ومقاتل بن حَيَّان، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، وغير واحد أنها الغنائم.

وقال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال: الأنفال: الغنائم، قال فيها لَبِيدُ[١]:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خيرُ نَفَل وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَعَجَلْ

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن القاسم بن محمد قال: سمعت رجلًا يسأل ابن عباس عن «الأنفال»، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: الفرس من النَّفل، والسلب من النفل. ثم عاد لمسألته، فقال ابن عباس ذلك أيضًا. ثم قال الرجل: الأنفال التي قال الله في كتابه ما هي؟ قال القاسم: فلم يزل يسأله حتى كاد يُحرجه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا، مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن القاسم بن محمد قال: قال ابن عباس: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذا سئل عن شيء قال: لا آمرك ولا أنهاك. ثم قال ابن عباس: والله ما بعث الله نبيَّه ﷺ إلا زاجرًا آمرًا مُحِلًّا مُحرِّمًا. قال القاسم: فَسُلِّطَ على ابن عباس رجل يسأله عن الأنفال، فقال ابن عباس: كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه. فأعاد عليه الرجل، فقال له مثل ذلك، ثم أعاد عليه حتى أغضبه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مَثَل هذا؟ مثل صَبِيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب، حتى سالت الدماء على عقبيه ـ أو على: رجليه، فقال الرجل: أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك. وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس: أنه فسَّر النفل بما ينفله الإمام لبعض الأشخاص من سَلَب أو

---

(١) وهو: الصحابي الجليل الشاعر لبيد بن ربيعة رضي الله عنه، والبيت ورد في ديوانه (٢/ ١١)، ومجاز القرآن (١/ ٢٤٠)، وتفسير الطبري.

نحوه، بعد قسم أصل المغنم، وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصحيح هو الأول، المقصود بالأنفال هي: المغانم، فإن الله نفَّلها المسلمين وأعطاهم إياها من عدوهم، فهي للرسول يتصرف فيها، ثم إن الله حكم فيها وبيَّن في قوله في أثناء السورة: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، فبيَّن تقسيمها بعد ذلك، قال: هي لله وللرسول، ثم الله فصَّلها وبيَّنها بعد ذلك، فجعل الخُمس لولي الأمر، ثم جعل الأربعة الأخماس للغانمين.

الأسئلة:

● **س: أحسن الله إليك! وجه التسليط على ابن عباس؟ هل كان معترضًا على عمر يعني، ولم يكن يقبل؟**

○ **الجواب**: لعله قوله: [لا آمرك ولا أنهاك]، لما ألح عليه، أو من جهة صبيغ لما أكثر الأسئلة والشبهات، العبارة فيها بعض الاشتباه، والأقرب والله أعلم أنه مثل مسألة صبيغ [وإلا لا آمرك ولا أنهاك] ما فيها تكلف، هذه الكلمة تقال في الشيء الذي مباح، لا يأمر ولا ينهى، من فعل فلا بأس... فالأمر صحيح، كلام عمر ما فيه شيء، لكن لعله أراد بهذا ما ابتلي به عمر من جهة صبيغ الذي كان يشبِّه على الناس ويأتي بأسئلة فيها شبهات فنهاه عمر عن ذلك، فلما لم ينته عاقبه وأمر الناس بهجره حتى تاب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: إنهم سألوا رسول الله ﷺ عن الخُمس بعد الأربعة الأخماس، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾.

وقال ابن مسعود ومسروق: لا نفل يوم الزحف، إنما النفل قبل التقاء الصفوف. رواه ابن أبي حاتم عنهما.

وقال ابن المبارك وغير واحد، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ قال: يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال، من دابة أو عبد أو أمة أو متاع، فهو نفل للنبي ﷺ يصنع به ما يشاء.

وهذا يقتضي أنه فسر الأنفال بالفيء، وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال.

وقال ابن جرير: وقال آخرون: هي أنفال السرايا، حدثني الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا علي بن صالح بن حيي قال: بلغني في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ قال: السرايا.

ويعني هذا: ما ينفله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش، وقد صرح بذلك الشعبي، واختار ابن جرير أنها الزيادات على القسم، ويشهد لذلك ما ورد في سبب نزول الآية، وهو ما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا أبو معاوية، حدثنا أبو إسحاق الشيباني، عن محمد بن عبد الله الثقفي، عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر، وقتل أخي عُمَيْر، وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه، وكان يسمَّى «ذا الكتيفة»، فأتيت به نبيَّ الله ﷺ، فقال: «**اذهب فاطرحه في القبض**». قال: فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي. قال: فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله ﷺ: «**اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ**»[١].

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا أسود بن عامر، أخبرنا أبو بكر،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٨٠).

عن عاصم بن أبي النَّجود، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن مالك قال: قال: يا رسول الله، قد شفاني الله اليوم من المشركين، فهب لي هذا السيف. فقال: إن هذا السيف لا لك ولا لي، ضعه قال: فوضعته، ثم رجعت، قلت: عسى أن يعطى هذا السيف اليوم من لا يبلي بلائي! قال: رجل يدعوني من ورائي، قال: قلت: قد أنزل الله في شيئًا؟ قال: «كنت سألتني السيف، وليس هو لي وإنه قد وهب لي، فهو لك» قال: وأنـزل الله هـذه الآيـة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾[١]. ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي من طرق، عن أبي بكر بن عياش، به وقال الترمذي: حسن صحيح.

وهكذا رواه أبو داود الطيالسي: أخبرنا شعبة، أخبرنا سماك بن حرب، قال: سمعت مصعب بن سعد، يحدث عن سعد قال: نزلت فيَّ أربع آيات: أصبت سيفًا يوم بدر، فأتيت النبيَّ ﷺ فقلت: نَفِّلْنيه. فقال: «**ضعه من حيث أخذته**» مرتين، ثم عاودته فقال النبي ﷺ: «**ضعه من حيث أخذته**»، فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ﴾ وتمام الحديث في نزول: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ﴾ [العنكبوت: ٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠] وآية الوصية. وقد رواه مسلم في صحيحه، من حديث شعبة، به[٢].

وقال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة قال: سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول: أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر، وكان السيف يدعى بالمرزبان، فلما أمر رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب النفل برقم (٢٧٤٠)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنفال برقم (٣٠٧٩)، والإمام أحمد (٣/ ١٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأنفال برقم (١٧٤٨).

الناس أن يردوا ما في أيديهم من النفل، أقبلت به فألقيته في النفل، وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئًا يسأله، فرآه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، فسأله رسول الله ﷺ فأعطاه إياه: ورواه ابن جرير من وجه آخر.

[سبب آخر في نزول الآية]:

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الرحمٰن، عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن أبي أمامة قال: سألت عبادة عن الأنفال، فقال: فينا - أصحاب بدر - نزلت، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء - يقول: عن سواء.

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا معاوية بن عمرو، أخبرنا أبو إسحاق، عن عبد الرحمٰن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، عن سليمان بن موسى، عن أبي سلام، عن أبي أمامة، عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ، فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس، فهزم الله تعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبَّت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه. وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها، فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق به منا، نحن منعنا عنها العدو وهزمناهم. وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة، فاشتغلنا به، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾، فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين. وكان رسول الله إذا غار في أرض العدو نفل الربع، فإذا أقبل وكل الناس

راجعًا، نفل الثلث، وكان يكره الأنفال ويقول: «**لِيَرُدَّ قَوِيُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعِيفِهِمْ**»[١]. ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث سفيان الثوري، عن عبد الرحمٰن بن الحارث به نحوه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. ورواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمٰن بن الحارث، وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وروى أبو داود والنسائي، وابن جرير، وابن مردويه ـ واللفظ له ـ وابن حبان، والحاكم من طرق، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «**من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا**»، فتسارع في ذلك شبان الرجال، وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلما كانت المغانم، جاءوا يطلبون الذي جعل لهم، فقال الشيوخ: لا تستأثروا علينا، فإنا كنا ردءًا لكم، لو انكشفتم لفئتم إلينا. فتنازعوا فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾[٢].

وقال الثوري، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا**»[٣].

فجاء أبو اليَسَر بأسيرين، فقال: يا رسول الله، وعدتنا، فقام

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في النفل برقم (٢٧٣٧)، والنسائي في الكبرى، في كتاب التفسير برقم (٢١٧).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في النفل برقم (٢٧٣٨)، والنسائي في الكبرى برقم (١١١٣٣)، والحاكم في كتاب قسم الفيء برقم (٢٦٢٧)، وقال: حديث صحيح، فقد احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بداود بن أبي هند ولم يخرجاه. قال الذهبي: هو على شرط البخاري.

سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن أعطيت هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء، وإنه لم يمنعنا من هذا زهادة في الأجر، ولا جبن عن العدو، وإنما قمنا هذا المقام محافظة عليك، نخاف أن يأتوك من ورائك، فتشاجروا، ونزل القرآن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾ قال: ونزل القرآن: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ إلى آخر الآية [الأنفال: ٤١].

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللَّهُ، في كتاب «الأموال الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها»: أما الأنفال: فهي المغانم، وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب، فكانت الأنفال الأولى إلى النبي ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾ فقسمها يوم بدر على ما أراده الله من غير أن يخمِّسها على ما ذكرناه في حديث سعد، ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس، فنسخت الأولى.

قلت: هكذا روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، سواء. وبه قال مجاهد، وعكرمة والسُّدِّيّ.

وقال ابن زيد: ليست منسوخة؛ بل هي مُحكمة.

قال أبو عبيد: وفي ذلك آثار، والأنفال أصلها جمع الغنائم، إلا أن الخُمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب، وجرت به السُّنَّة. ومعنى الأنفال في كلام العرب: كل إحسان فعله فاعل تفضلًا من غير أن يجب ذلك عليه، فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم وإنما هو شيء خصَّه الله به تطولًا منه عليهم بعد أن كانت المغانم محرمة على الأمم قبلهم، فنفَّلها الله هذه الأمة فهذا أصل النفل.

قلت: شاهد هذا في الصحيحين عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ**

فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[1]، وذكر تمام الحديث.

ثم قال أبو عبيد: ولهذا سمَّى ما جعل الإمام للمقاتلة نفلًا وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم، يفعل ذلك بهم على قدر الغناء عن الإسلام والنكاية في العدو. وفي النفل الذي ينفله الإمام سنن أربع، لكل واحدة منهن موضع غير موضع الأخرى:

فإحداهن: في النفل لا خُمس فيه، وذلك السَّلَب.

والثانية: في النفل الذي يكون من الغنيمة بعد إخراج الخُمس، وهو أن يوجه الإمام السرايا في أرض الحرب، فتأتي بالغنائم فيكون للسرية مما جاءت به الربع أو الثلث بعد الخُمس.

والثالثة: في النفل من الخُمس نفسه، وهو أن تحاز الغنيمة كلها، ثم تُخمَّس، فإذا صار الخُمس في يدي الإمام نفل منه على قدر ما يرى.

والرابعة: في النفل في جملة الغنيمة قبل أن يخمَّس منها شيء، وهو أن يعطى الأدلاء ورعاة الماشية والسَّوَّاق لها، وفي كل ذلك اختلاف.

قال الربيع: قال الشافعي: الأنفال: ألا يخرج من رأس الغنيمة قبل الخُمس شيء غير السَّلَب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والأساس في هذا أن الأنفال: هي الغنائم، وأن الله جعلها لرسوله ﷺ يتصرف فيها، ثم أنزل سبحانه تخميسها، فصار الخُمس للنبي ﷺ يتصرف فيه، والأربعة الأخماس للغانمين، وهناك أنفال داخلة

---

(١) سبق تخريجه (٧/ ١٢١).

في هذا، وهي ما يعطاه السرايا، إذا بُعثوا من الجيش والجيش موجه للعدو أعطوا الربع، وإذا كانت السرايا موجهة بعد انصراف الجيش وبعد رجوع الجيش تعطى السرايا الثلث. وهكذا ما ينفِّله الإمام من يرى من أهل الغَنَاء والنجدة في الحرب زيادة على سهمه، أو ممن يحفظ الغنائم ويحرسها وأن يرعى إبلها ونحو ذلك.

• **س: بالنسبة لسلب القتيل، هل لا بد أن يضعه مع الغنائم أو يكون هذا خاص له غير الغنائم التي؟**

○ **الجواب**: أقره النبي ﷺ: «**مَنْ أَقَامَ الْبَيِّنَةَ عَلَى قَتِيلٍ فَلَهُ سَلَبُهُ**»(١)، ما يوضع مع الغنائم، يأخذه هو، سلبه يأخذه القاتل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال أبو عبيد: والوجه الثاني من النفل هو شيء زيدوه غير الذي كان لهم، وذلك من خمس النبي ﷺ؛ فإن له خمس الخمس من كل غنيمة، فينبغي للإمام أن يجتهد، فإذا كثر العدو واشتدت شوكتهم، وقلَّ من بإزائه من المسلمين، نفل منه اتباعًا لسنة رسول الله ﷺ، وإذا لم يكن ذلك لم ينفل.

والوجه الثالث من النفل: إذا بعث الإمام سرية أو جيشًا، فقال لهم قبل اللقاء: من غنم شيئًا فله بعد الخمس، فذلك لهم على ما شرط الإمام؛ لأنهم على ذلك غزوا، وبه رضوا. انتهى كلامه.

وفيما تقدم من كلامه وهو قوله: «**إن غنائم بدر لم تخمَّس**»، نظر. ويرد عليه حديث علي بن أبي طالب في شارفَيه اللذين حصلا له من الخمس يوم بدر، وقد بينت ذلك في كتاب السيرة بيانًا شافيًا، ولله الحمد والمنَّة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٩٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السُّنَّة واضحة في هذا، أن الغنيمة تخمَّس أخماسًا، أربعة للغانمين، وخُمس يتولَّاه ولي الأمر، وهو نص الآية: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، فهذا نص الآية الكريمة، والبقية للغانمين، يقسم بينهم، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة واضحة في قسم الغنائم، للراجل سهم وللفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه، ولولي الأمر أن ينفِّل من الخُمس ما رأى فيه المصلحة، وهكذا السرايا له أن ينفلهم، الثلث والربع فيما يتعلق بالغنائم، الثلث في الرجعة والربع في البدأة. فالمقصود أن وليَّ الأمر يكون تنفيله من الخُمس، ويكون أيضًا بالسَّلَب لمن قتل قتيلًا كما جاء في السُّنَّة: «**من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه**»[1]، وهذا كله فيه تشجيع للغانمين وحثهم على الإقدام والصبر؛ لأن المساعدات المالية وما يحصل لهم من الغنائم يشجعهم على الاستمرار في الجهاد ليقوموا بما يلزمهم، ويسد حاجة عوائلهم، وغير ذلك من شؤونهم.

- **س: معنى شارفَيه؟**

○ **الجواب**: بعيرين، بعيرين.

- **س: بالنسبة للسَّلَب، الرسول ﷺ هل شرعه للأمة أو بصفته الإمام حكم به؟**

○ **الجواب**: لا، للأمة، عام، له ولمن بعده، ولي الأمر يقول هكذا.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من لم يخمِّس الأسلاب برقم (٣١٤٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سَلَب القتيل برقم (١٧٥١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾؛ أي: اتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا؛ فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾؛ أي: في قسمه بينكم على ما أراده الله، فإنه قسمه كما أمره الله من العدل والإنصاف.

وقال ابن عباس: هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم. وكذا قال مجاهد.

وقال السدِّي: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾؛ أي: لا تستبُّوا. ونذكر هاهنا حديثًا أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي رَحِمَهُ اللَّهُ، في مسنده، فإنه قال: حدثنا مجاهد بن موسى، حدثنا عبد الله بن بكر حدثنا عبَّاد بن شيبة الحبطي عن سعيد بن أنس، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينا رسول الله ﷺ جالس، إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ فقال: «**رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، تبارك وتعالى، فقال أحدهما: يا رب، خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته. قال: يا رب، لم يبق من حسناتي شيء. قال: رب، فليحمل عني من أوزاري**»، قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: «**إن ذلك ليوم عظيم، يوم يحتاج الناس إلى من يتحمَّل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان، فرفع رأسه فقال: يا رب، أرى مدائن من فضة وقصورًا من ذهب مكلَّلة باللؤلؤ، لأي نبيٍّ هذا؟ لأي صدِّيق هذا؟ لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن. قال: يا رب، ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه. قال: ماذا يا رب؟ قال: تعفو عن أخيك. قال: يا رب، فإني قد عفوت عنه. قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة**». ثم قال رسول الله ﷺ:

«فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة»[١].

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: عبَّاد ضعيف وشيخه لا يعرف

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه فضل العفو، الله ﷻ يقول: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ويقول ﷻ: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠]، ويقول النبي ﷺ: **«مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»**[٢]، فالرجل إذا عفا عن أخيه بعض المظالم التي له عليه يرجو ما عند الله فله الخير العظيم، فالناس يوم القيامة في حاجة إلى حسنة وفي حاجة إلى تحمُّل سيئة.

فالواجب الحذر في هذه الدار من تحمُّل الأوزار، قد ثبت في الحديث الصحيح يقول ﷺ لأصحابه ذات يوم: **«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ». قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»**[٣]، أو كما قال عليه الصلاة والسلام،

---

(١) أخرجه الخرائطي في مساوي الأخلاق (٦٤٤)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن وعزاه العراقي في المغني عن حمل الأسفار لأبي يعلى، وقال: ضعَّفه البخاري وابن حبان. انظر: التاريخ الكبير (٣/ ٤٥٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع برقم (٢٥٨٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨١).

هذا يدل على عظم الخطر، وأن الإنسان قد يتحمل من سيئات غيره، إذا أساء إليهم وظلمهم، ولم يبق من حسناته شيء حمل من أوزارهم، فإذا اجتهد وابتعد عن الشر وأحسن إلى الناس وعفا وأصلح وجد الخير العظيم.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! العفو في الدنيا أو في الآخرة؟

الشيخ: في الدنيا وفي الآخرة. الله المستعان. عباد بن شيبة.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١][١].

قال ابن عبّاسٍ: ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾: المغانم، قال قتادة: ﴿رِيحُكُمْ﴾: الحرب، يقال: نافلةٌ: عطيّةٌ.

حدّثني محمّد بن عبد الرّحيم، حدّثنا سعيد بن سليمان، أخبرنا هشيمٌ، أخبرنا أبو بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، قال: قلت لابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: سورة الأنفال؟ قال: «نزلت في بدرٍ»[٢]، ﴿ٱلشَّوْكَةِ﴾ [٧]: الحدّ، ﴿مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [٩]: فوجًا بعد فوجٍ، ردفني وأردفني: جاء بعدي، ﴿وَذُوقُوا۟﴾ [٥٠]: باشروا وجرّبوا، وليس هذا من ذوق الفم، ﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾ [٣٧]: يجمعه، شرّد: فرّق، ﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾ [٦١]: طلبوا السلم، والسّلم والسلام واحد، ﴿يُثْخِنَ﴾ [٦٧]: يغلب، وقال مجاهدٌ: ﴿مُكَآءً﴾ [٣٥]: إدخال أصابعهم في أفواههم، ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ [٣٥]: الصّفير، ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ [٣٠]: ليحبسوك.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ . . .إلخ برقم (٤٦٤٥)، ومسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠٣١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا نقل غيره قيل عكس ذلك. المكاء: الصفير، والتصدية: التّصفيق. وهذا هو المشهور.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

التصدية الصفير؟

(من القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ماذا قال عليها الشّارح؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣٠٦)]: «قوله: (﴿وَتَصۡدِيَةٗ﴾): الصفير. وصله عبد بن حميدٍ أيضًا كذلك». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المشهور أن المكاء هو التصفير، والتّصدية التّصفيق، المكاء هو الصفير.

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «تنبيهٌ: وقع هذا في رواية أبي ذرٍّ متراخيًا عن الّذي قبله، وعند غيره بعقبه وهو أولى، وقد قال الفريابيّ: حدّثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ في قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ﴾ [الأنفال: ٣٥] قال: إدخالهم أصابعهم في أفواههم، وتصديةً الصّفير يخلطون على محمّد صلاته. وقال أبو عبيدة: المكاء: الصفير، والتصدية: صفق الأكف». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو المشهور، المُكاء هو الصفير، والتصدية الصفق بالأكفّ للتشويش على النّبيّ ﷺ، نسأل الله العافية.

[قال الحافظ رحمه الله]: «ووصله ابن مردويه من حَدِيْث ابن عمر مثله من قوله». [انتهى كلامه].

*

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤](١).

فيقول الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

يجب على أهل الإيمان الأخذ بها فتذكرها كل ما مرَّ عليها في موضع انتهى إليها في موضع آخر، وتذكر تلك الصفات العظيمة وقد يبسطها سبحانه تارة ويختصرها أخرى جل وعلا لما في ذلك من الترغيب والتشويق والحث على الأخذ بهذه الصفات العظيمة.

وإذا تأملت هذه الصفات وجدتها تدور على أعمال القلب وأعمال الجوارح، وعلى قول اللسان، وهكذا العبادات منقسمة على هذه الجوارح الخمس: القلب واللسان وبقية الجوارح، فالقلب له أعمال واللسان له أعمال وبقية الجوارح لها أعمال، وفي هذه الآية يقول جل وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ فجمع أنواعًا من العبادة، ذكر الله من عمل

---

(١) حديث المساء، (ص٩٩) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

القلب واللسان والجوارح جميعًا، فالقلب يعمل بذكر الله من محبته والشوق إليه وخوفه ورجائه وتعظيم أمره ونهيه إلى غير ذلك، واللسان يذكره أيضًا بالكلام بالتسبيح والتهليل والتحميد والاستغفار وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وغير ذلك من أنواع الدعاء والصلاة على النبي ﷺ، كل ذلك من عمل اللسان وذكره، وبقية الجوارح لها أعمال.

ومن أعمال القلب وَجَل القلوب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خوفًا منه وتعظيمًا له سبحانه وتعالى.

ومن عمل اللسان التلاوة، ومن عمل الأذن الاستماع، والقلب من عمله التدبر والتعقل، فالمؤمن يسمع آيات الله ويستمع لها ويتعلق بها ويتدبرها بقلبه ويرجف ويوجل قلبه عند ذكر الله.

والقرآن أعظم الذكر، فالمؤمن عند تلاوته آيات الله وعند سماعه آيات الله يحصل له الوجل والخوف والتعظيم لله والشوق إليه وتعظيم أمره ونهيه سبحانه وتعالى.

ويزداد إيمانه بما يتعاطاه من أعمال الخير، فوجل القلب يزداد به الإيمان وتلاوة الكتاب العزيز يزداد به الإيمان وسماع الآيات يزداد به الإيمان لمن عقل وتأمل وتدبر وانتفع.

ثم قال: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

هذا أيضًا من أعمال القلب، ويدخل في عمل الجوارح لأن من تمام التوكل الأخذ بالأسباب، فالمتوكل قد شغل قلبه وشغل جوارحه، شغل قلبه بالاعتماد على الله والإيمان بأنه مسبب الأسباب ومدبر الأمور، وأن كل شيء بيده سبحانه وتعالى، وشغل جوارحه بتعاطي الأسباب التي شرعها سبحانه وأباحها لعباده من سقي الزرع وتنقيته مما يضره وتعهده بما يصلحه، ومن العناية بالأسباب الأخرى من تجارة أو حدادة أو نجارة أو خرازة أو كتابة أو غير ذلك، فقلبه مشغول بالثقة بالله والاعتماد عليه

والإيمان به، وأنه سبحانه مسبِّب الأسباب ومدبِّر الأمور وقاضي الحاجات ﷻ، وجوارحه كذلك مشغولة بما أباح الله وشرع من الأسباب.

وبهذا يتحقق التوكل فليس بمتوكل من أهمل الأسباب، وليس بمتوكل من تعاطى الأسباب وضيع الثقة بالله والاعتماد عليه، وإنما المتوكل من جمع بينهما اعتمد على الله واعتقد أنه سبحانه مدبر الأمور، وإن كل شيء بيده وأخذ بالأسباب التي أباحها ربه وشرعها له ﷻ، فهذا هو المتوكل الحقيقي، فمن ترك الأسباب فهو عاجز، عمله عجز، وليس بمتوكل.

ثم قال بعد ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذا أيضًا من الأسباب والأعمال التي تشغل القلب واللسان وبقية الجوارح، فالصلاة شاغلة البدن كله؛ فالقلب مشغول بها تعظيمًا لها واستحضارًا لها وخشوعًا فيها، واللسان مشغول بها من قراءة وتسبيح وغيرها من أنواع الذكر والدعاء في الصلاة، والبدن كله مشغول بها ركوعًا وسجودًا وقيامًا وقعودًا تعظيمًا لله وامتثالًا لأمره، فقد جمعت أنواع العمل وبها يزداد الإيمان ويقوى، وهي عمود الإيمان عمود الإسلام عمود الخير من حفظها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع.

وفي المسند بإسناد جيد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه ذكر الصلاة يومًا بين أصحابه فقال: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**»(١). نسأل الله العافية.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٦٩).

قال بعض أهل العلم: إنما يحشر مضيِّع الصلاة وتاركُ الصلاة مع هؤلاء الزنادقة، مع هؤلاء الكفرة الذين هم من صناديد الكفرة ومن كبارهم ومن مقدَّميهم إلى النار، إنما يحشر مضيِّع الصلاة معهم لأنه إما أن يضيعها شغلًا بالرياسة وإيثارًا للرياسة فيحشر مع فرعون والعياذ بالله، وإما أن يضيعها شغل بالوزارة والوظيفة فيكون شبيهًا بهامان فيحشر معه يوم القيامة، وإما أن يضيعها من أجل المال والشهوات فيكون شبيهًا بقارون تاجر بني إسرائيل الذي شغله ماله وأطغاه ماله حتى عاند الحق فخسف الله به وبداره الأرض فيحشر معه يوم القيامة، وإما أن يضيعها من أجل التجارة والبيع والشراء وتعاطي أسباب الربح فيكون شبيهًا بأُبي بن خلف تاجر أهل مكة الكافر، فيحشر معه إلى النار، وقد مات قتيلًا يوم أُحد، وهذا المعنى وجيه ظاهر، فالواجب الحذر من إضاعتها فإن إضاعتها سبب لكل بلاء في الدنيا والآخرة، ولهذا يقول ﷻ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويقول ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

هكذا أهل الإيمان الكُمَّل ينفقون مما رزقهم الله، زكاة وغير زكاة، ينفقون في وجوه البر وأعمال الخير ويخرجون الزكاة وينفقون على من تحت أيديهم من زوجات وأولاد وغير ذلك، فهم منفقون لا باخلون بل يُصرفون هذا المال في الوجوه التي يحبها الله ﷻ، هؤلاء هم أهل الإيمان الكُمل، هذا الحصر لأهل الإيمان الكُمل، أما ضعفاء الإيمان فدون ذلك؛ لكن هذه الصفات لأهل الإيمان الكُمل الذين لهم الدرجات العلى والمقام الحميد يوم القيامة لأعمالهم الطيبة وخصالهم الحميدة واجتهادهم في الخير.

ولهذا قال بعده: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

يعني: هم المؤمنون الكُمل الذين حققوا إيمانهم بالأعمال العظيمة الطيبة والبعد عن أسباب غضب الله.

﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

لهم درجات في الجنة ورزق كريم في الجنة ومغفرة لذنوبهم وحط لخطاياهم، وهذه هي الغاية العظيمة والغبطة الكبيرة والسعادة الأبدية.

فينبغي لكل ذي همة عالية أن يتخلق بأخلاق هؤلاء الأخيار ويسلك سبيلهم ويستقيم على طريقتهم حتى يحصل له ما وعدهم الله من هذا الخير العظيم.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ **[الأنفال: ٢ ـ ٤]**(١).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾. قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٢٤ ـ ٥ ـ ١٤١٧هـ.

ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ فأدُّوا فرائضه. ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ يقول: تصديقًا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ يقول: لا يرجون غيره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا بيان المؤمنين حقًّا، بيان المؤمنين الكُمَّل، لما قال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، كأن سائلًا قال: من هم المؤمنون؟ فبيَّن سبحانه أن المؤمنون هم هؤلاء، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، يعني: حقًّا، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾، يعني: الكمل، أهل الإيمان الكامل، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾. بخلاف أهل النفاق، ليس عندهم إيمان توجل منه القلوب، وليس عندهم إيمان يزيد وينقص؛ بل لا إيمان لهم لكفرهم في الباطن، وليس عندهم توكل؛ بل هم أعداء الإسلام وأعداء الدين، وإنما يجاملون الناس في الظاهر. ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾، هذه الصفات تدل على كمال إيمانهم، وجل قلوبهم عند ذكر الله ﷻ، وزيادة إيمانهم عند تلاوة القرآن، وتوكلهم على الله، وإقامتهم للصلاة وإيتائهم للزكاة دليل على كمال إيمانهم، فالبقية من باب أولى، بقية الأعمال من باب أولى، متى قام المؤمن بهذه الصفات فذلك دليل على أنه يقوم ببقية الصفات التي أوجب الله عليه، ويبتعد عما حرم الله عليه؛ لأن إيمانه الصادق الذي حصل به زيادة إيمانه عند تلاوة القرآن ووجل قلبه عند ذكر الله وتوكله على الله، وبه أقام الصلاة كما أمر الله، وأدى الزكاة كما أمر الله، هذا الإيمان يحمله على بقية الطاعات وعلى ترك جميع السيئات.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال مجاهد: ﴿وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ فرقت؛ أي: فزعت وخافت. وكذا قال السدي وغير واحد.

وهذه صفة المؤمن حق المؤمن، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه؛ أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره. كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، ولهذا قال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

قال: هو الرجل يريد أن يظلم ـ أو قال: يهمُّ بمعصية ـ فيقال له: اتق الله فَيجل قلبه.

وقال الثوري أيضًا: عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قالت: الوجل في القلب إحراق السعفة، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى. قالت لي: إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك، فإن الدعاء يذهب ذلك.

وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها، على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة؛ بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة، كالشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد، كما بينا ذلك مستقصى في أول الشرح البخاري، ولله الحمد والمنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا قول أهل السُّنَّة والجماعة، أن الإيمان يزيد وينقص، وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة ومن بعدهم، يزيد بالطاعات وينقص

بالمعاصي؛ ولهذا عندهم العاصي لا يكفر بذلك، ولكن ينقص إيمانه، بخلاف الخوارج فإنهم لا يزيد عندهم ولا ينقص؛ بل إما أن يوجد كله وإما يذهب كله؛ ولهذا كفَّروا العصاة، وهكذا المعتزلة جعلوا العصاة خارجين من الإيمان ومستحقي الخلود في النار، هذا كله من جهلهم وضلالهم وقلة بصيرتهم. أما أهل السُّنَّة والجماعة فعلموا أن الإيمان يزيد وينقص، يكمل ويضعف، فمن أدى الواجبات وترك المحارم كمل إيمانه، ومن أتى شيء من المعاصي نقص إيمانه فيهما، بحسب ما يأتي من المعاصي، فإذا زنى أو سرق أو اغتاب أحدًا أو تعامل بالربا أو سب أحدًا أو. . نقص إيمانه، وإذا اجتهد في الطاعات زاد إيمانه، فلا يقال: أنه إذا زنى كفر، أو إذا سرق كفر لا، يكون نقص في الإيمان، إذا لم يستحله، هو يعرف أن الزنا حرام والسرقة حرام، ولكن زين له الشيطان ذلك ففعل، هذا نقص في الإيمان، وضعف في الإيمان ومعصية. وهكذا إذا أتى الربا، اغتاب الناس، أتى النميمة، سب أحدًا، غش أحدًا، كان كل هذا نقص في الإيمان وضعف في الإيمان، وكل ما أتى شيء من الطاعات زاد الإيمان، بالصلاة يزيد الإيمان، بذكر الله يزيد الإيمان، بالصدقة يزيد الإيمان، بالصوم يزيد الإيمان. . وهكذا.

• **س: قول بعض علماء السُّنَّة أنه يزيد فقط؟**

○ **الجواب**: لا، خطأ، يزيد وينقص، كل شيء يزيد ينقص، هذا الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾؛ أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو

سريع الحساب؛ ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ ينبه بذلك على أعمالهم، بعد ما ذكر اعتقادهم، وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها، وهو إقامة الصلاة، وهو حق الله تعالى.

وقال قتادة: إقامة الصلاة: المحافظة على مواقيتها ووضوئها، وركوعها، وسجودها.

وقال مقاتل بن حَيَّان: إقامتها: المحافظة على مواقيتها، وإسباغ الطهور فيها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاة على النبي ﷺ، هذا إقامتها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو إقامتها، أن تؤدى كما شرع الله، إقامة الصلاة: أن يؤديها كما شرع الله، بإخلاص وعناية وإقبال عليها، واستكمال ما شرع الله فيها، وإتيانها على طهارة، كل هذا داخل في إقامتها، داخل في إقامتها؛ أن يصلِّيها بطهارة وأن يحافظ على ما فرض الله فيها، وأن يجتنب ما حرَّم الله فيها، ويُقبل عليها بقلبه، يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله، هكذا المقيم للصلاة، المحافظ عليها المؤدِّيهما كما أمر الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والإنفاق مما رزقهم الله يشمل خراج الزكاة، وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب، والخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعنى عيال الله يعني: يَعولهم، عيال الله: يعني: أنهم في رزقه وفي إعالته، هو الذي يعولهم وينفق عليهم، ويدر لهم الأرزاق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس المراد الأولاد كما يقول العامة: عيال فلان أولاده لا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا سبحانه، فعيال الله معناه: يعولهم، هم فقراء إليه،

والذي يقوم بحاجاتهم وينفق عليهم ويرزقهم، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

مداخلة: لها أصل في الكتاب والسُّنَّة؟

الشيخ: نعم؟

● **س: كلمة عيال الله؟**

○ **الجواب**: فيه آثار ضعيفة، «**الخَلْقُ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لعِيَالِه**»(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال قتادة في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ فأنفقوا مما أعطاكم الله، فإنما هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم، أوشكت أن تفارقها.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾؛ أي: المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا زيد بن الحُبَاب، حدثنا ابن لَهِيعَة، عن خالد بن يزيد السَّكْسَكِيّ، عن سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن أبي الجهم، عن الحارث بن مالك الأنصاري؛ أنه مر برسول الله ﷺ فقال له: «**كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟**» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: «**انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟**» فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لِيَلِي، وَاطْمَأَنَّ نَهَارِي، وَكَأَنِّي

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٦/ ٦٥) برقم (٣٣١٥)، قال الهيثمي (٨/ ١٩١): رواه أبو يعلى والبزار، وفيه يوسف بن عطية العطار، وهو متروك، وأخرجه أيضًا البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٣) برقم (٧٤٤٥).

أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: «**يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ**»، ثَلاثًا[١].

وقال عمرو بن مُرَّة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ إنما أُنزلَ القرآن بلسان العرب، كقولك: فلان سيد حقًّا، وفي القوم سادة، وفلان تاجر حقًّا، وفي القوم تجار، وفلان شاعر حقًّا، وفي القوم شعراء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله. اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على رسول الله. أن المقصود من هذا بيان أن الذين اشتغلوا بذكر الله حتى وجلت قلوبهم وزادتهم القراءة إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون وهم يقيمون الصلاة كما شرع الله، وينفقون مما رزقهم الله هم المؤمنون حقًّا؛ لأنهم حققوا إيمانهم بالعمل الطيب، يعني: هم المؤمنون الكمل الذين حققوا إيمانهم بطاعة الله ورسوله والاستقامة على دين الله بتوكلهم عليه ووجل القلوب عند ذكره وزيادة إيمانهم عند تلاوة كتابه العظيم مع إقامتهم الصلاة وأدائهم الزكاة. فإن هذه الخصال تُنبِئ عن صدق إيمان وعن صدق الرغبة وعن قوة الحذر من غضب الله؛ فلهذا وصفهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾، يعني: هم المؤمنون الكمَّل.

طبقات أهل الإيمان:

فإن أهل الإيمان طبقات ثلاث:

الطبقة الأولى: المؤمن الذي عنده بعض المعاصي مسلم مؤمن بالله ورسوله، لكن عنده بعض المعاصي، هذا مؤمن ظالم لنفسه، مسلم ظالم لنفسه بالمعاصي.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٦٦)، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج الى الكشف عنه (المجمع ١/ ٥٧).

الطبقة الثانية: مقتصد استقام على دين الله وأدى الفرائض وابتعد عن المحارم لكن ليس عنده المسابقة الكثيرة إلى الطاعات غير الواجبة، وليس عنده المسارعة إلى أنواع الخير زيادة على الواجب، فهذا طبقة وسطى مقتصد يصدق عليه أنه مؤمن حقًّا.

لكن هناك **طبقة ثالثة** أعظم وأكمل إيمانًا وهي التي مع أداء الفرائض وترك المحارم عندها المسابقة إلى الخيرات والمسارعة إلى أنواع الطاعات غير الواجبة من النفقات في سبيل الله، من الحرص على أنواع القربات المستحبة إلى غير ذلك من وجوه الخير. هؤلاء هم السابقون، هم الطبقة العليا السابقون إلى كل خير، وهم المقربون. وقد ذكر الله الطبقات الثلاث في سورة فاطر في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢] هذا العاصي، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢]، هذا المستقيم على أداء الواجب وترك الحرام، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، هؤلاء هم الطبقة العليا المقربون السابقون. وفي آيات كثيرات يجعل المسلمين طبقتين: أبرار ومقربين، يدخل الظالم نفسه في الأبرار؛ لأن معاصيه لا تخرجه عن كونه من الأبرار من المسلمين من المؤمنين في الجملة؛ كما في سورة الواقعة وغيرها جعل أهل الإيمان طبقتين، أصحاب يمين وسابقون مقرَّبون، ثم أصحاب المشأمة. فهؤلاء الذين هم المؤمنون حقًّا ينطبق على الطبقة الثانية والطبقة الثالثة السابقون بالخيرات، وهم في الطبقة الثالثة أظهر في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾، فإن هذا يشمل النفقة الواجبة والمستحبة. ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، هذا يقتضي منهم الزيادة على مجرد أداء الواجبات وترك المحارم الزيادة في التوسع في الخيرات والمسابقة إلى الطاعات. فجدير بكل مسلم وكل مؤمن أن يكون هكذا، أن يتصف بهذا الخلق وأن يجاهد نفسه في ذلك، وأن يكون عند ذكر الله يوجل قلبه

ويخاف الله ويراقبه، وعند سماع الآيات القرآنية يزداد إيمانه، وأن يكون عظيم التوكل على الله ﷻ والاستقامة على دينه لأداء الفرائض وترك المحارم، يرجو ثواب الله ويخشى عقابه. الله وعدهم بقوله: أولئك ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ بسبب أعمالهم الطيبة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: منازل ومقامات ودرجات في الجنات، كما قال تعالى: ﴿**هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٣].

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾؛ أي: يغفر لهم السيئات، ويشكر لهم الحسنات.

وقال الضحاك في قوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أهل الجنة بعضهم فوق بعض، فيرى الذي هو فوق فضله على الذي هو أسفل منه، ولا يرى الذي هو أسفلُ أنه فُضّل عليه أحد.

ولهذا جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ يَتَرَاءَيُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَيُونَ الْكَوْكَبَ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لَتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «**بَلَى والذي نفسي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى أن جميع أهل الجنة كلهم مغتبطون كلهم مسرورون كلهم في نعيم، كل واحد لا يرى أن غيره أفضل منه، من عظم ما أعطاهم الله من النعيم ولأنها دار ليس فيها حزن وليس فيها تكدرات، بل كلٌّ في

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة برقم (٣٢٥٦)، ومسلم في كتاب الجنة، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء برقم (٢٨٣١).

نعيم دائم وفي خير دائم لا يعتريه شيء من حزن ولا شيء من كدر في جميع طبقاتهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأهل السُّنن من حديث عَطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَوْنَ مَنْ فَوْقَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وأَنْعَمَا**»[١].

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ **[الأنفال: ٥ ـ ٨]**[٢].

قال الإمام أبو جعفر الطبري: اختلف المفسِّرون في السبب الجالب لهذه «الكاف» في قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ فقال بعضهم: شُبِّه به في الصلاح للمؤمنين، اتقاؤهم ربهم، وإصلاحهم ذات بينهم، وطاعتهم الله ورسوله، ثم روى عن عكرمة نحو هذا.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنن، باب الحروف والقراءات برقم (٣٩٨٧)، والترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق برقم (٣٦٥٨)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ برقم (٩٦)، وهذا الحديث تقدَّم شقه الأول في الصحيحين والإمام أحمد (٣/ ٢٦).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب يوم الأربعاء ٢٧ ـ ٥ ـ ١٤١٧هـ.

ومعنى هذا أن الله تعالى يقول: كما أنكم لما اختلفتم في المغانم وتشاححتم فيها فانتزعها الله منكم، وجعلها إلى قَسمه وقَسْم رسوله ﷺ فقسمها على العدل والتسوية، فكان هذا هو المصلحة التامة لكم، وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم، وإحراز عيرهم فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدَّره لكم، وجَمَع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رَشَدًا وهدى، ونصرًا وفتحًا، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال ابن جرير: وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ على كره من فريق من المؤمنين، كذلك هم كارهون للقتال، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم، ثم روى نحوه عن مجاهد أنه قال: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ قال: كذلك يجادلونك في الحق.

وقال السُّدِّي: أنزل الله في خروجه إلى بدر ومجادلتهم إياه فقال: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ لطلب المشركين ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾.

وقال بعضهم: يسألونك عن الأنفال مجادلة، كما جادلوك يوم بدر فقالوا: أخرجتنا للعِير، ولم تُعْلِمنا قتالًا فنستعد له.

قلت: رسول الله ﷺ إنما خرج من المدينة طالبًا لعير أبي سفيان، التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام، فيها أموال جزيلة لقريش فاستنهض رسول الله ﷺ المسلمين من خَفَّ منهم، فخرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا وطلب نحو الساحل من على طريق بدر، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله ﷺ في طلبه، فبعث ضَمْضَم بن عمرو نذيرًا إلى مكة، فنهضوا في قريب من ألف مُقَنَّع، ما بين التسعمائة إلى الألف،

وتيامن أبو سفيان بالعير إلى سِيف البحر فنجا، وجاء النفير فوردوا ماء بدر، وجمع الله المسلمين والكافرين على غير ميعاد، لما يريد الله تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم، والتفرقة بين الحق والباطل، كما سيأتي بيانه.

والغرض: أنَّ رسول الله ﷺ لما بلغه خروج النفير، أوحى الله إليه يَعدهُ إحدى الطائفتين: إما العير وإما النَّفير، ورغب كثير من المسلمين إلى العير؛ لأنه كسبٌ بلا قتال، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾.

قال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه في تفسيره: حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا بكر بن سهل، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا ابن لَهِيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «**إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قِبَل هذه العير لعل الله يُغْنمناهَا؟**» فقلنا: نعم، فخرج وخرجنا، فلما سِرْنا يومًا أو يومين قال لنا: «**ما ترون في قتال القوم؛ فإنهم قد أُخبِروا بمخرجكم؟**»، فقلنا: لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو، ولكنا أردنا العير، ثم قال: «**ما ترون في قتال القوم؟**» فقلنا مثل ذلك، فقال المقداد بن عمرو: إذًا لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] قال: فتمنينا ـ معشر الأنصار ـ أن لو قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم، قال: فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ وذكر تمام الحديث ورواه ابن أبي حاتم، من حديث ابن لهيعة، بنحوه.

ورواه ابن مَرْدُوَيْه أيضًا من حديث محمد بن عمرو بن عَلْقَمة بن وقاص الليثي، عن أبيه، عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر،

حتى إذا كان بالرَّوْحاء، خطب الناس فقال: «**كيف تَرَون؟**» فقال أبو بكر: يا رسول الله؛ بلَغنا أنهم بمكان كذا وكذا. قال: ثم خطب الناس فقال: «**كيف ترون؟**» فقال عمر مثل قول أبي بكر. ثم خطب الناس فقال: «**كيف ترون؟**» فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله إيانا تريد؟ فو الذي أكرمك بالحق وأنزل عليك الكتاب، ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت بنا حتى تأتي «بَرْك الغماد» من ذي يمن لنسيرن معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون، ولعلك أن تكون خرجت لأمر، وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك، فامض له، فَصِلْ حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعادِ من شئت، وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، فنزل القرآن على قول سعد: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ الآيات.

وقال العَوْفي، عن ابن عباس: لما شاور النبي ﷺ في لقاء العدو، وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر، أمر الناس فعبئوا للقتال، وأمرهم بالشوكة، فكره ذلك أهل الإيمان، فأنزل الله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه منقبة عظيمة لسعد بن معاذ، والأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم، وفي المتن بعض الإشكال؛ لأن قول بني إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، نزلت في سورة المائدة، والمائدة متأخرة هذا يوم بدر، فيستغرب ما ذكره سعد هنا، السند هذا فيه عمرو بن علقمة ليس بذاك، ولعلها مُدخلة بالخبر

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال مجاهد: يجادلونك في الحق: في القتال. وقال محمد بن إسحاق: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾؛ أي: كراهية للقاء المشركين، وإنكارًا لمسير قريش حين ذكروا لهم.

وقال السُّدِّي: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾؛ أي: بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به.

قال ابن جرير: وقال آخرون: عنى بذلك المشركين.

حدثني يونس، أنبأنا ابن وَهْب قال: قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ قال: هؤلاء المشركون، جادلوه في الحق ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ حين يدعون إلى الإسلام ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ قال: وليس هذا من صفة الآخرين، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر.

ثم قال ابن جرير: ولا معنى لما قاله؛ لأن الذي قبل قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ خبر عن أهل الإيمان، والذي يتلوه خبر عنهم، والصواب قول ابن عباس وابن إسحاق أنه خبر عن المؤمنين.

وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق، وهو الذي يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم..

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا يحيى بن أبي بكير وعبد الرزاق قالا: حدثنا إسرائيل، عن سِمَال، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله ﷺ حِينَ فَرَغَ مِنْ بَدْرٍ: عَلَيْكَ الْعِيرَ لَيْسَ دُونَهَا شَيءٌ، قَالَ: فَنَادَاهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَكَ. قَالَ: «وَلِمَ». قَالَ لأَنَّ اللهَ ﷻ إِنَّمَا وَعَدَكَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَقَدْ أَعْطَاكَ مَا وَعَدَكَ[1]. إسناد جيد، ولم يخرجه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٢٨ و٣١٤ و٣٢٦ و٤/ ٣٢٦)، والترمذي في كتاب =

ومعنى قوله تعالى ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾؛ أي: يحبون أن الطائفة التي لا حَدَّ لها ولا منعة ولا قتال، تكون لهم وهي العير ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾؛ أي: هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال، ليُظَفِّرَكم بهم ويظهركم عليهم، ويظهر دينه، ويرفع كلمة الإسلام، ويجعله غالبًا على الأديان، وهو أعلم بعواقب الأمور، وهو الذي دبَّركم بحسن تدبيره، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال محمد بن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عُرْوَة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن عبد الله بن عباس ـ كل قد حدثني بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر ـ قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلًا من الشام نَدب المسلمين إليهم، وقال: «**هذه عيرُ قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن يُنْفلكُموها**» فانتدب الناسُ، فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، تخوفًا على أمر الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان: أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فَحَذِرَ عند ذلك، فاستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى أهل مكة، وأمره أن يأتي قريشًا

= التفسير، باب ومن سورة الأنفال برقم (٣٠٨٠)، الحاكم في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأنفال برقم (٣٣٠٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٩٦).

فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة، وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى بلغ واديًا يقال له «ذَفِرَان»، فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل، وأتاه الخبر عن قُريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي ﷺ الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال فأحسن، ثم قام عمر رضي الله عنه، فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله به، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى «بَرْك الغِماد» ـ يعني مدينة الحبشة ـ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير، ثم قال رسول الله ﷺ: «**أشيروا علي أيها الناس**» ـ وإنما يريد الأنصار ـ وذلك أنهم كانوا عَدد الناس، وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنا برآء من ذِمَامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمَمنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة، من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال رسول الله ﷺ ذلك، قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل» قال: فقال: فقد آمنا بك، وصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت. فوالذي بعثك بالحق، إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما يتخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُر عند الحرب، صُدُق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تَقَرّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله.
فسُرّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونَشَّطه ذلك، ثم قال: «**سيروا على**

بركة الله وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم».

وروى العَوْفي عن ابن عباس نحو هذا، وكذلك قال السدي، وقتادة، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، وغير واحد من علماء السلف والخلف، اختصرنا أقوالهم اكتفاء بسياق محمد بن إسحاق.

❋

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩، ١٠][(١)].

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نوح قُرَاد، حدثنا عكرمة بن عَمَّار، حدثنا سماك الحَنَفي أبو زُميل، حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب ﵁، قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه، وهم ثلاثمائة ونَيِّف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، ثم مد يديه، وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «**اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدًا**»، قال: فما زال يستغيث ربه ﷻ ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرداه، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا رسول الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾، فلما كان يومئذ والتقوا،

---

(١) من تعليقات سماحته ﵀ على تفسير الحافظ ابن كثير ﵀ مغرب الأربعاء ٤ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ.

فهزم الله المشركين، فقُتِل منهم سبعون رجلًا وأُسر منهم سبعون رجلًا واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليًّا وعمر، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه منهم قُوَّةً لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عَضُدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمْكنَني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتُمكن عليًّا من عقيل فيضربَ عنقه، وتُمكن حمزة من فلان ـ أخيه ـ فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فَهَوَى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت، وأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد ـ قال عمر ـ غدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله،أخبرني ما يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدتُ بكاء بَكَيتُ، وإن لم أجد بكاء تَبَاكيتُ لبكائكما! قال النبي ﷺ: «**للذي عَرض على أصحابك من أخذهم الفداء، قد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة ـ لشجرة قريبة**»، وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ إلى قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨] من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم، فلما كان يوم أحد من العام المقبل، عوقبوا مما صنعوا يوم بدر، من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون، وفَرَّ أصحابُ النبي ﷺ عن النبي ﷺ، وكسرت رَبَاعيته، وهُشِّمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥] بأخذكم الفداء.

ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن جرير، وابن مَرْدُويه، من طرق عن عكرمة بن عمار، به. وصححه علي بن المديني والترمذي، وقالا: لا يعرف إلا من حديث عكرمة بن عمار اليماني، وهكذا رَوَى

علي بن أبي طلحة والعَوْفي، عن ابن عباس: أن هذه الآية الكريمة قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ أنها في دعاء النبي ﷺ وكذا قال يزيد بن يُثَيع، والسُّدِّي، وابن جريج.

وقال أبو بكر بن عياش، عن أبي حُصَين، عن أبي صالح قال: لما كان يوم بدر، جعل النبي ﷺ يناشد ربه أشد النِّشدة يدعو، فأتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، بعض نِشْدَتِك، فوالله ليفيَن الله لك بما وعدك.

وقال البخاري في «كتاب المغازي»، باب قول الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ حدثنا أبو نُعَيم، حدثنا إسرائيل، عن مُخَارق، عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مَشْهدًا لأن أكون صاحبه أحبَّ إلي مما عدل به: أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرَّه[(١)] يعني قوله.

وحدثنا محمد بن عبد الله بن حَوْشَب، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا خالد الحَذَّاء، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ**». فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ. فَخَرَجَ وَهْوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥][(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ برقم (٣٩٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ برقم (٣٩٥٣).

ورواه النسائي عن بُندار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي[1].

وقوله تعالى: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾؛ أي: يُرْدِفُ بعضُهم بعضًا، كما قال هارون بن عنترة عن ابن عباس: ﴿مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ متتابعين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من النبي ﷺ يدل على أن المسلمين عند لقاء العدو ينبغي لهم الإلحاح بالدعاء والانكسار بين يدي الله، والضراعة إليه في طلب النصر والتأييد؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾، والنبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ** يعني»: وعدك لأوليائك بالنصر، وعهدك بهذا. هكذا ينبغي للمسلمين ولا سيما عند الشدائد، الإلحاح في الدعاء، والضراعة إلى الله، والانكسار بين يديه، فإنه يحب أن يسأل، يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ولما كان يوم بدر يوم خرج النبي ﷺ في بدر خرج لقصد العير، ولم يخرج لأجل القتال، فلما بلغه توجه أهل مكة إلى بدر لأجل إنقاذ عيرهم استشار الناس، هل يذهب إلى بدر ويقابل العدو، أم يرجع أم ماذا يفعل؟ فأشار إليه الصحابة بأن يمضي لأمر الله، وهم تابعون له، وماضون معه بما يمضي فيه، فلم يزل يرشدهم ويقول لهم ما ترون، فقام المقداد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ابن الأسود.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى كتاب التفسير برقم (١١٥٥٧).

قال: لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، إنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك]، وهكذا قال الأنصار سعد بن معاذ وبقية الأنصار ﷺ. فُسَّر النبي بهذا وانشرح صدره لهذا، وبشرهم بالنصر، وقال لهم: «**كأني انظر إلى موضع فلان وفلان، مصرع فلان، ومصرع فلان، ومصرع فلان يوم بدر**»، بشَّرهم بأن الله سينصرهم، وأن أولئك الكفرة سوف يقتلون ويقضى عليهم، فوقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام نصره الله وأيده، وأراهم مصارع القوم: أبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وغيرهم من صناديدهم ورؤسائهم..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويحتمل أن يكون المراد ﴿مُرْدِفِينَ﴾ لكم؛ أي: نجدة لكم، كما قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ يقول: المدَدَ، كما تقول: ائت الرجل فزده كذا وكذا.

وهكذا قال مجاهد، وابن كثير القارئ، وابن زيد: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ ممدّين.

وقال أبو كُدَيْنة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ قال: وراء كل ملك ملك.

وفي رواية بهذا الإسناد: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال: بعضهم على أثر بعض. وكذا قال أبو ظِبْيَان، والضحاك، وقتادة.

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثني عبد العزيز بن عمران، عن الزَّمْعِي، عن أبي الحويرث، عن محمد بن جُبَيْر، عن علي رضي الله عنه، قال: نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي ﷺ وفيها أبو بكر، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي ﷺ، وأنا في الميسرة.

وهذا يقتضي ـ لو صح إسناده ـ أن الألف مردفة بمثلها؛ ولهذا قرأ بعضهم: ﴿مُرْدَفِينَ﴾ بفتح الدال، فالله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما يخالف، يعني: تأتي جماعة بعد جماعة، يحتمل أن معنى: ﴿مُرْدِفِينَ﴾، يعني: أن كل ملك معه ملك خلفه، يعني: كل ملك معه رديف، يعني ألف يكون ألفين بالمردفين بالردف. والحاصل أن الله ﷻ وعد نبيه بالملائكة الذين ينصرونه على أعداء الله، ﴿مُرْدِفِينَ﴾، يعني: جماعة تتبعهم جماعة، أو جماعة معهم جماعة ردفًا لهم، ينصرون نبي الله عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمشهور ما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: وأمدَّ الله نبيَّه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مُجَنِّبة، وميكائيل في خمسمائة مُجَنِّبة.

وروى الإمام أبو جعفر بن جرير، ومسلم، من حديث عكرمة بن عمار، عن أبي زُمَيل سِمَاك بن وليد الحَنَفي، عن ابن عباس، عن عمر، الحديث المتقدم. ثم قال أبو زُمَيل: حدثني ابن عباس قال: بينا رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوتَ الفارس يقول: «أقدِم حَيْزُوم إذ نظر إلى المشرك أمامه، فخرَّ مستلقيًا، قال: فنظر إليه، فإذا هو قد خُطِم أنفه، وشُقَّ وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**صدقتَ، ذلك من مَدَد السماء الثالثة**»، فقَتَلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

وقال البخاري: «باب شهود الملائكة بدرًا»: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، عن معاذ بن رِفاعة بن رافع

الزُّرَقي، عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يُعدُّوا من أفضل الملائكة، من شهد بدرًا من الملائكة يعتبرون من أفضل الملائكة، كما أن من شهدها من أهل بدر من المسلمين يعدون من أفضل المسلمين، الحديث الصحيح: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»، «**إن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»، لهم منقبة عظيمة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

انفرد بإخراجه البخاري، وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث رافع بن خَدِيج، وهو خطأ والصواب رواية البخاري، والله تعالى أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه من آيات الله فإنهم كانوا نحو ألف مقاتل، ومعهم السلاح العظيم والخيل، والمسلمون كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر نحو الثلث، وجاء أولئك الكفار بخيلائهم وتكبرهم وعجبهم، فأحبط الله ﷻ عملهم، وأبطل كيدهم، وسلط عليهم عدوهم المؤمنين والملائكة جميعًا، الملائكة مع المؤمنين حتى حطموا، وقتل أشرافهم، وأسر أيضًا كذلك جماعة من أشرافهم، ورجعوا خائبين، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. الله المستعان.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب شهود الملائكة بدرًا برقم (٣٩٩٢).

• **س: هل كانوا يرونهم سلَّمك الله يا شيخ؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هل كان الصحابة يرون الملائكة ثبت هذا؟

○ **الجواب**: قد يرون بعضهم مثل ما في الأثر هذا.

مداخلة: أحسن الله إليك! صدَّقت أو صدقت؟

الشيخ: لا، صدَّقت خبره أنه رآه، قال: إنك صدقت صادق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الصَّحيحين: أن رسول الله ﷺ قال لعمر لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بَلْتَعَة: قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ الآية؛ أي: وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بُشرى، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ﴾؛ وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم بدون ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أن إرسال الملائكة للتبشير والتطمين، وإلا فهو سبحانه قادر أن ينصر أولياءه بغير بعث الملائكة، وبغير أحد، ينزل عليهم آفة من السماء فيهلكون، كما أنزل على قوم نوح، وعلى قوم هود، وعلى قوم صالح، وعلى قوم لوط، وعلى قوم شعيب، فهلكوا من دون قوة ولا سلاح، الله على كل شيء قدير، ولكن يبتلي عباده الأخيار بالأشرار، ويظهر أسباب النصر، وألفًا من التأييد لأوليائه لتطمئن قلوبهم، وتنشرح

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الجاسوس برقم (٣٠٠٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر برقم (٢٤٩٤).

صدورهم، ويعلموا أن الله معهم، وأنه وليهم وناصرهم ﷻ، ولو شاء لأهلك العدو بغير ذلك.

مداخلة: حكم من قال: إن الصحابة وقعوا في نفاق عملي، وقع منهم أفراد في نفاق عملي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا كلام باطل، عبد الله بن أبي ابن سلول وجماعة ما هم من الصحابة نعم، المنافقون كفار ليسوا من الصحابة، من وقع منه النفاق العملي والرياء هم جماعة معروفون يقال لهم: المنافقون، أما الصحابة المؤمنون، فليس بهم نفاق لا عملي ولا غير عملي.

● **س: يقصد قصة حاطب يا شيخ؟!**

○ **الجواب**: لا هذه تأول فيها، وبيَّن النبي ﷺ عذره، تأولها فإن فعلها ليس عن ردة، والذي في ظنه أن هذا جائز له ليحمي أهله وماله في مكة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ [محمد: ٤ ـ ٦]، وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١]، فهذه حِكَم شَرَع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها، وقد كان تعالى إنما يعاقب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع التي تعم تلك الأمة المكذبة، كما أهلك قوم نوح بالطوفان، وعادًا الأولى بالدَّبُور، وثمود

بالصيحة، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجيل وقوم شعيب بيوم الظلة، فلما بعث الله تعالى موسى عليه السلام، وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليمّ، ثم أنزل على موسى التوراة، شرع فيها قتال الكفار، واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ [القصص: ٤٣] وقتل المؤمنين الكافرين أشد إهانة للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]؛ ولهذا كان قَتلُ صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدرائهم، أنكى لهم وأشفى لصدور حزب الإيمان. فَقَتْلُ أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغى، أشد إهانة له من أن يموت على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك، كما مات أبو لهب ـ لعنه الله ـ بالعَدَسة بحيث لم يقربه أحد من أقاربه، وإنما غسلوه بالماء قذفًا من بعيد، ورجموه حتى دفنوه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾؛ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢] ﴿حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ فيما شرعه من قتال الكفار، مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم، بحوله وقوته سبحانه وتعالى.

• **س: ما معنى أن أبو لهب مات بالعدسة؟**

○ **الجواب**: مرض يرونه معدي، فابتعدوا عنه لئلا يصيبهم عدوى.

• **س: متى ينطبق في أحدنا قول الله عز وجل: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٤]؟**

الشيخ: ما هو المشكل؟

مداخلة: متى ينطبق في أحدنا؟

○ **الجواب**: إذا أقام الله علم الجهاد، نسأل الله أن يقيم علم الجهاد، وينفع أيضًا في الدعوة إلى الله، والنصح لله ولعباده يحصل به خير للمسلمين، ولكن كون الله ﷻ يشفي صدور المؤمنين من الكافرين بالقتال، هذا عند قيام الجهاد، والصبر وإخلاص النية.

*

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال: ١١ ـ ١٤][(١)].

يذكرهم الله بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم، أمانًا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عَدُوِّهم وقلة عَدَدهم، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أُحُد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال أبو طلحة كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدي مرارًا يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه، ولقد نظرت إليهم يميدون وهم تحت الحَجَف.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٨ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه. وهذا من فضل الله ﷻ، فإن العدو كانوا أضعاف المسلمين يوم بدر كانوا أضعافهم، كان المسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر، والكفار نحو الألف، مع العدة الكثيرة والخيل وغير ذلك، ولكن الله ﷻ نصر أولياءه وأيدهم، وألقى عليهم النعاس أمنة منه، وأيدهم بالملائكة المردفين، فقال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾، فأنزل المطر تطهيرًا وتثبيتًا للأرض، والنعاس أيضًا تأمينًا وتثبيتًا، ثم أعانهم على الحملة العظيمة التي بها هزموا العدو، وقتلوا سبعين من صناديدهم وكبارهم، وأسروا سبعين؛ حتى انهزم أعداء الله. نعم. وهذا من أمثلة قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، قللتم أو كثرتم، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، قد يبتلي عباده المؤمنين بأسباب، فيظهر العدو عليهم لأسباب وقعت منهم..

● **س: أقول: هل صح أنهم صلُّوا مجنبين؟**

○ **الجواب**: الله أعلم، هذه آثار والله أعلم، قد يكون بعضهم احتلم، قد يكون بعضهم خرج مددًا للنبي ﷺ سريعًا قبل أن يغتسل، محتمل، ما في نص عن النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زُهَيْر، حدثنا ابن مَهْدِي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مُضَرِّب، عن علي رضي الله عنه، قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتُنا وما فينا إلا نائم إلا

رسول الله ﷺ، تحت شجرةٍ يصلّي ويبكي حتّى أصبحَ[(١)].

وقال سفيان الثوري، عن عاصم عن أبي رَزِين، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان.

وقال قتادة: النعاس في الرأس، والنوم في القلب.

قلت: أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد، وأمر ذلك مشهور جدًّا، وأما يوم بدر في هذه الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدر، وهي دالة على وقوع ذلك أيضًا وكأن ذلك كان سجية

للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله. وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمه عليهم، وكما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]؛ ولهذا جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق، رضي الله عنه، وهما يدعوان، أخذت رسول الله سِنة من النوم، ثم استيقظ متبسمًا فقال: «أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع» ثم خرج من باب العريش، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

وقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: نزل النبي ﷺ - يعني: حين سار إلى بدر - والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة وأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، يوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلُّون مُجنبين! فأمطر الله عليهم مطرًا شديدًا، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وأنشف الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٢٥).

والدواب، فساروا إلى القوم وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل في خمسمائة مُجَنِّبَة، وميكائيل في خمسمائة مُجَنِّبة.

وكذا قال العوفي عن ابن عباس: إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه. فأصاب المؤمنين الظمأ، فجعلوا يصلون مجنبين محدثين، حتى تعاظموا ذلك في صدورهم، فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرب المؤمنون، وملئوا الأسقية، وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهورًا، وثبَّت الأقدام. وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة، فبعث الله المطر عليها، فضربها حتى اشتدت، وثبتت عليها الأقدام.

ونحو ذلك رُوِي عن قتادة، والضحاك، والسدي.

وقد روي عن سعيد بن المسيب، والشعبي، والزهري، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: أنه طش أصابهم يوم بدر.

والمعروف أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر، نزل على أدنى ماء هناك؛ أي: أول ماء وجده، فتقدم إليه الحُباب بن المنذر فقال: يا رسول الله، هذا المنزل الذي نزلته منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نجاوزه، أو منزل نزلته للحرب والمكيدة؟ فقال: «بل منزل نزلته للحرب والمكيدة». فقال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، ولكن سر بنا حتى ننزل على أدنى ماء يلي القوم ونغوِّر ما وراءه من القُلُب، ونستقي الحياض فيكون لنا ماء وليس لهم ماء. فسار رسول الله ﷺ ففعل كذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والآية الكريمة واضحة في أن نزول الماء للتثبيت، عندهم ماء، موجود الماء عندهم؛ ولهذا نزلوا في أعلاها؛ حتى حالوا بينها وبين

المشركين، والله يقول: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، هذا واضح في أن الأرض كانت محتاجة إلى التثبيت، والماء نزَّله: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، فهم محتاجون للماء للتثبيت والتطهير، لعله في منزل من المنازل، مع وجود الماء الذي في الآبار والعيون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي مغازي «الأموي» أن الحباب لما قال ذلك نزل ملك من السماء وجبريل جالس عند رسول الله ﷺ، فقال ذلك الملك: يا محمد، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن الرأي ما أشار به «الحباب بن المنذر»، فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال: هل تعرف هذا؟ فنظر إليه فقال: ما كل الملائكة أعرفهم، وإنه ملك وليس بشيطان.

وأحسن ما في هذا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب «المغازي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير قال: بعث الله السماء ـ وكان الوادي دهسًا ـ فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما لبَّد لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير، وأصاب قريشًا ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

وقال مجاهد: أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس، فأطفأ بالمطر الغبار، وتلبدت به الأرض، وطابت نفوسهم وثبتت به أقدامهم.

وقال ابن جرير: حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا مصعب بن المقدام، حدثنا إسرائيل، حدثنا أبو إسحاق، عن جارية، عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: أصابنا من الليل طش من المطر ـ يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر ـ فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف نستظل تحتها من المطر. وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه: «اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة لا

تعبد في الأرض»! فلما أن طلع الفجر، نادى: «الصلاة، عباد الله»، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ، وحرَّض على القتال.

وقوله: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾؛ أي: من حدث أصغر أو أكبر، وهو تطهير الظاهر ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: من وسوسة أو خاطر سيئ، وهو تطهير الباطن، كما قال تعالى في حق أهل الجنة: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ فهذا زينة الظاهر ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ أي: مطهرًا لما كان من غل أو حسد أو تباغض، وهو زينة الباطن وطهارته.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ وهو شجاعة الظاهر، والله أعلم.

وقوله: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم، ليشكروه عليها، وهو أنه ـ تعالى وتقدس وتبارك وتمجد ـ أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا.

قال ابن إسحاق: وازروهم. وقال غيره: قاتلوا معهم. وقيل: كثروا سوادهم. وقيل: كان ذلك بأن الملك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ يقول: سمعت هؤلاء القوم ـ يعني المشركين ـ يقولون: «والله لئن حملوا علينا لننكشفن»، فيحدث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك، فتقوى أنفسهم حكاه ابن جرير، وهذا لفظه بحروفه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

أو المعنى: قاتلوا معهم وكثروا، تفسير للأمر الذي في الآية الكريمة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾؛ أي: ثبتوا أنتم المسلمين وقووا أنفسهم على أعدائهم، عن أمري لكم بذلك، سألقي الرعب والمذلة والصغار على من خالف أمري، وكذب رسولي ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾؛ أي: اضربوا الهام ففلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، وقطعوا الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم.

وقد اختلف المفسرون في معنى: ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ فقيل: معناه اضربوا الرؤوس. قاله عكرمة.

وقيل: معناه: ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾؛ أي: على الأعناق، وهي الرقاب. قاله الضحاك، وعطية العوفي.

ويشهد لهذا المعنى أن الله تعالى أرشد المؤمنين إلى هذا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤].

وقال وكيع، عن المسعودي، عن القاسم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أُبعث لأعذِّب بعذاب الله، إنما بُعثت بضرب الرقاب وشد الوثاق**». واختار ابن جرير أنها قد تدل على ضرب الرقاب وفلق الهام.

قلت: وفي مغازي «الأموي» أن رسول الله ﷺ جعل يمر بين القتلى يوم بدر فيقول: «نُفَلِّق هامًا...».

فيقول أبو بكر: من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما فيبتدئ رسول الله ﷺ بأول البيت، ويستطعم أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إنشاد آخره؛ لأنه كان لا يحسن إنشاد الشعر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

وقال الربيع بن أنس: كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة

ممن قتلوا هم بضرب فوق الأعناق، وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به.

وقوله: ﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ قال ابن جرير: معناه: واضربوه أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومَفْصِل من أطراف أيديهم وأرجلهم. و«البنان»: جمع بنانة، كما قال الشاعر:

أَلا لَيْتَنِي قَطَّعْتُ مِنْهُ بَنَانَةً ... وَلاقَيْتُهُ فِي الْبَيْتِ يَقْظَانَ حَاذِرَا

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ يعني بالبنان: الأطراف. وكذا قال الضحاك وابن جريج.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذا كله: حثهم على الجد والنشاط والإقدام والصبر، وهذا وعد لهم بالنصر، وتأييد لهم من ربهم جَلَّ وَعَلَا، فإن ضرب الرقاب وضرب الرءوس وضرب البنان من أسباب الهزيمة، وسقوط الأسلحة وسقوط السلاح من أيديهم وذلهم ونكوصهم على أعقابهم؛ إذا رأوا من شدة الضرب وشدة الإقدام، وهذا من نصر الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن القوم كثيرون والمسلمون قليلون، فكان من رحمة الله أن ثبتهم، وقوى قلوبهم، وأيدهم بالملائكة؛ حتى صار لهم العزم العظيم والقوة العظيمة، والصبر العظيم الذي به هزم الله العدو، وقتل من قتل منهم؛ فضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ولا شك أن الأمر جدير بذلك؛ لأن قومًا كثيرين عندهم الحقد العظيم والعداوة العظيمة لأهل الإيمان، والمسلمون قليل، فلا ريب أن العدو يكون عنده غاية من الحنق والكبر والتعاظم، ولا بد أن المسلمين قد يعتريهم من وسوسة الشيطان وتزيينه وتخذيله ما يؤذيهم؛ لقلتهم وكثرة عدوهم، فنصر الله عباده المؤمنين وأيدهم وقوى قلوبهم، وأيدهم بالملائكة في مقابل ما عندهم من النقص، وما عند عدوهم من الكثرة والقوة، فضلًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الأسئلة:

● **س: حديث: (إذا قتلتم فأحسنوا القتلة)؟**

○ **الجواب:** هذا في القتل الاختياري، أما هذا قتال، هذا حرب، يضرب مع ما تيسر، أما عند إقامة الحدود هذا يقتل قتلة حسنة، عند إقامة الحدود.

● **س: الأسرى لو رأى ولي الأمر أن يقطع أيديهم نظرًا لأن السلاح يكون باليدين ثم..؟**

○ **الجواب:** لا، الأسرى يقتلون القتلة الشرعية، القتلة الشرعية.

مداخلة: لكن لو كان في فداء؟

الشيخ: لا ما يصلح، إلا إذا فعلوا بنا ما فعلوا قد يجازون من باب القصاص.

● **س: قوله عليه الصلاة والسلام: «إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله»؟**

○ **الجواب:** بالنار يعني، إنما يعذب يقاتل قتال بالسيف والرمح ونحو ذلك، لا بالنار، (إن النار لا يعذب بها إلا الله).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السدي: البنان: الأطراف، ويقال: كل مَفْصِل.

وقال عكرمة، وعطية العوفي والضحاك ـ في رواية أخرى ـ: كل مفصل.

وقال الأوزاعي في قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾ قال: اضرب منه الوجه والعين، وارمه بشهاب من نار، فإذا أخذته حرم ذلك كله عليك.

وقال العوفي، عن ابن عباس ـ فذكر قصة بدر إلى أن قال ـ: فقال أبو جهل: لا تقتلوهم قتلًا ولكن خذوهم أخذًا، حتى تعرفوهم الذي

صنعوا من طعنهم في دينكم، ورغبتهم عن اللات والعزى. فأوحى الله إلى الملائكة: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ فقتل أبو جهل لعنه الله، في تسعة وستين رجلًا، وأسر عقبة بن أبي مُعَيْط فقتل صبرًا، فوفى ذلك سبعين ـ يعني: قتيلًا.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ أي: خالفوهما فساروا في شق، وتركوا الشرع والإيمان به واتباعه في شق ـ وهو مأخوذ أيضًا من شق العصا، وهو جعلها فرقتين ـ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾؛ أي: هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه، لا يفوته شيء، ولا يقوم لغضبه شيء، تبارك وتعالى، لا إله غيره، ولا رب سواه.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾ هذا خطاب للكفار؛ أي: ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا، واعلموا أيضًا أن للكافرين عذاب النار في الآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا جزاؤهم نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الغضب في الدنيا والعذاب العاجل، والعذاب في الآخرة، ومن أمهل وأنظر كان عذابه أشد، نسأل الله العافية.

• س: صحة قول الحُباب في قوله: (ما كل الملائكة أعرفهم، ولكنه ملك وليس شيطان)؟

○ **الجواب**: يقوله جبرائيل، ما هو بالحباب الذي يقوله، النبي ﷺ سأل جبرائيل فقال هذا الكلام، نعم، الملك جاء يقول: إن الرأي ما قاله الحباب، فالنبي ﷺ سأل جبرائيل: هل تعرف هذا الملك الذي جاء

إلى النبي ﷺ، فقال: (ليس كل الملائكة أعرفهم، ولكن هذا الذي جاءك بالخبر ليس بشيطان ولكنه ملك).

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ **[الأنفال: ١٥ ـ ٢٦]**(١).

يبيِّن ربنا ﷻ في هذه الآيات أحكامًا كثيرة، وشؤونًا عظيمةً، إذا أخذ بها أهل الإيمان استقام لهم أمرهم، وصلُحت لهم دنياهم

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع معالي الدكتور عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ٣٣٣).

وأُخراهم، كما يبيِّن ﷻ في هذه الآيات ما يجب على أهل الإيمان عند لقاء الكفار، وأن الواجب عليهم التصميمُ والصدق في لقاء الأعداء وجهادهم، والحذر من الانحراف والتولي عن أعداء الله؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

وهذا يبيِّن أن الواجب المضيُّ قُدمًا عند لقاء الأعداء، وعدم التولي، وأن يكون المؤمن في غاية من النشاط والقوة في مساعدة أولياء الله، وإعانتهم على قتال أعداء الله، ولا يحمله الجُبن وخوف الموت على التأخر والتولي عن أعداء الله بل يُقدم ويصبر ويُصابر، والله ﷻ مع المؤمنين بنصره وتأييده، فهو سبحانه فوق العرش ولكنه مع أوليائه بالنصر والتأييد والتوفيق والترشيد.

والمَعيَّة مَعيَّتان، **معية خاصة**: وهي مَعيَّة الله مع أوليائه، ومع الصابرين، ومع المحسنين، ومع المتقين، قال تعالى: ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال ـ أيضًا ـ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، فمن صبر على جهاد أعداء الله، وصبر على أداء حق الله، فالله معه ﷻ بالتأييد والنصر والتوفيق، وشرح الصدر، وإنزال الرُّعب في قلوب الأعداء، فالله ينصر أولياءه بأنواع من النصر، ومن التثبيت على القتال، وشرح الصدور، وتقوية الإيمان، والإمداد بالملائكة، وما يوقعه سبحانه في قلوب الأعداء من الرعب والضعف وعدم الثبات، فهو ناصرٌ أولياءَه ومعينُهم ﷻ، **ومعية عامة**: وهي لجميع خلقه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد: ٤].

ويبيِّن ﷻ أن المتحيز إلى فئة أو المتحرِّف لقتال، ليس ممن يولِّي

الأدبار، فإذا تحرف أحد المجاهدين من مكان إلى مكان ومن صفٍّ إلى صفٍّ ليتهيأ للقتال وليساعد إخوانه على أكمل ما يكون، فليس هذا بإدبار، كذلك من انتقل من جهة إلى جهة، ومن صف إلى فئة لأجل المقاتلين، لأمر دعا إلى ذلك، لا فرارًا من القتال، وولي الأمر ينظر في تدبيره وتوجيهه إلى الجهة التي يراها، فولي الأمر فئة ومرجع، كما قال النبي ﷺ للناس: «**بَلْ أَنْتُمُ الْعَكَّارُونَ وَأَنَا فِئَتُكُمْ**»(١).

وبيَّن سبحانه وتعالى أيضًا أن المؤمنين لم يقاتلوا الناس بقوتهم ولا بجهدهم فقط، بل الله معهم سبحانه وتعالى، فهو الذي سدد قتالهم، وصوَّبه حتى أصابوا العدوَّ فانهزم ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ فالأمر بيده جل وعلا، فهو مسدِّد العباد وموفِّقهم، وليس الإنسان بمجرَّد كونه أعمل السلاح، أو كونه قابل الأعداء، أو أطلق الرمية يجب أن ينجح، فقد يقاتل الأعداء ولا ينجح، وقد يطلق الرمي ولا ينجح، وقد يضرب بالسيف ولا ينجح، فالأمر في حد ذاته يرجع إلى الله عز وجل في تسديد إصابة الرمية وتوفيق الرامي للنجاح في قتاله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، فهو الموفق للمقاتلين وللمجاهدين حتى ينشطوا وحتى يقووا، وحتى تصيب ضرباتهم ورمياتهم لأعداء الله عز وجل، وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن لا تصيب طاشت، وسَلِمَ المقاتل، كما هو واقع في مواقع كثيرةٍ وحوادث كثيرةٍ.

ويُبين جل وعلا أنه مع المؤمنين بنصره وتأييده حتى لا يجبنوا وحتى لا يضعفوا، وأنه سبحانه وتعالى يُقدِّر ما يُقدِّر من الابتلاء والامتحان ليُبلي المؤمنين بلاءً حسنًا، ولينظر جُهود الصابرين، وصدق الصادقين، وصبر الصابرين،

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الجهاد، باب في التولي يوم الزحف برقم (٢٦٤٧)، والترمذي في كتاب الجهاد، باب ما جاء في الفرار من الزحف برقم (١٧١٦)، والإمام أحمد (٢/ ٧٠ و١١٠).

وذكر الذاكرين، وغير ذلك، ويبتلي هؤلاء بهؤلاء وهؤلاء بهؤلاء، حتى يتبين من هؤلاء المؤمنين صدقهم ونجاحهم وثباتهم وقوَّتُهم وصبُرهم وإقدامهم، وحتى يتبين من الكذابين والمنافقين إحجامهم وجُبنهم وخوَرُهم وضعفهم وتأخرهم، فهو ابتلاء وامتحان ليرفع أقوامًا ويضع آخرين ﷻ، ليرفع أهل الصبر والإيمان والمواظبة والإقدام، ويضع أهل الجبن والخَوَر والضعف والتأخر والانحراف.

وكذلك يُبيِّن ﷻ ما يجب على المؤمنين من طاعة الله ورسوله، وما الواجب من طاعة الله ورسوله، وأنه ﷻ إذا شاء وفَّق قومًا فأسمعهم الحق وثبتهم عليه، وإذا شاء خذل آخرين من أعمالهم القبيحة وصفاتهم الذميمة.

ويُبيِّن سبحانه إن شر الدواب عند الله هم الصم البُكم، من البشر والجن الذين لا يبالون بالحق ولا يستَمعون له ولا ينطقون به، بل هم في غاية من الصمم والبكم عن الحق، فلا أُذُنٌ تسمع وتصغي، ولا لسان ينطق بالحق ويدعو إليه، بل هم في شر عظيم، وهم من أخبث الدواب، والإنسان دابة تمشي على قدميها لكن الله يكرمه بالحق والهدى إذا استقام فيكون من خير الناس ومن أفضل الناس، ويهينه ويذله إذا مال عن الحق والصواب، فيكون من شر الدواب، نعوذ بالله.

ثم يُبيِّن ﷻ أن الاستجابة لله وللرسول فيها الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]. فالحياة في طاعة الله ورسوله، والاستجابة لله ولرسوله، ومن أعرض عن ذلك فهو في غفلة، وإن لم يشعر بذلك، فلموت قلبه وانحرافه، قال ﷻ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧]، فالحياة الطيبة في طاعة الله ورسوله، والشقاء والهلاك والموت في الإعراض عن الله ورسوله، وعدم طاعة الله ورسوله.

ومن هذا قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، فالله جعل الوحي روحًا، يعني: أن الوحي الذي جاء به النبي محمد ﷺ روحٌ تحصل به الحياة، ونور تحصل به البصيرة، فمن فاته هذا الوحي ولم يوفق للانتفاع به وللاستفادة منه، فهو لا يزال في ظلمته، وفي موته، فالحياة والنور والسعادة والبصيرة، في قبول هذا الوحي والانتفاع به والاستفادة منه والسير عليه.

أما إذا أعرض عن ذلك فإنه تفوته الحياة الطيبة ويفوته النور، كما قال ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾، فمن قَبِلَ الوحي واهتدى بهدي الله فقد حصلت له الحياة، ومن تعلم وتبصَّر في الدين حصل له النور، فإذا أعرض عن ذلك فلم يقبل الحق ولم يتبصر فيه ولم يتفقَّه فيه، فقد فاتته الحياة وفاته النور، نعوذ بالله من ذلك، نسأل الله السلامة.

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ **[الأنفال: ١٥، ١٦]**[1]

يقول تعالى متوعدًا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك:

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأربعاء ١١ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ. ومغرب الأحد ١٥ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾؛ أي: تقاربتم منهم ودنوتم إليهم، ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝١٥﴾؛ أي: تفروا وتتركوا أصحابكم، ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ﴾؛ أي: يفر بين يدي قرنه مكيدة؛ ليريه أنه قد خاف منه فيتبعه، ثم يكر عليه فيقتله، فلا بأس عليه في ذلك. نص عليه سعيد بن جبير، والسدي.

وقال الضحاك: أن يتقدم عن أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها.

﴿أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾؛ أي: فر من هاهنا إلى فئة أخرى من المسلمين، يعاونهم ويعاونوه فيجوز له ذلك، حتى ولو كان في سرية ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم، دخل في هذه الرخصة.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا زُهَيْر، حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ، فحاص الناس حيصة ـ وكنت فيمن حاص ـ فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا: لو دخلنا المدينة فبتنا؟ ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ، فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا؟ فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: «**من القوم؟**» فقلنا: نحن الفرارون. فقال: «**لَا بَلْ أَنْتُمُ الْعَكَّارُونَ**». قَالَ: فَدَنَوْنَا فَقَبَّلْنَا يَدَهُ فَقَالَ: «**أَنَا فِئَةُ الْمُسْلِمِينَ**»[(١)].

وهكذا رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، من طرق عن يزيد بن أبي زياد[(٢)].

وقال الترمذي: حسن لا نعرفه إلا من حديثه.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في التولي يوم الزحف برقم (٢٦٤٧)، والترمذي في كتاب الجهاد، باب ما جاء في الفرار يوم الزحف برقم (١٧١٦)، والإمام أحمد (٢/ ٧٠ و٨٦ و١٠٠ و١١٠).

(٢) المصدر السابق.

ورواه ابن أبي حاتم، من حديث يزيد بن أبي زياد به. وزاد في آخره: وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾.

قال أهل العلم: معنى قوله: «الْعَكَّارُونَ»؛ أي: العطَّافون. وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في أبي عبيد لما قتل على الجسر بأرض فارس، لكثرة الجيش من ناحية المجوس، فقال عمر: لو انحاز إليّ كنت له فئة. هكذا رواه محمد بن سيرين، عن عمر وفي رواية أبي عثمان النهدي، عن عمر قال: لما قتل أبو عبيد قال عمر: يا أيها الناس، أنا فئتكم(١).

وقال مجاهد: قال عمر: أنا فئة كل مسلم.

وقال عبد الملك بن عُمَيْر، عن عمر: أيها الناس، لا تغرنكم هذه الآية، فإنما كانت يوم بدر، وأنا فئة لكل مسلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا حسان بن عبد الله المصري، حدثنا خلاد بن سليمان الحضرمي، حدثنا نافع: أنه سأل ابن عمر قلت: إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا، ولا ندري من الفئة: إمامنا أو عسكرنا؟ فقال: إن الفئة رسول الله ﷺ. فقلت إن الله يقول: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ فقال: إنما نزلت هذه الآية في يوم بدر، لا قبلها ولا بعدها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود من هذا: أن الواجب على المجاهدين إذا التقوا مع عدوهم الصبر والصمود والثبات؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ناداهم الله باسم الإيمان، فلا بد من الثبات والصبر على لقاء الأعداء. و﴿زَحْفًا﴾ كل واحد يعني: كل فئة تزحف إلى الأخرى، الجيوش هكذا

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الجهاد (٢٦٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٥٣٨)، وكلاهما من طريق سليمان التيمي عن أبي عثمان، وسنده صحيح، وأخرجه الإمام أحمد بلفظ: «لا بل أنتم العكارون، أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين» (٢/ ٧٠).

الكل يزحف جنب صاحبه ينظر الفرصة ليتمكن. هذا الواجب على أهل الإسلام ألا يفروا، وأن يصمدوا، فبالصبر والثبات عون للمسلم على إدراك مطلبه، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ ينظر هل هذا الجانب أصلح؟ أو هذا الجانب أصلح؟ أو كونه يتقدم من هنا أو من هنا يتحرى ينظر ما هو الأصلح فلا بأس؟ ﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ لا فرارًا؛ بل يتحرى بل ينظر ما هو المصلحة؟ هل أكون في الجانب الأيمن أو في الجانب الأيسر أو في القلب ما هو أصلح؟ ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ ينتقل من فئة إلى فئة، والمجاهدون فئات، فينتقل من فئة إلى فئة فهذا لا بأس، أو إلى الإمام الأعظم الذي هو فئته؛ لأنه لا حيلة إلا الفرار إليه.

والحديث حديث: (أنا فئتكم) فيه ضعف؛ لأن يزيد بن أبي زياد فيه ضعف، لكن يتأيد بأثر ابن عمر، وبالمعنى أيضًا، فإن المسلم قد لا يتحمل الصمود لكثرة العدو فيفر إلى فئته إلى إمامه ومرجعه.

الأسئلة:

● **س: قائد الجيش في معركة الجسر أبو عبيدة؟**

○ **الجواب**: أبو عبيد غير أبي عبيدة، أبو عبيدة لم يقتل، أبو عبيدة بن الجراح كان أمير الأرباع لكن مات بالطاعون رضي الله عنه سنة سبع عشرة، وأبو عبيد هذا أحد الأمراء غير أبي عبيدة.

● **س: أحسن الله إليك، حكم من فر من القتال؟**

○ **الجواب**: معصية من الكبائر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الضحاك في قوله: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ المتحيز: الفار إلى النبي وأصحابه، وكذلك من فر اليوم إلى أميره أو أصحابه.

فأما إن كان الفرار لا عن سبب من هذه الأسباب، فإنه حرام وكبيرة من الكبائر، لما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي

هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**»[١].

ولهذا الحديث شواهد من وجوه أخر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾؛ أي: رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ﴾؛ أي: مصيره ومنقلبه يوم ميعاده: ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

وقال الإمام أحمد: حدثنا زكريا بن عَدِيّ، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرَّقِّي، عن زيد بن أبي أُنَيْسَة، حدثنا جبلة بن سُحَيْم، عن أبي المثنى العبدي، سمعت السدوسي ـ يعني ابن الخصاصية، وهو بشير بن معبد قال: أتيت النبي ﷺ لأبايعه، فاشترط علي: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدي الزكاة، وأن أحج حَجَّة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله**». فقلت: يا رسول الله، أما اثنتان فوالله لا أطيقهما: الجهاد، فإنهم زعموا أنه من ولَّى الدُّبُر فقد باء بغضب من الله، فأخاف إن حضرت ذلك خشعت نفسي وكرهت الموت. والصدقة، فوالله ما لي إلا غُنَيْمَةٌ وعشر ذَوْدٍ هُنَّ رَسَل أهلي وحَمُولتهم. فقبض رسول الله ﷺ يده، ثم حرك يده، ثم قال: «**فَلَا جِهَادَ وَلَا صَدَقَةَ فَبِمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِذًا**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أُبَايِعُكَ ـ قَالَ ـ فَبَايَعْتُ عَلَيْهِنَّ كُلِّهِنَّ. هذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه في الكتب الستة[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود: من هذا أنه لا بد من زكاة ولا بد من جهاد حسب

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ١٦٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٢٤).

الطاقة، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فلا يجوز البيعة على ترك الجهاد ولا على ترك الزكاة، لكن الزكاة من وجد عنده نصابها زكى، ومن ليس عنده شيء ما يزكي، وهكذا الجهاد من استطاع وجب، ومن لم يستطع فلا شيء عليه، والحمد الله. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] الحمد لله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقط، شواهد في المعنى، أقول: له شواهد في المعنى تدل على صحته.

مداخلة: هذا الإسناد ضعيف؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يحتاج إلى أن يتقوى بالأدلة الأخرى، والأدلة الأخرى كثيرة تؤيد الزكاة والصدقة، قصة الوفود الذين جاءوا النبي ﷺ بايعهم على الزكاة وعلى غيرها نعم، أقول: النصوص الأخرى تؤيده.

مداخلة: إي لكان جعل أركان الإسلام ستة، الجهاد زاد الجهاد؟

الشيخ: الجهاد مستقل، الأركان خمسة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة، حدثنا إسحاق بن إبراهيم أبو النضر، حدثنا يزيد بن ربيعة، حدثنا أبو الأشعث، عن ثوبان، عن النبي ﷺ قال: **«ثَلاثَةٌ لا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ»**[1]، وهذا أيضًا حديث غريب جدًّا.

---

(١) أخرجه الطبراني (٢/ ٩٥) رقم (١٤٢٠)، قال الهيثمي (١/ ١٠٤): رواه الطبراني في الكبير وفيه يزيد بن ربيعة ضعيف جدًّا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يكفي، المقصود: الحديث ضعيف منكر، متنه منكر؛ لأن عقوق الوالدين والفرار من المعاصي والكبائر، نعم، وعلق عليه سنده ضعيف؛ لضعف، يزيد بن ربيعة، والمتن منكر، بناء لو صح هو شاذ مخالف للأحاديث الصحيحة؛ لأن العقوق ليس من الشرك، وهكذا الفرار إنما هو من كبائر الذنوب، ولكن لو صح معناه: عظم شأن هاتين المعصيتين، كما قال في الحديث الصحيح، يقول ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ**». **ثَلَاثًا. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ:** «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**». وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ**»(١)، هو من أكبر الكبائر، نسأل الله العافية. نعم.

مداخلة: ما هو التقريب يا شيخ.

الشيخ: ما هو مفهرس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا أيضًا حديث غريب جدًّا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الأثر فيه نظر، ولا أظنه يثبت عن ابن عمر، ولو ثبت عن ابن عمر فهو غير ظاهر، مراد ابن عمر غير ظاهر؛ لأن الآية العبرة بما دلت عليه بعمومها، لا تخص بدر ولا غير بدر، الآية تعم بدر وغير بدر. فالأثر لا، ما أظنه يثبت عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولو ثبت عن ابن عمر فهو منه اجتهاد، والله يقول جل وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ يشمل بدر وأحد وغير ذلك، هو يشمل في حياة النبي، وبعد حياة النبي ﷺ. وفئة المسلمين في حياته، وولي الأمر بعده

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور برقم (٢٦٥٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (٨٧).

كالصديق وعمر وبعده، وهكذا ولي الأمر هو فئة المسلمين بعده، المقصود: أن الأثر هذا ضعيف من جهة المعنى ولا يستقيم سواء ثبت عن ابن عمر أو ما ثبت عن ابن عمر.

- **س: أحسن الله إليك! عقوبة الفار من الزحف؟**

○ **الجواب**: هذا إلى ولي الأمر، محل اجتهاد ولي الأمر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الطبراني أيضًا: حدثنا العباس بن الفضل الأسْفَاطِيّ، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حفص بن عمر الشَّنِّي، حدثني عمرو بن مرة قال: سمعت بلال بن يسار بن زيد ـ مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت أبي حدث عن جدي قال: قال رسول الله: «**من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه، غفر له وإن كان قد فر من الزحف**».

وهكذا رواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل، به. وأخرجه الترمذي، عن البخاري، عن موسى بن إسماعيل به. وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على كل حال الحديث هذا وإن صح فالمراد يعني مع التوبة، قال: أستغفر الله الذي لا إلٰه إلا هو وأتوب إليه يعني: مع التوبة مع الصدق؛ لأن التوبة تجلي الذنوب كلها الكبائر والصغائر، إذا استغفر العبد ربه تائبًا نادمًا مقلعًا عن ذنوبه غفر الله له. أما الاستغفار باللسان مع الإقامة على المعاصي ما ينفع، مثلما قال ربنا ﷻ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فإذا قال: أستغفر الله الذي لا إلٰه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، أو أستغفر الله وأتوب إليه، أو اللَّهُمَّ اغفر لي وتب علي، أو اللَّهُمَّ إني أتوب إليك، أو ما أشبه ذلك، إذا قال هذه الأشياء عن صدق وعن ندم على الذنوب الماضية، وإقلاع منها، ورغبة

فيما عند الله، وصدق وخوف من الله وإخلاص له تاب الله عليه. أما أستغفر الله من دون ندم من دون إقلاع ومن دون عزم على عدم العودة قد يكون مجرد قول ما يكفي، كما قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٣٥]، لا بد من عدم الإصرار. والإصرار معناه: الإقامة وعدم الندم، وعدم العزم على عدم العود. فالواجب على من أجرم جرمًا أو قدم ذنبًا أن يبادر بالتوبة، وأن يعزم العزم الصادق ألا يعود، وأن يقلع عن هذا الذنب، ويحذره خوفًا من الله وتعظيمًا له وطلبًا لمرضاته، هكذا يكون الصادقون، وهكذا يكون التائبون حقًّا، فلو صح لهذا المعنى، لكن بهذا السند لا يصح؛ لأن بلال مقبول، والشني مقبول، والمقبول لا تقوم به حجة، معناه لو لكن لو صح معناه هذا، يعني من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو، وهو صادق نادم مقلع.

● **س: لكن الاستغفار مع الإقامة على المعصية، هل يعتبر استهزاء؟**

○ **الجواب**: دعاء، هذا من باب الدعاء قد يقبل وقد يرد، قد يقبل الدعاء ويغفر له رحمة منه وفضلًا من الله، وقد يرد ولا يقبل.

الحكم على حديث: من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو...

● **س: حاشية يسيره من طلبة الشيخ مقبل.**

الشيخ: نعم.

مداخلة: الحديث أخرجه أبو داود والترمذي، وحفص بن عمر الشني، وأبوه وبلال بن يسار ويسار بن زيد كلهم مقبولون، فالسند مسلسل بالمقبولين، وكل مقبول يحتاج إلى متابع.

○ **الجواب**: نعم صدق.

• **س: صحة حديث: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا»؟**

○ **الجواب**: الله أعلم، ما أتذكر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: ولا يعرف لزيد مولى النبي ﷺ، عنه سواه.

وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار إنما كان حرامًا على الصحابة؛ لأنه يعني الجهاد كان فرض عين عليهم. وقيل: على الأنصار خاصة؛ لأنهم بايعوا على السمع والطاعة في المنشط والمكره. وقيل: إنما المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة، يروى هذا عن عمر، وابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي نضرة، ونافع مولى ابن عمر، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وغيرهم.

وحجتهم في هذا: أنه لم تكن عصابة لها شوكة يفيئون إليها سوى عصابتهم تلك، كما قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**»(١)؛ ولهذا قال عبد الله بن المبارك، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن في قوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ قال: ذلك يوم بدر، فأما اليوم: فإن انحاز إلى فئة أو مصر أحسبه قال: فلا بأس عليه.

وقال ابن المبارك أيضًا، عن ابن لَهِيعَة: حدثني يزيد بن أبي حبيب قال: أوجب الله تعالى لمن فر يوم بدر النار، قال: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم برقم (١٧٦٣).

ٱللَّهِ﴾، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، ثم كان يوم حُنَيْن بعد ذلك بسبع سنين، قال: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [التوبة: ٢٧].

وفي سنن أبي داود، والنسائي، ومستدرك الحاكم، وتفسير ابن جرير، وابن مَرْدُوَيه، من حديث داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ إنما أنزلت في أهل بدر وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حرامًا على غير أهل بدر، وإن كان سبب النزول فيهم، كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم، من أن الفرار من الزحف من الموبقات، كما هو مذهب الجماهير، والله تعالى أعلم.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ **[الأنفال: ١٧، ١٨]**(١).

يبيِّن تعالى أنه خالق أفعال العباد، وأنه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ﴾؛ أي: ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم؛ أي: بل هو الذي

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأربعاء ١٨ - ٦ - ١٤١٧هـ.

أظفركم بهم ونصركم عليهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]. يُعلم ـ تبارك وتعالى ـ أن النصر ليس عن كثرة العدد، ولا بلبس اللأمة والعدد، وإنما النصر من عند الله تعالى كما قال: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ثم قال لنبيِّه ﷺ أيضًا في شأن القبضة من التراب، التي حصب بها وجوه المشركين يوم بدر، حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته، فرماهم بها وقال: «شاهت الوجوه». ثم أمر الصحابة أن يصدقوا الحملة إثرها، ففعلوا، فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ أي: هو الذي بلغ ذلك إليهم، وكبتهم بها لا أنت.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: رفع رسول الله ﷺ يديه يعني يوم بدر ـ فقال: «**اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**». فقال له جبريل: «خذ قبضة من التراب، فارم بها في وجوههم» فأخذ قبضة من التراب، فرمى بها في وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين.

وقال السُّدِّيّ: قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه، يوم بدر: «**أعطني حصبًا من الأرض**». فناوله حصبًا عليه تراب، فرمى به في وجوه القوم، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، وأنزل الله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾.

وقال أبو معشر المدني، عن محمد بن قَيْس ومحمد بن كعب القُرَظِي قالا: لما دنا القوم بعضهم من بعض، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب، فرمى بها في وجوه القوم، وقال: «**شاهت الوجوه**». فدخلت في أعينهم كلهم، وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم، وكانت هزيمتهم في رَمْية رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ قال: هذا يوم بدر، أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم، وحصاة في ميسرة القوم، وحصاة بين أظهرهم، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزموا.

وقد روي في هذه القصة عن عروة بن الزبير، ومجاهد وعكرمة، وقتادة وغير واحد من الأئمة: أنها نزلت في رمية النبي ﷺ يوم بدر، وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضًا.

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا يعقوب بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن عمران، حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة، عن يزيد بن عبد الله، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمَة، عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر، سمعنا صوتًا وقع من السماء، كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية، فانهزمنا غريب من هذا الوجه. وهاهنا قولان آخران غريبان جدًّا.

أحدهما: قال ابن جرير: حدثني محمد بن عوف الطائي، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان بن عمرو، حدثنا عبد الرحمٰن بن جبير؛ أن رسول الله ﷺ يوم ابن أبي الحقيق بخيبر، دعا بقوس، فأتى بقوس طويلة، وقال: «جيئوني غيرها». فجاؤوا بقوس كبداء، فرمى النبي ﷺ

الحصن، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق، وهو في فراشه، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ وهذا غريب، وإسناده جيد إلى عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير، ولعله اشتبه عليه، أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم، والله أعلم.

والثاني: روى ابن جرير أيضًا، والحاكم في مستدركه، بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب والزهري أنهما قالا: أنزلت في رمية رسول الله ﷺ يوم أحد أُبَي بن خلف بالحربة وهو في لأمته، فخدشه في ترقوته، فجعل يتدأدأ عن فرسه مرارًا، حتى كانت وفاته بها بعد أيام، قاسى فيها العذاب الأليم، موصولًا بعذاب البرزخ، المتصل بعذاب الآخرة[1].

وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضًا جدًّا، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها، لا أنها نزلت فيه خاصة كما تقدم، والله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُرْوَة بن الزبير في قوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾؛ أي: لِيُعَرِّف المؤمنين من نعمته عليهم، من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم، وقلة عددهم، ليعرفوا بذلك حقه، ويشكروا بذلك نعمته.

وهكذا فسر ذلك ابن جرير أيضًا. وفي الحديث: «**وكل بلاء حسن أبلانا**»[2].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير، باب سورة الأنفال برقم (٣٣٠٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى برقم (١٠٠٦٠)، وابن حبان في الصحيح برقم (٥٢١٩ الإحسان)، والبيهقي في الدعوات (٥٠٨)، والحاكم في كتاب الدعاء والتسبيح والتكبير والتهليل والذكر برقم (٢٠٢٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٧﴾؛ أي: سميع الدعاء، عليم بمن يستحق النصر والغلب.

مداخلة: «وكل بلاء حسن أبلانا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(كلَّ بلاء)، مفعول مقدم (كلَّ بلاء)، يكون البلاء في الخير والشر، وهو بلاء حسن في يوم بدر بنصرهم، ليبلوهم الله بلاء حسنًا يعني بالنصر والتأييد والتوفيق، والابتلاء يكون أيضًا بالمرض وغيره فهو مشترك، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فالبلاء يكون فيهما جميعًا في الضراء والسراء، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر: أنه أعلمهم تعالى بأنه مُضْعِفُ كيد الكافرين فيما يستقبل، مُصَغِّرًا أمرهم، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار، ولله الحمد والمنة.

مداخلة: هذا عام في إهانة كيد الكافرين في الحروب وغيره؟

الشيخ: هذا عام مثل ما قال ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] عام، لكن قد يبتلي عباده بشيء بسبب ما يفعلون، مثلما ابتلاهم يوم أحد، فالأصل هو النصر، النصر هو الأصل، والنصر هو إيهان كيد الكافرين وإضعاف كيد الكافرين وهزيمتهم، هذا هو الأصل، كما دلت عليه النصوص.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ **[الأنفال: ١٩]**(١).

يقول تعالى للكفار ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ أي: تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين، فقد جاءكم ما سألتم، كما قال محمد بن إسحاق وغيره، عن الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر؛ أن أبا جهل قال يوم بدر: اللَّهُمَّ أَقْطَعُنَا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة ـ وكان ذلك استفتاحًا منه ـ فنزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إلى آخر الآية.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد ـ يعني ابن هارون ـ أخبرنا محمد بن إسحاق، حدثني الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة: أن أبا جهل قال حين التقى القوم: «اللَّهُمَّ أينا كان أقطع للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فاحنه الغداة، فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾. وأخرجه النسائي في التفسير من حديث، صالح بن كيسان، عن الزهري، به وكذا رواه الحاكم(٢).

في مستدركه من طريق الزهري، به وقال: صحيح على شرط

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأربعاء ١٨ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٣٦٦١)، والنسائي في الكبرى (١١١٣٧)، والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، باب سورة الأنفال برقم (٣٣٠٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الشيخين، ولم يخرجاه. وروي نحو هذا عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، ويزيد بن رُومَان، وغير واحد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

أبو جهل قبحه الله، الله أهانه وسلط عليه وعلى قومه، استفتحوا فجاءهم الفتح بهزيمتهم ونصر المسلمين عليهم، ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾، عادوا فعاد الله إليهم يوم الأحزاب ويوم الفتح، ونصر الله المسلمين عليهم وأذلهم، وهذا فضله وسنته في أوليائه وفي أعدائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال السُّدِّي: كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بَدْر، أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا: اللَّهُمَّ انصر أعلى الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين. فقال الله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ يقول: قد نصرت ما قلتم، وهو محمد ﷺ. وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: هو قوله تعالى إخبارًا عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقوله: ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ أي: عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: في الدنيا والآخرة. وقوله ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ كقوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨] معناه: وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة، نعد لكم بمثل هذه الواقعة.

وقال السدي: ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ أي: إلى الاستفتاح ﴿نَعُدْ﴾ إلى الفتح لمحمد ﷺ، والنصر له، وتظفيره على أعدائه، والأول أقوى.

﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ أي: ولو جمعتم من الجموع ما عسى أن تجمعوا، فإن من كان الله معه فلا غالب له، فإن الله مع المؤمنين، وهم الحزب النبوي، والجناب المصطفوي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعم هذا وهذا، إن عادوا لكفرهم أو عادوا للاستنصار مع كفرهم عاد الله عليهم بالهزيمة. نعم.

القاري: ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ أي: ولو جمعتم من الجموع ما عسى أن تجمعوا، فإن من كان الله معه فلا غالب له، وإن الله مع المؤمنين وهم الحزب النبوي والجناب المصطفى.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ **[الأنفال: ٢٠ ـ ٢٣]**[(١)].

يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾؛ أي: تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره، ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: بعد ما علمتم ما دعاكم إليه.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ قيل: المراد المشركون. واختاره ابن جرير.

وقال ابن إسحاق: هم المنافقون؛ فإنهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا، وليسوا كذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه التحذير للناس من سماع الحق والإعراض عنه، الواجب

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأربعاء ١٨ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ.

على من سمع الحق أن يقبله وأن يصيغ إليه وأن ينتبه، وأن يلتزم به؛ فلهذا يقول ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾، وكل مكلف مأمور بطاعة الله ﷻ، ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أوامره وزواجره، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ يعني: بالآذان، ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ في الحقيقة لا يستجيبون كالمنافقين وأشباههم. ولا شك أن كفار قريش قد سمعوا أيضًا ولكن لم يستجيبوا؛ بل طاوعوا الهوى واتبعوا الشيطان فأرداهم؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

يسمعون بالآذان ولكن القلوب في إعراض وغفلة واستكبار، نسأل الله العافية.

● **س: أحسن الله إليك! الآثار التي في استفتاح المشركين صحيحة؟**

○ **الجواب**: ذكرها أئمة مثل ما سمعتم.

● **س: أحسن الله إليك! التشبه بالكفار محرم مطلقًا؟**

○ **الجواب**: إلا فيما شرعه الله إذا وافقونا لا بأس، أما إذا كان شيء ينفردون فلا نتشبه بهم؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١)، أما إذا هم عملوا أعمالنا لا بأس علينا، لو وفروا اللحى ولم يسبلوا الثياب وفعلوا ما نفعل فلا يضرنا ذلك، وإن دخلوا في الإسلام فهو أحب إلينا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم أخبر تعالى أن هذا الضرب من بني آدم شر الخلق والخليقة، فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾؛ أي: عن سماع الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة برقم (٤٠٣١).

عن فهمه؛ ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢﴾ فهؤلاء شر البرية؛ لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله ﷻ فيما خلقها له، وهؤلاء خُلقوا للعبادة فكفروا؛ ولهذا شبههم بالأنعام في قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. وقال في الآية الأخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقيل: المراد بهؤلاء المذكورين نَفَرٌ من بني عبد الدار من قريش. روي عن ابن عباس ومجاهد(١)، واختاره ابن جرير، وقال محمد بن إسحاق: هم المنافقون.

قلت: ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا؛ لأن كلًّا منهم مسلوب الفهم الصحيح، والقصد إلى العمل الصالح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: تعمَّهم الآية مثلما قال في المنافقين: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾ [البقرة: ١٨]، فالآية تعم الجميع، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢﴾ فهي تعم الكفار المصرِّحين بنفاقهم والمنافقين تعمهم الآية، كل أنواع الكفرة. نسأل الله العافية.

مداخلة: وتعم بعضًا من المؤمنين الذين..؟

الشيخ: من تشبه بهم أخذ نصيبه، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح، ولا قصد لهم صحيح، لو فرض أن لهم فهمًا، فقال: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾؛ أي: لأفهمهم، وتقدير الكلام: ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم؛ لأنه يعلم أنه

---

(١) قول ابن عباس أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة الأنفال، باب ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ برقم (٤٦٤٦).

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾؛ أي: أفهمهم ﴿لَتَوَلَّواْ﴾ عن ذلك قصدًا وعنادًا بعد فهمهم ذلك، ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عنه.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢][١].

حدّثنا محمّد بن يوسف، حدّثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهدٍ، عن ابن عبّاسٍ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴿٢٢﴾﴾ قال: هم نفرٌ من بني عبد الدّار[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس خاصًّا بهم هو عامٌّ لهم ولغيرهم، شرّ الدّوابّ هم هؤلاء الصمّ البكم... إلى آخره. لا يسمعون الحقّ ولا ينطقون بالحقّ، قد أعمى الله بصائرهم، وأسكت ألسنتهم بالحقّ؛ لكفرهم وضلالهم وعنادهم، فهم بهذه المثابة: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، لخبثهم، وضعف عقائدهم، فهم يعرضون عن سماع الحقّ كأنّهم صمٌّ ولا ينطقون بالحقّ؛ لبغضهم له، وكراهتهم له، وعنادهم له، فهذا شاملٌ من كان بهذه الصّفة في عهد النّبيّ ﷺ وبعد ذلك وفي عهدنا وبعد ذلك، هذا وصف بعض الكفرة.

والآية عامّةٌ تعمّ شرّ الدوابّ؛ لأنّ بني آدم من الدوابّ: كلّ من

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب التفسير باب ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴿٢٢﴾﴾ برقم (٤٦٤٦).

دبّ على الأرض، شرّ الدوابّ: الصمّ البكم، صمٌ عن الحقّ لا يسمعون، بكمٌ لا ينطقون به لا يعقلون، في غفلةٍ وإعراضٍ كما قال ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

أما المؤمنُ يسمعُ ويعي وينطق بالحقّ، ويدعو إليه، أمّا المنافقون والكافرون والمعرضون فهذه صفاتهم، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣]، كَمَا فِي الآيةِ الأُخْرَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩] نسأل الله العافية؛ لإعراضهم وغفلتهم، وقسوة قلوبهم، واستنكارهم الحقّ.

• س: بارك الله فيك يا شيخ: هل هذا كان من أجل التشويش على صلاة النّبيّ ﷺ في الكعبة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الظّاهر عامٌّ، عند تشويشهم على النّبيّ ﷺ، وهذا عملهم أيضًا عند الكعبة، ما عندهم عبادة ولا خير، نسأل الله العافية.

• س: أحسن الله إليك: هل يجوز إطلاق الدّابّة على المسلم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

على سبيل الذمّ ما يجوز، أمّا على سبيل الخبر وأنّ بني آدم من الدوابّ؛ كلّ ما دبّ على الأرض فهو دابةٌ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] بنو آدم وغيرُهم ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ﴾ [الأنعام: ٣٨]، الدّابّة تعمّ.

• س: أحسن الله: إليك حكم التصفير والتصفيق؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو هذا، من عمل الجاهليّة إذا كان للعب، أمّا إذا صفقت المرأة في الصّلاة كما قال ﷺ: «**التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ، وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ**»(١)، لحاجةٍ أو للتنبيه على شيءٍ للمرأة، وأمّا الصّفير فليس مشروعًا، هذا من عمل الجاهليّة.

● **س: التّصفيق هذا عامٌّ اليوم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسأل الله العافية، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤](٢).

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟﴾: أجيبوا، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: يصلحكم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأنّ الشّرع كلّه حياةٌ، الشّرع كلّه حياةٌ للقلوب، وضدّ الشّرع موتٌ، فالّذي يدعو إليه الله ورسوله حياةٌ؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؛ يعني: إذا دعاكم إلى طاعته واتباع شريعته؛ فاستجيبوا، قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب التصفيق للنساء برقم (١٢٠٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة إذا نابها شيء في الصلاة برقم (٤٢٢).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالعلم والفضل والاستقامة على الدّين حياةٌ، هذه حياة الأنبياء والملائكة، حياة الأخيار، والجهل والمعاصي والإعراض موتٌ، نسأل الله العافية.

حدّثني إسحاق، أخبرنا روحٌ، حدّثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرّحمن سمعت حفص بن عاصمٍ يحدّث، عن أبي سعيد بن المعلّى ﷺ قال: كنت أصلّي، فمرّ بي رسول الله ﷺ فدعاني، فلم آته حتّى صلّيت، ثمّ أتيته فقال: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾**»، ثمّ قال: «**لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ**»، فذهب رسول الله ﷺ ليخرج، فذكرت له، وقال معاذٌ: حدّثنا شعبة، عن خبيبٍ سمع حفصًا، سمع أبا سعيدٍ رجلًا من أصحاب النّبيّ ﷺ بهذا، وَقَالَ: «**هِيَ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ السَّبْعُ الْمَثَانِي**»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يدلّ على عظم شأن هذه السّورة؛ وأنّها أعظم سورةٍ في كتاب الله، وأفضل سورةٍ في كتاب الله، وهي ﴿ٱلْحَمْدُ﴾، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الّذي قال الله فيه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، فهي يقال لها: قرآنٌ ومثاني، والقرآن كلّه يقال له: قرآنٌ عظيمٌ.

وفيه: الأمر بالاستجابة للرسول ﷺ إذا دعا الإنسان وإن كان

---

(١) سبق في (١/ ٦٨).

يصلّي: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. الله أكبر، الله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

انظر ماذا قال عن أبي سعيد بن المعلّى تكلّم عن ترجمته؟

(من القارئ): ما ذكر شيئًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العيني ذكر شيئًا؟

(القارئ): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاريّ» (١٨/ ٢٤٨)]: «وأبو سعيد اسمه حارث أو رافع أو أوس بن المعلّى، بلفظ اسم المفعول من التعلية بالمهملة الأنصاريّ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بس؟ ماشي، كأنّه مقلٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. راجع: «التقريب»؛ كأنّه مقلٌّ، أبو سعيد بن المعلّى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

• **س: ما معنى قول الرّسول ﷺ: «مَا مَنَعَكَ أَلَّا تُجِيبَنِي»، مع أنه استجاب له؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا معناه: أنّه إذا دعا النّبيّ ﷺ أحدًا ـ ولو في الصّلاة ـ يقطعها؛ لأنّه قد يكون أمرًا مهمًّا؛ ولهذا ما عَذَره عليه الصّلاة والسّلام؛ لأنّ الله أطلق: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، فدلّ على أنّه ﷺ لم يعذر من يكون في الصّلاة.

• **س: يقطع الصّلاة أو يكلّمه ويكمل صلاته؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الكلام يقطع الصّلاة.

• **س: ما يكون مستثنى لإجابة الرّسول ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما هو بظاهرٍ، الظّاهر أنّ الكلام ـ جنس الكلام ـ يبطل الصّلاة عن عمدٍ في مثل هذا.

• س: خاصٌّ بالصّلاة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الظّاهر، عامٌّ مخصوصٌ، إبطال الإنسان أعماله لأمرٍ مهمٍّ جائزٌ، ويحتمل الإبطال؛ لأنّه ﷺ لما سكت....[1] أخبره أبو سعيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وفي رواية: أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما سكت؛ دلّ على أن هذا عذرٌ، وأنّ كونه في الصّلاة عذرٌ لعدم الإجابة.

• س: أحسن الله إليك: يقاس على ذلك إذا دعاه الوالد وهو في الصّلاة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في النافلة يجيب، مثل ما في قصّة جريجٍ، إذا كان في النافلة يجيب، يقطعها إذا كان يخشى أنّه يغضب، أمّا إذا كان يعرف أن الوالد ما يتأثر يكمّل، أمّا الفريضة لا، يكمّلها.

• س: أحسن الله إليك: الفاتحة تجزئ لحالها في الصّلاة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم تجزئ وحدها، تجزئ وحدها نعم، لكن يستحبّ أن يقرأ معها ما تيسر في الأولى والثانية وفي النّوافل كذلك.

• س: صلاة أبي سعيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نافلة حينما دعاه الرّسول؟

---

(١) كلمة غير واضحة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الظّاهر ـ والله أعلم ـ أنّها نافلةٌ؛ لأنّه بعدما صلوا النّاس يتنفّل؛ يعني: مثل قصّة جريجٍ.

- **س: لو كان يصلّي وحده ودعاه في الفريضة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الظّاهر أنّ الفريضة أمرها أعظم، وإن كان ظاهر الحديث العموم في حقّ النّبيّ ﷺ، لكن الظّاهر بالنّسبة إلى الواقع أنّه في النافلة؛ لأنّه يصلّي بعد الفريضة بعد ما خلصوا من الفريضة، وقد يقال بالعموم؛ لعموم الآية، حتّى الفريضة يمكن استدراكها يكلّم ثمّ يستدرك يعيدها، في الإمكان؛ لعموم الآية، الأصل العموم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ **[الأنفال: ٢٤]**(١).

الآية على ظاهرها، هو سبحانه يتصرف في عباده، فقد يوفق هذا ويفتح قلبه للإيمان ويهديه للإسلام، وقد يجعل في قلبه من الحرج والتثاقل عن دين الله ما يحول بينه وبين الإسلام، فهو يحول بين المرء وقلبه، كما قال ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فهو سبحانه

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

الذي يتصرف في عباده كيف يشاء، فهذا يشرح قلبه للإيمان والهدى، وهذا لا يوفق لذلك.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ **[الأنفال: ٢٤]**(١).

قال البخاري: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ﴾ أجيبوا، ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ لما يصلحكم. حدثنا إسحاق، حدثنا روح، حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمٰن قال: سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي، فمر بي رسول الله ﷺ، فدعاني فلم آته حتى صليت، ثم أتيته فقال: «ما منعك أن تأتيني؟» ألم يقل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ ثم قال: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج»، فذهب رسول الله ﷺ ليخرج، فذكرت له ـ وقال معاذ: حدثنا شعبة، عن خُبَيْب بن عبد الرحمٰن، سمع حفص بن عاصم، سمع أبا سعيد رجلًا من أصحاب النبي ﷺ بهذا وقال: «**هي الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ السبع المثاني**»(٢). هذا لفظه بحروفه، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بذكر طرقه في أول تفسير الفاتحة.

وقال مجاهد في قوله: ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ قال: الحق.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ٢٢ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ.

(٢) سبق تخريجه في (١/ ٦٨).

وقال قتادة ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ قال: هو هذا القرآن، فيه النجاة والتقاة والحياة.

وقال السُّدِّيّ: ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ ففي الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكفر.

وقال محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُـرْوَةَ بـن الـزبـيـر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ أي: للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل، وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وضلال للبقاء أوضح؛ لأن النجاة داخل فيها التقوى، النجاة بالتقوى.

مداخلة: ذكر تعليق هنا، قال: وفي تفسير الطبري الأثر برقمه: فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

معناه متقارب، لكن البقاء والحياة، المقصود أن الله ﷻ يخبر عباده أنه سبحانه ورسوله يدعوانهم إلى ما فيه حياتهم وسعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ وهي الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧]، فالحياة الطيبة في الدنيا وفي الآخرة، في الدنيا موفقًا للخير، مستقيم على طاعة الله، بعيد عن معاصي الله، وفي الآخرة في دار النعيم والكرامة، و(البقاء) يعني: العيش الطيب، الذي ليس فيه تنغيص وهي دار الكرامة دار النعيم، لا يمسهم فيها نصب، ولا يمسهم فيها لغوب، المقصود أن الله ﷻ جعل استجابة العباد لربهم ولما جاء به نبيهم فيه الحياة

السعيدة، والبقاء والدوام في دار الكرامة، حياة طيبة في الدنيا، وبقاء ودوام واستمرار في دار النعيم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ قال ابن عباس: «يحول بين المرء وقلبه، قال: يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله، ويحول بين الكافر وبين الإيمان وطاعة الله»(١).

رواه الحاكم في مستدركه موقوفًا، وقال: صحيح ولم يخرجاه ورواه ابن مَرْدُوَيه من وجه آخر مرفوعًا ولا يصح لضعف إسناده، والموقوف أصح. وكذا قال مجاهد، وسعيد، وعكرمة، والضحاك، وأبو صالح، وعطية، ومُقَاتِل بن حيَّان، والسُّدِّيّ.

وفي رواية عن مجاهد في قوله: ﴿يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ حتى تركه لا يعقل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الآية عامة، تعم الجهاد، وتعم الأعمال الصالحة كلها، فالصلاة والزكاة والصيام وجميع أنواع الطاعات، وترك المعاصي كلها حياة، والجهاد من جملة الطاعات في الدنيا، وفي الآخرة معلوم الحياة في النعيم. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه.

وقال قتادة هو كقوله: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وقد وردت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بما يناسب هذه الآية.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير، باب سورة الأنفال برقم (٣٣٠٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه البيهقي في القضاء والقدر (٣٢٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الآية عامة، هو سبحانه يحول بين المرء وقلبه، فلا يتمكن ولا يخضع، ولا يريد إلا ما أراده الله جَلَّ وَعَلَا، هو سبحانه الذي به تصريف الأمور، فالعبد ليس له تصرف، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فهو سبحانه بيده تصريف هذه القلوب، فإن شاء شرحها للحق وقبلته، وإن شاء ضيَّقها وصارت تنفر من الحق ولا تريده، مما سبق في علم الله من شقاوتها، فالقلوب بيده جَلَّ وَعَلَا؛ ولهذا في الحديث: «**اللَّهُمَّ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**»(١)، فالواجب على العبد أن يضرع إلى الله دائمًا، وأن يسأله تثبيت قلبه على الإيمان، وأن لا يزيغه عن الهدى، كما في دعوات المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وكان من دعائه: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(٢)، ومن أيمانه: «**لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»(٣).

الله أكبر إذا كان سيد ولد آدم يسأل ربه أن يثبت قلبه فكيف بغيره، هذا من أهم الدعاء ومن جوامع الدعاء: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ويا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك»، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء إن القلوب بين إصبعي الرحمٰن برقم (٢١٤٠)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب دعاء الرسول ﷺ برقم (٢٨٣٤)، والإمام أحمد (٣/ ١٤١٢).

(٢) أخرجه الترمذي المصدر السابق، والإمام أحمد (٣/ ١١٢ و٢٥٧ و٦/ ٩١ و٢٥٠ و٢٩٤ و٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب ﴿يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] برقم (٦٦١٧).

مداخلة: بعض الناس يشكل عليه قوله تعالى: إنا ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] والعلم السابق؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَهَدَيْنَٰهُ﴾ [البلد: ١٠]، دللناه أرشدناه وبينا له ﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، طريق الهدى، وطريق الشقاء، كما في الآية الأخرى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، فالله أوضح له الطريق، وبيَّن له طريق النجاة وطريق السعادة، وطريق الشقاء، بالأدلة من القرآن والسُّنَّة، والهداية بيده جَلَّ وَعَلَا، والعبد له أفعال، وله إرادات، وله تصرفات، ولكن الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي يدبره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بيده تصريفه، شاء يشرح صدره لهذا ولهذا. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». قال: فقلنا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى يقلِّبها**».

وهكذا رواه الترمذي في «كتاب القدر» من جامعه، عن هناد بن السري، عن أبي معاوية محمد بن خازم الضرير، عن الأعمش ـ واسمه سليمان بن مهران ـ عن أبي سفيان ـ واسمه طلحة بن نافع ـ عن أنس ثم قال: حسن. وهكذا روي عن غير واحد عن الأعمش، ورواه بعضهم عنه، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحديث أبي سفيان عن أنس أصح.

حديث آخر: قال عبد بن حميد في مسنده: حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى، عن بلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**».

هذا حديث جيد الإسناد إلا أن فيه انقطاعًا وهو ـ مع ذلك ـ على شرط أهل السنن ولم يخرجوه.

حديث آخر: وقال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت ابن جابر يقول: حدثني بسر بن عبد الله الحضرمي: أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت النواس بن سَمْعَان الكلابي ﷺ، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ. وَكَانَ يَقُولُ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ ﷻ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ**» وهكذا رواه النسائي وابن ماجه، من حديث عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر فذكر مثله[١].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا حماد بن زيد، عن المعلى بن زياد، عن الحسن؛ أن عائشة قالت: دعوات كان رسول الله ﷺ يدعو بها: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**». قالت: فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء. فقال: «**إِنَّ قَلْبَ الآدَمِيِّ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ ﷻ فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ**»[٢].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا عبد الحميد، حدثني شهر، سمعت أم سلمة تحدِّث: أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه يقول: «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». قالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ مَا مِنْ خَلْقِ اللهِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَإِنْ شَاءَ اللهُ ﷻ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ، فَنَسْأَلُ اللهَ رَبَّنَا أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا،**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٨٢)، والنسائي في الكبرى برقم (٧٧٣٨)، وابن ماجه في المقدمة فيما أنكرت الجهمية برقم (١٩٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٩١).

وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تُعَلِّمُنِي دَعْوَةً أَدْعُو بِهَا لِنَفْسِي. قَالَ: «**بَلَى قُولِي: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ مَا أَحْيَيْتَنَا**»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الله المستعان الله أكبر! وهذا حسن لا بأس، إسناد حسن، شهر صرَّح بالسماع من أم سلمة، أم سلمة هذه هي أسماء بنت يزيد بن السكن، والأحاديث السابقة كلها تؤيده. الله المستعان.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! عندنا بسر بن عبد الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا خطأ، ابن عبيد الله بالتصغير. صلَّحه الذي عنده عبد الله يُصلِّحه ابن عبيد الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمٰن، حدثنا حيوة، أخبرني أبو هانئ، أنه سمع أبا عبد الرحمٰن الحُبَلي أنه سمع عبد الله بن عمرو؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن، كقلب واحد يُصَرِّف كيف شاء**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»[٢]، انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري، فرواه مع النسائي من حديث حَيْوَة بن شُرَيْح المصري، به.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٠١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، برقم (٢٦٥٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر الله أكبر؛ ولهذا قال ﷻ في عقاب من أدبر عن الحق: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، لمَّا أعرضوا عن الحق قُلبت أفئدتهم وأبصارهم، نسأل الله العافية.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ **[الأنفال: ٢٥]**(١).

يحذِّر تعالى عباده المؤمنين ﴿فِتْنَةً﴾ أي: اختبارًا ومحنة، يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب؛ بل يعمهما، حيث لم تدفع وترفع. كما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا شَدَّاد بن سعيد، حدثنا غَيْلان بن جرير، عن مُطَرِّف قال: قلنا للزبير: يا أبا عبد الله، ما جاء بكم؟ ضيعتم الخليفة الذي قتل، ثم جئتم تطلبون بدمه؟ فقال الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ لم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت. وقد رواه البزار من حديث مطرف، عن الزبير، وقال: لا نعرف مطرفًا روى عن الزبير غير هذا الحديث.

وقد روى النسائي من حديث جرير بن حازم، عن الحسن، عن الزبير نحو هذا.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ٢٢ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ. ويوم الأربعاء ٢٥ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ.

وقد وروى ابن جرير: حدثني الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا مبارك بن فَضَالة، عن الحسن قال: قال الزبير: لقد خوفنا بها، يعني قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ ونحن مع رسول الله ﷺ، وما ظننا أنَّا خُصِّصنا بها خاصة.

وكذا رواه حميد، عن الحسن، عن الزبير رضي الله عنه.

وقال داود بن أبي هِنْد، عن الحسن في هذه الآية قال: نزلت في علي، وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: ﴿فِتْنَةً﴾، معناها: الاختبار والامتحان. ومثله مثل القول للحداد: فتنتَ كذا، يعني: اختبرته، أن تحذر فلان يعني فتنت الشيء الفلاني يعني اختبرته، والله يبتلي عباده بالفتن اختبارًا وامتحانًا، لمن يثبت على الحق ويزيغ عن الحق، لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال سفيان الثوري عن الصَّلت بن دينار، عن عقبة بن صُهْبان، سمعت الزبير يقول: لقد قرأت هذه الآية زمانًا وما أرانا من أهلها فإن نحن المعنيون بها: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾. وقد روي من غير وجه، عن الزبير بن العوام.

وقال السُّدِّيّ: نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابتهم يوم الجمل، فاقتتلوا.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ يعني: أصحاب النبي ﷺ خاصة. وقال في رواية له، عن ابن عباس، في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين ظهرانيهم إليهم فيعمهم الله بالعذاب.

---

(١) قال سماحته: يوجد نسخة أخرى فيه (عمار).

وهذا تفسير حسن جدًّا؛ ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ هي أيضًا لكم، وكذا قال الضحاك، ويزيد بن أبي حبيب، وغير واحد.

وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن. رواه ابن جرير.

والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم ـ وإن كان الخطاب معهم ـ هو الصحيح، ويدل على ذلك الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن، ولذلك كتاب مستقل يوضح فيه إن شاء الله تعالى، كما فعله الأئمة وأفردوه بالتصنيف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو الصواب من الآيات تعمهم وتعم غيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهو أن الواجب على الناس الحذر من الفتن فتن الشهوات، فتن الأموال، فتن الأولاد، فتن حب المال، وفتن الشكوك والأوهام إلى غير ذلك الإنسان قد يبتلى بأمور عظيمة، فالواجب أن يحذر التي بها هلاكه به وزيغ قلبه، الإنسان يسأل الله الثبات عن الحق والعافية من مضلات الفتن وليحذر من الأسباب التي تجره لما ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن أخص ما يذكر هاهنا ما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا أحمد بن الحجاج، أخبرنا عبد الله ـ يعني ابن المبارك ـ أنبأنا سيف بن أبي سليمان، سمعت عَدِيّ بن عَدِيّ الكندي يقول: حدثني مولى لنا أنه سمع جدي ـ يعني عَدِيّ بن عميرة ـ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوهُ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللهُ**

الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ»(١) فيه رجل متهم(٢)، ولم يخرجوه في الكتب الستة، ولا واحد منهم، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويغني عن هذا الحديث ويدل على معناه ما رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح: عن الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنه خطب الناس بعد وفاة النبي ﷺ فقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الآيَةَ، وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا؟ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ؟، وَإِنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ»**(٣)، أوشك يعني قرب. فهذا يفيد وجوب الحذر من السكوت على المنكر، وأن المؤمن ينكر المنكر حسب طاقته بيده إن كان يقدر كالسلطان وأمير البلد، والحسبة الذين قد خيروا، والإنسان في بيته وما أشبه ذلك ممن يستطيع، فإن لم يستطع فبلسانه، يقول هذا ما يجوز وهذا حرام وهذا منكر، فإن لم يستطع فبقلبه. وهذا معنى قوله ﷺ: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»** رواه مسلم(٤).

وروى مسلم أيضًا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٩٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد من طريقين إحداها هذه، والأخرى عن عدي بن عدي، حدثني مولى لنا وهو الصواب. وكذلك رواه الطبراني وفيه رجل لم يسم، وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات.

(٢) **قال سماحة الشيخ ابن باز**: هذا خطأ مبهم بالباء، رجل مبهم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢).

(٤) سبق تخريجه في (٤/ ٢٧٠).

يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(١).

وهذا هو صفات المؤمنين، هذه أخلاق المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. ومن شرط ذلك أن لا يترتب على إنكاره ما هو أنكر، فإن كان إنكاره يترتب عليه ما هو أنكر حرم عند جميع أهل العلم، فلا بد أن يكون إنكار المنكر يزول به المنكر أو يخف به المنكر، أما إن كان لا بل يقع به أكبر وأشر فلا، كالذين ينكرون على السلاطين والأمراء بالسلاح والقوة، فإنه يترتب على إنكاره ما هو أنكر كما جرى في قصة عثمان وعلي وما جاء في أمثالها، فهذا من باب إنكار المنكر بما هو أنكر، نسأل الله العافية والسلامة.

- **س: لكنه لو أنكر المنكر بقلبه، ولكنه جلس في مكان منكر؟!**

○ **الجواب**: لا، ينكر بقلبه ويفارقهم ما يحضرهم.

- **س: أحسن الله إليك (كتاب الفتن) هذا هو المقصود به النهاية؟**

○ **الجواب**: قد يكون قد يكون مؤلف له آخر.. في النهاية تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد يكون أراد شيئًا آخر، النهاية كتاب طيب، مختصر مفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- **س: أحسن الله إليك! في استجابة الولد لوالديه في الصلاة الفرض والنافلة؟**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان برقم (٥٠).

○ **الجواب**: هذا في حق الأمم من قبلنا، أما الرسول يُستجاب عليه الصلاة والسلام، وأما قصة جريج هذه فيمن قبلنا، الرسول نهى عن الكلام في الصلاة عليه الصلاة والسلام، قال: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»[١] هكذا رواه مسلم في الصحيح.

مداخلة: يستجاب للوالدين أحسن الله إليك؟!

الشيخ: لا والد ولا غيره كلهم.

مداخلة: في النافلة أحسن الله إليك؟!

الشيخ: عام، الوالدة النافلة إلا من ضرورة، إذا ضرورة حتى الفريضة، إذا كان ضرورة أعمى سيسقط في بئر، ينبه ولو في الصلاة، أولى ولا يقطعها بالكلية، ولو فريضة، حتى ينقذ أخاه.

الحكم على رواية شهر عن أم سلمة أسماء

مداخلة: أحسن الله إليك! شهر أليس متكلم فيه؟

الشيخ: بلى لكن في هذا له متابعة أحاديث كثيرة تدل على صحة الأحاديث.

● **س: أقول: وروايته عن أسماء؟**

○ **الجواب**: متصلة، نعم. سيدته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان الهاشمي، حدثنا إسماعيل ـ يعني ابن جعفر ـ أخبرني عمرو بن أبي عمرو، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الأشهل، عن حُذَيفة بن اليمان؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[٢].

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٤٧٢).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٨٨).

ورواه عن أبي سعيد، عن إسماعيل بن جعفر، وقال: «**أو ليبعثن الله عليكم قومًا ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**».

وقال أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير، قال: حدثنا رَزِين بن حبيب الجُهَني، حدثني أبو الرُّقاد قال: خرجت مع مولاي، فدفعت إلى حذيفة وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير منافقًا، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات؛ «**لَتَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَحَاضُّنَّ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ لَيُسْحِتَنَّكُمُ اللهُ جَمِيعًا بِعَذَابٍ أَوْ لَيُؤَمِّرَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الله المستعان، المقصود من هذا أن الواجب على المسلمين التواصي بالحق والتناصح، وإن كان السند فيه ضعف، لكن المعنى صحيح التواصي والتناصح؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. فلا تجوز المجاملات في وجود المنكرات الذي إذا رأى من أخيه ما لا ينبغي نبهه ونصحه ولم يجامله في هذا، الناس بخير ما تناصحوا، فإذا سكتوا شابهوا المنافقين، فالواجب التناصح والتعاون بالبر والتقوى، الله يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾. ويقول النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[2]، ويقول ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٩٠).

(٢) سبق تخريجه في (٢/ ٤٦).

بَعْضًا»[١] وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ ، هكذا المؤمن مع المؤمن ينصحه يوجه إلى الخير، يأمره بالمعروف ينهاه عن المنكر، يعينه على الخير، يعينه على ترك الشر، هكذا المؤمن مع المؤمن.

أحسن الله إليك؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: علة هذا حديث: (لتحاضن على الخير)؟

○ **الجواب**: أبو الرقاد نعم؛ لأنه مقبول الرواية.

● س: الذين يدخلون في قوله ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف أحسن الله إليك! الخلوف يدخل فيهم أهل البدع؟

○ **الجواب**: البدعة وغيرهم من أهل المعاصي الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ويدخل فيهم الكافر والعاصي المعلن للبدعة وأهل البدع وغيرهم.

● س: أحسن الله إليك! جعل الترضي شعارًا للصحابة فقط؟

○ **الجواب**: نعم، إلا من هو بعد التابعي هنا، في بعض المحدثين إنما شعارهم مع الصحابة ﵃، وإلا هو جائز يقال: ﵁ لكن يهمل عن في السند يهمل الصحابي.

قال الحافظ ابن كثير ﵀:

حديث آخر: قال الإمام أحمد أيضًا: حدثني يحيى بن سعيد، عن زكريا، حدثنا عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير ﵁، يخطب يقول ـ وأومأ بإصبعيه إلى أذنيه ـ يقول: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد برقم (٤٨١)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٥).

فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»[(١)].

انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم، فرواه في «الشركة» و«الشهادات»، والترمذي في الفتن من غير وجه، عن سليمان بن مهران الأعمش، عن عامر بن شَرَاحيل الشعبي، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا حديث عظيم يوجب الخوف والحذر، وبيان خطر أهل المعاصي الظاهرة على السفينة على الأرض على أهل الأرض، يقول النبي ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله**»، يعني: على محارم الله، الحدود هنا: المحارم، كما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، يعني المعاصي. والحدود تطلق على الفرائض؛ كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، والمراد هنا: المحارم المعاصي. (مثل القائم على حدود الله) بالإنكار والنصيحة والتوجيه والتحذير. (والواقع فيها) يعني: الواقع في المعاصي أو المداهن أيضًا. (كمثل قوم استهموا على سفينة) اقترعوا، (فأصاب بعضهم أسفلها) الطابق الأسفل، (وأصاب بعضهم أعلاها) ذات طابقين، (فكان الذين في أسفلها) السفينة، (إذا أرادوا أن يستقوا) صعدوا إلى من فوقهم حتى يسحبوا الماء من فوق، (فقالوا) فيما بينهم: (لو أننا خرقنا في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا)، لكان أحسن، يعني المعنى لكان أحسن، (فإن تركوهم) تركهم أهل الطابق الأعلى، (وما أرادوا) يعني: تركوهم يخرقون السفينة (غرقوا جميعًا)؛ لأنهم إذا خرقوها دخل الماء، ثم تثقل السفينة تسقط أسفل البحر وتغرق، (وإن أخذوا على أيديهم)، يعني: منعوهم من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه برقم (٢٤٩٣).

خرقها، وصبروا على أذاهم (نجوا ونجوا جميعًا). فالمسلمون إذا صبروا على أذى أهل المعاصي وأنكروا عليهم وعلموهم ووجهوهم وصدقوا معهم نجوا، وإذا تركوهم يعبثون وينشرون منكراتهم وليس لهم رادع هلكوا جميعًا؛ لسكوتهم مع القدرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حسين، حدثنا خَلَف بن خليفة، عن لَيْث، عن عَلْقَمَة بن مَرْثد، عن المعرور بن سُوَيْد، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي فِي أُمَّتِي عَمَّهُمُ اللهُ ﷻ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَمَا فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ أُنَاسٌ صَالِحُونَ؟ قَالَ: «**بَلَى**». قَالَتْ: فَكَيْفَ يَصْنَعُ أُولَئِكَ؟ قَالَ: «**يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ**»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى إذا كانوا عاجزين لم يستطيعوا فإن العقوبة تعمّهم، ولكن يبعثون على نياتهم وعلى أعمالهم، وإلى لِباس الصالحون منهم إلى خير. وهذا مثل حديث عائشة الذي في الصحيح: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**»، قالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأوّلهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم. قال: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»[٢]. أما من شارك في المنكر ولم يقم بالواجب هذا الذي تعمه العقوبة في الدنيا وفي الآخرة، أما من كان عاجزًا ولم يفسد أو ولم يفعل المنكر ولم يرض به ولم يستطع إنكاره، فهذا يُبعث إلى خير من الله وإلى سلامة وسعادة؛ لأنه عاجز ولم يفعل المنكر.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق برقم (٢١١٨).

• **س: هل ثبت في السُّنَّة أنه إذا انتشر المنكر ولم ينكره الصالحون أنه يبدأ العذاب بالصالحين؟**

○ **الجواب**: ما أتذكر عنه شيء، أقول: ما أتذكر شيئًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حَجَّاج بن محمد، أخبرنا شريك، عن أبي إسحاق، عن المنذر بن جرير، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَفِيهِمْ رَجُلٌ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ لَا يُغَيِّرُونَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ ﷻ بِعِقَابٍ**». أَوْ قَالَ: «**أَصَابَهُمُ الْعِقَابُ**»[(١)].

ورواه أبو داود، عن مُسَدَّد، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، به.

وقال أحمد أيضًا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت أبا إسحاق يحدث، عن عُبَيد الله بن جرير، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ لَا يُغَيِّرُونَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ**»[(٢)].

ثم رواه أيضًا عن وَكِيع، عن إسرائيل ـ وعن عبد الرزاق، عن مَعْمَر وعن أسود، عن شريك ويونس كلهم عن أبي إسحاق السَّبِيعي، به.

وأخرجه ابن ماجه، عن علي بن محمد، عن وكيع، به.

حديث آخر: وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، حدثنا جامع بن أبي راشد، عن مُنْذِر، عن حسن بن محمد، عن امرأته، عن عائشة تبلغ به النبي ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ السُّوءُ فِي الْأَرْضِ أَنْزَلَ اللهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ بَأْسَهُ**». قَالَتْ:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٦١)، وأخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب في الأمر والنهي برقم (٤٣٣٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٦٤ و٣٦٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٩).

وَفِيهِمْ أَهْلُ طَاعَةِ اللهِ ﷻ قَالَ: «**نَعَمْ ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى**»(١).

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [**الأنفال: ٢٦**](٢).

ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم وإحسانه إليهم، حيث كانوا قليلين فكثَّرهم، ومستضعفين خائفين فقوَّاهم ونصرهم، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات، واستشكرهم فأطاعوه، وامتثلوا جميع ما أمرهم. وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستخفين مضطرين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله، من مشرك ومجوسي ورومي، كلهم أعداء لهم لقلتهم وعدم قوَّتهم، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة، فآواهم إليها، وقَيَّض لهم أهلها، آووا ونصروا يوم بدر وغيره وآسَوا بأموالهم، وبذلوا مُهَجهم في طاعة الله وطاعة رسوله.

قال قتادة بن دِعَامة السَّدوسي رحمه الله، في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذُلًّا وأشقاه عَيْشًا، وأجوعه بطونًا، وأعراه جلودًا، وأبينه ضلالًا مكعومين على رأس حجر، بين الأسدين فارس والروم، ولا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًّا، ومن مات منهم رُدِّيَ في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قَبِيلًا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلًا منهم، حتى جاء الله بالإسلام

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٤١).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٢٩ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ.

فمكَّن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلهم به ملوكًا على رقاب الناس. وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا لله نعمه، فإن ربكم مُنْعِم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على رسول الله. هذه الآية العظيمة تبين للمسلمين حالهم وضعفهم قبل الهجرة، وما كانوا عليه من الذلة والخوف والعالة، وخشية تعدي الكفار عليهم، فآواهم الله وهاجروا المدينة ونصرهم الله جَلَّ وَعَلَا، وأغناهم بعد العيلة، وأعزهم بعد الذلة، وصاروا رءوس الناس، وهذا كله من فضله وإحسانه، فيذكرهم جَلَّ وَعَلَا أن يشكروه ويطيعوه، فيقول سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: في مكة، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾، كانوا مستذلين في مكة، مضطهدين، يعذب الكثير منهم، يعذبه كفار قريش بين عباد الأصنام عباد الأوثان؛ كأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبي لهب وغيرهم من طغاة الكفار، يعذبون الفقراء. وكان نبينا ﷺ مضطهدًا فيهم لولا أن الله نصره بعمه أبي طالب وكان يحوطه ويحميه وينصره، ومع هذا أوذي هو وعمه أبو طالب وبنو هاشم، وحوصروا في الشعب ثلاث سنين، ثم لما مات أبو طالب أوذي عليه الصلاة والسلام حتى استجار بالمطعم بن عدي فحماه، وبقي المستضعفين ليس لهم من يحميهم، يؤذون ويعذبون.

ثم أذن الله لهم بالهجرة فآواهم، وأيدهم بنصره، وسخر لهم الأنصار، بذلوا أموالهم ونفوسهم في نصر دين الله رضي الله عنهم وأرضاهم، ثم فتح الله عليهم الفتوح يوم بدر وما بعدها، ثم فتح الله عليهم مكة، ثم صاروا رءوس الناس، كل هذا من فضله وتأييده بأسباب طاعتهم له، وقيامهم بحقه، وشكرهم لنعمه، ونصرهم لدينه؛ كما قال

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]. هذه أسباب النصر، وقد يمتحن المسلمون ثم تكون لهم العاقبة كما جرى يوم أحد، امتُحنوا ثم كانت لهم العاقبة يوم الأحزاب وغيرها، فالمسلم يُمتحن ويبتلى بالمرض بتسليط الأعداء وبالفقر وأشياء أخرى، لكن تكون له العاقبة الحميدة؛ كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، قال سبحانه: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

فالواجب على أهل الإسلام أن يصبروا، وأن يتعاونوا بالبر والتقوى، وأن ينصروا دين الله، وأن يستجيبوا لله، وأن يستقيموا على الحق، وأن يصبروا عند الأذى وعند المحنة، فإن العاقبة لهم في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]. فلا ينبغي للعاقل أن ييأس عند وجود بعض المصائب، لا؛ بل ينبغي يصبر ويحتسب، والمصائب تنجلي، سحابة صيف تنجلي، «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**»، ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١]، ويقول سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]. قد يبتلون بالفقر، أو بتسليط الأعداء، أو بأمراض، ثم تكون لهم العاقبة الحميدة. فالواجب على كل مؤمن أن ينتبه لهذا الأمر، وأن تكون عنده الحصانة القوية،

والثبات على الحق، والصبر عليه، وإن جرى ما قد يؤذيه من فقر أو غيره، فلا بد أن تكون العاقبة له إذا صبر واحتسب، ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. الله المستعان.

الأسئلة:

● **س: حكم الاستجارة أحسن الله إليك! تكون من مسلم بالكافر في حال الضعف بالمسلمين؟**

○ **الجواب**: إذا دعت الحاجة مثلما استجار النبي ﷺ بعمه أبي طالب حتى نصره وحماه، ثم لما مات خرج النبي ﷺ إلى الطائف وأراد الرجوع إلى مكة لم يجد من ينصره، فأراد من كثير من رؤسائهم أن يحموه فأبوا، فاتصل بالمطعم بن عدي أبو جبير بن مطعم، وكان رئيسًا في قومه في الكفار، فأجاره ونصره وحماه حتى هاجر عليه الصلاة والسلام.

مداخلة: في حال الضعف وقوة المسلمين؟

الشيخ: في حال الحاجة.

● **س: يكون حال المسلمين في آخر الزمن كحال الصحابة رضي الله عنهم بمكة، كما قال ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[(١)]؟**

○ **الجواب**: هذا يبتلى المسلمون مثل اليوم وبعد اليوم وقبل اليوم، لكن العاقبة ذاتها من صبر واحتسب فله العاقبة الحميدة.

مداخلة: لم يسلم!

الشيخ: نعم.

● **س: والمطعم لم يسلم؟**

○ **الجواب**: لا، ما أسلم؛ ولهذا قال النبي ﷺ يوم بدر: «**لَوْ كَانَ**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأزر بين المسجدين برقم (١٤٥).

الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»(١)، يعني: أسرى بدر، يعني: مكافأة له على إجارته له عليه الصلاة والسلام، أسلم ابنه جبير.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ **[الأنفال: ٢٧، ٢٨]**(٢).

قال عبد الله بن أبي قتادة والزهري: أنزلت في أبي لُبابة بن عبد المنذر، حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قُرَيْظة لينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروه في ذلك، فأشار عليهم بذلك ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ أي: إنه الذبح، ثم فطن أبو لبابة، ورأى أنه قد خان الله ورسوله، فحلف لا يذوق ذواقًا حتى يموت أو يتوب الله عليه، وانطلق إلى مسجد المدينة، فربط كذلك تسعة أيام، حتى كان يخر مغشيًا عليه من الجهد، حتى أنزل الله توبته على رسوله. فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه، وأرادوا أن يحلوه من السارية، فحلف لا يحله منها إلا رسول الله ﷺ بيده، فحله، فقال: يا رسول الله، إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة، فقال: «**يجزيك الثلث أن تصدَّق به**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما منَّ النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمِّس برقم (٣١٣٩).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٢٩ ـ ٦ ـ ١٤١٧هـ.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه في كتاب التفسير برقم (٩٨٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: من توبته، نذر من توبته أن ينخلع من ماله، مثلما قال كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نعم فقال: يجزيك الثلث اللَّهُمَّ صلِّ عليه.

الاسئلة

• **س: هل يقال من السُّنَّة إذا أذنب الإنسان ذنبًا أن يتصدق أو يعمل به؟**

○ **الجواب**: من أحسن شيء، نعم الصدقة طيبة، إي هذا من تمام التوبة بالعمل الصالح، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٦٠]، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢]. الصدقات من العمل الصالح كثرة الصلاة، كثرة الاستغفار، كثرة الذكر إلى غير هذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثني الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا يونس بن الحارث الطائفي، حدثنا محمد بن عبيد الله أبو عون الثقفي، عن المغيرة بن شعبة قال: نزلت هذه الآية في قتل عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى أنها تشمل... أنها عامة، تشمل قتل عثمان وغيره، يجب على المسلمين أداء الأمانة والحذر من الخيانة في كل شيء، الآية عامة تعم المسلمين وتعم كل زمان.

• **س: وجه الخيانة هنا في قتل عثمان.**

مداخلة: وجه الخيانة عند هؤلاء؟

○ **الجواب**: لأنهم خانوا، الواجب عليهم السمع والطاعة.

مداخلة: خروجهم عليه؟

الشيخ: خروجهم عليه خيانة.

مداخلة: يعني إطلاق قول: نزلت في قتل عثمان مع أنه لم يقتل؟

الشيخ: المقصود أنها في المعنى، يعني قصده أنها تعمه، سوء تعبير.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير أيضًا: حدثنا القاسم بن بِشْر بن معروف، حدثنا شَبَابة بن سَوَّار، حدثنا محمد بن المحرم قال: لقيت عطاء بن أبي رباح فحدثني قال: حدثني جابر بن عبد الله؛ أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: إن أبا سفيان في كذا وكذا. فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**إن أبا سفيان في موضع كذا وكذا، فاخرجوا إليه واكتموا**»، فكتب رجل من المنافقين إليه: إن محمدًا يريدكم، فخذوا حذركم، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾ الآية هذا حديث غريب جدًّا، وفي سنده وسياقه نظر.

وفي الصحيحين قصة «حاطب بن أبي بَلْتَعَة» أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله ﷺ إياهم عام الفتح، فأطلع الله رسوله على ذلك، فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه، واستحضر حاطبًا فأقر بما صنع، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه، فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين؟ فقال: «**دعه، فإنه قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أهل بَدْرٍ فَقَالَ: «اعملوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**»[1].

قلت: والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الحق في هذا وأمثاله العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٧).

السبب، فالآية عامة تعم جميع الخيانات، فالواجب على المؤمنين الحذر من الخيانة مطلقًا، في زمانه ﷺ وبعده إلى يوم القيامة؛ لأن الله أنزل القرآن هدى للناس وبشارة ونذارة إلى يوم القيامة: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فهو نذير للجميع وهدى للجميع ونذير للجميع إلى يوم القيامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ الأمانة الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد ـ يعني الفريضة يقول: لا تخونوا: لا تنقضوها.

وقال في رواية: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ يقول: بترك سنته وارتكاب معصيته.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

محتمل، القول، الأقرب النقص يعني لا تخونوها بانتقاصها، أوفوها كمِّلوها، وعلى كل حال نقضها إبطالها، ينقضون الخيانة هو معناها انتقاصها وعدم الوفاء بها، من صلاة وزكاة وصوم وجهاد وغير ذلك، وهكذا المنهيات يجب الحذر من قربانها، وألا يخون الأمانة فإنه مؤتمن على فرجه وغيره. فالواجب على المؤمن الحذر من الخيانة بفعل المحظور أو ترك الواجب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير في هذه الآية؛ أي: لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم، ثم تخالفوه في السر إلى غيره، فإن ذلك هلاك لأماناتكم، وخيانة لأنفسكم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا عمل المنافقين إظهار الإسلام وإبطان الكفر، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السُّدِّيّ: إذا خانوا الله والرسول، فقد خانوا أماناتهم.

وقال أيضًا: كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين. وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: نهاكم أن تخونوا الله والرسول، كما صنع المنافقون.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾؛ أي: اختبار وامتحان منه لكم؛ إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها، أو تشتغلون بها عنه، وتعتاضون بها منه؟ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [التغابن: ١٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الواجب على العبد الأموال والأولاد فتنة، الواجب الحذر، فلا يشغل بأمواله عن طاعة الله، ولا بأولاده عن طاعة الله، ولا يحمله حب المال أو حب الولد على معصية الله؛ بل يجب أن يستعين بالمال على طاعة الله، وبالولد كذلك، وأن يربي الولد على طاعة الله والرسول. فالأموال فتنة، والأولاد فتنة، اختبار وامتحان. فالواجب أن تستعمل هذه الأموال في طاعة الله، وأن يستعان بها على طاعة الله، وهكذا الأولاد يجب أن يوجهوا إلى الخير، وأن لا يطاعوا في معاصي الله، وأن لا تحمل والدهم محبتهم على معصية الله والرسول؛ بل يجب أن يوجههم إلى الخير وأن يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر، وأن تكون محبة الله وطاعته مقدمة عليهم.

الأسئلة:

● س: **الحديث: (الولد مبخلة مجبنة)؟**

○ **الجواب**: الظاهر أنه لا بأس به، الظاهر ما أذكر من حال

سنده، لكن ظاهره لا بأس به، يعني يسبب البخل والجبن مِن حُب أبيه له قد يبخل وقد يجبن على القتال يخاف يموت. الله المستعان.

● **س: أحسن الله إليك! حكم الأب الذي لا يوقظ أولاده لصلاة الفجر؟**

○ **الجواب**: هذا قد خان، هذه خيانة يجب عليه أن يوقظهم وأن يقوم عليهم وأن يؤدبهم، هذا من أنواع الخيانة.

● **س: رجل يا شيخ سلمك الله مات وهو على الذنوب والمعاصي والكبائر لكن عنده ولد صالح، فهل ينفعه أعمال هذا الولد الصالح؟**

○ **الجواب**: يرجى له ذلك، إذا تصدق له ودعا له يرجى له إذا شاء الله، ما دام مسلم مات على التوحيد.

مداخلة: أحسن الله إليك! يا شيخ، أحد السلف يقول: إن هلاك الرجل في آخر الزمان يكون على يد زوجته وأولاده يوردونه مداخل حتى يهلك حفظك الله يا شيخ؟!

الشيخ: قد يقع هذا، قد يقع سابقًا ولاحقًا، ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾، يقول الرب ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] قد يهلك بسبب ولده بسبب زوجته بسبب أخيه بسبب أبيه، لكن يجب الحذر وأن لا يطاعوا في معاصي الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ الآية [التغابن: ١٤].

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد، فإنه قد يوجد منهم عدو،

وأكثرهم لا يغني عنك شيئًا، والله، سبحانه، هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة، ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة.

وفي الأثر يقول الله تعالى: «**ابن آدم، اطلبني تَجدني، فإن وَجَدْتَنِي وجَدْتَ كل شيء، وإن فُتُّكَ فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا أثر إسرائيلي يعني مما يحدث، النبي ﷺ قال: «**حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» معناه صحيح الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١). بل حب رسوله مقدم على الأولاد والأموال والنفوس، كما ثبت في الصحيح أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أمر معلوم، وفي اللفظ المعروف: «**حتى أكون أحب إليه من**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان برقم (١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان برقم (٦٧).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان برقم (١٤ و١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة برقم (٤٤).

ولده ووالده والناس أجمعين»، ولما قال له عمر لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. قال: لا، يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال عمر رضي الله عنه: أنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي. فقال: «**الآن يا عمر**» المقصود أن الواجب حب الله ورسوله حبًّا مقدم على النفس والمال والأهل والولد، بحيث يؤثِر ما أوجب الله عليه على هوى نفسه وهوى أولاده وزوجته والناس أجمعين، وهكذا يترك معاصي الله إيثارًا لمرضاته سبحانه على مرضاة غيره، فلا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، هذا هو كمال الإيمان وتمامه. الله المستعان.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ **[الأنفال: ٢٩]**[١].

قال ابن عباس، والسُّدِّيّ، ومُجاهِد، وعِكْرِمة، والضحاك، وقَتَادة، ومُقَاتِل بن حَيَّان: ﴿فُرْقَانًا﴾.

مخرجًا. زاد مجاهد: في الدنيا والآخرة.

وفي رواية عن ابن عباس: ﴿فُرْقَانًا﴾ نجاة. وفي رواية عنه: نصرًا.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿فُرْقَانًا﴾؛ أي: فصلًا بين الحق والباطل.

وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم مما تقدم وقد يستلزم ذلك كله؛ فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه ـ وهو محوها ـ وغفرها: سترها عن الناس ـ سببًا لنيل ثواب الله الجزيل، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الذي قاله ابن إسحاق والمؤلف هو الصواب فان الفرقان هو النور وهو البصيرة والهدى الذي يحصل به التميز بين الحق والباطل والهدى والضلال والخروج من المضايق والنجاة يوم القيامة؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ﴾ [الأنفال: ٢٩]. فالمتقي لله والمستقيم على أوامره يعطيه الله فرقانًا، يعني ينور بصيرته ويزيده من العلم حتى يعرف الفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وقد يحصل له بذلك النجاة والسعادة والخروج من المضايق مع تكفير السيئات وغفران الذنوب، كل هذا من ثواب التقوى، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، يعطى الرزق ويعطى الفرقان النور والبصيرة والعلم، حتى يخرج من المضايق، وحتى يعرف أسباب الرزق ويهتدي اليها، وحتى يوفق للثبات على الحق والبصيرة فيه، ومع هذا تحصل له المغفرة ويحصل له تكفير السيئات.

*

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ **[الأنفال: ٣٠]**[1].

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾؛ أي: ليقيدوك.

وقال عطاء، وابن زيد: ليحبسوك.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال السُّدِّيّ: «الإثبات». هو الحبس والوثاق.

وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء، وهو مجمع الأقوال وهو الغالب من صنيع من أراد غيره بسوء.

وقال سُنَيْد، عن حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال عطاء: سمعت عُبَيْد بن عُمَيْر يقول: لما ائتمروا بالنبي ﷺ ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه، قال له عمه أبو طالب: هل تدري ما ائتمروا بك؟ قال: «يريدون أن يسحروني أو يقتلوني أو يخرجوني»، فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: «ربي»، قال: نِعم الرب ربك، استوص به خيرًا، فقال: «أنا أستوصي به؟! بل هو يستوصي بي».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يسجنوني أظهر يعني الإثبات هو السجن كما قال ابن عباس وجماعة، السحر هنا ليس بمناسب، يسجنوني أظهر بمعنى يثبتوك يسجنوك حتى يستريحوا منك أو يقتلوه بالكلية لأنهم ائتمروا في الندوة على هذا الأمر، بعضهم قال: قيدوه واسجنوه، وبعضهم قال: اقتلوه، وبعضهم قال: أخرجوه من بين أظهركم الى جهة أخرى يعني يسجن في جهة أخرى، أو يطرد بالكلية وينفى، وجاء في القصة أن الشيطان تبدى لهم في صورة نجدي بعيد كأن جاء من مكان بعيد فقال لهم أرى أن يشترك في هذا جماعة من كل قبيلة واحد فيقتلوه حتى يضيع دمه بين القبائل فلا تطالَب به قبيلة فلا تستطيع جماعة بنو هاشم أن يقتصوا من أحد، فقالوا هذا هو الرأي، فأنجاه الله من بين أظهرهم وخرج مهاجرًا إلى المدينة سلَّمه الله من كيدهم ومكرهم، والحمد لله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثني محمد بن إسماعيل البصري، المعروف بالوساوسي، أخبرنا عبد الحميد بن أبي رَوَّاد عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن المطلب بن أبي وَدَاعةِ، أن أبا طالب

قال لرسول الله ﷺ: ما يأتمر بك قومك؟ قال: «**يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني**». فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: «**ربي**»، قال: نِعم الرب ربك، فاستوص به خيرًا، «**قال: أنا أستوصي به؟! بل هو يستوصي بي**». قال: فنزلت: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الآية.

وذِكر أبي طالب في هذا، غريب جدًّا؛ بل منكر؛ لأن هذه الآية مدنية، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل، إنما كان ليلة الهجرة سواء، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجترءوا عليه بعد موت عمه أبي طالب، الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه. والدليل على صحة ما قلنا: ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يَسَار صاحب «المغازي» عن عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: وحدثني الكلبي، عن باذان مولى أم هانئ، عن ابن عباس؛ أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي. قالوا: أجل، ادخل فدخل معهم فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره. قال: فقال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال: والله ما هذا لكم برأي، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم، فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم. قال: فانظروا في غير هذا.

قال: فقال قائل منهم: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع، إذا غاب عنكم أذاه

واسترحتم، وكان أمره في غيركم، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاوة لسانه، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم، ثم استعرض العرب، ليجتمعن عليكم ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم. قالوا: صدق والله، فانظروا بابًا غير هذا.

قال: فقال أبو جهل، لعنه الله: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم تصرمونه بعد، ما أرى غيره. قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلامًا شابًّا وسيطًا نهدًا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها. فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه.

قال: فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي. القول ما قال الفتى لا رأي غيره، قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له، فأتى جبريل النبي ﷺ، فأمره ألا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأخبره بمكر القوم.

فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة «الأنفال» يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾، وأنزل الله في قولهم: «تربصوا به ريب المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء»، ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] وكان ذلك اليوم يسمى «يوم الزحمة» للذي اجتمعوا عليه من الرأي. وعن السُّدِّيّ نحو هذا السياق، وأنزل الله في إرادتهم إخراجه قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦].

وكذا روى العَوْفي، عن ابن عباس. وروي عن مجاهد، وعُرْوة بن الزبير، وموسى بن عُقْبَة، وقتادة، ومِقْسَم، وغير واحد، نحو ذلك.

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أمر الله، حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به، وأرادوا به ما أرادوا، أتاه جبريل عليه السلام، فأمره ألا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فأمره أن يبيت على فراشه وأن يتسجَّى ببُرد له أخضر، ففعل. ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه، وخَرَج معه بحفنة من تراب، فجعل يذرها على رؤوسهم، وأخذ الله بأبصارهم عن نبيه محمد ﷺ وهو يقرأ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١ ـ ٩].

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: روي عن عكرمة ما يؤكد هذا وقد روى أبو حاتم ابن حِبَّان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، من حديث عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: دخلت فاطمةُ على رسول الله ﷺ وهي تبكي، فقال: «**ما يبكيك يا بُنَيَّة؟**» قالت: يا أبت، وما لي لا أبكي، وهؤلاء الملأ من قريش في الحجْر يتعاقدون باللات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك. فقال: «**يا بنية، ائتني بوَضُوء**». فتوضأ رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى المسجد. فلما رأوه قالوا: إنما هو ذا فطأطؤوا رؤوسهم، وسقطت أذقانهم بين أيديهم، فلم يرفعوا أبصارهم. فتناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: «**شاهت الوجوه**». فما أصاب رجلًا منهم حَصَاة من حصياته إلا قُتل يوم بدر كافرًا.

ثم قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ولا أعرف له علة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَر، أخبرني عثمان الجَزَري، عن مِقْسَم مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ قال تشاورت قريشٌ ليلةً بمكة

فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق. يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله ﷻ نبيه على ذلك فبات عليٌّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليًّا يحسبونه النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليًّا رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل خلط عليهم فصعدوا في الجبل فمرّوا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه. فمكث فيه ثلاث ليالٍ(١).

وقال محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُرْوَة بن الزبير في قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: فمكرت بهم بكيدي المتين، حتى خلَّصتك منهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المقصود أن الله حماه وكفاه شرهم والحمد لله.

ومن الفوائد العظيمة أن الله ينصر أوليائه وينصر أهل الحق ومن نصره الله لا غالب له كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠] فرد واحد كفاه الله شرهم وأعمى بصائرهم عن السلامة وعن الهداية حتى أنجاه الله من بين أظهرهم، وهكذا من نصر الله نصره الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

المقصود أنه ينبغي للمؤمن أن يكون عنده ثقة بالله والاعتماد على الله والصبر على الحق والثبات عليه، فان نجا في الدنيا فهذا مقتضى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب التقنع برقم (٥٨٠٧)، والإمام أحمد (١/ ٣٤٨).

وعده ﷻ، وإن لم ينجُ في الدنيا وأصيب كان شهيدًا وله الأجر العظيم والدرجات العالية في الجنة، كما أصيب بعض الأنبياء والأخيار، الأمر في هذا واسع، هذا الصديق أكبر الصحابة وأفضلهم نجا، وعمر الذي يليه في الفضل والعلم أصيب وكتب الله له الشهادة، وعثمان كتب الله له الشهادة، وعلي كتب الله له الشهادة، والزبير كتب الله له الشهادة، هذا حكمه ﷻ ينصر أولياءه تارة بأن يستشهدهم ويرفعهم الله في جنات النعيم، وتارة بأن ينصرهم في الدنيا ويرفع شأنهم في الدنيا ويرفع شأنهم في الآخرة جميعًا كما جرى لنبينا ﷺ ولغيرهم من أنبياء الله الذين قُتلوا.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣١ ـ ٣٣][(١)].

يخبر تعالى عن كفر قريش وعُتُوِّهم وتمرُّدهم وعنادهم، ودعواهم الباطل عند سماع آياته حين تتلى عليهم أنهم يقولون: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ﴾ وهذا منهم قول لا فعل، وإلا فقد تحدوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلًا. وإنما هذا قول منهم يَغُرّون به أنفسهم ومن اتبعهم على باطلهم.

وقد قيل: إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث ـ لعنه الله ـ كما

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٦ ـ ٧ ـ ١٤١٧هـ.

قد نصَّ على ذلك سعيد بن جُبَيْر، والسُّدِّيّ، وابن جُرَيج وغيرهم؛ فإنه ـ لعنه الله ـ كان قد ذهب إلى بلاد فارس، وتعلم من أخبار ملوكهم رُسْتم واسفنديار، ولما قدم وجد رسول الله ﷺ قد بعثه الله، وهو يتلو على الناس القرآن، فكان إذا قام ﷺ من مجلس، جلس فيه النضر فيحدثهم من أخبار أولئك، ثم يقول: بالله أيهما أحسن قصصًا؟ أنا أو محمد؟ ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في الأسارى، أمر رسول الله ﷺ أن تضرب رقبته صبرًا بين يديه، ففُعل ذلك، ولله الحمد. وكان الذي أسره المقداد بن الأسود رضي الله عنه، كما قال ابن جرير:

حدثنا محمد بن بشَّار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعْبَة، عن أبي بِشْر، عن سعيد بن جُبَيْر قال: قَتَل النبي ﷺ يوم بدر صبرًا عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط، وطُعَيْمة بن عَدِي، والنضر بن الحارث. وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله، قال المقداد: يا رسول الله، أسيري. فقال رسول الله ﷺ: «**إنه كان يقول في كتاب الله عز وجل، ما يقول**». فأمر رسول الله ﷺ بقتله، فقال المقداد: يا رسول الله، أسيري. فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغن المقداد من فضلك**». فقال المقداد: هذا الذي أردت. قال: وفيه أنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ وكذا رواه هُشَيْم، عن أبي بشر جعفر بن أبي وَحْشِيّة، عن سعيد بن جُبَيْر؛ أنه قال: «المطعم بن عدي» «بدل طعيمة» وهو غلط؛ لأن المطعم بن عدي لم يكن حيًّا يوم بدر؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ يومئذ: «**لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**»(١)، يعني: الأسارى لأنه كان قد أجار رسول الله ﷺ يوم رجع من الطائف.

---

(١) سبق تخريجه في (ص١١٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا: أن الله ﷻ أقر عينه وأقر أعين المؤمنين بهذه الغزوة العظيمة، وهذا الفتح العظيم يوم بدر، الذي قتل الله فيه صناديدهم وكبراءهم ورؤساءهم وقادة الشر فيهم، وكان ذلك من نصر الله لأوليائه ولنبيه وحزبه، لله الحمد والمنة.

الأسئلة:

• **س: يا شيخ سلمك الله! بالنسبة للأسير يكون ملك للآسر وإن لم يستأذن الإمام؟**

○ **الجواب**: لا، بس يعني أن يعطيه.. يريد ما يؤخذ من الفدية؛ لأنهم أسرى، وولي الأمر مخير فيهم، ما هو بكل الأسر، هو ولي الأمر مخير، إن شاء قتل، وإن شاء فادى، وإن شاء منَّ وعفا ما لم يُسلِم الأسير.

معنى قول المقداد للنبي ﷺ: أسيري.

• **س: وقول المقداد: أسيري؟**

○ **الجواب**: يعني: قصده أنه يرجو أن يعطى فدية من أهله، أسيره يعني قصد المقداد لعل أهله يفدونه، فلهذا قال: «**اللَّهُمَّ أغن المقداد من فضلك**»، قال: هذا الذي أردت، اللَّهُمَّ ارض عنه، هذه الدعوة المباركة.

الحكم على حديث: «... اللَّهُمَّ اغن المقداد من فضلك»:

• **س: وهذا صحيح من حيث الإسناد صحيح؟**

الشيخ: ماذا؟

مداخلة: قصة المقداد وقوله: (أسيري)، «**اللَّهُمَّ أغن المقداد من فضلك**».

○ **الجواب**: هذا مرسل.. أقول: مرسل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣١﴾ وهو جمع أسطورة؛ أي: كتبهم اقتبسها، فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس. وهذا هو الكذب البحت، كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥، ٦]؛ أي: لمن تاب إليه وأناب؛ فإنه يتقبل منه ويصفح عنه.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾، هذا من كثرة جهلهم وعُتُوِّهم وعنادهم وشدة تكذيبهم، وهذا مما عِيبُوا به، وكان الأولى لهم أن يقولوا: «اللَّهُمَّ، إن كان هذا هو الحق من عندك، فاهدنا له، ووفقنا لاتباعه». ولكن استفتحوا على أنفسهم، واستعجلوا العذاب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نسأل الله العافية، وهذا يدل على شدة العداوة، والتكبر على الحق، وعدم الانصياع له والرغبة فيه، كيف يقول الإنسان: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؟! كيف يقول هذا عاقل؟! لو كانوا يعقلون، لكن كبرهم وبغيهم وعدوانهم وشدة عداوتهم للنبي ﷺ والصحابة أوجدت لهم هذه المقالة الشنيعة: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾! فعذبنا!! أعوذ بالله، أين العقول؟! كان الأولى بهم لو كانوا يعقلون أن يقولوا: (اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لقبوله، وافتح على قلوبنا)، لو كانوا يعقلون، لو كان عندهم تواضع، وعندهم رغبة في الخير، ولكن حملهم البغي والكبر والتعاظم والإعراض عن الحق والصدود عن الهدى إلى أن يقولوا هذه المقالة نسأل الله العافية.

● **س: أحسن الله إليك! وفتح مكة يعتبر كذلك من العذاب؟**

○ **الجواب**: لا، فتح مكة رحمة، فتح الله عليهم ودخلوا في دين الله.

مداخلة: ما قتل منهم أحد في..؟

الشيخ: القتلى قليل، عدد يسير.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وتقديم العقوبة كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٣]، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]، ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ١ ـ ٣]، وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، وقال هؤلاء: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

قال شُعْبَة، عن عبد الحميد، صاحب الزيّادي، عن أنس بن مالك قال: هو أبو جهل بن هشام قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الآية. رواه البخاري عن أحمد ومحمد بن النضر، كلاهما عن عُبَيد الله بن مُعَاذ، عن أبيه، عن شعبة، به(١).

وأحمد هذا هو: أحمد بن النضر بن عبد الوهاب. قاله الحاكم أبو أحمد، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الأنفال، باب قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ برقم (٤٦٤٨).

وقال الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ قال: هو النضر بن الحارث بن كلدة، قال: فأنزل الله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١، ٢]. وكذا قال مجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، والسدي: إنه النضر بن الحارث ـ زاد عطاء: فقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقال: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾، قال عطاء: ولقد أنزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله ﷻ.

وقال ابن مَرْدُوَيْه: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث، حدثنا أبو غسان، حدثنا أبو تُمَيْلة، حدثنا الحسين، عن ابن بُرَيْدة، عن أبيه قال: رأيت عمرو بن العاص واقفًا يوم أُحُد على فرس، وهو يقول: «اللَّهُمَّ، إن كان ما يقول محمد حقًّا، فاخسف بي وبفرسي».

وقال قتادة في قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية، قال: قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود، حدثنا عكْرِمة بن عمار، عن أبي زُمَيْل سِمَاك الحنفي، عن ابن عباس قال: كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: لبيك اللَّهُمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك، فيقول النبي ﷺ: «**ويلكم قد قد**». فيقولون إلّا شريكًا هو لك تملكه وما ملك. يقولون هذا وهُم يطوفون بالبيت.. ويقولون: غفرانك، غفرانك، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قط قط)، يعني حسبكم، قفوا على هذا: (لا شريك لك)، لا تزيدوا، (إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك)، هذه الزيادة الباطلة، ولكنهم يفعلون هذا على اعتقادهم من أن الآلهة شريكة وتعبد من دون الله، لكنها مملوكة لله.

مداخلة: عندنا أحسن الله عملك بالدال (قد قد)؟

مداخلة: كذا في نسخة الشعب أحسن الله إليك!

الشيخ: يمكن هذا نسخة، تقارب، نعم، يعني هذه نسخة (قد قد) والذي عنده (قط) هذه نسخة لا بأس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن عباس: كان فيهم أمانان: النبي ﷺ، والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أنه لا يعذبهم عذابًا عامًّا، هذه الأمة رفع الله عنها العذاب العام، بخلاف من مضى فقد أصيبوا بعذاب عام، كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب، أما هذه الأمة فرحمها الله ورفع عنها العذاب العام، وقد عذبوا عذابًا خاصًّا يوم بدر، وأما العذاب العام فقد رفعه الله عنهم، وهكذا رفع الله عنهم العذاب بالتوبة والاستغفار، من تاب إليه رفع الله عنه العذاب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثني الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا أبو مَعْشَر، عن يزيد بن رُومَان ومحمد بن قيس قالا: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللَّهُمَّ! فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا

كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ يقول: ما كان الله ليعذب قومًا وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يقول: وفيهم من قد سبق له من الله الدخولُ في الإيمان، وهو الاستغفار ـ يستغفرون، يعني: يصلون ـ يعني بهذا أهل مكة.

وروي عن مُجاهد، وعِكْرِمَة، وعطية العَوْفي، وسعيد بن جُبَيْر، والسُّدِّيّ نحو ذلك.

وقال الضحاك وأبو مالك: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني: المؤمنين الذين كانوا بمكة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كما قال ابن عباس، فهما أمانان: الأمان الأول: وجوده ﷺ أن من أسباب سلامتهم من العذاب العام.

والأمان الثاني: التوبة والاستغفار، من تاب إلى الله ورجع إليه وأناب إليه؛ رفع الله عنه العذاب..

مداخلة: قول الرسول ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**»؟[١]

الشيخ: يعني: الذي تركوا المنكر فلم يغيروه؛ أي: طائفة كانوا، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الغفار بن داود، حدثنا النضر بن عَرَبي قال: قال ابن عباس: إن الله جعل في هذه الأمة أمانين

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٠١).

لا يزالون معصومين مُجارين من قوارع العذاب ما داما بين أظهرهم: فأمان قبضه الله إليه، وأمان بقي فيكم، قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾. قال أبو صالح عبد الغفار: حدثني بعض أصحابنا، أن النضر بن عربي حدثه هذا الحديث، عن مجاهد، عن ابن عباس.

وروى ابن مَرْدُوَيه وابن جرير، عن أبي موسى الأشعري نحوًا من هذا، وكذا رُوي عن قتادة وأبي العلاء النحوي المقرئ.

وقال الترمذي: حدثنا سفيان بن وَكِيع، حدثنا ابن نُمَيْر، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن عباد بن يوسف، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لأُمَّتِي**: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾، **إِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيهِمْ الِاسْتِغْفَارَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[1].

ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه، من حديث عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن دَرَّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**». ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا من تساهل الحاكم في دراج عن أبي الهيثم ضعيف، لكن الآية

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنفال برقم (٣٠٨٢). هذا حديث غريب وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٩)، والحاكم في مستدركه كتاب التوبة والإنابة برقم (٧٨٦٤)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

كافية، الآية العظيمة كافية، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣]، مع الآيات الأخرى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، الآيات كثيرة في مسألة الاستغفار والتوبة، وأن ذلك من أسباب السلامة في الدنيا والآخرة.

• **س: أحسن الله إليك! قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، مخاطب بها المؤمنون فقط أم الكفار؟**

○ **الجواب**: كل أمته تستغفر وتتوب إلى الله سواء من أهل مكة والا غيرهم، هذه آية عامة، من تاب إلى الله رفعه الله عنه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا رِشْدِين ـ هو ابن سعد ـ حدثني معاوية بن سعد التُّجيبي، عمن حدثه، عن فَضَالة بن عُبَيد، عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْعَبْدُ آمِنٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ **مَا اسْتَغْفَرَ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ **[الأنفال: ٣٢]**[(٢)].

قال ابن عيينة: ما سمّى الله تعالى مطرًا في القرآن إلّا عذابًا، وتسمّيه العرب الغيث. وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢٠).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

حدّثني أحمد، حدّثنا عبيد الله بن معاذٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا شعبة، عن عبد الحميد، هو ابن كرديدٍ صاحب الزّياديّ، سمع أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: «قال أبو جهلٍ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية [٣٣، ٣٤]»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

من جهلِه وعنادِهِ وخبثِه هو وأمثاله يقول: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ [الأنفال: ٣٢]، وكان الواجب أن يقول: اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فاهدنا له، ووفقنا لقَبوله؛ هذا هو الواجب على المكلّف عند الشّكّ. نسأل الله العافية.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ **[الأنفال: ٣٣]**(٢).

حدّثنا محمّد بن النّضر، حدّثنا عبيد الله بن معاذٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا شعبة، عن عبد الحميد صاحب الزّياديّ، سمع أنس بن مالكٍ: «قال أبو جهلٍ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾...إلخ برقم (٤٦٤٨)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ برقم (٢٧٩٦).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله على صحيح البخاري، كتاب التفسير.

حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآيَةَ(١).

وهذا من الجهل العظيم والكبر والبطر، قول أبي جهلٍ وأتباعه، كان الصّواب لو هدوا أن يقولوا: اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فاهدنا إليه، ووفقنا لاتّباعه والأخذ به، لكنّهم ـ نعوذ بالله ـ من باب الاستكبار والكراهة للحقّ والتمنّع من الحقّ قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]. نسأل الله العافية.

إذا كان هو الحقّ يعذّبون؟! نسأل الله العافية.

وهذا يدلّ على أن الاستغفار من أسباب العافية والسّلامة من العقوبات، والمراد بالاستغفار: التّوبة إلى الله، والرجوع إلى الله؛ فإنّ من تاب إلى الله لم يعذبه الله، وإنّما يعذّب المصرِّين المستمرّين في الباطل، كما فعل بعادٍ، وثمود، وقوم نوحٍ، وقوم لوطٍ، وغيرهم.

أمّا من تاب إلى الله وأناب إليه فالله يمنع عنه العذاب: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] من تاب أفلح.

وقوله: ﴿يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾؛ يعني: يتوبون إليه يسألونه العافية من الذّنوب، توبةً وندمًا وإقلاعًا، لا مجرّد القول باللّسان، الله المستعان.

● **س: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الضمير هنا يعود على أولئك الّذين تقدّم ذكرهم؟**

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ﴾.. إلخ برقم (٤٦٤٩)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين برقم (٢٧٩٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِذَا تابوا واستغفروا مَا عذَّبهم اللهُ.

● **س: أليس هَذَا تقريرًا أَنَّهُم يستغفرون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا؛ يعني: إذا فعلوا ذلك وهم يستغفرون ما كان الله يعذبهم وهم يستغفرون، إذا تابوا إليه وأنابوا إليه.

* *

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٤، ٣٥](١).

يخبر تعالى أنهم أهل لأن يعذبهم، ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام رسول الله ﷺ بين أظهرهم؛ ولهذا لما خرج من بين أظهرهم، أوقع الله بهم بأسه يوم بدر، فقُتل صناديدهم وأُسِرت سَراتهم. وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب، التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال جَلَّ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٤]، أنهم يعني ارتكبوا ما يوجب العذاب، ولكنهم كان بين أظهرهم: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣،

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٤]، المقصود أن في الكفار أحلوا بأنفسهم العذاب بكفرهم وضلالهم، فإذا تابوا إلى الله واستغفروا وأنابوا إليه رفعه عنهم ﷻ، وبسبب كفرهم وعنادهم وبغيهم أصابهم ما أصابهم يوم بدر، من القتل والأسر والذل، كل ذلك بأسباب ما فعلوه من الصد عن سبيل الله، والإيذاء للمؤمنين، والكفر به سبحانه، كله بأسباب أعمالهم الخبيثة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال قتادة والسُّدِّي وغيرهما: لم يكن القوم يستغفرون، ولو كانوا يستغفرون لما عذبوا.

واختاره ابن جرير، فلولا ما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين، لأوقع بهم البأس الذي لا يرد، ولكن دفع عنهم بسبب أولئك، كما قال تعالى في يوم الحديبية: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

قال ابن جرير: حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا يعقوب، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن ابن أبزى قال: كان النبي ﷺ بمكة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٣٣] قال: فخرج النبي ﷺ إلى المدينة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] قال: وكان أولئك البقية من المؤمنين الذين بقوا فيها يستغفرون - يعني بمكة - فلما خرجوا، أنزل الله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ﴾ قال: فأذن الله في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم.

ورُوي عن ابن عباس، وأبي مالك والضحاك، وغير واحد نحو هذا.

وقد قيل: إن هذه الآية ناسخة لقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ على أن يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم.

قال ابن جرير: حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن البصري قالا: قال في «الأنفال»: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)﴾ فنسختها الآية التي تليها: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)﴾ فقُوتلوا بمكة، فأصابهم فيها الجوع والضر.

وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي تُمَيْلة يحيى بن واضح

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جُرَيْج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)﴾، ثم استثنى أهل الشرك فقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)﴾؛ أي: وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي ببكة، يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة عنده والطواف به؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: هم ليسوا أهل المسجد الحرام، وإنما أهله النبي ﷺ وأصحابه، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ الآية [البقرة: ٢١٧].

وقال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه في تفسير هذه الآية: حدثنا سليمان بن أحمد ـ هو الطبراني ـ حدثنا جعفر بن إلياس بن صدقة المصري، حدثنا نُعَيْم بن حماد، حدثنا نوح بن أبي مريم، عن يحيى بن

سعيد الأنصاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ من آلك؟ قال: «**كل تقي**»، وتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وكما قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فأولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى، هم الذين وحَّدوا الله واستقاموا على دينه، هم أولياء الله من الرجال والنساء، من الجن والإنس، أولياء الله من استقام على دينه، وأدى حقه، وابتعد عن معصيته، هم أولياء الله، ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، يعني: ما أولياؤه إلا المتقون، وهم أهل الإيمان والتوحيد والاستقامة على الحق.

● **س: أحسن الله إليك! يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، يدل على أن الاستغفار، الكفار يقبل منهم؟**

○ **الجواب**: يعني الذي معه التوبة، الاستغفار معه التوبة من الكفر والضلال، يعني استغفار بدون توبة ما ينفع، لا بد من الاستغفار معه التوبة، فإذا تابوا من شركهم وكفرهم تاب الله عليهم، وصرف عنهم العذاب.

● **س: يعني أحسن الله إليك! يكون صرف العذاب بسبب أهل الإيمان فيهم؟**

○ **الجواب**: الذين في مكة رفع الله عنهم العذاب؛ لئلا يصيبهم العذاب وهم مؤمنون موحدون، دفع الله عنهم العذاب حتى يتميزوا، ثم لما تميزوا وظهروا لبدر، ظهر الكفار لبدر أصابهم الله في بدر، وقد تعم العقوبة، قد تظهر المنكرات وتعم العقوبات، كما قال جل وعلا في الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، فإذا ظهرت المنكرات وانتشرت تعم العقوبات، ثم يبعثون على نياتهم،

وهكذا في الحديث الصحيح: «**إن قومًا يغزون الكعبة، فيخسف بهم، بأولهم وآخرهم**»، فقالت عائشة: يا رسول الله! كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟ قال: «**يخسف بهم جميعًا، ثم يبعثون على نياتهم**»، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

● **س: أحسن الله إليكم! أقول: بعض من الناس إذا أعجبهم الشيء صفقوا بأيديهم لإعجابهم به، هل يقال: هذا ممنوع أو محرم أو مكروه أحسن الله إليكم؟!**

○ **الجواب**: ظاهر السنة أنه ممنوع؛ لأنه تشبُّه بأعداء الله، السنة عندما يرى الإنسان ما يحب أو ما يستنكر يقول: الله أكبر الله أكبر سبحان الله! كان النبي ﷺ إذا أعجبه شيء أو رأى شيء يعجبه كبَّر الله وسبَّح الله، وهكذا إذا رأى ما ينكر كبره وسبحه، ولما قالوا له: (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال: الله أكبر إنها السَّنن). قالوا: (نستشفع بك على الله وبالله عليك، قال: سبحان الله سبحان الله! شأن الله أعظم من ذلك)، ولما قال للصحابة: «**إني لأرجو أنتم أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**» كبَّرنا، قال: كبَّرنا، ولما قال: «**إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟**» قالوا: كبَّرنا، ولما قال: «**إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**»، كبرنا.

● **س: أحسن الله إليكم! التمارين الصباحية في المدارس يكون من ضمن الحركات يرفعون أيديهم فيصفقون صفقة واحدة كل طلاب المدرسة؟**

○ **الجواب**: هذا غلط، يجب التنبيه عليه، الذي يهتم به وزير المعارف ينبهم على هذا، يجب.

مداخلة: عفا الله عنك!... أن هذا التصفيق يزيد حماس هؤلاء الطلاب، ماذا... عفا الله عنك؟

الشيخ: يسبِّحون الله ويكبرونه، التصفيق للنساء، والتكبير للرجال.

• **س: أحسن الله إليكم! تصفيق النساء لملاعبة الأطفال؟**

○ **الجواب**: الشيء اليسير بين المرأة وطفلها سهل، هذا خفيف أمره بسيط.

• **س: المعلمة إذا طلبت من البنات التصفيق من باب التشجيع؟**

○ **الجواب**: الذي يظهر لا، إلا للتنبيه، إذا صفقت للتنبيه على شيء، أحد يضرب الباب، أو الطالبات فعلن شيء يحتاج تنبيه، من باب التنبيه.

• **س: حكم التصفيق الجماعي في المدارس ونحوها؟**

○ **الجواب**: ما يصلح، الجماعي ما يصلح.

• **س: أحسن الله إليك! أتى قرة في فعل ابن عمر رضي الله عنه أنه كان يصفر ويصفق؟**

○ **الجواب**: إن صح يبين لهم صفة فعلهم، يبين للحاضرين صفة فعل الكفار.

• **س: عفا الله عنك! تفريق بعض العلماء بين التصفيق على سبيل التعبد والتصفيق على...، إن كان على سبيل التعبد فهو محرم، وإن كان على سبيل العادة أنه مكروه فقط أحسن الله إليك؟!**

○ **الجواب**: الذي يظهر عدم التفصيل، التصفيق سواء كان تعبُّد أو عادات ما يصلح، ليس من عمل المسلمين، عمل المسلمين عند التعجب أو عند الإنكار التكبير، والنساء عند الحاجة التصفيق؛ لأن أصواتهن قد تفتن بعض الناس؛ ولهذا قال ﷺ لما حصل السهو في الصلاة: «**يسبح الرجال ويصفق النساء**»، «**التسبيح للرجال والتصفيق للنساء**»، وفي رواية: في الصلاة.

• **س: أحسن الله إليك! قول مجاهد قال: عذاب أهل الإقرار بالسيف أهل الإقرار من هم المراد منهم؟**

○ **الجواب**: هم الذين أقروا بالكفر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو بكر الشافعي، حدثنا إسحاق بن الحسن، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه، عن جده قال: جمع رسول الله ﷺ قريشًا فقال: «**هَلْ فِيكُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ؟**» قالوا: فِينَا ابْنُ أُخْتِنَا وفِيْنا حَلِيفُنَا، وَفِينَا مَوْلَانَا. فقال: «**حَلِيفُنَا مِنَّا، وَابْنَ أختِنَا مِنَّا، ومَوْلَانَا مِنَّا، إنَّ أَوْلِيائي مِنْكُمُ المُتَّقُونَ**»(١).

ثم قال: هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه.

وقال عُرْوَة، والسُّدِّي، ومحمد بن إسحاق في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ﴾ قال: هم محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. وقال مجاهد: هم المجاهدون، من كانوا، وحيث كانوا.

ثم ذكر تعالى ما كانوا يعتمدونه عند المسجد الحرام، وما كانوا يعاملونه به، فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾ قال عبد الله بن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جُبَيْر، وأبو رجاء العطاردي، ومحمد بن كعب القرظي، وحُجْر بن عَنْبَس، ونُبَيْط بن شُرَيْط، وقتادة، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: هو الصفير ـ وزاد مجاهد: وكانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم.

وقال السدي: المُكَاء: الصفير على نحو طير أبيض يقال له: «المُكَاء»، ويكون بأرض الحجاز. والتصدية: التصفيق.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو خَلاد سليمان بن خلاد، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا يعقوب ـ يعني ابن عبد الله الأشعري ـ حدثنا جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾ قال: كانت

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٤٠) قال الحافظ: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه المستدرك برقم (٣٣٠٥) ط. دار اليمان.

قريش تطوف بالكعبة عراة تصفر وتصفق. والمكاء: الصفير، وإنما شبهوا بصفير الطير وتصدية التصفيق.

وهكذا روى علي بن أبي طلحة والعَوْفي، عن ابن عباس. وكذا روى عن ابن عمر، ومجاهد، ومحمد بن كعب، وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن، والضحاك، وقتادة، وعطية العوفي، وحُجْر بن عَنْبَس، وابن أبزَى نحو هذا.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا أبو عمر، حدثنا قُرَّة، عن عطية، عن ابن عمر في قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: المكاء: الصفير. والتصدية: التصفيق. قال قرة: وحَكَى لنا عطية فعل ابن عمر، فصفر ابن عمر، وأمال خده، وصفق بيديه.

وعن ابن عمر أيضًا أنه قال: كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويُصَفِّقُون ويُصَفِّرُون. رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عنه.

وقال عكرمة: كانوا يطوفون بالبيت على الشمال.

قال مجاهد: وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي ﷺ صلاته.

وقال الزهري: يستهزئون بالمؤمنين.

وعن سعيد بن جُبَيْر وعبد الرحمٰن بن زيد: ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ قال: صدُّهم الناس عن سبيل الله ﷻ.

قوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ قال الضحاك، وابن جُرَيْج، ومحمد بن إسحاق: هو ما أصابهم يوم بَدْر من القتل والسَّبْي. واختاره ابن جرير، ولم يحك غيره.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد قال: عذاب أهل الإقرار بالسيف، وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٥﴾ [الأنفال: ٣٥][1].

هذه صلاة أهل الجاهلية، وهم كفار قريش، ومن كان معهم عند البيت بالمكاء والتصدية، المكاء الصفير، والتصدية التصفيق، وكان من عادتهم التصفيق بالأيدي والصفير فنهي المسلمون عن مثل عملهم، فلا يجوز لمسلم أن يتعاطى الصفير والتصفيق في عباداته، ولا عند المسجد الحرام، ولا في أعماله الأخرى، بل التصفيق للنساء والرجل يتكلم وإذا نابه شيء يسبح في الصلاة، يقول سبحان الله، سبحان الله، ولا يجوز له أن يستعمل الصفير، بل يستعمل الكلام الذي يحتاج إليه بدون الصفير.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٣٧﴾ [الأنفال: ٣٦، ٣٧][2].

قال محمد بن إسحاق: حدثني الزهري، ومحمد بن يحيى بن حِبَّان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحُصَيْن بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعيد بن معاذ، قالوا: لما أصيبت قريش يوم بدر، ورجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بِعِيرِه، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٨١).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في مغرب الأحد ١٣ - ٧ - ١٤١٧هـ.

جهل وصفوان بن أمية، في رجال من قريش أصيب آباؤهم، وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وَتَرَكم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا! ففعلوا. قال: ففيهم ـ كما ذكر عن ابن عباس ـ أنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

وهكذا روي عن مجاهد، وسعيد بن جُبَيْر، والحَكَم بن عتيبة، وقتادة، والسُّدِّي، وابن أبزَى: أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أُحُد لقتال رسول الله ﷺ.

وقال الضحاك: نزلت في أهل بدر.

وعلى كل تقدير، فهي عامة. وإن كان سبب نزولها خاصًّا، فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم، ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: ندامة؛ حيث لم تُجْدِ شيئًا؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومُعْلِن كلمته، ومظهر دينه على كل دين. فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم، رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قُتِل منهم أو مات، فإلى الخِزْي الأبدي والعذاب السَّرْمَدِيّ؛ ولهذا قال: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من بشارته للمؤمنين وتطييبه لقلوبهم، وأن الكفار مهما تساعدوا وتعاونوا على الإثم والعدوان فإن مصيرهم إلى أن يغلبوا وإلى أن يهزموا وإلى أن ينصر الله دينه، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ

١٧٣]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]. هو سبحانه يملي ولا يأخذ؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ كما جرى في يوم بدر وكما جرى في الأحزاب وكما جرى في غير ذلك، وما أصاب الناس يوم أحد فلحكمة بالغة ليعلموا أن النصر بيد الله، وأنهم متى فعلوا أشياء مما يوجب الهزيمة حصلت الهزيمة. فالواجب على أهل الإيمان: الثقة بالله، والاعتماد عليه مع الأخذ بالأسباب، والحذر من أسباب الهزيمة وأسباب غضب الله حتى يتم لهم النصر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء وقال السُّدِّي: يميز المؤمن من الكافر. وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤]،وقال في الآية الأخرى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا، بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين، وتكون «اللام» معللة لما جعل الله للكفار من مال ينفقون في الصد عن سبيل الله؛ أي: إنما أقدرناهم على ذلك؛ ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي: من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين، أو يعصيه بالنكول عن ذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٦، ١٦٧]، وقال تعالى:

﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] ونظيرتها في براءة أيضًا.

فمعنى الآية على هذا: إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم، وأقدرناهم على إنفاق الأموال وبذلها في ذلك؛ ليتميز الخبيث من الطيب، فيجعل الخبيث بعضه على بعض، ﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾؛ أي: يجمعه كله، وهو جمع الشيء بعضه على بعض، كما قال تعالى في السحاب: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ [النور: ٤٣]؛ أي: متراكمًا متراكبًا، ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا عام في الدنيا والآخرة، ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ في الدنيا والآخرة، الخبيث بالأعمال الرديئة كالشرك بالله وسوء الأعمال، والمؤمن بالأعمال الطيبة والإخلاص لله وطاعته، والكفار بهزائمهم المتوالية، والمسلمين بنصرهم وتأييدهم، فهو يميز الخبيث من الطيب في الدنيا والآخرة. فالواجب على أهل الإيمان الصبر على ما قد يصيبهم، فإن العاقبة لهم كما وعدهم الله، ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، فإذا أصاب المسلمين شيء من النكبات؛ لأسباب ذنوبهم فليعلموا أن العاقبة لهم إذا رجعوا إلى الله واستقاموا، فالعاقبة لهم في الدنيا والآخرة. الله المستعان.

مداخلة: الحسرة والغلبة في الدنيا والآخرة كذلك؟

الشيخ: في الدنيا معروفة، وفي الآخرة معروفة، هؤلاء الجنة وهؤلاء النار ما يختلف، لكن كان في الدنيا تصيبهم الحسرة والندامة، وفي الآخرة أكبر وأعظم. نسأل الله العافية.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ **[الأنفال: ٣٨ ـ ٤٠]**[١].

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟﴾؛ أي: عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة، يغفر لهم ما قد سَلَف؛ أي: من كفرهم، وذنوبهم وخطاياهم، كما جاء في الصحيح، من حديث أبي وائل عن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحْسَن في الإسلام، لم يُؤاخَذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام، أخذ بالأول والآخر**». وفي الصحيح أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «**الإسلام يَجُبُّ ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الإسلام يجبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما كان قبلها».

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ١٣ ـ ٧ ـ ١٤١٧هـ. ومغرب الأربعاء ١٦ ـ ٧ ـ ١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمرو بن العاص مرفوعًا بلفظ: «**إِنَّ الإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا**» (٤/ ٢٠٤ و٢٠٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**»، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما كان قبله برقم (١٢١).

مداخلة: المذكور هو الحج والهجرة هنا.

الشيخ: والحج والهجرة كلها.

مداخلة: إي ما ذكرت عفا الله عنك!

الشيخ: معروفة في الصحيح، لكن لعلها في مكان آخر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾؛ أي: يستمروا على ما هم فيه، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾؛ أي: فقد مضت سُنَّتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم، أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة.

وقوله: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾؛ أي: في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم. وقال السدي ومحمد بن إسحاق: أي: يوم بدر.

وقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ قال البخاري: حدثنا الحسن بن عبد العزيز، حدثنا عبد الله بن يحيى، حدثنا حَيْوَة بن شُرَيْح، عن بكر بن عمرو، عن بُكَيْر، عن نافع، عن ابن عمر؛ أن رجلًا جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمٰن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ الآية [الحجرات: ٩]، فما يمنعك ألا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي، أُعَيَّر بهذه الآية ولا أقاتل، أحب إلي من أن أُعَيَّر بالآية التي يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ إلى آخر الآية [النساء: ٩٣]، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟ قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد النبي ﷺ إذ كان الإسلام قليلًا وكان الرجل يُفتن في دينه: إما أن يقتلوه، وإما أن يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد، قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، وكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وخَتَنُه ـ وأشار بيده ـ وهذه ابنته أو: بنته ـ حيث ترون.

وحدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زُهَيْر، حدثنا بَيَان أن وَبَرة حدثه قال: حدثني سعيد بن جُبَيْر قال: خرج علينا ـ أو: إلينا ـ ابن عمر ﵄، فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول عليهم فتنة، وليس بقتالكم على المُلك. هذا كله سياق البخاري ﵀.

وقال عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر؛ أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس قد صنعوا ما ترى، وأنت ابن عمر بن الخطاب، وأنت صاحب رسول الله ﷺ، فما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله حرَّم عليَّ دم أخي المسلم. قالوا: أو لم يقل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾؟

قال: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله.

وكذا رواه حمَّاد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أيوب بن عبد الله اللخمي قال: كنت عند عبد الله بن عمر ﵄، فأتاه رجل فقال: إن الله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، فقال ابن عمر: قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله، وذهب الشرك ولم تكن فتنة، ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله. رواهما ابن مَرْدُوَيه.

وقال أبو عَوَانة، عن الأعمش، عن إبراهيم التَّيْمِي، عن أبيه قال: قال ذو البطين ـ يعني أسامة بن زيد ـ لا أقاتل رجلًا يقول: لا إلٰه إلا الله أبدًا. قال: فقال سعد بن مالك: وأنا والله لا أقاتل رجلًا يقول: لا إلٰه إلا الله أبدًا. فقال رجل: ألم يقل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾؟ فقالا: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين كله لله. رواه ابن مردويه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الذي سألوا اشتبه عليهم الأمر، اختلاف عثمان وعلي ومعاوية؛ فلهذا توقف بعض الصحابة، ولم يدخلوا في هذا الأمر لاشتباه الأمر عليهم، وخوفهم من الوقوع فيما حرم الله، أما من عرف الحق وعرف الطريق فقد دخل؛ لأنهم عرفوا أن عليًّا أولى، وأن الواجب القتال معه فقاتلوا. وقوم رأوا باجتهادهم أن يقاتلوا مع معاوية لتسليمه قتلة عثمان؛ لأنهم ظالمون مجرمون، فكل منهم له اجتهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فالمصيب له أجران، والمخطئ له أجر واحد، فهم تقاتلوا عن جهاد وعن رغبة في الحق، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر في مسألة عثمان وعلي ومعاوية. السؤال: لكن تخصيص ابن عمر قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

بأن الفتنه هو القتال في عهد النبي ﷺ؟

○ **الجواب**: لا، وبعده إذا... مثل ما ذكر في قصة ابن الزبير. المقصود قتال المشركين.

مداخلة: قصة التحكيم ثبت أن لها سند صحيح؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: أقول: قصة التحكيم بين معاوية وعلي؟

الشيخ: ماذا فيه؟

مداخلة: هل ثبت فيها سند صحيح؟

الشيخ: لا، ثابتة التحكيم معروف.

● **س: لكن أحسن الله إليك! توقف ابن عمر عن القتال مع ابن الزبير؟**

الشيخ: اشتبه عليه الأمر مثلما توقف جماعة سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة وجماعة توقفوا في مسألة

عثمان وعلي، وهي أظهر وأبين. نعم. كلٌّ له اجتهاده رضي الله عنهم، كل له اجتهاده.

مداخلة: في قصة التحكيم هل صحيح أن عمرو بن العاص خدع أبو موسى الأشعري؟

الشيخ: المعروف أن أبا موسى ترك، وعمرو ثبت، وكل له اجتهاده رضي الله عنهم وأرضاهم ورحمهم.

● **س: هل يقال معاوية أخطأ؟**

○ **الجواب**: كلهم له اجتهاده، معاوية رضي الله عنه، وعمرو رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه، كلهم مجتهدون، لكن معاوية أخطأ صار مجتهدًا مخطئًا ومن معه، وعلي مجتهدًا مصيبًا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعني: حتى لا يكون شرك، وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع عن أنس، والسدي، ومُقاتِل بن حَيَّان، وزيد بن أسلم.

وقال محمد بن إسحاق: بلغني عن الزهري، عن عُرْوَة بن الزبير وغيره من علمائنا: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حتى لا يفتن مسلم عن دينه.

وقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس في هذه الآية، قال: يخلص التوحيد لله.

وقال الحسن وقتادة، وابن جُرَيْج: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ أن يقال: لا إلٰه إلا الله.

وقال محمد بن إسحاق: ويكون التوحيد خالصًا لله، ليس فيه شرك، ويخلع ما دونه من الأنداد. وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ لا يكون مع دينكم كفر.

ويشهد له ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ. فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»(١). وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حَمِيَّة، ويقاتل رِيَاءً، أيُّ ذلك في سبيل الله ﷻ؟ فقال: **«مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ»**(٢)، فهو في سبيل الله ﷻ وقوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ أي: بقتالكم عما هم فيه من الكفر، فكفوا عنه وإن لم تعلموا بواطنهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١].

وقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأسامة ـ لما علا ذلك الرجل بالسيف، فقال: «لا إلٰه إلا الله»، فضربه فقتله، فذكر ذلك لرسول الله ـ فقال لأسامة: **«أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟»** قال: يا رسول الله، إنما قالها تعوذا. قال: **«هلا شَقَقْتَ عن قلبه؟»**، وجعل يقول ويكرر عليه: **«من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟»** قال أسامة: حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا ذلك اليوم.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب استقبال القبلة برقم (٣٩٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة برقم (٢٠).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا برقم (١٢٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله برقم (١٩٠٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى أن من أظهر الإسلام يكف عنه، أما من كان يقولها وهو مشرك فلا يكف عنه حتى يتوب حتى يعلن توبته من شركه وكفره كالكفار اليوم والمنافقين ونحوهم، لا بد من توبة ظاهرة صادقة، أما من كان لا يقولها مثل كفار قريش وأشباههم فإذا قالها يكف عنه، فإن استقام فهو مسلم حقًّا، وإن رجع إلى كفره صار مرتدًا، أما من كان يقولها في كفره ولكن يعبد الأوثان والأصنام ويسب الدين، فهذا ما ينفعه قول: لا إلٰه إلا الله وهو ينقضها بأعماله وأقواله، نسأل الله.

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ! القتال بين الأمراء المسلمين إذا كانا الجيشين..؟**

○ **الجواب**: مثل ما تقدم من خرج على ولي الأمر يقاتل، الذي خرج على علي مثل معاوية يقاتل هذا هو الصواب، من خرج على ولي الأمر الدولة القائمة يقاتل مع الدولة القائمة إلا إذا كانت الدولة القائمة قد فعلت كفرًا بواحًا، والقائم عليها في قدرته أن يقضي عليها، وأن يولي الرجل الصالح.

• **س: أحسن الله إليك! إطلاق لفظ الشهيد على من لم يشهد له الله ولا رسوله؟**

الشيخ: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، وأمره إلى الله.

مداخلة: إطلاقه عليه بعينه أحسن الله إليك؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: تعيين الأشخاص بأعيانهم؟

○ **الجواب**: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن قتل مظلوم فهو شهيد، يسمى شهيد.

• **س: عفا الله عنك! يطلق على خروج ابن الزبير فتنة عفا الله عنك!**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أحسن الله عملك!

○ **الجواب**: رأوا الخروج عليه هو الفتنة، خروجهم على ابن الزبير هو أحق منهم؛ لأنه خرج عند وجود فترة، وعدم وجود دولة قائمة، خرج وبايعه الناس رضي الله عنه ورحمه.

مداخلة: ويقال عنه فتنة عفا الله عنك!

الشيخ: ما وقع من الفتنة بينه وبينه هذه فتنة، ما وقع بينه وبين مروان وعبد الملك بن مروان فتنة، لكن الصواب مناصرة ابن الزبير لأنه أحق، مثلما أن الصواب مناصرة علي لأنه أحق، ولكن بعض الناس تشتبه عليهم الأمور، فمن اشتبهت عليه الأمور وهو مجتهد فله أجر الاجتهاد، ومن أصاب فله أجران.

● **س: متى يكون الخروج بالكفر البواح؟ ما هو الكفر البواح الذي، تطبيق حدود الله ﷻ فقط أم أي شيء؟**

○ **الجواب**: الكفر البواح هو الذي قد وضحه الله في كتابه، إذا كانت الدولة تعبد غير الله، تنصب الشرك، لا تحكم بشريعة الله، يخرج عليها حتى تحكم شريعة الله، أو حتى تدع عبادة الأوثان أو حتى تحرِّم ما حرَّمه الله، لا بد من أن تستقيم الدولة على شريعة الله، فإذا أقرت الكفر البواح عبادة غير الله، أو أجازت الحكم بغير ما أنزل الله، هذا الكفر البواح، أو أقرت رأت إباحة ما حرم الله من الخمور والزنا، قالت: إنه لا بأس به فهذا كفر بواح.

● **س: وإذا أقرت الطواف على القبور والتوسل بها؟**

○ **الجواب**: هذا من الشرك البواح.

مداخلة: ما يحمل عفا الله عنك! عن الحديث الآخر: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة**».

الشيخ: أقاموا الصلاة مع عدم الكفر البواح، ترك الصلاة كفر بواح. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾؛ أي: وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ سيدكم وناصركم على أعدائكم، فنعم المولى ونعم النصير.

وقال محمد بن جرير: حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا أبان العطار، حدثنا هشام بن عروة، عن عُرْوَة: أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء، فكتب إليه عروة: «سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلـٰه إلا هو. أما بعد، فإنك كتبت إلي تسألني عن مخرج رسول الله ﷺ من مكة، وسأخبرك به، ولا حول ولا قوة إلا بالله. كان من شأن مخرج رسول الله ﷺ من مكة، أن الله أعطاه النبوة، فَنِعْم النَّبِيُّ، ونعم السيد، ونعم العشيرة، فجزاه الله خيرًا، وعرّفنا وجهه في الجنة، وأحيانا على ملته، وأماتنا عليها، وبعثنا عليه. وإنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذي أنزل عليه، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم إليه، وكادوا يسمعون منه، حتى ذكر طواغيتهم، وقدم ناس من الطائف من قريش، لهم أموال، أنكر ذلك عليه الناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال، وأغروا به من أطاعهم، فانصفق عنه عامة الناس، فتركوه إلا من حفظه الله منهم، وهم قليل. فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث، ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم، وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال، فافتُتِن من افتتن، وعصم الله من شاء منهم، فلما فُعِل ذلك بالمسلمين، أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى أرض الحبشة. وكان ـ بالحبشة ملك صالح يقال له: «النجاشي»، لا يظلم أحد بأرضه، وكان

يُثْنَى عليه مع ذلك، وكانت أرض الحبشة متجرًا لقريش، يتجرون فيها، وكانت مَسْكَنًا لتجارهم، يجدون فيها رفاغًا من الرزق وأمنًا ومتجرًا حسنًا، فأمرهم بها النبي ﷺ، فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة، وخاف عليهم الفتن. ومكث هو فلم يبرح. فمكث بذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم. ثم إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم. فلما رأوا ذلك. استرخوا استرخاءة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، وكانت الفتنة الأولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ قِبل أرض الحبشة مخافتها، وفرارًا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال، فلما استرخى عنهم ودخل في الإسلام من دخل منهم، تحدث باسترخائهم عنهم، فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ: أنه: قد استرخي عمن كان منهم بمكة، وأنهم لا يفتنون، فرجعوا إلى مكة، وكادوا يأمنون بها، وجعلوا يزدادون ويكثرون. وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير، وفشا بالمدينة الإسلام، وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله ﷺ بمكة، فلما رأت قريش ذلك، تآمرت على أن يفتنوهم ويشتدوا، فأخذوهم، فحرصوا على أن يفتنوهم، فأصابهم جهد شديد، فكانت الفتنة الأخيرة، فكانت فتنتان: فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة، حين أمرهم النبي ﷺ بها، وأذن لهم في الخروج إليها - وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة. ثم إنه جاء رسول الله ﷺ من المدينة سبعون نقيبًا، رؤوس الذين أسلموا، فوافوه بالحج، فبايعوه بالعقبة، وأعطوه عهودهم على أنا منك وأنت منا، وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا، فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا، فاشتدت عليهم قريش عند ذلك، فأمر ﷺ أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله ﷺ أصحابه، وخرج هو، وهي التي أنزل الله، ﷻ، فيها: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾: ثم رواه عن يونس بن

عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عبد الرحمٰن بن أبي الزِّنَاد، عن أبيه، عن عروة بن الزبير: أنه كتب إلى الوليد ـ يعني ابن عبد الملك بن مروان ـ بهذا، فذكر مثله وهذا صحيح إلى عروة رَحِمَهُ اللَّهُ.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩][1].

حدّثنا الحسن بن عبد العزيز، حدّثنا عبد الله بن يحيى، حدّثنا حيوة عن بكر بن عمرٍو عن بكيرٍ عن نافعٍ، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ رجلًا جاءه فقال: يا أبا عبد الرّحمن، ألا تسمعُ ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩] إلى آخر الآية، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: «يا ابن أخي، أعيّر بهذه الآية، ولا أقاتل أحبّ إليّ من أن أعيّر بهذه الآية الّتي يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] إلى آخرها»، قال: فإنّ الله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قال ابن عمر: «قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ؛ إذ كان الإسلام قليلًا، فكان الرّجل يفتن في دينه: إمّا يقتلوه، وإمّا يوثقوه، حتّى كثر الإسلام فلم تكن فتنةٌ»، فلمّا رأى أنّه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في عليٍّ وعثمان؟ قال ابن عمر: «ما قولي في عليٍّ وعثمان؟ أمّا عثمان فكان الله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه، وأمّا عليٌّ فابن عمّ رسول الله ﷺ وختنه، وأشار بيده، وهذه ابنته، أو بنته حيث ترون»[2].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ برقم (٤٦٥٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود: أنّ هذه الفتنة الّتي جرت بين عليٍّ ومعاوية بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجماعةٌ اعتزلوا الفتنة، ولم تنشرح صدورهم للدخول فيها، وأمّا عامّة الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم؛ فإنّهم عرفوا أن الواجب نصر الحقّ؛ لأنّ الله يقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾.

ولهذا قاتلوا الفئة الباغية، الّذين تعدّوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقاتلوا مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنّ البيعة قد تمت لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قاتلوا معه ضدّ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عملًا بالآية: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فإن بغت إحدى الطائفتين وجب القتال مع الطائفة المحقّة؛ حتّى تخضع الطّائفة الفاتنة المفتونة وتدع الباطل؛ لأنّه إذا ترك هذا مرج أمر النّاس.

فالّذين توقّفوا صار لهم شبهةٌ كابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وجماعة، ولكن الّذين دخلوا في الأمر وقاتلوا مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأزالوا الفتنة أولى وأصوب.

- **س: عندنا في نسخة (يا بن أخي أغترّ بهذه الآية)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ﴾.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدّثنا أحمد بن يونس، حدّثنا زهيرٌ، حدّثنا بيانٌ أنّ وبرة حدّثه، قال: حدّثني سعيد بن جبيرٍ قال: خرج علينا، أو إلينا، ابن عمر فقال رجلٌ: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: «وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمّدٌ ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدّخول عليهم فتنةً، وليس كقتالكم على المُلك»[١].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ﴾ برقم (٤٦٥١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله المستعان، الله المستعان، خفي عليه، التبس عليه الأمر، وفقهاء الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عرفوا الحقّ وقاتلوا مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضد من خالف الحقّ؛ كما قال النّبيّ ﷺ: «**تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**»(١).

فالواجب القتال مع المحقّين؛ حتّى تخمد الفتنة، وحتّى يقضى على الباطل.

والمعنى في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾؛ يعني: حتّى لا يكون شركٌ، وحتّى لا تكون فتنةٌ للمؤمن، يفتن على دينه، فإما أن يقتل وإمّا أن يوثق ويمنع من أدائه حق الله عليه، وقاتل المسلمون، هكذا قاتل المسلمون أعداء الله حتّى ظهر دين الله، وحتّى لا تكون فتنةٌ، ثمّ جرى ما جرى بعد ذلك بين المسلمين بأسبابٍ معلومةٍ.

فالقتال الّذي شرعه الله للمؤمنين وأمرهم بالجهاد لأجله هو القتال لإظهار دين الله، وإعلاء كلمة الله، وحتّى لا تكون فتنة ـ الفتنة الشّرك وهو القتل ـ كلاهما يقال له: فتنةٌ؛ حتّى يظهر دين الله، ويظهر التّوحيد، يزول الشّرك من البلاد، وحتّى لا يفتن الرجل عن دينه بقتلٍ أو إيثاقٍ أو غير هذا مما يؤذى به المؤمنون.

وأما القتال الّذي وقع بعد ذلك بين أهل الشّام وبين أهل العراق، فهذا دخل في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

فهذه الفتنة وقف فيها بعض الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يدخل فيها وخاف من قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا

(١) أخرجه مسلم من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء برقم (٢٩١٦).

فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النِّساء: ٩٣].

ودخل فيها الأكثرون، في قوله ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩]، فدخلوا للإصلاح وإزالة الشّرّ، وإيصال الحقّ إلى مستحقّه، وعملوا بقوله ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩].

فإذا حصل بين المسلمين فتنةٌ ونزاعٌ واشتبك أمر النّاس وجب على أهل الحلّ والعقد أن ينظروا في الأمر، وأن يدخلوا لمنع الباغي وإقامة الحقّ مع صاحب الحقّ حسب الطّاقة والإمكان بالكلام، وبالنّصائح، ثمّ بالقتال عند الحاجة إليه؛ لقوله: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، وهذه من المحن والبلاوي الّتي وقعت في المسلمين من العهد الأول، ولم تزل تقع بين وقتٍ وآخر.

فالواجب على أهل الإسلام عند هذه الفتنة الّتي تقع بين المسلمين أن يكونوا في صفّ صاحب الحقّ، صاحب البيعة، صاحب الحقّ الّذي يجب أن يكون هو الإمام، وأن يقاتلوا من بغى عليه؛ حتّى ترجع الأمور إلى نصابها، وحتّى يستقيم الأمر لأهل الأمر، وحتّى تمات الفتنة الّتي أقامها من أقامها.

ولكن هذا المقام يقع فيه الجهل الكثير، ويقع فيه الأخطاء، وتلتبس فيه الأمور ـ ولا حول ولا قوّة إلّا بالله ـ إلّا على أهل البصائر. والله المستعان.

• **س: بارك الله فيك: بعض المفسرين يقول: إذا أطلقت الفتنة في القرآن فإنّه يقصد بها الشّرك والكفر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقصد بها الكفر، الفتنة، ويقصد بها الفتنة الّتي يقوم بها أهل الباطل، وأطلقها الله على الأموال والأولاد: ﴿أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [الأنفال: ٢٨]، وعلى النّساء في الحديث الصّحيح: «**مَا تَرَكْتُ**

بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَال مِنَ النِّسَاء»[١]،فتنة النّساء، الفتنة كلمةٌ مشتركةٌ تطلق على الشّرك، وعلى الأموال والأولاد، وعلى النّساء، وعلى كلّ شيءٍ يفتن الإنسان من الذّنوب والمعاصي.

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ: هذا الأمر يخص وليّ الأمر، أم إذا كان هناك جماعات متفرقة يتخذون هذه الآية فيتناحرون فيما بينهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يجوز الدّخول في من أمره شكك أو ريبة[٢] يجب أن يكون مع وليّ الأمر، لا يدخل مع المتناحرين فيما بينهم، لا يزيد الفتنة فتنةً.

• **س: يعني: هل القتال مع الطائفة يكون خاصًّا بولي الأمر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وليّ الأمر المحقّ.

• **س: ما ينطبق حديث رسول الله ﷺ: «إِذَا التقى المسلمانِ بسيفيهما...»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المتقاتلون بغير حقٍّ ما هم تحت وليّ الأمر، زيدٌ وعمرو يتقاتلان، قبيلةٌ وقبيلةٌ يتقاتلان، نسأل الله العافية، أمّا إذا كان مع وليّ الأمر ضدّ الباطل وضدّ الفتنة لجمع الكلمة هذا واجبٌ.

• **س: ما دور المسلم إن كان هناك جماعتان يتقاتلان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

دور المسلم النصيحة والتوجيه.

• **س: هل له قتال مع الفئة...**[٣]**؟**

---

(١) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد برقم (٥٠٩٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء برقم (٢٧٤٠).

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ :

لا ، إذا كان فيه خروجٌ على وليّ الأمر فهذا زيادةٌ للفتنة؛ لا بدّ أن يتقيد بوليّ الأمر.

● **س: ما فيه ـ سلّمك الله ـ خروجٌ على وليّ الأمر لكن بينهم يا شيخ من أجل أرضٍ أو من أجل أي شيءٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ :

يصلح بينهم، من باب الصّلح.

● **س: هذه النصيحة هل ينضمّ إلى إحداهما أم يكون وحده؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ :

لا ، يكون مستقلًّا مع إخوانه الآخرين للصلح، يتساعد مع إخوانه الآخرين في فئة ثالثةٍ للصّلح.

● **س: يكون مستقلًّا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ :

نعم، للصلح.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ **[الأنفال: ٤١]**(١).

يبين تعالى تفصيل ما شرعه مخصصًا لهذه الأمة الشريفة، من بين سائر الأمم المتقدمة، من إحلال المغانم. و«الغنيمة»: هي المال

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الاربعاء ١٦ ـ ٧ ـ ١٤١٧هـ.

المأخوذ من الكفار بإيجاف الخيل والركاب. و«الفيء»: ما أخذ منهم بغير ذلك، كالأموال التي يصالحون عليها، أو يتوفون عنها ولا وارث لهم، والجزية والخراج ونحو ذلك. هذا مذهب الإمام الشافعي في طائفة من علماء السلف والخلف.

ومن العلماء من يطلق الفيء على ما تطلق عليه الغنيمة، والغنيمة على الفيء أيضًا؛ ولهذا ذهب قتادة إلى أن هذه الآية ناسخة لآية «الحشر»: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية [الحشر: ٧]، قال: فنسخت آية «الأنفال» تلك، وجعلت الغنائم: أربعة أخماسها للمجاهدين، وخمسًا منها لهؤلاء المذكورين. وهذا الذي قاله بعيد؛ لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بَدْر، وتلك نزلت في بني النَّضِير، ولا خلاف بين علماء السير والمغازي قاطبة أن بني النضير بعد بدر، هذا أمر لا يُشك فيه ولا يُرتاب، فمن يفرق بين معنى الفيء والغنيمة يقول: تلك نزلت في أموال الفيء وهذه في المغانم. ومن يجعل أمر المغانم والفيء راجعًا إلى رأي الإمام يقول: لا منافاة بين آية الحشر وبين التخميس إذا رآه الإمام، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب الأول ما كان من إيجاد الخيل والركاب والقوة، هذه القيمة تخمَّس، وما كان من غير ذلك كالجزية والخراج والأموال التي ليس لها وارث وما أشبه ذلك من الصلح كل هذه أموال فيء لولي الأمر التصرف فيها مصالح المسلمين لا تخمَّس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ توكيد لتخميس كل قليل وكثير حتى الخيط والمخيط، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ اختلف المفسرون هاهنا، فقال بعضهم: لله نصيب من الخُمس يجعل في الكعبة.

قال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية الرِّيَاحي قال: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة، تكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخُمس فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه الذي قبض كفه، فيجعله للكعبة وهو سهم الله. ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم، فيكون سهم للرسول، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل. وقال آخرون: ذكر الله هاهنا استفتاح كلام للتبرك، وسهم لرسوله عليه السلام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود أن ما لله وللرسول ﷺ شيء واحد؛ لأن الرسول ﷺ يبيِّن عن الله ويبلِّغ عن الله، السهم الذي لله وللرسول سهم واحد؛ لأن سهم الله وسهم الرسول ﷺ في مصالح المسلمين وهو سهم واحد.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سَرِيَّة فغنموا، خَمَّس الغنيمة، فضرب ذلك الخمس في خمسة. ثم قرأ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾، قال: وقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ مفتاح كلام، لله ما في السموات وما في الأرض، فجعل سهم الله وسهم الرسول واحدًا.

وهكذا قال إبراهيم النَّخَعي، والحسن بن محمد ابن الحنفية. والحسن البصري، والشعبي، وعَطاء بن أبي رباح، وعبد الله بن بريدة وقتادة، ومغيرة، وغير واحد: أن سهم الله ورسوله واحد.

ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناد صحيح، عن عبد الله بن شقيق، عن رجل من بلقين قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بوادي القُرى، وهو يعرض فرسًا، فقلت: يا رسول الله، ما تقول

في الغنيمة؟ فقال: «**لله خمسها، وأربعة أخماس للجيش**». قلت: فما أحد أولى به من أحد؟ قال: «**لا ولا السهم تستخرجه من جنبك، ليس أنت أحق به من أخيك المسلم**».

وقال ابن جرير: حدثنا عمران بن موسى، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أبان، عن الحسن قال: أوصى أبو بكر بالخُمس من ماله، وقال: ألا أرضى من مالي بما رضي الله لنفسه، ثم اختلف قائلو هذا القول، فروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس، فأربعة منها بين من قاتل عليها، وخُمس واحد يقسم على أربعة فربع لله وللرسول ولذي القربى، يعني: قرابة النبي ﷺ. فما كان لله وللرسول فهو لقرابة رسول الله ﷺ، ولم يأخذ النبي ﷺ من الخُمس شيئًا، والربع الثاني لليتامى، والربع الثالث للمساكين، والربع الرابع لابن السبيل.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو مَعْمَر المِنْقَرِي، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن حسين المعلم، عن عبد الله بن بُرَيْدَة في قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ قال: الذي لله فلنبِّيه، والذي للرسول لأزواجه.

وقال عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح قال: خمس الله والرسول واحد، يحمل منه ويصنع فيه ما شاء ـ يعني: النبي ﷺ.

وسهم لرسوله عليه السلام وهذا أعم وأشمل، وهو أن الرسول ﷺ يتصرف في الخُمس الذي جعله الله له بما شاء، ويرده في أمته كيف شاء ـ ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد حيث قال:

حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، عن أبي سلام الأعرج، عن المقدام بن معد يكرب الكندي: أنه جلس مع عبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، والحارث بن معاوية الكندي رضي الله عنهم، فتذاكروا حديث رسول الله ﷺ، فقال

أبو الدرداء لعبادة: يا عبادة، كلمات رسول الله ﷺ في غزوة كذا وكذا في شأن الأخماس؟ فقال عبادة: إن رسول الله ﷺ صلى بهم في غزوة إلى بعير من المغنم، فلما سلم قام رسول الله ﷺ فتناول وَبَرة بين أنملتيه فقال: «**إن هذه من غنائمكم، وإنه ليس لي فيها إلا نصيبي معكم إلا الخُمس، والخُمس مردود عليكم، فأدوا الخيط والمخيط، وأكبر من ذلك وأصغر، ولا تغلوا، فإن الغلول نار وعار على أصحابه في الدنيا والآخرة، وجاهدوا الناس في الله القريب والبعيد، ولا تبالوا في الله لومة لائم، وأقيموا حدود الله في الحضر والسفر، وجاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم ينجي به الله من الهم والغم**».

هذا حديث حسن عظيم، ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا غريب من المؤلف رحمه الله تعالى، فإن أبا بكر بن عبد الله بن أبي مريم هذا ليس بشيء عند أهل العلم، وفيه السند ضعيف جدًّا، والآية نص في أن الخمس لله وللرسول ولذي القربى واليتامى هذا أمر واضح، والغارمون ليس لهم إلا الأربعة فقط، وهو ﷺ يتصرف في الخمس، وهو الذي كان يعمل به عليه الصلاة والسلام في حياته في الفيء وفي الخمس في مصالح المسلمين. وأما رواية أبي بكر هذي أبو بكر بن أبي مريم لا يحتج بروايته، نعم، رواها عن إسماعيل بن عياش أيضًا.

● **س: أحسن الله إليك! الخُمس الذي لآل البيت يؤدى الآن - أحسن الله إليك - إلى اليوم؟**

○ **الجواب**: داخل في ذي القربى، هم على ذي القربى.

● **س: في عهد الرسول ﷺ الخُمس يعطى لقرابة الرسول ﷺ؟**

○ **الجواب**: نعم، ذوي القربى واليتامى والمساكين، أقارب النبي ﷺ يعطون من بيت المال؛ لأن الله حرَّم عليهم الزكاة.

مداخلة: أبو بكر ليس بشيء في الرواية.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أبو بكر

ليس بشيء في الرواية ابن عبد الله.

الشيخ: ابن أبي مريم نعم هو الضعيف.

● **س: من قال أنهم يأخذون من الزكاة الآن أحسن الله إليك؟!**

○ **الجواب:** لا، هذا قول ضعيف، الأصل، لكن بعض أهل العلم يقول: إذا حُرِموا ولم يُعطوا من بيت المال وهم محاويج يعطون من الزكاة قول ضعيف، يقول ﷺ: «**إنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**» ﷺ.

مداخلة: . . المقدام أو المقداد؟

الشيخ: أيش عندك؟

مداخلة: عندنا المقدام.

الشيخ: أيش عندك؟

مداخلة: المقدام بن معدي كرب.

الشيخ: المقدام بالميم.

مداخلة: إيه.

الشيخ: بالميم نعم هذاك المقداد بن الأسود هو الذي بالدال، نعم.

● **س: أحسن الله إليك! وأهل البيت إذا لم يجدوا شيئًا؟**

○ **الجواب:** قد يقال تحل لهم الزكاة من باب الضرورة، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، إذا لم يتيسر شيء وهم مضطرون، مثلما قال شيخ الإسلام وجماعة: إذا اضطروا لها جازت لهم، ولكن ينبغي لهم التحرز والحذر.

● **س: عمل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالوصية هو الأفضل أحسن الله إليك! تبرع بالخُمس الوصية بالخُمس؟**

○ **الجواب**: نعم، هذا أفضل؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**الثلث والثلث كثير**». قال ابن عباس: (لو أنهم غضوا من الثلث إلى الربع) كونه ينزل عن الثلث إلى الربع والخمس أفضل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولكن روى الإمام أحمد أيضًا، وأبو داود، والنسائي، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ نحوه في قصة الخمس والنهي عن الغلول وعن عمرو بن عَبَسة أن رسول الله ﷺ صلَّى بهم إلى بعير من المغنم، فلما سلَّم أخذ وبرة من ذلك البعير ثم قال: «**ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذه، إلا الخمس، والخمس مردود فيكم**». رواه أبو داود والنسائي.

وقد كان للنبي ﷺ من المغانم شيء يصطفيه لنفسه عبدًا أو أمة أو فرسًا أو سيفًا أو نحو ذلك، كما نص على ذلك محمد بن سيرين وعامر الشعبي، وتبعهما على ذلك أكثر العلماء.

وروى الإمام أحمد، والترمذي ـ وحسنه ـ عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ تنفل سيفه ذا الفَقَار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أُحد[(١)]. وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كانت صفية من الصّفي[(٢)]. رواه أبو داود في سننه وروى أيضًا بإسناده، والنسائي أيضًا عن يزيد بن عبد الله قال: كنا بالمِرْبَد إذ دخل رجل معه قطعة أديم، فقرأناها فإذا فيها: «من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش، إنكم إن شهدتم أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأديتم الخُمس من المغنم، وسهم النبي وسهم الصّفي، أنتم آمنون بأمان الله

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب ما جاء في سهم الصفي برقم (٢٩٩٤).

ورسوله». فقلنا: من كتب لك هذا؟ فقال: رسول الله ﷺ[1].

فهذه أحاديث جيدة تدل على تقرر هذا وثبوته؛ ولهذا جعل ذلك كثيرون من الخصائص له صلوات الله وسلامه عليه.

وقال آخرون: إن الخُمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين، كما يتصرف في مال الفيء.

وقال شيخنا الإمام العلَّامة ابن تيمية، رحمه الله: وهذا قول مالك وأكثر السلف، وهو أصح الأقوال.

فإذا ثبت هذا وعلم، فقد اختلف أيضًا في الذي كان يناله عليه السلام من الخُمس، ماذا يُصنع به من بعده؟ فقال قائلون: يكون لمن يلي الأمر من بعده. روى هذا عن أبي بكر وعلي وقتادة جماعة، وجاء فيه حديث مرفوع.

وقال آخرون: يصرف في مصالح المسلمين.

وقال آخرون: بل هو مردود على بقية الأصناف: ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، اختاره ابن جرير.

وقال آخرون: بل سهم النبي ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان على اليتامى والمساكين وابن السبيل.

قال ابن جرير: وذلك قول جماعة من أهل العراق.

وقيل: إن الخمس جميعه لذوي القربى كما رواه ابن جرير.

حدثنا الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا عبد الغفار، حدثنا المِنْهَال بن عمرو، وسألت عبد الله بن محمد بن علي، وعلي بن الحسين، عن الخمس فقالا: هو لنا. فقلت لعلي: فإن الله يقول: ﴿وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فقالا: يتامانا ومساكيننا.

وقال سفيان الثوري، وأبو نُعَيْم، وأبو أسامة، عن قيس بن مسلم:

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب ما جاء في سهم الصفي برقم (٢٩٩٩).

سألت الحسن بن محمد ابن الحنفية، رحمه الله تعالى، عن قول الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ قال هذا مفتاح كلام، لله الدنيا والآخرة.

ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله ﷺ، فقال قائلون: سهم النبي ﷺ تسليمًا للخليفة من بعده. وقال قائلون: لقرابة النبي ﷺ. وقال قائلون: سهم القرابة لقرابة الخليفة. فاجتمع قولهم على أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعُدة في سبيل الله، فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال الأعمش، عن إبراهيم كان أبو بكر وعمر يجعلان سهم النبي ﷺ في الكراع والسلاح، فقلت لإبراهيم: ما كان علي يقول فيه؟ قال: كان علي أشدهم فيه.

وهذا قول طائفة كثيرة من العلماء، رحمهم الله.

وأما سهم ذوي القربى فإنه يصرف إلى بني هاشم وبني المطلب؛ لأن بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية وفي أول الإسلام ودخلوا معهم في الشعب غضبًا لرسول الله ﷺ وحماية له: مسلمهم طاعة لله ولرسوله، وكافرهم حَمِيَّة للعشيرة وأنفة وطاعة لأبي طالب عم رسول الله. وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل ـ وإن كانوا أبناء عمهم ـ فلم يوافقوهم على ذلك؛ بل حاربوهم ونابذوهم، ومالئوا بطون قريش على حرب الرسول؛ ولهذا كان ذَمُّ أبي طالب لهم في قصيدته اللامية أشد من غيرهم، لشدة قربهم. ولهذا يقول في أثناء قصيدته:

جَزَى الله عَنَّا عبدَ شمس ونَوفلا ... عُقُوبة شرٍّ عاجل غير آجلِ
بميزان قسْط لا يَخيس شَعِيرة ... لهُ شَاهدٌ مِنْ نَفْسه غير عائلِ
لقد سَفُهت أحلامُ قوم تَبَدَّلوا ... بني خَلَف قَيْضًا بنا والغَيَاطِلِ

ونحنُ الصَّميم من ذؤابة هاشم وآل قُصَي في الخُطُوب. وقال جبير بن مطعم بن عدي [بن نوفل]: مشيت أنا وعثمان بن عفان ـ يعني ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ـ إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن وَهُم منك بمنزلة واحدة، فقال: «**إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ**»(١).

رواه مسلم وفي بعض روايات هذا الحديث: «**إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلامٍ**»(٢).

وهذا قول جمهور العلماء أنهم بنو هاشم وبنو المطلب.

قال ابن جرير: وقال آخرون: هم بنو هاشم. ثم روى عن خُصَيْف، عن مجاهد قال: علم الله أن في بني هاشم فقراء، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة.

وفي رواية عنه قال: هم قرابة رسول الله ﷺ الذين لا تحل لهم الصدقة.

ثم روى عن علي بن الحسين نحو ذلك.

قال ابن جرير: وقال آخرون: بل هم قريش كلها.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، حدثني عبد الله بن نافع، عن أبي مَعْشَر، عن سعيد المقْبُرِي قال: كتب نَجْدَة إلى عبد الله بن عباس يسأله عن «ذي القربى»، فكتب إليه ابن عباس: كنا نقول: إنا هم فأبى ذلك علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قربى.

وهذا الحديث في صحيح مسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب من الذليل على أن الخمس للإمام برقم (٣١٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٨٥)، وأبو داود رقم (٢٩٧٨)، والنسائي رقم (٤١٣٦)، وابن ماجه رقم (٢٨٨١)، وابن حبان (٨/ ٩١) رقم (٣٢٩٧).

من حديث سعيد المقبري عن يزيد بن هرمُز أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن ذوي القربى فذكره إلى قوله: «فأبى ذلك علينا قومنا». والزيادة من أفراد أبي معشر نَجِيح بن عبد الرحمٰن المدني، وفيه ضعف.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن حَنَش، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**رغبت لكم عن غُسَالة الأيدي؛ لأن لكم من خُمْس الخُمس ما يغنيكم أو يكفيكم**».

هذا حديث حسن الإسناد، وإبراهيم بن مهدي هذا وَثَّقه أبو حاتم، وقال يحيى بن معين: يأتي بمناكير، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أي: يتامى المسلمين. واختلف العلماء هل يختص بالأيتام الفقراء، أو يعم الأغنياء والفقراء؟ على قولين.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ هم المحاويج الذين لا يجدون ما يسد خلتهم ومسكنتهم.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو المسافر، أو المريد للسفر، إلى مسافة تقصر فيها الصلاة، وليس له ما ينفقه في سفره ذلك. وسيأتي تفسير ذلك في آية الصدقات من سورة «براءة»، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة، وعليه التكلان.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾؛ أي: امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس في الغنائم، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وما أنزل على رسوله؛ ولهذا جاء في الصحيحين، من حديث عبد الله بن عباس، في حديث وفد عبد القيس: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «**وآمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان بالله ثم قال: هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم..**» الحديث بطوله. فجعل أداء الخُمس من جملة الإيمان، وقد بوَّب البخاري على

ذلك في «كتاب الإيمان» من صحيحه فقال: (باب أداء الخمس من الإيمان)، ثم أورد حديث ابن عباس هذا، وقد بسطنا الكلام عليه في «شرح البخاري» ولله الحمد والمنة.

وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾؛ أي: في القسمة، وقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ ينبِّه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فَرَق به بين الحق والباطل ببدر ويسمى «الفرقان»؛ لأن الله تعالى أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل، وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه.

قال علي بن أبي طالب والعَوْفِي، عن ابن عباس: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر، فَرَق الله فيه بين الحق والباطل. رواه الحاكم.

وكذا قال مجاهد، ومِقْسَم وعبيد الله بن عبد الله، والضحاك، وقتادة، ومُقَاتل بن حيان، وغير واحد: أنه يوم بدر.

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن عُرْوَة بن الزبير في قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم.

فرق الله فيه بين الحق والباطل، وهو يوم بدر، وهو أول مشهد شهده رسول الله ﷺ. وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة، فالتقوا يوم الجمعة لتسعَ عشرةَ ـ أو: سبع عشرة ـ مضت من رمضان، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلًا والمشركون ما بين الألف والتسعمائة.

فهزم الله المشركين، وقتل منهم زيادة على السبعين، وأسر منهم مثل ذلك.

وقد روى الحاكم في مستدركه، من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن ابن مسعود، قال في ليلة القدر: تحروها لإحدى عشرة يبقين فإن صبيحتها يوم بدر. وقال: على شرطهما.

وروي مثله عن عبد الله بن الزبير أيضًا، من حديث جعفر بن بُرْقَان، عن رجل، عنه.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا يحيى بن يعقوب أبو طالب، عن ابن عَوْن محمد بن عبيد الله الثقفي عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: قال الحسن بن علي: كانت ليلة «الفرقان يوم التقى الجمعان» لسبع عشرة من رمضان إسناد جيد قوي.

ورواه ابن مَرْدُوَيه، عن أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن حبيب، عن علي قال: كانت ليلة الفرقان، ليلة التقى الجمعان، في صبيحتها ليلة الجمعة لسبع عشر مضت من شهر رمضان.

وهو الصحيح عند أهل المغازي والسير.

وقال يزيد بن أبي حبيب إمام أهل الديار المصرية في زمانه: كان يوم بدر يوم الاثنين ولم يتابع على هذا، وقول الجمهور مقدم عليه، والله أعلم.

الأسئلة:

● **س: في قوله يا شيخ! أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو؟**

الشيخ: إلى الشخص المخاطب.

مداخلة: يقال: إليك أحسن الله إليك!

○ **الجواب**: أحمد إليك، يعني: أبلغك هذا الشيء.

مداخلة: يا شيخ سؤال في الدرس الماضي اقرأه عليك.

الشيخ: ماذا؟

مداخلة: في أحد الإخوان عنده سؤال يقول اقرأه على الشيخ يعني يرى أنه مهم؟

الشيخ: نعم.

● **س: يقول أحسن الله إليك! هنا أمر، نود منكم ـ سلَّمكم الله ـ إبداء رأيكم حوله، وهو ما يقوله بعض الناس: أن الصحابي عبد الله بن الزبير خرج على بني أمية، علمًا بأن شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ،

وكذلك الحافظ ابن كثير يريان أن ما فعله ابن الزبير إنما هي بيعة عامة له من جميع الأمصار إلا أهل الشام فهم مختلفون في الأمر؛ بل إن الحافظ ابن رجب في العلل في الجزء الثاني نقل عن الإمام أحمد تبديعه للكرابيسي؛ لأنه قال: إن ابن الزبير خرج، وقال: هذا جمع للمخالفين ما لم يمكن أن يحتجوا به، فما رأيكم في هذا الأمر، وهل يسمى بيعة ابن الزبير خروجًا؟

○ **الجواب**: ليست خروج، بيعة ابن الزبير بيعة صحيحة؛ لأنه في وقت ما في إمام، بعدما مات يزيد بن معاوية ومات معاوية بن يزيد ما في إمام، وهو أحق الناس بهذا الأمر؛ ولهذا بايعه الناس إلا طائفة من أهل الشام، ثم خرج مروان بعد ذلك.

فالصواب: أن بيعته بيعة شرعية، والذي خرج عليه هو اللي خرج عليه مروان، ثم جاء القتال والفتنة العظيمة حتى جرى ما جرى من قتله رضي الله عنه في سنة ثلاثة وسبعين.

المقصود أن خلافته صحيحة وشرعية، وعليها عامة المسلمين حتى خرج عليه بعد ذلك مروان ثم عبد الملك نسأل الله أن يعفو عن الجميع.

مداخلة: أحسن الله إليك! سنن النسائي موجود.

الشيخ: نعم.

مداخلة: قصدي سنن النسائي

يقول: (فإذا فيها من محمد النبي ﷺ لبني زهير بن أقيش).

الشيخ: نعم، الذي عنده هذا ما دام موجود في النسائي الحمد لله، ابن أقيش.

مداخلة: الصواب يا شيخ سلمك الله!

الشيخ: أقيش.

● **س**: **الصواب صرف خمس النبي ﷺ أين مصرفه؟**

○ **الجواب**: مثل ما تقدم الصواب سهم النبي ﷺ الذي لله وللرسول هذا لمصلحة المسلمين وولي الأمر السلطان بعده، يتصرف فيه في مصالح المسلمين، وهكذا ذوي القربى واليتامى والمساكين إلى ولي الأمر، هو اللي يتصرف في هذا، يعطي قرابات النبي ﷺ ما يكفيهم، ويعطي اليتامى، ويعطي أبناء السبيل حسب الطاقة، حسب الميسور، نعم، هذا إلى ولي الأمر.

● **س: أحسن الله إليك! إذا وجدنا إنسان منقطع في الخط مثلًا بين القصيم والرياض، هل نعطيه من الزكاة على أنه ابن سبيل؟**

○ **الجواب**: نعم، إذا كان محتاج يعطى، هذا من أبناء السبيل.

مداخلة: ولو كان غنيًّا في بلده؟

الشيخ: ولو.

* *

❏ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢][1].

يقول تعالى مخبرًا عن يوم الفرقان: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: إذ أنتم نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة، ﴿وَهُم﴾؛ أي: المشركون نزول ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾؛ أي: البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة، ﴿وَالرَّكْبُ﴾؛ أي: العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأربعاء ٢٣ - ٧ - ١٤١٧هـ.

التجارة ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾؛ أي: مما يلي سيف البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾؛ أي: أنتم والمشركون إلى مكان ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه في هذه الآية قال: ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم، ما لقيتموهم، ﴿وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾؛ أي: ليقضي الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله، من غير ملأ منكم، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه.

وفي حديث كعب بن مالك قال: إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عِيرَ قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوِّهم على غير ميعاد.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثني ابن عُلَيَّة، عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق قال: أقبل أبو سفيان في الركب من الشام، وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله ﷺ وأصحابه، فالتقوا ببدر، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء، ولا هؤلاء بهؤلاء، حتى التقت السُّقاة، ونهَدَ الناس بعضهم لبعض.

وقال محمد بن إسحاق في السيرة: ومضى رسول الله ﷺ على وجهه ذلك حتى إذا كان قريبًا من «الصفراء» بعث بَسْبَس بن عمرو، وعدي بن أبي الزَّغباء الجُهَنيين، يلتمسان الخبر عن أبي سفيان، فانطلقا حتى إذا وردا بدرًا فأناخا بعيريهما إلى تل من البطحاء، فاستقيا في شَنٍّ لهما من الماء، فسمعا جاريتين تَختصمان، تقول إحداهما لصاحبتها: اقضيني حقي. وتقول الأخرى: إنما تأتي العير غدًا أو بعد غد، فأقضيك حقك. فَخَلَّص بينهما مَجْدي بن عمرو، وقال: صَدقت، فسمع ذلك بَسْبَسُ وعَدِيّ، فجلسا على بعيريهما، حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه

الخبر. وأقبل أبو سفيان حين وليا وقد حَذِر، فتقدم أمام عيره وقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست على هذا الماء من أحد تنكره؟ فقال: لا والله، إلا أني قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل، فاستقيا في شَنّ لهما، ثم انطلقا. فجاء أبو سفيان إلى مُناخ بعيريهما، فأخذ من أبعارهما، فَفَتَّه، فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يثرب. ثم رجع سريعًا فضرب وجه عيره، فانطلق بها فَسَاحَل حتى إذا رأى أن قد أحرز عيره بعث إلى قريش فقال: إن الله قد نجى عيرَكم وأموالكم ورجالكم، فارجعوا.

فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نأتي بدرًا ـ وكانت بدرُ سوقًا من أسواق العرب ـ فنقيم بها ثلاثًا، فَنُطْعمُ بها الطعام، وننحَرُ بها الجُزُر ونُسْقَى بها الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا، فلا يزالون يهابوننا بعدها أبدًا.

فقال الأخنس بن شُرَيْق: يا معشر بني زُهَرة، إن الله قد نَجَّى أموالكم، ونَجَّى صاحبكم، فارجعوا. فأطاعوه، فرجعت بنو زهرة، فلم يشهدوها ولا بنو عدي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والله سبحانه هو الحكيم العليم، قد سبق في علمه وقضائه أنهما يلتقيان، الإسلام والكفر، جند الله وجند الشيطان، ليعز دينه ويظهر دينه ويعلي كلمته وينصر حزبه ويذل أعداءه وينصر الحق، فتم الأمر ووقع الأمر بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحكمته العظيمة وتأييده لأوليائه وخذلانه لأعدائه، فضلًا منه وإحسانًا، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، نصرهم وأيدهم على قلتهم وكثرة عدوهم، فضلًا منه وإحسانًا سبحانه، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾

[الأنفال: ١٠]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، قال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يزيد بن رُوَمان، عن عروة بن الزبير قال: وبعث رسول الله ﷺ حين دنا من بدر ـ عليَّ بن أبي طالب، وسعدَ بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، في نفر من أصحابه، يتجسسون له الخبر فأصابوا سُقَاةً لقريش: غلامًا لبني سعيد بن العاص، وغلامًا لبني الحجاج، فأتوا بهما رسول الله ﷺ، فوجدوه يصلي، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يسألونهما: لمن أنتما؟ فيقولان: نحن سُقاة لقريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما، ورجَوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما فلما ذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان. فتركوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتين، ثم سلم وقال: «**إذا صدَقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما. صدقا، والله إنهما لقريش، أخبراني عن قريش**». قالا هم وراء هذا الكَثيب الذي ترى بالعدوة القصوى ـ والكثيب: العَقَنْقَل ـ فقال لهما رسول الله ﷺ: «**كم القوم؟**» قالا: كثير. قال: «**ما عدَّتهم؟**» قالا: ما ندري. قال: «**كم ينحَرُون كل يوم؟**» قالا يومًا تسعًا، ويومًا عشرًا، قال رسول الله ﷺ: «**القوم ما بين التسعمائة إلى الألف**». ثم قال لهما: «**فمن فيهم من أشراف قريش؟**» قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البخْتري بن هشام، وحكيم بن حِزَام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطُعَيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزَمَعَة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «**هذه مكة قد**

ألقت إليكم أفلاذ كبدها»(١)

قال محمد بن إسحاق، رحمه الله تعالى: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم: أن سعد بن معاذ قال لرسول الله ﷺ، لما التقى الناس يوم بدر: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونُنِيخ إليك ركائبك، ونلقى عدونا، فإن أظفرنا الله عليهم وأعزنا فذاك ما نحب، فقال: وإن تكن الأخرى فتَجلسَ على ركائبك، وتلحق بمن وراءنا من قومنا، فقد ـ والله ـ تخلف عنك أقوام ما نحن بأشدَّ لك حبًّا منهم، لو علموا أنك تلقى حربًا ما تخلَّفوا عنك، ويوادونك وينصرونك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له به. فبُنِيَ له عريش، فكان فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر، ما معهما غيرهما.

قال ابن إسحاق: وارتحلت قريش حين أصبحت، فلما أقبلت ورآها رسول الله ﷺ تُصَوِّب من العَقَنْقَل ـ وهو الكثيب ـ الذي جاءوا منه إلى الوادي قال: «**اللَّهُمَّ هذه قريش قد أقبلت بفخرها وخيلائها تحادك وتكذب رسولك، اللَّهُمَّ أحنهم الغداة**».

وقوله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ قال محمد بن إسحاق: أي ليكفر من كفر بعد الحجة، لما رأى من الآية والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

وهذا تفسير جيد. وبَسْطُ ذلك أنه تعالى يقول: إنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد، لينصركم عليهم، ويرفع كلمة الحق على الباطل، ليصير الأمر ظاهرًا، والحجة قاطعة، والبراهين ساطعة، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة، فحينئذ «يهلك من هلك» أي:

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٢) برقم (٨٩٠)، وورد في سيرة ابن هشام (١/ ٦١٦ و٦١٧).

يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره أنه مبطل، لقيام الحجة عليه، ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ﴾؛ أي: يؤمن من آمن ﴿عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾؛ أي: حجة وبصيرة. والإيمان هو حياة القلوب، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا شك أن الإيمان هو الحياة، الإيمان هو الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، والكفر هو الهلاك والموت، ولهذا يقول ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، هذا هو المؤمن، أحياه الله بالإيمان وأعطاه نور الحق والهدى، فمن نعم الله العظيمة أن يوفق العبد لنور الحق، وأن يهتدي ويقبل الحق ويهتدي بهدي الله، هذا هو الهدى، هذه هي الحياة الطيبة، بخلاف من كان في الظلمات فهذا هو الكافر الضال. نسأل الله العافية، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، نسأل الله العافية. ظلمات الجهل وظلمات الكفر والضلال، نسأل الله العافية. هذا هو الميت والبعيد، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقالت عائشة في قصة الإفك: فيَّ هلك من هلك، أي: قال فيها ما قال من الكذب والبهتان والإفك.

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ أي: لدعائكم وتضرعكم واستغاثتكم به ﴿عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ أي: بكم وأنكم تستحقون النصر على أعدائكم الكفرة المعاندين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فضله سبحانه، هو العالم بأحوال عباده، يعلم أهل الحق ويعلم أهل الباطل، وينصر أهل الحق عن حكمة، ويذل أهل الباطل عن

حكمة، وقد يبتلي أولياءه لحكمة ثم تكون لهم العاقبة كما جرى يوم أُحد، هذه الدار دار الابتلاء والامتحان، والحرب سجال، يبتلي عباده بأعدائه ثم تكون العاقبة لأوليائه والنصر لهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، الله المستعان. وهكذا جرى لنبيه، ابتلاه ثم جعل له العاقبة الحميدة، ولأوليائه.

مداخلة: أحسن الله إليك! ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ يعني بإقامة الحجة..؟

الشيخ: نعم، عن بصيرة، عن ظهور الحجة.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ **[الأنفال: ٤٣، ٤٤]**(١).

قال مجاهد: أراه الله إياهم في منامه قليلًا فأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك، فكان تثبيتًا لهم.

وكذا قال ابن إسحاق وغير واحد. وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه رآهم بعينه التي ينام بها.

وقد روى ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يوسف بن موسى المدبر، حدثنا أبو قتيبة، عن سهل السراج، عن الحسن في قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ قال: بعينك.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٢٧ ـ ٧ ـ ١٤١٧هـ.

وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام هاهنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾؛ أي: لجبنتم عنهم واختلفتم فيما بينكم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾؛ أي: من ذلك: بأن أراكهم قليلًا ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: بما تجنه الضمائر، وتنطوي عليه الأحشاء، فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ وهذا أيضًا من لطفه تعالى بهم، إذ أراهم إياهم قليلًا في رأي العين، فيجرؤهم عليهم، ويطمعهم فيهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من فضل الله ورحمته، هذا من فضل الله، كون الله أراهم إياه في منامه قليلًا حتى يتشجعوا ويصبروا ويقاتلوا بقوة ونشاط وطمع في النصر، وكذلك عند اللقاء، قلَّلهم الله في أعينهم حتى يجتمعوا عليهم، وقلَّلهم في أعين القوم حتى يجترئ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء حتى يمضي الله حكمه في قتل من قتل منهم وفي نصره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فهذه من نعمه العظيمة ومن فضائله وجوده وكرمه على أوليائه وعباده المؤمنين أن قلَّل عدوهم في أعينهم حتى يقدموا عليهم، حتى لا يصيبهم شيء من المشقة والخوف، وكذلك حين اللقاء، ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾، هم كذلك يرونهم قليلًا حتى يجترئوا ويتقدموا، حتى يتم الأمر الذي أراده الله من قتل من قتل منهم وأسر من أسر، والله جَلَّ وَعَلَا لطيف بأوليائه وعباده وناصرهم وممضي أمرهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، هذه أسباب النصر: إقامة أمر الله والتعاون

على البر والتقوى، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا هو التعاون على البر والتقوى، هذا هو التواصي بالحق، فإذا أقام الناس دين الله وصبروا وتعاونوا على البر والتقوى نصرهم الله على عدوهم، وأيدهم وحفظهم وحماهم؛ كما قال ﷻ في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، المؤمن هو اللي استقام على أمر الله، وأدى حق الله ووقف عند حدوده، وترك معصيته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو إسحاق السَّبِيعي، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: لقد قُلِّلُوا في أعيننا يوم بدر، حتى قلت لرجل إلى جانبي: تراهم سبعين؟ قال: لا بل هم مائة، حتى أخذنا رجلًا منهم فسألناه، قال كنا ألفًا. رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير.

وقوله: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن الزبير بن الخرِّيت عن عكرمة: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ قال: حضض بعضهم على بعض.

إسناد صحيح.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه في قوله تعالى: ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]؛ أي: ليلقي بينهم الحرب، للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته.

ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلًّا من الفريقين بالآخر، وقلَّله في عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة. فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين، بقي حزب الكفار يرى حزب

الإيمان ضِعفيه، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣]، وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين، فإن كلًّا منها حق وصدق، ولله الحمد والمنة.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ **[الأنفال: ٤٥، ٤٦]**(١).

هذا تعليم الله عباده المؤمنين آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، [فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾.

ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن أبي أوفى، عن رسول الله ﷺ أنه انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: «**يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**»، ثم قام النبي ﷺ وقال: «**اللَّهُمَّ منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم**»(٢).

وقال عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمٰن بن زياد، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٧ ـ ٧ ـ ١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء برقم (١٧٤٢).

«لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإن لقيتموهم فاثبتوا وأكثروا ذكر الله، فإن أجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت»[(١)].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي، حدثنا أمية بن بِسْطام، حدثنا معتمر بن سليمان، حدثنا ثابت بن زيد، عن رجل، عن زيد بن أرقم، عن النبي ﷺ قال: **«إن الله يحب الصَّمت عند ثلاث: عند تلاوة القرآن، وعند الزَّحف، وعند الجنازة»**[(٢)]. وفي الحديث الآخر المرفوع يقول: **«إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِي الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ»**[(٣)]؛ أي: لا يشغله ذلك الحال عن ذكري ودعائي واستعانتي.

وقال سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة في هذه الآية، قال: افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون عند الضراب بالسيوف.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، حدثنا ابن المبارك، عن ابن جُريج، عن عطاء قال: وجب الإنصات والذكر عند الزحف، ثم تلا هذه الآية، قلت: يجهرون بالذكر؟ قال: نعم.

وقال أيضًا: قُرئ على يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، أخبرني عبد الله بن عياش عن يزيد بن قوذر، عن كعب الأحبار قال: ما من شيء أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر، ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال، ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند القتال،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم (٩٥١٨) والشق الأول شاهد له كما تقدم.

(٢) أخرجه الطبراني (٥/ ٢١٣) رقم (٥١٣٠)، قال الهيثمي (٣/ ٢٩): فيه رجل لم يسم. وأخرجه أيضًا: أبو يعلى كما في المطالب العالية (٥/ ٢٩١) رقم (٨١٤)، وإتحاف الخيرة (٣/ ٢٥٥) رقم (٢٦٤٤)، والديلمي (١/ ١٥٧) رقم (٥٧٨).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٥٨٠).

فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ قال الشاعر:

ذكرتك والخَطى يخطرُ بَيْنَنَا وَقَد نَهَلَتْ فِينَا المُثَقَّفَةُ السُّمْرُ

وقال عنترة:

ولَقَد ذَكَرْتُك والرِّمَاحُ شَوَاجِرٌ فِينَا وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُر مِنْ دَمِي

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسِّم

فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتكلوا عليه، ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك. فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضًا فيختلفوا فيكون سببًا لتخاذلهم وفشلهم.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾؛ أي: قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال، ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝٤٦﴾.

وقد كان للصحابة ﷺ في باب الشجاعة والائتمار بأمر الله، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة، مع قلة عَدَدهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبُوش وأصناف السودان والقبْط، وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى عَلَتْ كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم، إنه كريم وهاب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والمراد والله أعلم هنا يعني بركة اتباعه وتعظيمه والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام؛ لأن هذه البركة لا نهاية لها، فالإعراض عن شريعته والغفلة عن ذلك من أسباب الخذلان، وتذكر شريعته وتعظيم أمره ونهيه والإقبال على ما أمرهم به والانتهاء عما نهاهم عنه، هذا من أعظم أسباب النصر؛ لأن هذا وقع له في حياته وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام. التعبير (ببركة) هنا محل اشتباه على كثير من الناس، والمراد هنا: بركة الاتباع والاستنصار بدين الله والقيام بحق الله.

مداخلة: أحسن الله إليك! قول بعض الناس: كلك بركة، سائغة؟ أحسن الله إليك!

الشيخ: مبالغة، نعم. لكن قد يكون بعض الناس فيه بركة من أعماله الطيبة.

مداخلة: أحسن الله إليك! في حديث عبد الرزاق قال: (فإن أجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت).

الشيخ: يعني: إذا كثروا الكلام والصياح فكونوا ضدكم، لكن الصمت عن غير الضجة الذين قالوا، ويكتفي بذكر الله، الذكر يكفي.

مداخلة: في عبد الرحمٰن بن زياد أليس ضعيف عبد الرحمٰن بن زياد؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: عبد الرحمٰن بن زياد.

الشيخ: حدثنا إيش؟ وين هو؟ في أي سند؟

مداخلة: عن سفيان الثوري عن عبد الرحمٰن بن زياد.

الشيخ: عن أيش؟

مداخلة: عن عبد الله بن يزيد.

الشيخ: نعم.

مداخلة: عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله، فإن صخبوا وصاحوا فعليكم بالصمت**».

الشيخ: نعم.

مداخلة: عبد الرحمٰن بن زياد أليس ضعيفًا؟

الشيخ: هذا الإفريقي، هذا على ما أظن مضعَّف عند أهل العلم، لكن معنى الآية واضح، العمدة على الآية، إذا لقوا العدو يصبرون ويكثروا من ذكر الله، ولا يهمهم صخبهم وصياحهم، لا يهتموا بهم، المعنى صحيح.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [**الأنفال: ٤٧ ـ ٤٩**](١).

يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره، ناهيًا لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم ﴿بَطَرًا﴾؛ أي: دفعا للحق، ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ وهو: المفاخرة والتكبر عليهم، كما

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١٩ ـ ٨ ـ ١٤١٧هـ، ومغرب الأربعاء ٢٢ ـ ٨ ـ ١٤١٧هـ.

قال أبو جهل ـ لما قيل له: إن العير قد نجا فارجعوا ـ فقال: لا والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر، وننحر الجُزُر، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا أبدًا، فانعكس ذلك عليه أجمع؛ لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحِمام، ورُمُوا في أطواء بدر مهانين أذلاء، صَغَرة أشقياء في عذاب سرمدي أبدي؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ۝٤٧﴾؛ أي: عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم على ذلك شر الجزاء لهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم.. هذا جزاء من استكبر عن الحق، وبغى وطغى عاقبته الذل والهوان، والنار والعذاب؛ ولهذا؟ يقول جَلَّ وَعَلَا لأوليائه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦]، هذه صفة المؤمنين، هذا الواجب، فالواجب على المؤمن أن يكون هكذا، وأما أولئك فقال فيهم جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، يعني: لا تتشبهوا بأعداء الله، وهم أهل مكة خرجوا من مكة، أبي جهل وعتبة بن ربيعة وجماعته ﴿بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، يعني: تكبرًا وتعاظمًا وردًّا للحق الذي جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام، ورياء للناس لإظهار عظمتهم، وأنهم أقوياء، وأنهم أعزاء، وأنهم لا يغلبهم محمد ﷺ وما أشبه ذلك، فأذن لهم الله وأبطل كيدهم، وقتلهم في بدر وردَّ فلَّهم خاسئة، كل هذا من أسباب كبرهم وعنادهم وطغيانهم، فالواجب على أهل الإسلام الحذر من التشبه بهم، والحذر من التكبر والرياء الذي هو دين الكفار، فالمؤمنون من صفتهم الإخلاص، والتواضع، والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق، هذه صفة

المؤمنين، بخلاف أعداء الله الذين صفتهم التكبر، والتعاظم، ورد الحق، ورياء الناس، نسأل الله العافية، ومع هذا يصدون عن سبيل الله، يصدون عن الحق، ويردون الناس عن الدخول في الإسلام؛ فلهذا عاقبهم الله عقوبةً عاجلة يوم بدر، وجرى ما جرى يوم الأحزاب، ثم فتح الله على رسوله مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتصر الحق، وذل الباطل وخنس، والحمد لله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ قالوا: هم المشركون، الذين قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر.

وقال محمد بن كعب: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر، خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

وقوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ﴾ الآية: حسَّن لهم ـ لعنه الله ـ ما جاؤوا له وما همُّوا به، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر فقال: أنا جار لكم، وذلك أنه تبدَّى لهم في صورة سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم، سيد بني مُدْلج، كبير تلك الناحية، وكل ذلك منه، كما قال الله تعالى عنه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

قال ابن جريج: قال ابن عباس في هذه الآية: لما كان يوم بدر سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين، وألقى في قلوب المشركين: أن أحدًا لن يغلبكم، وإني جار لكم. فلما التقوا، ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ قال: رجع مدبرًا، وقال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ الآية.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين، معه رايته، في صورة رجل من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام، إلى إبليس، فلما رآه ـ وكانت يده في يد رجل من المشركين ـ انتزع يده ثم ولَّى مدبرًا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة، أتزعم أنك لنا جار؟ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾، وذلك حين رأى الملائكة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذه وساوس ألقاها في صدورهم وزين لهم الباطل، وأنهم لا غالب لهم اليوم من الناس، ثم تشكل لهم في صورة سراقة بن مالك، وأنه جار لهم، وأنه يحميهم من عدوهم، فجمع بين الوساوس وبين الكذب والتزوير، نسأل الله العافية، وهذه عادة الشياطين، شياطين الإنس والجن هكذا، بالوسوسة، والتزيين، والباطل، والأوعاد الكاذبة ملازمة فشياطين الإنس والجن هذا دأبهم، الأوعاد الفاجرة الكاذبة، وإلقاء الشُّبه حتى يصدوا الناس عن الحق، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال محمد بن إسحاق: حدثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس؛ أن إبليس خرج مع قريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فلما حضر القتال ورأى الملائكة، نكص على عقبيه، وقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾، فتشبث الحارث بن هشام فنخر في وجهه، فخر صعقًا، فقيل له: ويلك يا سراقة، على هذه الحال تخذلنا وتبرأ منا. فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

وقال محمد بن عمر الواقدي: أخبرني عمر بن عقبة، عن شعبة ـ مولى ابن عباس ـ عن ابن عباس قال: لما تواقف الناس أغمي على رسول الله ﷺ ساعة ثم كشف عنه، فبشر الناس بجبريل في جند من الملائكة ميمنة الناس، وميكائيل في جند آخر ميسرة الناس، وإسرافيل في جند آخر ألف. وإبليس قد تصور في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، يدبر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس. فلما أبصر عدوُّ الله الملائكة، نكص على عقبيه، وقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ فتشبث به الحارث بن هشام، وهو يرى أنه سراقة لما سمع من كلامه، فضرب في صدر الحارث، فسقط الحارث، وانطلق إبليس لا يُرى حتى سقط في البحر، ورفع ثوبه وقال: يا رب، موعدك الذي وعدتني. وفي الطبراني عن رفاعة بن رافع قريب من هذا السياق وأبسط منه ذكرناه في السيرة.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير قال: لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب، فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ـ وكان من أشراف بني كنانة ـ فقال: أنا جار لكم أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعًا.

قال محمد بن إسحاق: فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة بن مالك لا ينكرونه، حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان، كان الذي رآه حين نكص الحارث بن هشام ـ أو: عمير بن وهب ـ فقال: أين، أي سراق؟ ومثل عدو الله فذهب ـ قال: فأوردهم ثم أسلمهم ـ قال: ونظر عدو الله إلى جنود الله، قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين فانتكص على عقبيه، وقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ وصدقَ عدو الله، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾. وهكذا روي عن السدي، والضحاك، والحسن البصري، ومحمد بن كعب القرظي، وغيرهم، رحمهم الله.

وقال قتادة: وذكر لنا أنه رأى جبريل عليه السلام، تنزل معه الملائكة، فعلم عدو الله أنه لا يدان له بالملائكة فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ وكذب عدو الله، والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستقاد له، حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم، وتبرأ منهم عند ذلك.

قلت: يعني بعادته لمن أطاعه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الله المستعان، لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية. الواجب على كل مؤمن أن يحذر عدو الله، فهو هكذا شيطان رجيم، يدلي في الباطل، ثم يسلم أهله إذا أوقعهم في الباطل، أولادهم ويغرهم ثم يوم القيامة أسلمهم. إن الخبيث لمن والاه غرارُ كما قال حسان رحمه الله.

المقصود أن هذه سنته وطريقته، يلقي الناس في الشر، ويدلّهم عليه، ويزين لهم الباطل، ثم يسلمهم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال يونس بن بُكَيْر، عن محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن بعض بني ساعدة قال: سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعدما أصيب بصره يقول: لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري، لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى، فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس، وأوحى الله إليهم: أني معكم

فثبتوا الذين آمنوا، وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه، فيقول له: أبشر فإنهم ليسوا بشيء، والله معكم، كروا عليهم. فلما رأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه، وقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ وهو في صورة سراقة، وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه ويقول: لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم، فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه. ثم قال: واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدًا وأصحابه في الحبال، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذًا. وهذا من أبي جهل لعنه الله كقول فرعون للسحرة لما أسلموا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، وكقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ﴾ [طه: ٧١]،وهو من باب البهت والافتراء، ولهذا كان أبو جهل فرعون هذه الأمة.

وقال مالك بن أنس، عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كَرِيز؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما رُؤِيَ إبليس في يوم هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة، وذلك مما يرى من تزول الرحمة والعفو عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر**». قالوا: يا رسول الله، وما رأى يوم بدر؟ قال: «**أما إنه رأى جبريل** عليه السلام**، يزع الملائكة**» هذا مرسل من هذا الوجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وما ذاك إلا والله أعلم إلا عقوبة من التشديد والتشجيع على الكفر بالله والعداء لأهل الإيمان والتثبيط عن الحق، فأشبه فرعون من هذه الناحية ـ نعوذ بالله ـ كما أن فرعون قام في قومه مشجعًا لهم ومحرضًا لهم على اتباع الباطل وعلى معاداة موسى عليه الصلاة والسلام، وهكذا لما وقع من السحرة ما وقع كابر وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ﴾ [طه: ٧١]، فهذه كلها من المكابرات ومن الجرأة على الباطل، ومن شدة العداء للحق، فهكذا أبو جهل في قريش كان في غاية من النشاط في

الباطل والصد عن الحق نسأل الله العافية؛ ولهذا عجَّل الله له منيته على أسوأ حالة. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية قال: لما دنا القوم بعضهم من بعض قلَّل الله المسلمين في أعين المشركين، وقلل المشركين في أعين المسلمين فقال المشركون: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾، وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم، فظنوا أنهم سيهزمونهم، لا يشكون في ذلك، فقال الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٩﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ﴾ [الأنفال: ٤٤]، حتى يقدم هؤلاء ويقدم هؤلاء ويحصل ما أراده الله من هزيمتهم وقتل من قتل والله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال قتادة: رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله، وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد ﷺ وأصحابه قال: والله لا يعبدوا الله بعد اليوم، قسوة وعتوًّا.

وقال ابن جُرَيْج في قوله: ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم قوم كانوا من المنافقين بمكة، قالوه يوم بدر.

وقال عامر الشعبي: كان ناس من أهل مكة قد تكلَّموا بالإسلام، فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾. وقال مجاهد في قوله ﷻ: ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾ قال: فئة من قريش: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن

المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج، خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾ حتى قدموا على ما قدموا عليه، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم.

وهكذا قال محمد بن إسحاق بن يسار، سواء.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن مَعْمَر، عن الحسن في هذه الآية، قال: هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر، فسموا منافقين ـ قال معمر: وقال بعضهم: هم قوم كانوا أقروا بالإسلام، وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: يعتمد على جنابه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٤٩﴾؛ أي: لا يُضام من التجأ إليه، فإن الله عزيز منيع الجناب، عظيم السلطان، حكيم في أفعاله، لا يضعها إلا في مواضعها، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وله الحكمة البالغة ﷻ، فالعاقبة لأهل التقوى، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١]، وقد يبتلي أولياءه بشيء من الهزيمة أو بشيء من الأمراض أو من الفقر أو غير هذا ثم تكون لهم العاقبة. ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣]، ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، كما جرى يوم أحد فهو ﷻ يبتلي أولياءه بالسراء والضراء ثم تكون لهم العاقبة.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ **[الأنفال: ٥٠، ٥١]**[1].

يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار، لرأيت أمرًا عظيمًا هائلًا فظيعًا منكرًا؛ إذ يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾قال ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ استاههم، قال: يوم بدر.

قال ابن جُرَيْج، قال ابن عباس: إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين، ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم.

قال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد قوله: ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ يوم بدر.

وقال وَكِيع، عن سفيان الثوري، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير، عن مجاهد، عن شعبة، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جُبَيْر: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ قال: وأستاههم ولكن الله يَكْني.

وكذا قال عمر مولى غُفْرة وعن الحسن البصري قال: قال رجل: يا رسول الله، إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشوك، قال: ما ذاك؟ قال: «ضرب الملائكة» رواه ابن جرير وهو مرسل.

مداخلة: أحسن الله إليك! عندنا: مثل الشراك.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: قال: إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأربعاء ٢٢ ـ ٨ ـ ١٤١٧هـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم، ماذا عندك؟

مداخلة: الشوك.

الشيخ: لا، الشراك.

مداخلة: الشراك؟

الشيخ: إي نعم، شخوط يعني: شخوط من آثار الضرب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا السياق ـ وإن كان سببه وقعة بدر ـ ولكنه عام في حق كل كافر؛ ولهذا لم يخصصه تعالى بأهل بدر؛ بل قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾، وفي سورة القتال مثلها وتقدم في سورة الأنعام عند قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]؛ أي: باسطو أيديهم بالضرب فيهم، يأمرونهم إذ استصعبت أنفسهم، وامتنعت من الخروج من الأجساد أن تخرج قهرًا. وذلك إذ بشَّروهم بالعذاب والغضب من الله، كما جاء في حديث البراء: إن ملك الموت ـ إذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة المنكرة ـ يقول: اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى سَمُوم وحميم، وظل من يحموم، فتتفرق في بدنه، فيستخرجونها من جسده، كما يخرج السفُّود من الصوف المبلول فتخرج معها العروق والعصب؛ ولهذا أخبر تعالى أن الملائكة تقول لهم: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا، جازاكم الله بها هذا الجزاء، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٥١﴾؛ أي: لا يظلم أحدًا من خلقه؛ بل هو الحَكَم العدل، الذي لا يجور، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه الغني الحميد؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عند مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من رواية أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ**

الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ **[الأنفال: ٥٢]**(٢).

يقول تعالى: فعل هؤلاء المشركون المكذبون بما أرسلت به يا محمد، كما فعل الأمم المكذبة قبلهم، ففعلنا بهم ما هو دأبنا؛ أي:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٦ ـ ٨ ـ ١٤١٧هـ.

عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسل، الكافرين بآيات الله. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ﴾؛ أي: بسبب ذنوبهم أهلكهم، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٥٢﴾؛ أي: لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سبحانه، لا إله إلا الله! وهذا المقصود التحذير، .. قصَّ الله على عباده أخبار الماضين للتحذير والترهيب والحث على طاعة الله ورسوله، وأن الله ﷻ شديد العقاب لمن خالف أمره واستكبر عن حقه، كما أنه جواد كريم غفور رحيم لمن أطاعه واستقام على أمره، يعني: فاحذروا أيها الناس! أن تفعلوا ما فعل أعداء الله فيصيبكم ما أصابهم.

مداخلة: أحسن الله إليك! السفود.

الشيخ: السفود شيء يؤخذ به الصوف مثل الشوكة، من الحديد، مثل الشوكة من حديد وغيره.

* * *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝٥٤﴾ **[الأنفال: ٥٣، ٥٤]**[(١)].

يخبر تعالى عن تمام عدله، وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٢٦ ـ ٨ ـ ١٤١٧هـ.

﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، وقوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذَّبوا بآياته، أهلكهم بسبب ذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون، وزروع وكنوز ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله في ذلك؛ بل كانوا هم الظالمين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يبين للناس أن الواجب على المسلمين الاستقامة على الحق والثبات عليه، والحذر من أسباب النقم، فالله سبحان لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بالمعاصي والمخالفات، كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فإذا غيروا الطاعات بالمعاصي والشرور تغيرت الأحوال، تغير الأمن خوفًا، والنعم بؤسًا، والرضا من الله غضبًا، إلى غير ذلك. فالواجب على المسلمين أن يحذروا شر المعاصي، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، فهذه أسباب السلامة، أسباب النجاة في الدنيا والآخرة، أسباب السعادة، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، فبيَّن أسباب الرحمة وهي طاعة الله ورسوله، وأسباب النقمة وهي معاصي الله ومخالفة أمره. وقد يملي الله للناس، قد يفعلون المنكر والمعاصي، قد يفعلون الكفر ويملى لهم، كما وقع لكثير من الكفرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، فقد يملى لقوم وقد تعجل العقوبة لقوم. وقد أملى الله لقوم نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا،

أملى الله لهم، ألف سنة ونوح يدعوهم إلى الله، ثم أخذهم بعد ذلك ﷻ، وهكذا أمهل عادًا وثمود وقوم شعيب، ثم أخذهم، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بإملاء الله؛ بل يحذر، يحذر شر الذنوب والمعاصي وشر الكفر، ولا يقول: الناس فعلوا والناس فعلوا؛ بل الواجب أن يحاسب نفسه، وأن يتقي ربه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، كل واحد يحاسب نفسه، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٦]. فإذا جاهدت نفسك وأخذت الحذر لم يضرك ذنب غيرك إذا أديت الواجب وقمت بما يلزم، فالله سبحانه هو أحكم الحاكمين وهو الحكم العدل، لا يؤاخذ قومًا بذنب غيرهم، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، لا يجني الجاني إلا على نفسه، لكن إذا ساعدت على الباطل وأعنت على المنكر شاركت في الإثم وشاركت في العقوبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾ **[الأنفال: ٥٥ ـ ٥٧]**(١).

أخبر تعالى أن شرَّ ما دبَّ على وجه الأرض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون، الذين كلما عاهدوا عهدًا نقضوه، وكلما أكدوه بالأيمان نكثوه، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾؛ أي: لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٦ ـ ٨ ـ ١٤١٧هـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يبين أن شر الدواب هم الكفرة، يعني: شر من دب على الأرض هم الكفرة، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥﴾، في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣]، فشر الدواب الماشية على الأرض: الكفار بالله والظالمون لعباده، ثم يليهم أهل المعاصي المعلنين المظهرين لمعاصيهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله. فيجب الحذر أن تكون من شر الدواب، ويجب أن تحرص أن تكون من خير الدواب المطيعين لله، القائمين بأمره.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾؛ أي: تغلبهم وتظفر بهم في حرب، ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: نكل بهم، قاله: ابن عباس، والحسن البصري، والضحاك، والسدي، وعطاء الخراساني، وابن عيينة،

ومعناه: غَلِّظ عقوبتهم وأثخنهم قتلًا ليخاف من سواهم من الأعداء، من العرب وغيرهم، ويصيروا لهم عبرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾ وقال السدي: يقول: لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيُصنع بهم مثل ذلك.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾ **[الأنفال: ٥٨]**[(١)].

يقول تعالى لنبيِّه، صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾قد عاهدتهم ﴿خِيَانَةً﴾ أي: نقضًا لما بينك وبينهم من المواثيق

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٢٦ - ٨ - ١٤١٧هـ.

والعهود، ﴿فَانۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: عهدهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾؛ أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء؛ أي: تستوي أنت وهم في ذلك، قال الراجز:

فَاضْرِبْ وُجُوهَ الغُدر الأعْداء حتى يجيبوك إلى السواء

وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله: ﴿فَانۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾؛ أي: على مهل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾؛ أي: حتى ولو في حق الكفار، لا يحبها أيضًا.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي الفيض، عن سليم بن عامر، قال: كان معاوية يسير في أرض الروم، وكان بينه وبينهم أمد، فأراد أن يدنو منهم، فإذا انقضى الأمد غزاهم، فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدرًا، إن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْم عَهْدٌ فَلَا يَحُلَّنَّ عُقْدَةً وَلَا يَشُدَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَىً سَوَاءٍ**». فبلغ ذلك معاوية فرجع وإذا الشّيخ عمرو بن عبسة ﷺ[1].

وهذا الحديث رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة وأخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان في صحيحه من طرق عن شعبة، به وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن أبي البختري عن سلمان يعني

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١١١/٤)، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير نحوه برقم (٢٧٥٩)، والترمذي في كتاب الأيمان والنذور، باب ما جاء في الغدر برقم (١٥٨٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى برقم (٨٧٣٢)، والطيالسي برقم (١١٥٥).

الفارسي رضي الله عنه: أنه انتهى إلى حصن ـ أو: مدينة ـ فقال لأصحابه: دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم، فقال: إنما كنت رجلًا منهم فهداني الله عز وجل للإسلام، فإذا أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون، فإن أبيتم نابذناكم على سواء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ يفعل بهم ذلك ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون الله.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٩ ـ ٦٠][1].

يقول تعالى لنبيه ﷺ: يا محمَّد ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾؛ أي: فاتونا فلا نقدر عليهم؛ بل هم تحت قهر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤]؛ أي: يظنون، وقال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾؛ أي: مهما أمكنكم، ﴿مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأربعاء ٩ ـ ١٠ ـ ١٤١٧هـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه تهديد وترهيب وتحذير لهم ولغيرهم، فإن الله ﷻ على كل شيء قدير، يملي ولا يغفل؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]. وقال في هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾. لا يظنوا هذا الظن السيء أنهم سبقوا الله، وأنهم فاتوه؛ بل هو ﷻ القادر عليهم، وهم في قبضته. فالواجب الحذر، والواجب التوبة إلى الله، فإمهاله سبحانه وإنظاره قد يغتر به معدوم البصيرة، ولكن العاقل والحازم، لا يغتر بإمهال الله وإنظاره، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. فإملاؤه للكافر الظالم، وعدم المعاجلة في العقوبة لحكمة بالغة، فليحذر، وليبادر بالتوبة، الله ﷻ هو الحكيم العليم في تعجيل العقوبة، وفي تأجيلها، له الحكمة البالغة، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بإمهاله وإنظاره، كما قال ﷻ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]. فأنت يا عبد الله! في دار المهلة، في دار العمل وهي الدنيا، فاحذر... فتؤخذ على غرة، أو على كفر وهو أشنع، فتؤخذ على غرة، فإن الأجل لك لست تعلمه، فقد يهجم عليك صباحًا أو مساءً، فالواجب على كل عاقل كل مؤمن وعلى كل مؤمنة الحذر، والاستقامة على الحق أبدًا.. أبدًا حتى الموت، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]. قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الإمام أحمد: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ابن وَهْب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي علي ثُمَامة بن شُفَيّ، أنه سمع

عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ **ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي**»(١). رواه مسلم، عن هارون بن معروف، وأبو داود عن سعيد بن منصور، وابن ماجه عن يونس بن عبد الأعلى، ثلاثتهم عن عبد الله بن وهب، به.

ولهذا الحديث طُرق أُخَر، عن عقبة بن عامر، منها ما رواه الترمذي، من حديث صالح بن كَيْسان، عن رجل، عنه. وروى الإمام أحمد وأهل السنن، عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ارموا واركبوا وإن ترموا خير من أن تركبوا**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني ورميكم، (أن ترموا) محل مصدر، يعني: ورميكم أحب من الركوب، يعني تعلُّم الرمي مقدم على الركوب، ارموا واركبوا، وأن ترموا أفضل من أن تركبوا.. خير من أن تركبوا، ارموا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الإمام مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**الخيل لثلاثة: لرجل أجْر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر؛ فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال لها في مرج أو: روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو: الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفًا**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه برقم (١٩١٧)، والإمام أحمد (٤/ ١٥٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٤٨)، والترمذي في كتاب الجهاد، باب ما جاء في الرمي في سبيل الله برقم (١٧٣٧)، وصححه وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله برقم (٢٨١١) والحاكم.

أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرَّت بنهر فشربت منه، ولم يرد أن يسقي به، كان ذلك حسنات له؛ فهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنّيًا وتعففًا، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر، ورجل ربطها فخرًا ورياء ونواء فهي على ذلك وزر». وسئل رسول الله ﷺ عن الحمر فقال: «**ما أنزل الله علي فيها شيئًا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. رواه البخاري - وهذا لفظه - ومسلم، كلاهما من حديث مالك(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى الفاذة يعني المفردة؛ لأن فيها تعميم، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، آية عظيمة تعم الحمر وغيرها من الدواب، وغيرها من الأدوات، وغيرها من المتاع، من يعمل خيرًا يجده ولو مثقال ذرة في حماره، في بقرته، في غنمه، في متاعه الخاص، في زراعته، في أصناف تصرفاته، مثاقيل الذر يحفظ له ولا يضيع عليه، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨]، وهذا فيه الحذر، الترغيب والترهيب، الترغيب في الخير قليلًا كان أو كثيرًا، والترهيب من الشر قليلًا كان أو كثيرًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآية عامة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ في كل شيء، في الخيل والحمر والبقر والغنم والمتاع وفي الذهاب والمجيء وفي كل شيء، كل من تعاطى

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار برقم (٢٣٧١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة برقم (٦٨٧).

خيرًا ولو قليلًا يراه في ميزانه ويكتب له إذا أراد به وجه الله ولو مثاقيل الذر، والعكس بالعكس، ولا حول ولا قوة إلا بالله. هذا يوجب للإنسان أن يتحرى في كل أعماله قليلها وكثيرها، فمن تحرى فيها الخير حصل له الخير ولو مثاقيل الذر، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، ويقول ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، فضله ﷻ عظيم. قف على هذا، قف على أول الآية؛ لأن هذه الليلة بقية الدروس، وليلة الخميس ما في درس إلا بعد العيد إن شاء الله، ليلة الخميس ما في درس، قف على أول الآية: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ [الأنفال: ٦٠].

الأسئلة:

● **س: بالنسبة لدعوة الكفار للإسلام قبل القتال ثلاثًا هذه للوجوب وإلا مرة واحدة تكفي؟**

○ **الجواب**: الواجب مرة واحدة، والتكرار مستحب، مثلما كرر لأهل خيبر عليه الصلاة والسلام، كرر عليهم، فالواجب مرة، إذا دعاهم وأصروا قاتلهم.

مداخلة: لكن مرة واحدة تكفي يا شيخ؟

الشيخ: تكفي نعم، إذا دعاهم وأصروا؛ بلغهم وأصروا يكفي.

مداخلة: أحسن الله إليك! قوله: (ارموا واركبوا، وأن ترموا خير من أن تركبوا)، المفاضلة بين الرمي والركوب.

الشيخ: لأن الرمي هو أنكى في العدو، يرميهم من بعيد، قد يكون الغزاة ما عندهم ركوب، ما عندهم إلا أقدامهم. الرمي أهم.

مداخلة: فضله في الفعل أو في التعلم؟ أحسن الله إليك!

الشيخ: في التعلم؛ لأن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الركوب.

مداخلة: سلمكم الله يا شيخ! الآن مع الدعوة منتشرة يا شيخ!

الشيخ: نعم؟

السؤال: يتأكد قول نافع أنه لا دعوة الآن يا شيخ! قبل الغزو!

الشيخ: لا لا، لا بد من الدعوة. لا بد من أراد غزو قوم لا بد أن يدعوهم قبل ذلك.

مداخلة: انتشرت الدعوة اليوم يا شيخ!

○ **الجواب**: ولو ولو، لا بد من الدعوة. إما أن يدخلوا في الإسلام وإما أن يقاتلهم، ما هو المقصود تعليمهم، المقصود دعوتهم إلى الإسلام حتى يجيبوا أو يقاتلهم.

الوقت المفضل الذي يدعو فيه الصائم

السؤال: الدعاء عند الإفطار عند الفطر بالذات وإلا قبله بدقائق أو..

الشيخ: نعم؟

مداخلة: دعوة الصائم عند فطره قبل.

○ **الجواب**: كلها نهار الصائم دعاء، كل نهار الصائم وعند فطرك مناسب عند الفطر، حين يفطر وقبل أن يفطر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، أخبرنا شريك، عن الرُّكَيْن بن الربيع عن القاسم بن حسان؛ عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**الخيل ثلاثة ففرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان، فأما فرس الرحمٰن فالذي يربط في سبيل الله فعلفه وروثه وبوله وذكر ما شاء الله، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس**

الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها فهي تستر من فقر»[١].

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل، وذهب الإمام مالك إلى أن الركوب أفضل من الرمي، وقول الجمهور أقوى للحديث، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وذلك لأن الرمي هو الأساس في القتال، وليس كل واحد يحتاج إلى خيل، وليس كل واحد يجلب الخيل، والرمي هو الأهم، ولهذا قال: «**وأن ترموا خير من أن تركبوا**»، كونه راميًا فإنه في هذه الحالة يصلح للجهاد، راكبًا وماشيًا، ذا خيل، أو ذا ركاب أو غير ذلك، فالرمي المجاهد إليه أحوج، كونه يحسن الرمي بأنواع السلاح هذا أعظم، والحاجة إليه أشد من كونه يحسن الركوب على الخيل.

الأسئلة:

مدى صحة قياس وقف آلات الحرب الحديثة على وقف الدروع والخيل.

● **س: يا شيخ أحسن الله إليك! يقاس على الخيل الثلاثة جميع آلات الحرب لو أوقفها صاحبها في سبيل الله؟**

○ **الجواب**: الأقرب والله أعلم أنه يلحق بذلك كونه يعدُّها في سبيل الله، يعد دروع، ويعد سلاح للجهاد في سبيل الله يرجى لك هذا الخير، لكن الخيل لها آثار أخرى، وإذا أعد سلاحًا أو أشياء أخرى أو مالًا للجهاد فهو مأجور، لا شك.

● **س: صحة الحديث الذي عند الإمام أحمد «الخيل ثلاثة: فرس للرحمن، وفرس للشيطان..»؟**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩٥).

○ **الجواب**: هو معنى الحديث، هو معنى الحديث الآخر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج وهشام قالا: حدثنا ليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شماسة: أن معاوية بن حديج مر على أبي ذر، وهو قائم عند فرس له، فسأله ما تعالج من فرسك هذا؟ فقال: إني أظن أن هذا الفرس قد استجيب له دعوته! قال: وما دعاء بهيمة من البهائم؟ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ فَرَسٍ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو كُلَّ سَحَرٍ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ خَوَّلْتَنِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِكَ وَجَعَلْتَ رِزْقِي بِيَدِهِ فَاجْعَلْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ**»[(١)].

قال: وحدثنا يحيى بن سعيد، عن عبد الحميد بن جعفر؛ حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن سُوَيْد بن قيس؛ عن معاوية بن حديج؛ عن أبي ذر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول: اللَّهُمَّ خوَّلتني من خولتني من بني آدم فاجعلني من أحب أهله وماله إليه أو أحب أهله وماله إليه**» رواه النسائي، عن عمرو بن علي الفلاس، عن يحيى القطَّان، به[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مثل ما علمهم السجود، يسجد لكل شيء، والتسبيح والدعاء كذلك، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهكذا دعوته، كونه يدعو لا منافاة بين كونه بهيمة، وبين كونه يدعو الدعاء الذي يعلمه الله إياه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما علمه التسبيح والسجود، الله أكبر.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٦٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٧٠)، والنسائي في كتاب الخيل، باب دعوة الخيل برقم (٣٥٧٩).

مداخلة: لكن الإسناد أحسن الله إليك؟!

الشيخ: صحيح جيد، لا بأس به.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التّسْتُرِيّ، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا المطعم بن المقدام الصنعاني، عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال لابن الحنظلية يعني: سهلًا: حدِّثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، ومن ربط فرسًا في سبيل الله، كانت النفقة عليه كالماد يده بالصدقة لا يقبضها**»(١).

والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة، وفي صحيح البخاري، عن عُرْوَة ابن أبي الجعد البارقي أن رسول الله ﷺ قال: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم**»(٢).

وقوله: ﴿تُرۡهِبُونَ﴾؛ أي: تخوِّفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾؛ أي: من الكفار ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾ قال مجاهد: يعني: قريظة، وقال السدي: فارس، وقال سفيان الثوري: قال ابن يمان: هم الشياطين التي في الدور. وقد ورد حديث بمثل ذلك، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحِمْصِي، حدثنا أبو حيوة ـ يعني: شريح بن يزيد

---

(١) أخرجه أبو عوانة (٤/٤٤٨) رقم (٧٢٨٧)، والطبراني (٦/ ٩٨) رقم (٥٦٢٣)، قال الهيثمي (٥/ ٢٦٠): فيه سليمان لم أعرفه وبقية رجاله ثقات. وابن قانع (١/ ٢٦٨). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الشاميين (٢/ ٥٨) رقم (٩١٤). وأورده ابن أبي حاتم في العلل (١/ ٣٠٩) رقم (٩٢٦).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماض من البر والفاجر برقم (٢٨٥٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة برقم (١٨٧٣).

المقرئ - حدثنا سعيد بن سنان، عن ابن عريب - يعني: يزيد بن عبد الله بن عريب - عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ كان يقول في قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ قال: «**هم الجن**» ورواه الطبراني، عن إبراهيم بن دُحَيْم؛ عن أبيه، عن محمد بن شعيب؛ عن سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن عريب، به، وزاد: قال رسول الله ﷺ: «**الجن لا يَخْبِلُ بَيْتًا فِيهِ عَتيقٌ مِنَ الخَيْلِ**»[1]. وهذا الحديث منكر، لا يصح إسناده ولا متنه.

وقال مقاتل بن حيان، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: هم المنافقون.

وهذا أشبه الأقوال، ويشهد له قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ١٠١].

وقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾؛ أي: مهما أنفقتم في الجهاد، فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال، ولهذا جاء في حديث رواه أبو داود: أن الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف[2].

كما تقدم في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا أمر معلوم من الكتاب والسُّنَّة أن الله ﷻ يضاعف النفقات لأوليائه الصادقين، فهو ﷻ ذو الجود والكرم والفضل، فهو يضاعف

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وضعفه الحافظ ابن كثير سندًا ومتنًا.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب تضعيف الذكر في سبيل الله ﷿ برقم (٢٤٩٨) ولفظه: «إن الصلاة والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله ﷿ بسبع مئة ضعف»، وأخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٤٠).

للمجاهدين، ويضاعف لغير المجاهدين، على حسب الإخلاص والصدق وطيب الكسب، والله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية، حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن الدشتكي، حدثنا أبي، عن أبيه، حدثنا الأشعث بن إسحاق، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه كان يأمر ألا يتصدق إلا على أهل الإسلام، حتى نزلت: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين. وهذا أيضًا غريب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، فالصدقة في المسلم والكافر غير الحربي المستأمن، والمعاهد، والذمي، الصدقة جائزة فيهم، صدقة تطوع، أما الزكاة تكون للمؤلفة وإن كانوا كفارًا.

الملقي: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

مداخلة: لكن الأفضل أن يتصدق على الكافر أو..؟

الشيخ: على حسب الأحوال إذا كان الكافر فقره شديد، أو يرجى إسلامه يتصدق عليه، وإذا كان المسلم أشد فقرًا وأشد حاجة فهو أولى، لكن ينبغي للمؤمن أن تكون نفقته متوسعة، تنفع هؤلاء وهؤلاء؛ لأن الكافر قد يهديه الله بسبب الإحسان إليه.

● **س: بشرط يا شيخ! أن يكون يرجى إسلامه..؟**

○ **الجواب**: ليس شرطًا أنه ما يكون حربي فقط، قال ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. وثبت في الصحيحين: أن أم

أسماء بنت أبي بكر وفدت إلى المدينة وهي كافرة في الصلح، تطلب من بنتها أسماء الرفد، فسألت أسماء النبي ﷺ: هل تحسن إليها وتفيدها؟ قال: «**نعم، صليها**».

● **س: أحسن الله إليك! من قال: أن المسلم أولى بكل حال، ومع ذلك يجوز أن يدفع للكافر؟**

○ **الجواب**: ليس على كل حال، قد تشتد حاجة الكافر، وقد يرجى إسلامه، وقد تشتد حاجته، والمسلم الفقير أقل فقرًا وأقل حاجة، ينظر الأصلح، ينظر المسلم الأصلح وما يرجو فيه الفائدة.

*

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦١ ـ ٦٣][(١)].

يقول تعالى: إذا خفت من قوم خيانة فانبذ إليهم عهدهم على سواء، فإن استمروا على حربك ومنابذتك فقاتلهم، ﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾؛ أي: مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾؛ أي: المسالمة والمصالحة والمهادنة، ﴿فَٱجْنَحْ﴾؛ أي: فمل إليها، واقبل منهم ذلك؛ ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ تسع سنين؛ أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا فضيل بن سليمان يعني: النميري حدثنا محمد بن أبي

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأربعاء ١٢ ـ ١٠ ـ ١٤١٧هـ.

يحيى، عن إياس بن عمرو الأسلمي، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه سيكون بعدي اختلاف أو أمر فإن استطعت أن تكون السلم فافعل**»(١).

وقال مجاهد: نزلت في بني قريظة.

وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله.

وقول ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، وعكرمة، والحسن، وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في «براءة»: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية [التوبة: ٢٩] فيه نظر أيضًا؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفًا، فإنه تجوز مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى عام، ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾ سواء كانوا من الوثنيين، أو من أهل الكتاب، إذا جنحوا للسلم شرع للإمام أن يجنح لها إذا رأى المصلحة في ذلك، إذا رأى المصلحة في الجنوح لها، وإن رأى الحرب حارب؛ ولهذا لما جنحوا للسلم في يوم الحديبية جنح لها عليه الصلاة والسلام، وصالحهم على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، ورجاء أن يهدي الله من يهدي منهم كما قد وقع، فإنه أسلم جم غفير في هذه الهدنة، أسلم جم غفير، والتحقوا بالمدينة، وأمن الناس، وكان صلحًا عظيمًا نافعًا مباركًا، الله أكبر، وإن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٩٠).

كان فيه غضاضة على المسلمين، فإن الصلح فيه غضاضة، شرطوا أن من جاء من الكفار إلى المسلمين يرد، وشرطوا أن من جاء من المسلمين إلى الكفار لا يرد، وقالوا: اكتب باسمك اللَّهُمَّ، ولا تكتب محمد رسول الله، اكتب: محمد بن عبد الله، ومع هذا قبل النبي ﷺ للمصلحة العامة.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! الكافر يعطى من الزكاة أم هذا خاص بالصدقة؟**

○ **الجواب**: يعطى الزكاة إذا كان مؤلفة؛ كما قال ﷻ: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠]، يعطون من الزكاة كرؤساء العشائر والناس الذي يرجى بإسلامهم إسلام نظرائهم.

مداخلة: زكاة الفطر؟

الشيخ: زكاة الفطر لأهل البلد.

مداخلة: وإن كان كافرًا؟

الشيخ: لا، لأهل البلد للمسلمين المحتاجين، يعني أمرها بسيط للتأليف، وعلى القاعدة: يجوز أن يعطاها المؤلف على القاعدة الشرعية.

● **س: آحاد الكفرة يدخلون في المؤلفة، أو هذا خاص بالرؤساء ومن..؟**

○ **الجواب**: المعروف عند العلماء أن الرؤساء والسادة الذين يرجى بإسلامهم إسلام نظرائهم، ويرجى بإعطائهم قوة إيمانهم، وكف شرهم، أما آحاد الكفرة فالأحوط أن لا يعطوا، الأحوط؛ لأنهم لا يترتب على إعطائهم كبير شيء، لكن يعطوا من غير الزكاة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: صالحهم وتوكل على الله، فإن الله كافيك وناصرك، ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾؛ أي: كافيك وحده.

ثم ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار؛ فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾؛ أي: جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلَّالًا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي**» كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنّ.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٣﴾؛ أي: عزيز الجناب، فلا يخيب رجاء من توكل عليه، حكيم في أفعاله وأحكامه.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا علي بن بشر الصيرفي القزويني في منزلنا، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الحسن القنديلي الإستراباذي، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن النعمان الصفار، حدثنا ميمون بن الحكم، حدثنا بكر بن الشرود، عن محمد بن مسلم الطائفي، عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاوس، عن ابن عباس قال: قرابة الرحم تقطع، ومنة النعمة تكفر، ولم ير مثل تقارب القلوب؛ يقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وذلك موجود في الشعر:

إذا مَتَّ ذو القربى إليك برحمه فَغَشَّك واستَغْنى فليس بذي رحم
ولكن ذا القربى الذي إن دعوته أجاب ومن يرمي العدو الذي ترمي

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الصديق الذي يعد معك في الشدة والرخاء، هذا الرحيم وهذا الصديق اهـ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: ومن ذلك قول القائل:

ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم وبلوت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تُقَرّب قاطعًا وإذا المودة أَقْرَبُ الأسْبَاب

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المهم من هذا كله: أن الرحم قد تقطع، والجوار قد يخان.. إلى غير هذا، لكن إذا الله جمع القلوب على المحبة والهدى لا مثيل لهذا؛ ولهذا كان الأنصار بينهم القرابات العظيمة ومع هذا تقاطعوا وتقاتلوا، لكن لما جمعهم الله بالإيمان والمحبة في الله انتهت تلك الحروب، وتآلفت القلوب، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال البيهقي: لا أدري هذا موصول بكلام ابن عباس، أو هو من قول من دونه من الرواة؟

وقال أبو إسحاق السبيعي، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سمعته يقول: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، قال: هم المتحابون في الله، وفي رواية: نزلت في المتحابين في الله.

رواه النسائي والحاكم في مستدركه، وقال: صحيح.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن

ابن عباس قال: إن الرحم لتقطع، وإن النعمة لتكفر، وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء، ثم قرأ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ رواه الحاكم أيضًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو الأمر العظيم، إذا تقاربت القلوب بالإيمان والهدى ما يزحزحها شيء، أما القرابة قد يقطعونها، والنعمة قد يكفرونها ولا يبالون، لكن متى جمع الله القلوب على المحبة في الله، والإيمان بالله، استقامت الأحوال، وتعاونوا على البر والتقوى، وزال كل شر، كما جرى للأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وغيرهم، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أبو عمرو الأوزاعي: حدثني عبدة بن أبي لُبَابة، عن مجاهد ـ ولقيته فأخذ بيدي فقال: إذا تراءى المتحابان في الله، فأخذ أحدهما بيد صاحبه، وضحك إليه، تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر. قال عبدة: فقلت له: إن هذا ليسير! فقال: لا تقل ذلك؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾. قال عبدة: فعرفت أنه أفقه مني.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان عن إبراهيم الخوزي عن الوليد بن أبي مغيث، عن مجاهد قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما، قال: قلت لمجاهد: بمصافحة يغفر لهما؟ فقال مجاهد: أما سمعته يقول: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾؟ فقال الوليد لمجاهد: أنت أعلم مني.

وكذا روى طلحة بن مُصَرِّف، عن مجاهد.

وقال ابن عون، عن عمير بن إسحاق قال: كنا نحدث أن أول ما يرفع من الناس ـ أو قال: عن الناس ـ الألفة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ضعه نسخة (نحدث)، والذي ما عنده نحدث يضعه نسخة (نتحدث) يعني فيما بيننا.

مداخلة: أحسن الله إليك! السياق ما يدل على أن نحدث بأن تحدثهم فيما بينهم.

الشيخ: أي يتحدثون فيما بينهم يعني.

مداخلة: لكن هذا يعني...؟

الشيخ: يحتمل هذا وهذا، يعني فيما بين السلف شائع هذا بينهم، ونحدث عن غيرنا.

الأسئلة:

المصافحة عند السلام

مداخلة: أحسن الله إليكم! بعض طلاب العلم يقول: ليس من شرطه المصافحة عند السلام، وإنما يكفي مجرد السلام عليكم، ولا حاجة لأن تصافحه، هل له وجه هذا أحسن الله إليك؟

الشيخ: لا، المصافحة أكمل، ثبت عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا)، وهكذا جاء عن الشعبي، قال: (كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا)، جاء في هذا الباب أحاديث: (ما من مسلمين يتصافحان إلا تحاتت ذنوبهما قبل أن يتفرقا)، لكن يحتاج إلى جمع أسانيدها، وأما حديث أنس ثابت، وحديث الشعبي عن الصحابة، ذكره الحافظ ابن مفلح في الآداب الشرعية، راجعنا أسانيدها جيدة عن الشعبي وعن أنس.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! القيام للمصافحة هل هو خلاف السُّنَّة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا عند اللقاء لا بأس، كون يقوم يلاقي أخاه، يقوم يقابله ويصافحه هذا من السُّنَّة، مثلما قام طلحة بن عبيد الله لكعب بن مالك وقابله وصافحه وهنأه بالتوبة، قام من حلقة النبي ﷺ والنبي ينظر، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم، ولما جاء سعد بن معاذ ليحكم بني قريظة قال النبي ﷺ: «**قوموا إلى صاحبكم**»، فقاموا إليه، وسلموا عليه، وأنزلوه.

المصافحة عند اللقاء والوداع:

مداخلة: أحسن الله إليك! من قال: إن خبر المصافحة ثابت في اللقاء لا في الوداع؟

الشيخ: لا، المصافحة فضل في الوداع وفي اللقاء جميعًا، عند اللقاء وعند الوداع.

مصافحة من في المجلس إذا كثروا:

مداخلة: أحسن الله إليك! إذا دخل الإنسان مجلس والحضور كثير، هل من السُّنَّة أن يصافحهم واحدًا واحدًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يصافح الذي يجلس جنبه يصافحه، ولا يكلف نفسه، أما إذا صافح كانوا قليلين وأحب يصافح رئيس المجلس، ثم يصافح البقية لا بأس، لكن قد يشوش عليه، وقد يكدر، وقد يعطل بعض المصالح، يجلس حيث ينتهي به المجلس، ويسلم على من حوله ويكفي، حتى لا يشق على الناس ويشوش على الناس.

العمل بالمصلحة في المصافحة:

مداخلة: أحسن الله إليك! إذا كانت مصافحته لهم تألف لقلوبهم، وهي دليل على تقديره لهم؟

الشيخ: يعمل بالمصلحة، إذا رأى المصلحة في ذلك فلا بأس.

ثبوت مجيء الأشعريين بالمصافحة:

مداخلة: ما ثبت عن النبي ﷺ عندما أتى جعفر بن أبي طالب من الحبشة قال النبي ﷺ: «**قد أتاكم الأشعريون بالمصافحة**»؟

الشيخ: ما أتذكر شيء والله.

تقبيل اليد:

مداخلة: حب اليد؟

الشيخ: أما حب اليد لا، تركها أولى، ترك حب اليد أولى، أما المعانقة لا بأس بها.

مداخلة: أحسن الله عملك يا شيخ! تقبيل رأس كبير السن؟

الشيخ: ما في مانع، كان النبي ﷺ إذا دخلت عليه ابنته فاطمة قام إليها وأخذ بيدها وقبلها، وكان إذا دخل عليها قامت إليه وأخذت بيده وقبلته عليه الصلاة والسلام.

مداخلة: حتى ولو لم يكن قريبًا؟

الشيخ: ولو ما هو بقريب الأمر واسع.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا سالم بن غيلان، سمعت جعدًا أبا عثمان، حدثني أبو عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم، فأخذ بيده، تحاتت عنهما ذنوبهما، كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف، وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحار**».

الأسئلة:

الحكم على حديث: «إذا التقى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه...»:

مداخلة: عفا الله عنك! هذا الأثر له حكم الرفع؟

الشيخ: نعم.

● **س: «تحاتت خطاياه» له حكم الرفع؟ عفا الله عنك!**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: «تحاتت خطاياه» له حكم الرفع عفا الله عنك؟!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الأثر.

الشيخ: ماذا فيه؟ هذا عن مجاهد، لكن جاء معناه في الحديث الصحيح: «**إذا التقى المسلمان وتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحات عن الشجر ورقها**»، وكان الصحابة ﵃ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا، والمصافحة سُنَّة وقربة عند اللقاء، نعم.

الحكم على حديث: «إذا التقى المسلمان وتصافحا...»:

مداخلة: صحيح أحسن الله إليكم؟!

الشيخ: نعم؟

س: صحيح الحديث؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الحديث ثابت، أحسن الله إليك؟!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هذا الحديث: «**إذا التقى المسلمان وتصافحا**»؟

○ **الجواب:** في سنده بعض المقال، لكن يشهد له آثار كثيرة، أو

يحتاج إلى جمع أسانيده، لكن ثبت عن أنس رضي الله عنه وعن الشعبي رحمه الله قال: (كان الصحابة إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا)، الله المستعان.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ **[الأنفال: ٦٤ ـ ٦٦]**(١).

يحرِّض تعالى نبيَّه، صلوات الله وسلامه عليه، والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم؛ أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قلَّ عدد المؤمنين.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم، حدثنا عبيد الله بن موسى، أنبأنا سفيان، عن شوذب عن الشعبي في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ قال: حسبك الله، وحسب من شهد معك.

قال: وروي عن عطاء الخراساني، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم مثله.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ١٦ ـ ١٠ ـ ١٤١٧هـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني كافيك الله، ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾، يعني: كافيك الله، الله يكفيك، ويكفي أتباعك، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ معطوفًا على الكاف في ﴿حَسْبُكَ﴾، يعني: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾. ﴿وَمَنِ﴾ معطوفة على الكاف في ﴿حَسْبُكَ﴾، يعني: حسبك وحسب أتباعك، هو ناصر الجميع، ومؤيد الجميع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾؛ أي: حثهم أو مرهم عليه، ولهذا كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر، حين أقبل المشركون في عَدَدهم وعُدَدهم: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**». فقال عمير بن الحُمام: عرضها السموات والأرض؟! فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم**» فقال: بخ بخ، فقال: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ**». قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**». فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من شدة الشوق إلى الجنة، أخبره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بينهم.. إلا أن يقتلوا، استطال حياته حتى يأكل التمرات، فغامر في الجهاد وقاتل حتى قتل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد برقم (١٩٠١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روي عن سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير: أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب، وكمل به الأربعون.

وفي هذا نظر؛ لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة، والله أعلم.

ثم قال تعالى مُبَشِّرًا للمؤمنين وآمرًا: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة.

قال عبد الله بن المبارك: حدثنا جرير بن حازم، حدثني الزبير بن الخِرِّيت عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم ألا يفر واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف، فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ قال: خفف الله عنهم من العدة، ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.

وروى البخاري من حديث ابن المبارك، نحوه.

وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس في هذه الآية قال: كتب عليهم ألا يفر عشرون من مائتين، ثم خفف الله عنهم، فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾ فلا ينبغي لمائة أن يفروا من مائتين.

وروى البخاري، عن علي بن عبد الله، عن سفيان، به ونحوه.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفًا، فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾ الآية،

فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدو لهم لم ينبغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم.

وروى علي بن أبي طلحة والعوفي، عن ابن عباس، نحو ذلك.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والحسن، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، والضحاك نحو ذلك.

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه، من حديث المسيب بن شريك، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر، رضي الله عنهما: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ قال: نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ.

وروى الحاكم في مستدركه، من حديث أبي عمرو بن العلاء، عن نافع، عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ رفع، ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لغتان، يقال: ضعفًا وضعفًا لغتان، مثله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] ضعف، لغتان عند العرب، تفتح الضاد وتضمها.

مداخلة: ليس أحسن الله إليك النسخ يعني؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: النسخ من أول؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: رفع يعني النسخ؟

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب قراءات النبي ﷺ (٤/ برقم ٢٩٧٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: سلام بن سليمان نزل دمشق، واه.

الشيخ: لا، المقصود كلمة ضعفًا.

مداخلة: الضعف بارك الله فيكم للقوة وإلا للعدد؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: للقوة وإلا للعدد؟

الشيخ: الظاهر والله أعلم يشمل هذا وهذا، نعم، ضعف العدد وضعف القوة؛ لأن قوة عشرة في مقابل مائة فيها ضعف.

مداخلة: بعد الآية يا شيخ! يقول: رفع يا شيخ.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: قال تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ﴾، ثم قال: رفع.

الشيخ: محل نظر.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنفال: ٦٥][(١)].

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان، عن عمرو، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: «لمّا نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ﴾ فكتب عليهم أن لا يفرّ واحدٌ من عشرةٍ»، فقال سفيان غير مرّةٍ: أن لا يفرّ عشرون من مئتين، ثمّ نزلت: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ الآيَةَ [٦٦]، فكتب «أن لا يفرّ مئةٌ من مئتين»، وزاد سفيان مرّةً: نزلت: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ﴾، قال سفيان، وقال ابن

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مثل هذا[١].

• **س: أحسن الله إليك، المعروف أنّها مؤتة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ابن شبرمة يقيس على هذا؛ يعني: لا يفرّ واحدٌ من اثنين؛ بل يجب عليه أن يقف ويجاهد، ويقيم الحقّ من الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وإن كانوا كثرةً ويخشى شرّهم جاز له أن ينحرف عنهم قياسًا على الجهاد.

• **س: ويسقط عنه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس هذا بشيءٍ، الأقرب أنّه ليس مثله، وأن الواجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، مثل ما قال الله جَلَّ وَعَلَا وقال رسوله ﷺ؛ فالرّسول ﷺ بيّن الكيفية؛ فإنّه يقوم حسب طاقته، بيده أولًا، فإن عجز فلسانه، فإن عجز فقلبه، فهذا ليس مثل القتال، القتال أشدّ، أمّا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فهو أسهل، يمكن بيده إن استطاع، إن كان وليّ الأمر، أو في بيته، أو لأهل الحسبة الّذين عيّنهم وليّ الأمر، فإن عجز فاللّسان: اتقوا الله، ارقبوا الله، هذا منكرٌ، هذا لا يجوز، هذا واجبٌ، يبيّن.

فإن عجز أنكر بقلبه وفارق أهل المنكر.

(من الشّيخ): راجع كلام الشّارح على كلام ابن شبرمة تعرّض له؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣١٢)]:

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب التفسير، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى...﴾ إلخ برقم (٤٦٥٢).

«قوله: (**قال سفيان: وقال ابن شبرمة**): هو عبد الله قاضي الكوفة. وهو موصولٌ، ووهم من زعم أنّه معلّقٌ؛ فإنّ في رواية ابن أبي عمر عن سفيان عند أبي نعيمٍ في «المستخرج» قال سفيان: فذكرته لابن شبرمة... فذكر مثله.

قوله: (**وأرى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مثل هذا**)؛ أي: أنّه عنده في حكم الجهاد؛ لجامع ما بينهما من إعلاء كلمة الحق وإخماد كلمة الباطل». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقط؟ ما علق عليه بشيءٍ؟ راجع ترجمة ابن شبرمة في «التقريب».

(**القارئ**): [قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٣٣٨٠)]: «عبد الله بن شبرمة ـ بضم المعجمة وسكون الموحدة وضم الراء ـ بن الطفيل بن حسان الضبيّ، أبو شبرمة الكوفيّ القاضي، ثقةٌ فقيهٌ من الخامسة، مات سنة أربعٍ وأربعين. خت م د س ق».

قال سماحة الشيخ ابن بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «التقريب»(١) وقع فيما أنكره على من زعم أنّه تعليقٌ، اعتبره تعليقًا، هنا يقول: ليس بمعلّقٍ، فهو متصلٌ في الإسناد.

• **س: كأنّه قيل القولان، قيل: إنه معلّق وقيل: غير معلّق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهر الكلام أنّه قيل: إنّه معلقٌ، ولكن المؤلّف ما ارتضى أنّه معلقٌ، لكنّ عمله في «التّقريب» يقتضي ارتضاءه؛ لأنّه جعله «خت» وعلّم عليه أنّه ليس بمعلّق، ما جعله مرسلًا.

---

(١) كذا في الأصل والصواب: الحافظ في «الفتح»، بدل «التقريب».

• **س: والصّواب عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يحتاج تأمل الطّريق هذا، الظّاهر أنّ الواقع أنّه معلّقٌ، أقول: ظاهر الوقوع أنّه معلقٌ، لكن يستدل على أنّه موصولٌ برواية أبي نعيمٍ.

ثمّ هو ليس بحديثٍ، إنّما هو من كلامه، ما قال عن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، معلقٌ عن ابن شبرمة رَحِمَهُ اللَّهُ، فهو في حكم التعليق؛ لأنّه ليس بحديثٍ؛ يعني: متصلًا، إنّما هو أخبر سفيان عن رأي ابن شبرمة.

• **س: فهمٌ له يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، ليست رواية، أقول: ليست رواية.

• **س: كيف يكون أحسن الله إليك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مثل الجهاد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وأن لا يفرّ من اثنين إذا دعت الحاجة إلى مقاومتهما في فعل المنكر، اجتهادٌ منه رَحِمَهُ اللَّهُ أقول: اجتهادٌ منه، يرى أنّه من جنس الجهاد والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فيه التفصيل، الرّسول ﷺ بيّن الأمر: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ**»(١)، عامٌّ، ولو أنّه واحدٌ ليس من جنس الجهاد.

• **س: إذا أنكر واحد على مائةٍ باللّسان ما يضره؟**

---

(١) سبق تخريجه في (٤/ ٢٧٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولو على آلافٍ ما فيه شيء ليس من جنسه.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ الآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦][1].

حدّثنا يحيى بن عبد الله السّلميّ، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا جرير بن حازمٍ قال: أخبرني الزّبير بن خرّيتٍ، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لمّا نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [٦٥] شقّ ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفرّ واحدٌ من عشرةٍ، فجاء التّخفيف فقال: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [٦٦] قال: «فلمّا خفّف الله عنهم من العدّة نقص من الصّبر بقدر ما خفّف عنهم»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإذا رزق الله المؤمنين الصّبر والاحتساب والنشاط والقوّة غلب الجمع القليل الجمع الغفير، وما وقع في قتال الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والمسلمين لأعدائهم يدلّ على هذا المعنى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. الله المستعان.

*

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرج البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ برقم (٤٦٥٣).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنفال: ٦٧ ـ ٦٩][(١)].

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه، قال: استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر، فقال: «**إن الله قد أمكنكم منهم**»، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم. فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم عاد رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس**». فقام عمر فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم. فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم عاد النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، نرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء. قال: فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم، فعفا عنهم، وقبل منهم الفداء. قال: وأنزل الله عز وجل: ﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس في صحيح مسلم بنحو ذلك.

وقال الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «**ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟**» «قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومك وأهلك، استبقهم واستتبهم، لعل الله أن يتوب عليهم. قال: وقال عمر: يا رسول الله، أخرجوك، وكذبوك، فقدِّمهم فاضرب أعناقهم. قال: وقال عبد الله بن

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأربعاء ١٩ ـ ١٠ ـ ١٤١٧هـ.

رواحة: يا رسول الله، أنت في واد كثير الحطب، فأضرم الوادي عليهم نارًا، ثم ألقهم فيه. قال: فقال العباس: قطعت رحمك، قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يرد عليهم شيئًا، ثم قام فدخل فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر. وقال ناس: يأخذ بقول عمر. وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم** عليه السلام**، قال:** ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، **وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى** عليه السلام**، قال:** ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، **وإن مثلك يا عمر مثل موسى** عليه السلام**، قال:** ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، **وإن مثلك يا عمر كمثل نوح** عليه السلام**، قال:** ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، **أنتم عالة فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا من رحمة الله جل وعلا شرع لنبيه ﷺ أن يستشيرهم، هو لا ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، شرع الله لنبيِّه ﷺ أن يستشيرهم ليظهر ما عندهم، ويتبين ما يرون في هؤلاء، ثم يحكم الله شرعه، ويرشد نبيه ﷺ إلى ما هو الصواب، فاستشارهم عليه الصلاة والسلام لما في الشورى من طيب القلوب، وتقاربها، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ثم لما استشارهم أرشده الله أن يأخذ برأي الألين والأرفق رأي الصديق رضي الله عنه، وهو أخذ الجزية، وعدم القتل، وقد هدى الله الكثير منهم ودخلوا في دين الله، وكان رأي الصديق رضي الله عنه هو الرأي الصائب، وكان هذا لمن بعدهم الأسير ولي الأمر بالخيار: إن شاء قتل، وإن شاء أخذ الفداء،

وإن شاء منَّ وأطلق وعفا، وقد فعل هذا النبي ﷺ، فمنَّ على قوم، وأخذ الفداء من قوم، وقتل قوم، يوم بدر قتل النضر بن الحارث من الأسرى، وعقبة بن أبي معيط؛ لخبثهما؛ وشدة أذاهما للنبي ﷺ في مكة، وعفا عن آخرين، وأخذ الفداء من آخرين، كل هذا من تيسير الله ومن رحمة الله لعباده، وأن ولي الأمر ينظر في الأصلح، ينظر ويستشير، ويأخذ بالأصلح من الفداء، من القتل، من العفو.

مداخلة: أليست الآية عتاب يا شيخ؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أليست الآية عتاب؟

الشيخ: أرشده الله، ثم بيَّن سبحانه وتعالى فضله على عباده جل وعلا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال ابن مسعود: قلت: يا رسول الله، إلا سهيل بن بيضاء، فإنه يذكر الإسلام، فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارةٌ من السّماء منّي في ذلك اليوم، قال: حتّى قال رسول الله ﷺ: «**إِلَّا سُهَيْلَ ابْنَ بَيْضَاءَ**»[١] فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ إلى آخر الآية.

رواه الإمام أحمد والترمذي، من حديث أبي معاوية، عن الأعمش، والحاكم في مستدركه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٢].

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه، عن عبد الله بن عمر، وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ نحوه وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنفال برقم (٣٠٨٤)، والإمام أحمد (١/ ٣٨٣).

(٢) في كتاب التفسير باب سورة الأنفال برقم (٣٣٠٩).

وروى ابن مردويه أيضًا ـ واللفظ له ـ والحاكم في مستدركه، من حديث عبيد الله بن موسى: حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: لما أسر الأسارى يوم بدر، أسر العباس فيمن أسر، أسره رجل من الأنصار، قال: وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه**» فقال له عمر: فآتهم؟ قال: «**نعم**» فأتى عمر الأنصار فقال لهم: أرسلوا العباس فقالوا: لا والله لا نرسله. فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله ﷺ رضى؟ قالوا: فإن كان لرسول الله ﷺ رضى فخذه. فأخذه عمر فلما صار في يده قال له: يا عباس، أسلم، فوالله لأن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله ﷺ يعجبه إسلامك، قال: فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر، فقال أبو بكر: عشيرتك. فأرسلهم، فاستشار عمر، فقال: اقتلهم، ففاداهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا في صحته نظر؛ لأن إبراهيم بن مهاجر فيه ضعف، ويبعد أن الأنصار يتوعدون العباس وهم يعرفونه أنه عم النبي ﷺ، وهم أرغب الناس فيما يحبه ﷺ، وفيما يرضاه عليه الصلاة والسلام، فهذا بعيد من جهة المتن نكارة المتن، فالأظهر والله أعلم غلط إبراهيم في هذه الرواية، وأن الأنصار لم يتوعدوا العباس، ولم يحرصوا على قتله وهم يعلمون قربه من الرسول ﷺ، وأنه عمه، إلا بإذن من النبي عليه الصلاة والسلام وموافقة عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال سفيان الثوري، عن هشام ـ هو ابن حسان ـ عن محمد بن سيرين، عن عبيدة، عن علي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر فقال: خَيِّر أصحابك في الأسارى: إن شاؤوا الفداء، وإن شاؤوا القتل على أن يقتل منهم مقبلًا مثلهم. قالوا: الفداء ويقتل منا. رواه الترمذي، والنسائي، وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري، به وهذا حديث غريب جدًّا.

وقال ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ في أسارى يوم بدر: «**إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتموهم واستمتعتم بالفداء، واستشهد منكم بعِدَّتهم**». قال: فكان آخر السبعين ثابت بن قيس، قتل يوم اليمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسلًا، فالله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨﴾ قال: غنائم بدر، قبل أن يحلها لهم، يقول: لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليه، لمسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

وكذا روى ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

وقال الأعمش: سبق منه ألا يعذب أحدًا شهد بدرًا. وروى نحوه عن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن جبير، وعطاء.

وقال شعبة، عن أبي هاشم عن مجاهد: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾؛ أي: لهم بالمغفرة ونحوه عن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾، يعني: في أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم، ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الأسارى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨﴾ قال الله

تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ الآية. وكذا روى العوفي، عن ابن عباس. وروي مثله عن أبي هريرة، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن البصري، وقتادة والأعمش أيضًا: أن المراد ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ لهذه الأمة بإحلال الغنائم وهو اختيار ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويستشهد لهذا القول بما أخرجاه في الصحيحين، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»**(١).

وقال الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لم تَحِلَّ الغنائِمُ لأحدٍ سُودِ الرُؤوسِ من قبلِكُمْ كانتَ تَنزلُ نارٌ من السَّماء فتأكُلُها»**(٢).

ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء.

وقد روى الإمام أبو داود في سننه: حدثنا عبد الرحمٰن بن المبارك العيشي، حدثنا سفيان بن حبيب، حدثنا شعبة، عن أبي العنبس، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة(٣).

---

(١) سبق تخريجه (٩/ ٣٠١).

(٢) رواه الترمذي في السنن برقم (٣٠٨٥) من طريق معاوية بن عمرو عن زائدة، عن الأعمش به نحوه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش».

(٣) أخرجه أبي داود في كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال برقم (٢٦٩١).

وقد استقر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء: أن الإمام مخير فيهم: إن شاء قتل ـ كما فعل ببني قريظة ـ وإن شاء فادى بمال ـ كما فعل بأسرى بدر ـ أو بمن أسر من المسلمين ـ كما فعل رسول الله ﷺ في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع، حيث ردهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين(١)، وإن شاء استرق من أسر. هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء، وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، هذا قول الجمهور، كما قال تعالى في سورة محمد: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]، والرسول ﷺ فعل الأمور الأربعة: الفداء بالمال، والفداء بالأسارى، والقتل، والعفو، كلها فعلها عليه الصلاة والسلام، والاسترقاق.

الأسئلة:

● **س: أحسن الله إليك! النصر بالرعب مسيرة شهر، هل هو خاص في حياة النبي ﷺ أم لأتباعه من بعده أيضًا؟**

○ **الجواب**: لأتباعه من بعده نعم، (نصرت بالرعب مسيرة شهر)، يعني: هو وأتباعه عليه الصلاة والسلام.

● **س: بارك الله فيك يا شيخ! الصواب في إسلام العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟**

○ **الجواب**: المشهور أنه تأخر إسلامه إلى يوم الفتح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكنه في صف المسلمين في كل شيء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه مسلم مطولًا عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الجهاد، باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى برقم (١٧٥٥).

ذكر ابني بيضاء سهل وسهيل وأيهما شهد بدرًا:

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ! الحديث الثاني سهيل أم سهل بن بيضاء؟**

الشيخ: سهيل.

مداخلة: في رواية للإمام أحمد أنه سهل بن بيضاء.

○ **الجواب**: محتمل، هم اثنين أخوين: سهل وسهيل رضي الله عنهما.

مداخلة: أليس من البدريين سهيل أحسن الله إليك؟

الشيخ: سهل وسهيل بني بيضاء صلى عليهما في المسجد عليه الصلاة والسلام في المدينة.

مداخلة: لكنه بدري أحسن الله إليك؟

الشيخ: بدري لكنه الظاهر ما قتل في بدر بل عاش.

الملقي: وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ **[الأنفال: ٧٠، ٧١]**(١).

قال محمد بن إسحاق: حدثني العباس بن عبد الله بن مغفل، عن بعض أهله، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر:

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب يوم الأحد ٢٣ ـ ١٠ ـ ١٤١٧هـ.

«إني قد عرفت أن أناسًا من بني هاشم وغيرهم، قد أُخرُجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا منهم؛ أي: من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرَهًا». فقال أبو حذيفة بن عتبة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس؟! والله لئن لقيته لألجمنه بالسيف؟ فبلغت رسول الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب: **«يا أبا حفص»** - قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ - أيُضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟»، فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فأضرب عنقه، فوالله لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك: والله ما آمن من تلك الكلمة التي قلت، ولا أزال منها خائفًا، إلا أن يكفِّرها الله عني بشهادة. فقتل يوم اليمامة شهيدًا رضي الله عنه[(١)].

وبه، عن ابن عباس قال: لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر، والأسارى محبوسون بالوثاق، بات رسول الله ﷺ ساهرًا أول الليل، فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما لك لا تنام؟ - وقد أسرَ العباسَ رجلٌ من الأنصار - فقال رسول الله ﷺ: **«سمعت أنين عمي العباس في وثاقه»**[(٢)] فأطلَقوه، فسكت، فنام رسول الله ﷺ.

قال محمد بن إسحاق: وكان أكثر الأسارى يوم بدر فداء العباس بن عبد المطلب، وذلك أنه كان رجلًا مُوسرًا فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهبًا.

وفي صحيح البخاري، من حديث موسى بن عقبة، قال ابن شهاب: حدثني أنس بن مالك أن رجالًا من الأنصار استأذنوا

---

(١) أخرجه البيهقي من طريق ابن إسحاق به (دلائل النبوة ٣/ ١٤٠ - ١٤١) وسنده ضعيف لإبهام شيخ العباس بن عبد الله بن مغفل.
(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى وفي دلائل النبوة.

رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه. قال: **«والله لا تَذَرُونَ منهُ دِرهَمًا»**[١].

وقال يونس بن بُكَيْر، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رُومان، عن عُرْوَة ـ وعن الزهري، عن جماعة سمَّاهم قالوا: بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس: يا رسول الله، قد كنت مسلمًا! فقال رسول الله ﷺ: **«الله أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك، وأما ظاهرك فقد كان علينا، فافتد نفسك وابنيْ أخيك: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعَقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر»**. قال: ما ذاك عندي يا رسول الله! قال: **«فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبتُ في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبَني: الفضل، وعبد الله، وقُثم»**. قال: والله يا رسول الله، إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغيرُ أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني: عشرين أوقية من مال كان معي، فقال؟ رسول الله ﷺ: **«لا ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك»**[٢]. ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه، وأنزل الله ﷻ فيه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾. قال العباس: فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدًا، كلهم في يده مال يضرب به، مع ما أرجو من مغفرة الله ﷻ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من فضله وجوده، أن الأسرى إذا علم الله فيهم خيرًا ورغبةً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب برقم (٤٠١٨).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وفيه الهيثم بن جماز وهو متروك.

في الخير، خلف الله عليهم الفداء، وغفر لهم، ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، فالفداء الذي قدموه لمن أسرهم من المسلمين إذا صدقوا وآمنوا فالله ﷻ يخلف عليهم في هذا المال بخير منه، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ويغفر لهم بسبب إسلامهم، ودخولهم في الحق.

عموم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ. . .﴾ في جميع الأسرى.

● **س: وهذا عام عفا الله عنك! لكل الأسرى..؟**

○ **الجواب**: الله أكبر، كل الأسرى، عام لأسرى بدر وغيرهم، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روى ابن إسحاق أيضًا، عن ابن أبي نَجِيح، عن عطاء، عن ابن عباس في هذه الآية بنحو مما تقدم.

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا ابن إدريس عن ابن إسحاق عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال العباس: في نزلت: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فأخبرت النبيَّ ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني، فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبدًا، كلهم تاجر، مالي في يده.

وقال ابن إسحاق أيضًا: حدثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله ابن رئاب قال: كان العباس بن عبد المطلب يقول: فيَّ نزلت والله - حين ذكرت لرسول الله ﷺ إسلامي - ثم ذكر نحو الحديث الذي قبله.

وقال ابن جُريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ عباس وأصحابه. قال: قالوا للنبي ﷺ: آمنا بما جئت به، ونشهد أنك رسول الله، لننصحن لك على قومنا. فأنزل الله: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ إيمانًا وتصديقًا، يخلف لكم خيرًا مما أخذ منكم ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ الشرك الذي كنتم عليه. قال: فكان العباس يقول: ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا، وأن لي الدنيا، لقد قال: ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ فقد أعطاني خيرًا مما أخذ مني مائة ضعف، وقال: ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ وأرجو أن يكون غُفر لي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني ما أكره نزولها الحمد لله فيها موعد ووعد عظيم، ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾، الحمد لله، الله أكبر.

الجمع بين نزول قوله تعالى: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ في العباس وتأخر إسلام العباس.

● **س: أحسن الله إليك! كيف يستقيم هذا والعباس تأخر إسلامه إلى الفتح؟**

○ **الجواب**: لا، هذا في وقت بدر، فدى نفسه، وفدى ابن أخيه وحليفه، أما إظهار الإسلام تأخر إلى يوم الفتح.

مداخلة: لكن قول الله ﷻ: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا﴾؟

الشيخ: نعم أسلم الحمد لله، خلف الله عليه، هو نيته الإسلام نفعته حتى أظهره يوم الفتح.

وقت إسلام العباس بن عبد المطلب:

● **س: يعني يكون مسلمًا في يوم بدر؟**

○ **الجواب**: لا، نيته، لا، يمكن نوي عنده عزم، ولكن ما بعد أسلم، ما أظهر إسلامه إلا يوم الفتح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية: كان العباس أسر يوم بدر، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب، فقال العباس حين قرئت هذه الآية: لقد أعطانا الله ﷻ، خَصلتين، ما أحب أن لي بهما الدنيا: إني أسرت يوم بدر فَفَدَيت نفسي بأربعين أوقية. فآتاني أربعين عبدًا، وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله، جل ثناؤه.

وقال قتادة في تفسير هذه الآية: ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفًا، وقد توضأ لصلاة الظهر، فما أعطى يومئذ ساكتًا ولا حرم سائلًا وما صلى يومئذ حتى فرَّقه، فأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثي، فأخذ. قال: فكان العباس يقول: هذا خير مما أخذ منا، وأرجو المغفرة.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال قال: بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ من البحرين ثمانين ألفًا، ما أتاه مال أكثر منه لا قَبلُ ولا بَعدُ. قال: فنثرت على حصير ونودي بالصلاة. قال: وجاء رسول الله ﷺ، فمثل قائمًا على المال.

وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عددٌ ولا وزنٌ، ما كان إلا قَبْضًا، قال: وجاء العباس بن عبد المطلب يحثي في خَميصة عليه، وذهب يقوم فلم يستطع، قال: فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ارفع علي. قال: فتبسم رسول الله ﷺ حتى خرج ضاحكه ـ أو: نابه ـ وقال له: «**أعدْ من المال طائفة، وقم بما تطيق**». قال: ففعل، وجعل العباس يقول ـ وهو منطلق ـ: أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزنا، وما ندري ما يصنع في الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ الآية، ثم قال: هذا خير مما أخذ منا، ولا أدري ما يصنع الله في الأخرى فما زال رسول الله ﷺ مائلًا على ذلك المال، حتى

ما بقي منه درهم، وما بعث إلى أهله بدرهم، ثم أتى الصلاة فصلى[(١)].

حديث آخر في ذلك: قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو الطيب محمد بن محمد بن عبد الله السعيدي، حدثنا مَحْمَش بن عصام، حدثنا حفص بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن طَهْمَان، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: أتي رسول الله ﷺ بمال من البحرين، فقال: «**انثروه في المسجد**».

قال: وكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ، فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه. فما كان يرى أحدًا إلا أعطاه، إذ جاء العباس فقال: يا رسول الله، أعطني فإني فاديت نفسي، وفاديت عَقيلًا. فقال له رسول الله ﷺ: «**خذ**». فحثا في ثوبه، ثم ذهب يُقِلُّه فلم يستطع، فقال: مُرْ بعضهم يرفعه إليَّ. قال: «**لا**». قال: فارفعه أنت عليَّ. قال: «**لا**» فنثر منه ثم احتمله على كاهله، ثم انطلق، فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خَفِيَ عنه، عَجَبًا من حِرْصه، فما قام رسول الله ﷺ وثَمَّ منها درهم[(٢)]. وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه تعليقًا بصيغة الجزم، يقول: «وقال إبراهيم بن طهمان» ويسوقه، وفي بعض السياقات أتم من هذا[(٣)].

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به وصححه ووافقه الذهبي (٣/ ٣٢٩)، وأصله في صحيح البخاري كما سيأتي بعد الرواية التالية.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٦/ ٣٥٦)، وأخرجه البخاري معلقًا من طريق إبراهيم بن طهمان به كما يلي، وهذا مسموح مغمور لم يذكره أحد، وقد عرفت هذا المستخرج على صحيح البخاري، وهذه الرواية منه، وهذا المستخرج مغمور لم يذكره أحد، وقد عرفت هذا المستخرج حينما أتحفني فضيلة الدكتور محمد بكري عايد بنسخة خطية من كتب البجيري فوجدت كله مستخرجًا على البخاري، والحمد لله. قاله الأستاذ الدكتور حكمت بشير بن ياسين حفظه الله في تحقيقه لتفسير الحافظ ابن كثير.

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا عن إبراهيم بن طهان به في كتاب الصلاة، باب القسمة =

وقوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ﴾؛ أي: فيما أظهروا لك من الأقوال، ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل بدر بالكفر به، ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: بالإسار يوم بدر، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾؛ أي: عليم بما يفعله، حكيم فيه.

قال قتادة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح الكاتب حين ارتد، ولحق بالمشركين.

وقال ابن جُرَيْج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: نزلت في عباس وأصحابه، حين قالوا: لننصحن لك على قومنا.

وفسَّرها السُّدِّيّ على العموم، وهو أشمل وأظهر، والله أعلم.

● **س: قوله: ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ يخص الأسارى فقط يا شيخ؟**

○ **الجواب**: هذا الكلام نزل فيهم، الآية نزلت فيهم وغيرهم كذلك.. إذا رزقهم الله نية الخير وقصده ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، النيات لها شأن عظيم، يرجى لصاحب النية الطيبة أن الله يبلغه نيته، لكن هذه في الأسارى، يطمئنهم ويبشرهم بأن الله سيخلف عليهم، مع المغفرة.

مداخلة: يقول ابن هشام

بارك الله فيكم: شهد بدر، وقتل يوم أحد.

الشيخ: رحمه الله ورضي عنه.

❋

= وتعليق القنو في المسجد برقم (٤٢١) ووصله عمر بن محمد البجيري عن إبراهيم بن طهمان به (تعليق التعليق ٢/٢٢٨)، والبجيري هذا له مستخرج على صحيح البخاري وهذه الرواية منه.

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٧٢﴾ [الأنفال: ٧٢][1].

ذكر تعالى أصناف المؤمنين، وقسَّمهم إلى مهاجرين، خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاؤوا لنصر الله ورسوله، وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك. وإلى أنصار، وهم: المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهؤلاء بعضهم أولى ببعض؛ أي: كل منهم أحق بالآخر من كل أحد؛ ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كل اثنين أخَوَان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدمًا على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث، ثبت ذلك في صحيح البخاري، عن ابن عباس[2]. ورواه العَوْفي، وعلي بن أبي طلحة، عنه، وقال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وغير واحد.

قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن شريك، عن عاصم، عن أبي وائل، عن جَرير هو ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَالطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»** تفرد به أحمد[3].

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب ذوي الأرحام برقم (٦٧٤٧).
(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٦٣)، والطبراني في الكبير برقم (٢٤٣٨)، قال =

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا شيبان، حدثنا عِكْرِمة - يعني ابن إبراهيم الأزدي حدثنا عاصم، عن شَقِيق، عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المهاجرون والأنصار، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة**». هكذا رواه في مسند عبد الله بن مسعود وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ الآية [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الآية [الحشر: ٨، ٩].

وأحسن ما قيل في قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾؛ أي: لا يحسدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم، فإن ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الأنصار، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، لا يختلفون في ذلك، ولهذا قال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده: حدثنا محمد بن مَعْمَر، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن حذيفة قال: خَيَّرني رسولُ الله ﷺ بين الهجرة والنصرة، فاخترت الهجرة. ثم قال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم﴾ قرأ حمزة:

= الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (١٠/ ١٥)، وابن حبان (١٦/ ٢٥٠) برقم (٧٢٦٠)، والحاكم (٨/ برقم ٧١٥٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

«ولايتهم» بالكسر، والباقون بالفتح، وهما واحد كالدِّلالة والدَّلالة ﴿مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين، وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا؛ بل أقاموا في بَوَاديهم، فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب، ولا في خُمسها إلا ما حضروا فيه القتال، كما قال الإمام أحمد: حدثنا وَكيع، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مَرْثَد، عن سليمان بن بُرَيْدة، عن أبيه: بُرَيْدة بن الحُصَيب الأسلمي ﵁، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرًا على سرية أو جيش، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، وقال: إذا أمّر أميرًا على جيشٍ أو سريّةٍ أوصاه في خاصّته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثمّ قال: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ**»(١) انفرد به مسلم، وعنده زيادات أُخر(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها برقم (١٧٣٠).

وقوله: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾، يقول تعالى: وإن استنصروكم هؤلاء الأعراب، الذين لم يهاجروا، في قتال ديني، على عدو لهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم؛ لأنهم إخوانكم في الدين، إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾؛ أي: مهادنة إلى مدة، فلا تخفروا ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم. وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ **[الأنفال: ٧٣]**(١).

لما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضُهم أولياء بعض، قطع الموالاة بينهم وبين الكفار، كما قال الحاكم في مستدركه:

حدثنا محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا أبو سعد يحيى بن منصور الهروي، حدثنا محمد بن أبان، حدثنا محمد بن يزيد وسفيان بن حسين، عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة، عن النبي ﷺ قال: «**لا يتوارث أهل ملتين، ولا يرث مسلم كافرًا، ولا كافر مسلمًا**»، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٢).

قلت: الحديث في الصحيحين من رواية أسامة بن زيد قال: قال

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.
(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب قراءات النبي ﷺ (٤/برقم ٢٩٨١) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

رسول الله ﷺ: «**لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ**»[١].

وفي المسند والسنن، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتوارث أهل ملَّتين شتى**». وقال الترمذي: حسن صحيح[٢].

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا محمد، عن محمد بن ثور عن معمر، عن الزهري: أن رسول الله ﷺ أخذ على رجل دخل في الإسلام فقال: «**تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان، وأنك لا ترى نار مشرك إلا وأنت له حرب**».

وهذا مرسل من هذا الوجه، وقد روي متصلًا من وجه آخر، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**»[٣]، ثم قال: «**لا يتراءى ناراهما**». وقال أبو داود في آخر كتاب الجهاد: حدثنا محمد بن داود بن سفيان، أخبرني يحيى بن حسان، أنبأنا سليمان بن موسى أبو داود، حدثنا جعفر بن سعد بن سَمُرَة بن جُنْدُب، حدثني خبيب بن سليمان، عن أبيه سليمان بن سمرة عن سمرة بن جندب: أما بعد، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم... برقم (٦٧٦٤)، ومسلم في كتاب الفرائض برقم (١٦١٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر برقم (٢٩١١)، والترمذي في كتاب الفرائض، باب لا يتوارث أهل ملتين برقم (٢١٠٨) وقال: حسن صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من أعتصم بالسجود برقم (٢٦٤٥)، والترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين برقم (١٦٠٤).

وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»[١].

وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه، من حديث حاتم بن إسماعيل، عن عبد الله بن هرمز، عن محمد وسعيد ابني عبيد، عن أبي حاتم المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»[٢]. قالوا: يا رسول الله، وإن كان؟ قال: «**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ**». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وأخرجه أبو داود والترمذي، من حديث حاتم بن إسماعيل، به بنحوه.

ثم رُوِيَ من حديث عبد الحميد بن سليمان، عن ابن عَجْلان، عن ابن وَثيمةَ النَّصْري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**».

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾؛ أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل.

*

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك برقم (٢٧٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء فيمن ترضون دينه فزوجوه برقم (١٠٨٥)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وأبو حاتم المزني له صحبة ولا نعرف له عن النبي ﷺ غير هذا الحديث، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب في الأكفاء برقم (١٩٦٧).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ **[الأنفال: ٧٤، ٧٥].**

لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا، عطف بذكر ما لهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان، كما تقدم في أول السورة، وأنه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن ذنوب إن كانت، وبالرزق الكريم، وهو الحسن الكثير الطيب الشريف، دائم مستمر أبدًا لا ينقطع ولا ينقضي، ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه.

ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة كما قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. وفي الحديث المتفق عليه؛ بل المتواتر من طرق صحيحة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[١]، وفي الحديث الآخر: «**من أحب قومًا حُشر معهم**»[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن شريك، عن عاصم، عن أبي

---

(١) سبق تخريجه (٩/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الهجرة (٥/ ٤٣٤٠)، وسكت عنه الذهبي، انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٧٤٩) (٢/ ٢١٥).

وائل، عن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَالطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**(١). قال شريك: فحدثنا الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عبد الرحمٰن بن هلال، عن جرير، عن النبي ﷺ مثله(٢) تفرد به أحمد من هذين الوجهين.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في حكم الله، وليس المراد بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة، الذين لا فرض لهم ولا هم عصبة؛ بل يُدْلون بوارث، كالخالة، والخال، والعمة، وأولاد البنات، وأولاد الأخوات، ونحوهم، كما قد يزعمه بعضهم ويحتج بالآية، ويعتقد ذلك صريحا في المسألة؛ بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات. كما نص ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة وغير واحد: على أنها ناسخة للإرث بالحلف والإخاء اللذين كانوا يتوارثون بهما أو لا، وعلى هذا فتشمل ذوي الأرحام بالاسم الخاص. ومن لم يورثهم يحتج بأدلة من أقواها حديث: **«إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»**(٣). قالوا: فلو كان ذا حق لكان له فرض في كتاب الله مسمى، فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثًا، والله أعلم.

آخر تفسير سورة «الأنفال»، ولله الحمد والمنة، وعليه الثقة والتكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل.



---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٦٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود من حديث أبي أمامة ﷺ في كتاب الوصايا، باب في الوصية للوارث برقم (٢٨٧٠).

تفسير سورة التوبة

وهي مدنية

• **س: في سورة التوبة لم يكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم، وأنا أقول: أعوذ بالله من النار، ومن شر الكفار، ومن غضب الجبار، العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فهل هذا صحيح؟**[(١)].

لا نعرف لهذا أصلًا، لكن يتعوذ بالله من الشيطان، إذا بدأ فيها يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من همزه، ونفخه، ونفثه، ثم يقرأ. الصحابة لما كتبوا المصحف لم يكتبوا بسم الله الرحمٰن الرحيم، أمامها، ذكر عثمان رضي الله عنه أنه شك في كونها مستقلة، أو مع الأنفال، ولهذا لم يكتب أمامها بسم الله الرحمٰن الرحيم، فالسُّنَّة للقراء إذا بدأوا بها أن يبدأوا بالتعوُّذ، أما الصيغة التي ذكرها السائل هذه لا نعلم لها أصلًا، بل نقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ويكفي.

*

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وبه أستعين وهو حسبي ونعم الوكيل.

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٨٣).

مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١ ـ ٥][(١)].

هذه الآيات من سورة براءة، وهي سورة عظيمة، قالوا فيها: إنها الفاضحة، وإنها المثيرة؛ لأنها فضحت أهل النفاق وبيَّنت أعمالهم السيئة.

وبيَّن الله ﷻ في صدرها براءته سبحانه وبراءة رسوله من أهل الشرك بالله والكفر به ﷻ وحَرَّض رسوله والمؤمنين على قتال أهل الشرك، ونَبْذِ عهدهم إليهم.

وكان النبي ﷺ بعدما هاجر أُذن له في القتال، ثم أُمِر بالقتال لمن قاتله، والكفِّ عمَّن كف عنه، كما في سورة النساء: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

ثم إن الله سبحانه لما أعان المؤمنين وجمع شملهم، وقوي جندهم بعد فتح مكة، وصار لهم دولة عظيمة، وجهاد كبير في الدعوة إلى الله ﷻ، وجهاد أعدائه، أمر الله ﷻ نبيّه أن يقاتل المشركين، وأن يصابرهم ويناجزهم، ويقعد لهم كل مَرصَد، ويمهل من لم يكن له عهد أربعة أشهر، ومن كان له عهد يُرَدُّ إلى عهده وإلى مدته، وبعد هذا يكون القتال بينهم.

وقال الله ﷻ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، فبيَّن الله ﷻ أن هؤلاء لا يخلى سبيلهم إلا إذا تابوا إلى الله من الشرك، والتزموا التوحيد، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة.

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الشيخ عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ٣٤١).

وهذه الأمور الثلاثة هي أعلى أركان الإسلام وأهمها، ومن أتى بها عن إيمان واقتناع أتى بالبقية والتزم البقية؛ ولهذا جاء في النصوص الكثيرة الاقتصار على هذا الكلام، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]. وفي سورة «لم يكن»: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وكذلك مثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح في حديث ابن عمر: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(١).

ومثل ما في حديث معاذ رضي الله عنه حينما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، أوصاه بأن يدعو الناس إلى توحيد الله وعدم الإشراك به، ثم الصلاة ثم الزكاة . . . «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»(٢).

هذه الأشياء، وهذه الأمور الثلاثة هي الأصول العظمى للدين، وأعظمها: توحيد الله والإخلاص له وترك الإشراك به.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾ برقم (٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة برقم (٢٢).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة برقم (١٤٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام برقم (١٩).

ثم إقام الصلاة.

ثم إيتاء الزكاة.

فإذا التزم العبد بهذه الأمور، وإذا اعتصم بها عن إيمان وعن يقين؛ أدَّى ما سواها من الصيام والحج والجهاد، وغير هذا من أمور الدين وترك المحارم.

وبهذا بيَّن الله ﷻ أن المشركين الذين ليس لهم عهد، فإنه يمهلهم أربعة أشهر، قال تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ ينظروا لأنفسهم إما يقاتِلوا وإما يُسلموا. وأما من له عهد فيبقى على عهده حتى ينتهي عهده.

ثم قال ﷻ بعد هذا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]. هذا يُبيِّن لنا أن المشركين إذا طلبوا من المسلمين أن يسمعوا القرآن وأن يسمعوا السُّنَّة؛ فإنهم يُجارون؛ فإذا سمع ما يريد من كلام الله، وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام، بعد هذا يرد إلى مأمنه، ويردُّ إلى بلاده، ولا يُنال بسوء؛ لأنه جاء بأمان ليسمع كلام الله، ويبيِّن له شرع الله؛ فإن أسلم فالحمد لله، وإلا رُدَّ إلى بلاده.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ **[التوبة: ١، ٢]**(١).

هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ، كما قال البخاري.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] وآخر سورةٍ نزلت براءةٌ[١].

وإنما لا يبسمل في أولها لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الإمام، والاقتداء في ذلك بأمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه وأرضاه، كما قال الترمذي:

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعد، ومحمد بن جعفر وابن أبي عَدِيّ، وسَهْل بن يوسف قالوا: حدثنا عوف بن أبي جَميلة، أخبرني يزيد الفارسي، أخبرني ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ووضعتموها في السبع الطّوَل، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو يُنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيءُ دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذْكر فيها كذا وكذا، فإذا نزلت عليه الآية فيقول: «**ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**»، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها وحَسبْتُ أنها منها، وقُبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ[٢].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ برقم (٤٦٥٤)، ومسلم في كتاب الفرائض، باب آخر آية أنزلت آية الكلالة برقم (١٦١٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من جهر بها برقم (٧٨٦)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة برقم (٣٠٨٦)، والإمام أحمد (١/ ٦٩)، والحاكم في كتاب التفسير ج٣ برقم (٢٩١١).

وكذا رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبَّان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، من طرق أخر، عن عوف الأعرابي، به. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله ﷺ، لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج، ثم ذُكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم، فبعث أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، أميرًا على الحج هذه السنة، ليقيم للناس مناسكهم، ويُعلِم المشركين ألا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي في الناس ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ ببراءة، فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغًا عن رسول الله ﷺ، لكونه عَصَبَة له، كما سيأتي بيانه(١).

فقوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾؛ أي: هذه براءة؛ أي: تبرؤ من الله ورسوله ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾. اختلف المفسرون ها هنا اختلافًا كثيرًا، فقال قائلون: هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر، فيكمل له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد مؤقَّت فأجله إلى مدته، مهما كان؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤] ولما سيأتي في الحديث: «**ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته**». وهذا أحسن الأقوال وأقواها، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله، ورُوي عن الكلبي ومحمد بن كعب القُرَظِيّ، وغير واحد.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ قال: حد الله للذين عاهدوا

(١) سيأتي بيانه في تفسير الآية ٣ من هذه السورة الكريمة.

رسوله أربعة أشهر، يسيحون في الأرض حيثما شاؤوا، وأجَّل أجَلَ من ليس له عهد، انسلاخَ الأشهر الحرم، من يوم النحر إلى انسلاخ المحرَّم، فذلك خمسون ليلة، فإذا انسلخ الأشهر الحرم أمره بأن يضع السيف فيمن لا عهد له.

وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس.

وقال الضحاك بعد قوله: فذلك خمسون ليلة: فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد، يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام. وأمر ممن كان له عهد إذا انسلخ أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر خلون من ربيع الآخر، أن يضع فيهم السيف حتى يدخلوا في الإسلام.

وقال أبو معشر المدني: حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميرًا على الموسم سنة تسع، وبعث علي بن أبي طالب بثلاثين آية أو أربعين آية من «براءة» فقرأها على الناس، يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض، فقرأها عليهم يوم عرفة، أجَّل المشركين عشرين من ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشرًا من ربيع الآخر، وقرأها عليهم في منازلهم، وقال: لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان.

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ إلى أهل العهد: خزاعة، ومُدْلِج، ومن كان له عهد أو غيرهم. أقبل رسول الله ﷺ من تبوك حين فرغ، فأراد رسول الله ﷺ الحج، ثم قال: «**إنما يحضر المشركون فيطوفون عُرَاة، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك**». فأرسل أبا بكر وعليًّا رضي الله عنهما، فطافا بالناس في ذي المجَاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها بالمواسم كلها، فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر، فهي الأشهر المتواليات: عشرون من ذي الحجة إلى عشر يخلون من ربيع الآخر، ثم لا عهد لهم، وآذن الناس كلَّهم بالقتال إلا أن يؤمنوا.

وهكذا روي عن السدي: وقتادة.

وقال الزهري: كان ابتداء التأجيل من شوال وآخره سلخ المحرم.

وهذا القول غريب، وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها، وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر، حين نادى أصحاب رسول الله ﷺ بذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣].

*

تفسير قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة: ١][1].

هذه الآية نزلت في آخر حياة النبي ﷺ، وكان الرسول ﷺ قد عهد إلى بعض المشركين عهدًا معلومًا، وبعضهم بينه وبينهم عهد مطلق، وبعضهم لا عهد له، فأنزل الله هذه الآية فيها البراءة من المشركين، وفيها نبذ العهود إليهم؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ الآية. فالله سبحانه أمر رسوله أن يتبرأ منهم، ومن كان له عهد فهو إلى مدته، ومن كان عهده مطلق، أو لا عهد له جعله الله له أربعة أشهر، وبعث الصديق رضي الله عنه وعليًا رضي الله عنه ومن معهما في عام تسع من الهجرة ينادون في الموسم: من كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد أو له عهد مطلق فله أربعة أشهر، بعدها يكون حربًا للرسول ﷺ إلا أن يدخلوا في الإسلام، هذا هو معنى الآية عند أهل العلم.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٤/ ٢٣٥).

سورة براءة من البخاري(١)

﴿مَرْصَدٍ﴾ [٥]: طريق، ﴿إِلًّا﴾ [٨]: الإل: القرابة، والذمة، والعهد، ﴿وَلِيجَةً﴾ [١٦]: كلّ شيءٍ أدخلته في شيءٍ، ﴿الشُّقَّةُ﴾ [٤٢]: السّفر، الخبال: الفساد، والخبال: الموت، ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ [٤٩]: لا توبّخني، ﴿كَرْهًا﴾ [٥٣] وكُرهًا واحدٌ، ﴿مُدَّخَلًا﴾ [٥٧]: يدخلون فيه، ﴿يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [٥٧]: يسرعون، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ [٧٠]: ائتفكت: انقلبت بها الأرض، ﴿أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [النجم: ٥٣]: ألقاه في هوّةٍ، ﴿عَدْنٍ﴾ [٧٢]: خلدٍ، عدنت بأرضٍ: أي أقمت، ومنه معدِن، ويقال: في معدن صدقٍ: في منبت صدقٍ، ﴿الْخَوَالِفِ﴾ [٨٧]: الخالف الّذي خلفني، فقعد بعدي، ومنه: يخلفه في الغابرين، ويجوز أن يكون النّساء من الخالفة، وإن كان جمع الذّكور؛ فإنّه لم يوجد على تقدير جمعه إلّا حرفان: فارسٌ وفوارس، وهالكٌ وهوالك، ﴿الْخَيْرَاتُ﴾ [٨٨]: واحدها خيرةٌ، وهي الفواضل، ﴿مُرْجَوْنَ﴾ [١٠٦]: مؤخّرون، الشّفا: الشفيرُ، وهو حدّه، والجرف: ما تجرّف من السّيول والأودية، ﴿هَارٍ﴾ [١٠٩]: هائرٍ، ﴿لَأَوَّاهٌ﴾ [١١٤]: شفقًا، وفرقًا، وقال:

إذا ما قمت أرحلها بليلٍ   تأوّه آهة الرّجل الحزين

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

- **س: كذا «والذّمّة والعهد» ولّا «الذّمّة: العهد» بدون (واو)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كلّه يقال له: إلٌّ.

(السّائل): ما هو العهد تفسيرٌ للذمة؟

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الذمة والعهد، والمعنى واحد للتأكيد.

(**من السّائل**): لكن بالواو قال: (**الذمة والعهد**)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كالتأكيد؛ يعني: كلّه بمعنًى واحدٍ.

قوله: (**عدن: خلد**...) إلخ: ومنه جنات عدنٍ؛ يعني: جنات إقامةٍ، ما فيها ظعن، جنات عدنٍ؛ يعني: جنات إقامةٍ.

● **س: هذان الجمعان**(١)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول: على جمع خوالف، ما موجودٌ إلّا كلمتان: فارسٌ وفوارس، وهالك وهوالك، الموجودة خالف وخوالف.

ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣١٤)]: «قوله: (**الخوالف: الخالف الّذي خلفني؛ فقعد بعدي، ومنه: يخلفه في الغابرين**). قال أبو عبيدة في قوله: مع الخالفين: الخالف الّذي خلف بعد شاخصٍ فقعد في رحله، وهو من تخلّف عن القوم، ومنه: اللّهمّ اخلفني في ولدي.

وأشار بقوله: (**ومنه يخلفه في الغابرين**) إلى حديث عوف بن مالكٍ في الصّلاة على الجنازة.

قوله: (**ويجوز أن يكون النّساء من الخالفة**): وإن كان جمع الذّكور فإنّه لم يوجد على تقدير جمعه إلّا حرفان: فارس وفوارس وهالك وهوالك.

---

(١) يقصد قول المؤلف: «فارس وفوارس وهالك وهوالك».

قال أبو عبيدة في قوله: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٨٧] يجوز أن يكون الخوالف ها هنا النّساء، ولا يكادون يجمعون الرّجال على فواعل غير أنّهم قد قالوا: فارسٌ وفوارس، وهالكٌ وهوالك. انتهى.

وقد استدرك عليه ابن مالكٍ: شاهقٌ وشواهق، وناكسٌ ونواكس وداجنٌ ودواجن. وهذه الثّلاثة مع الاثنين جمع فاعلٍ، وهو شاذٌّ، والمشهور في فواعل جمع فاعلةٍ، فإن كان من صفة النّساء فواضحٌ. وقد تحذف الهاء في صفة المفرد من النّساء، وإن كان من صفة الرّجال فالهاء للمبالغة، يقال: رجلٌ خالفةٌ لا خير فيه والأصل في جمعه بالنّون.

واستدرك بعض الشّرّاح على الخمسة المتقدّمة: كاهلٌ وكواهل، وجائحٌ وجوائح، وغاربٌ وغوارب، وغاشٍ وغواشٍ، ولا يرد شيءٌ منها؛ لأنّ الأوّلين ليسا من صفات الآدميّين، والآخران جمع غاربٍ وغاشيةٌ والهاء للمبالغة إن وصف بها المذكّر». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود: أنّ الأصل والأغلب والأكثر أنّه ما يقال: خوالف إلّا فيما مفرده مؤنّثٌ، خالفه: قاعدةٌ وقواعد، وقافلةٌ وقوافل، هذا كثيرٌ، أمّا المذكّر فاعل وفواعل فهو قليلٌ.

وأبو عبيدة ذكر جمعين، وغيره ذكر خمسةً، وآخرون ذكروا زيادةً على ذلك؛ ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [التّوبة: ٨٣]؛ يعني: مع النّساء؛ لأنّه يشاهد أنهنّ لا يجاهدن، وليسوا من أهل الجهاد، فهذا فيه نوع تنقيصٍ لهم، ونوع عيبٍ لهم في جلوسهم مع النّساء.

والقول الثّاني: اقعدوا مع الخالفين؛ يعني: مع الرّجال الخالفين

للمسافرين والخالفين للمجاهدين؛ من أجل علّةٍ من العلل، أو عذرٍ من عمًى، أو المرض أو يقوم على الأهل، أو لأسبابٍ أخرى فقد يجلس الرّجل ويخلف من خرج؛ ليقوم بمصالح، كما في الحديث الصّحيح الّذي رواه مسلمٌ وغيره: أنّه كان يأمر بالمغازي وبالسرايا: ليخرج من كلّ اثنين أحدهما والأجر بينهما.

فأحدهما يخرج للجهاد، **والثّاني** يخلفه في أهله في مصالح الأهل وحاجاتهم، فيكون جمع خالفٍ: هو الّذي يخلف من خرج لحاجةٍ ويقوم مقامه، ويسدّ مسدّه في الحاجات الّتي يحتاجها في محلّه.

● **س: خوالف صيغةٌ منتهى الجموع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، لكن مقصوده أن المذكّر لا يقال فيه: خالفةٌ، يقال: خالف إلّا قليلًا؛ تكون الهاء للمبالغة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

راجع: كلامه على أوّل حديث قرأته: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤]؟

(من القارئ): قال الشارح: «تقدم شرحه في الّذي قبله».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

راجع الّذي قبله.

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣٠٩)]: «قوله: عن عبد الحميد صاحب الزّياديّ هو عبد الحميد بن دينارٍ، تابعيّ صغير، ويقال له: ابن كُرْدِيدٍ ـ بضمّ الكاف وسكون الرّاء وكسر الدّال المهملة ثمّ تحتانيّةٍ ساكنةٍ ثمّ دالٍ أخرى ـ ووقع كذلك في بعض النّسخ، والزّياديّ الّذي نسب إليه من ولد زيادٍ الّذي يقال له بن أبي سفيان». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: زياد بن أبيه المعروف.

ماذا قال عليه في «التقريب»؟

(القارئ): [قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «التّقريب» (٣٧٥٩)]: «عبد الحميد بن دينار [هو ابن كرديد] صاحب الزيادي، ثقة من الرابعة خ م د س».

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٣٠٩)]: «قوله: قال أبو جهلٍ: اللّهمّ إن كان هذا... إلخ: ظاهرٌ في أنّه القائل ذلك، وإن كان هذا القول نسب إلى جماعةٍ فلعلّه بدأ به ورضي الباقون؛ فنسب إليهم. وقد روى الطّبرانيّ من طريق ابن عبّاسٍ: أنّ القائل ذلك هو النّضر بن الحارث، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١]. وكذا قال مجاهدٌ، وعطاءٌ، والسّدّيّ.

ولا ينافي ذلك ما في الصّحيح؛ لاحتمال أن يكونا قالاه، ولكنّ نسبته إلى أبي جهلٍ أولى. وعن قتادة قال: قال ذلك سَفَهة هذه الأمة وجهلتها.

وروى ابن جريرٍ من طريق يزيد بن رومان أنّهم قالوا ذلك، ثمّ لمّا أمسوا ندموا فقالوا: غفرانك، اللّهمّ...؛ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾. وروى ابن أبي حاتمٍ من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس أن معنى قوله: ﴿وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾؛ أي: من سبق له من الله أنّه سيؤمن، وقيل: المراد من كان بين أظهرهم حينئذٍ من المؤمنين. قاله الضّحّاك وأبو مالكٍ.

ويؤيّده ما أخرجه الطّبريّ من طريق ابن أبزى قال: كان رسول الله ﷺ بمكّة؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾، ثمّ خرج إلى المدينة فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ

يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾، وكان من بقي من المسلمين بمكّة يستغفرون؛ فلمّا خرجوا أنزل الله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية، فأذن الله في فتح مكّة فهو العذاب الّذي وعدهم الله تعالى.

وروى التّرمذيّ من حديث أبي موسى رضي الله عنه رفعه قال: «أنزل الله على أمّتي أمانَين» فذكر هذه الآية. قال: فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار.

وهو يقوّي القول الأوّل، والحمل عليه أولى وأنّ العذاب حلّ بهم؛ لمّا تركوا النّدم على ما وقع منهم، وبالغوا في معاندة المسلمين ومحاربتهم وصدّهم عن المسجد الحرام، والله أعلم». [انتهى كلامه].

قال رحمه الله: الله المستعان، المقصود: أنّ وجوده صلى الله عليه وسلم كان من أسباب رفع العذاب عنهم، وكان الربّ عز وجل فيما مضى إذا أحبّ أن يقرّ عين نبيّه في تعذيب من خالفه وعصاه أنزل العذاب عليهم وهو حاضرٌ موجودٌ حتّى عيّنه بهلاكهم، كما جرى لنوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، ولوطٍ عليهم السلام وغيرهم.

أمّا هذه الأمّة فرفع الله عنها عذاب الاستئصال، ولم يعذّبها ونبيّها فيها ولا بعد ذلك عذابًا مستأصلًا، وإن أصاب بعضهم أنواعًا من العذاب.

ثمّ ذكر أمرًا آخر عامًّا يعمّ وقت النّبيّ صلى الله عليه وسلم وبعده وكلّ وقتٍ وهو: الاستغفار والتّوبة، وأنّ التّوبة والاستغفار من أسباب رفع العذاب وعدم وقوعه.

النّاس إذا فعلوا الجرائم والمعاصي أحلّوا بأنفسهم عقاب الله، وصاروا في الحقيقة هم الّذين جرّوه عليهم بأفعالهم وأقوالهم القبيحة؛

فإن بادروا بالتّوبة والنّدم والإقلاع والاستغفار؛ صار هذا من أسباب رفعه عنهم وعدم إيقاعه بهم، وإن استمرّوا فقد يحلّ بهم عاجلًا، وقد يستدرجون ويمهلون وقتًا بعد وقتٍ، فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلّا نزل بهم وحقّ بهم العذاب، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله. اللّهمّ سلم سلّم، نسأل الله السّلامة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ①﴾ **[التوبة: ١].**

أذان: إعلام.

وقال ابن عبّاسٍ: ﴿أُذُنٌ﴾ [٦١]: يصدّق، ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [١٠٣]: ونحوها كثيرٌ، والزّكاة: الطّاعة والإخلاص، ﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] [فصلت: ٧]: لا يشهدون أن لا إلـه إلّا الله، (يضاهون) [٣٠]: يشبّهون.

حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: «آخر آيةٍ نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٩]، وآخر سورةٍ نزلت براءةٌ»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

• **س: أحسن الله إليك: تفسير لا يؤتون الزّكاة: لا يشهدون أن لا إله إلّا الله؟**

---

(١) يعني: لا يوحدون الله؛ لأن المقام مقام التوحيد.

(٢) سبق تخريجه في (ص٢٦٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا محلّ نظرٍ، قد يراد به في موضعٍ، وفي موضعٍ يراد به التّوحيد والشّهادة، وفي موضعٍ يراد به زكاة المال.

وهنا التّوحيد: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦، ٧]؛ أي: لا يوحّدون الله؛ فإنّ أعظم مزكٍ توحيد الله، أعظم ما يزكّي النّفوس توحيد الله، والزّكاة أيضًا تطلق على المال، الله المستعان.

• **س: المراد هنا الزّكاة؛ يعني: تزكية النفوس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قد أفلح من زكّاها بتوحيد الله، قد أفلح من تزكّى بالتّوحيد والإخلاص، أعظم زكاةٍ توحيد الله، والإخلاص له، الله المستعان.

• **س: أحسن الله إليك: هنا حديث البراء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يقول: آخر سورة نزلت براءة. وسبق في التّفسير أنّ آخر سورةٍ نزلت المائدة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلاف علم الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ واردٌ، اختلاف علم الصّحابة، كلّ يخبر بما وصل إليه علمه واجتهاده، ومنها في سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، نزلت في يوم عرفة في حجّة الوداع.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ **[التوبة: ٢].**

﴿فَسِيحُوا۟﴾: سيروا.

حدّثنا سعيد بن عفيرٍ، قال: حدّثني اللّيث، قال: حدّثني عقيلٌ، عن ابن شهابٍ، وأخبرني حميد بن عبد الرّحمن أنّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال: «بعثني أبو بكرٍ في تلك الحجّة في مؤذّنين بعثهم يوم النّحر، يؤذّنون بمنًى أن لا يحجّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ» قال حميد بن عبد الرّحمن: ثمّ أردف رسول الله ﷺ بعليّ بن أبي طالبٍ، «وأمره أن يؤذّن ببراءة»، قال أبو هريرة: «فأذّن معنا عليٌّ يوم النّحر في أهل منًى ببراءة، وأن لا يحجّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كانوا ينادون في أيّام منى في حجّة الصّدّيق سنة تسعٍ بأربعٍ: ألّا يحجّ بعد العام مشركٌ، وأنّه لا يدخل الجنّة إلّا نفسٌ مؤمنةٌ، ومن كان له عهدٌ عند رسول الله فهو على عهده، ومن ليس له عهدٌ فإنّ مدّته أربعة أشهرٍ، إن دخل في الإسلام وإلّا يقاتل.

ثمّ حجّ النّبيّ ﷺ حجّة الوداع بعدما أسلم النّاس، ودخلوا في دين الله أفواجًا، ولم يحج ذلك العام مشركٌ.

● **س: أحسن الله إليك: استقدام العمّال الكفرة إلى جزيرة العرب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما يجوز، الواجب منعهم، الواجب على الدولة وعلى كلّ مسلمٍ الامتناع من ذلك؛ النّبيّ ﷺ أوصى في آخر حياته أن لا يبقى فيها إلّا مسلمٌ، وأن يخرج منها الكافر وقال: «**لَا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»[2]؛ واجبٌ على كلّ مسلمٍ أن يحذر ذلك، وأن لا يستقدم إلّا مسلمًا.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب ما يستر من العورة برقم (٣٦٩). انظر: (١٦٢٢، ٣١٧٧)، وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وبيان يوم الحج الأكبر برقم (١٣٤٧) بدون ذكر علي وبراءة.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١٨).

- **س: يعني: يا شيخ لو استقدم يأثم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يأثم إن استقدم كافرًا، سواءٌ نصرانيًّا، أو يهوديًّا، أو وثنيًّا، أو بوذيًّا، ما يجوز استقدامه إلّا إذا رأى وليّ الأمر مصلحةً في ذلك؛ كاستقدام الوفود الّذين يأتون من الملوك إلى وليّ الأمر، وكاستقدام الباعة الّذين يبيعون ولا يقيمون، يبيعون الميرة وما الميرة، وأشياء ثمّ يرجعون أو حاجةً ضروريةً لمصلحة المسلمين من طبٍّ، أو عمل سلاحٍ، أو ما أشبه ذلك من الأشياء الّتي لها ضرورةٌ عند وليّ الأمر.

- **س: في هذا الأمر يدخل فيه عبّاد القبور من المسلمين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

عبّاد القبور من أعظم المشركين عبّاد القبور رأس المشركين، أكفر من اليهود والنّصارى، كلّ من كان كافرًا داخلٌ في ذلك، كلّ من كان كافرًا لا يستقدم، لا خادمًا ولا سواقًا ولا غيره، يستقدم المسلمون العمال، يجب على وليّ الأمر منع ذلك.

وقد صدر من هيئة كبار العلماء قرارٌ بمنع ذلك أيضًا، وأن الواجب على المسلمين أن لا يستقدموا لحاجاتهم لا في العمل ولا في سياقة السيارات، ولا غيرها أن لا يستقدموا إلّا المسلمين، وعليهم أن يتخيّروا أيضًا؛ لأنّ بعض النّاس قد يدّعي الإسلام وليس بمسلمٍ، فعليهم أن يتخيّروا وأن ينظروا؛ حتّى لا يستقدموا إلّا من عُرف بالإسلام؛ حتّى لا يضرّوا المسلمين بأخلاقهم وأعمالهم القبيحة، والله المستعان، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

- **س: هل يأثم المسلم إذا جاء بالكافر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يأثم نعم، وعليه التّوبة إلى الله، والله المستعان.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ [التوبة: ٣][1].

آذنهم: أعلمهم.

حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا اللّيث، حدّثني عقيلٌ، قال ابن شهابٍ: فأخبرني حميد بن عبد الرّحمن أنّ أبا هريرة قال: بعثني أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تلك الحجّة في المؤذّنين، بعثهم يوم النّحر يؤذّنون بمنًى: «أن لا يحجّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ». قال حميدٌ: ثمّ أردف النّبيّ ﷺ بعليّ بن أبي طالبٍ، «فأمره أن يؤذّن ببراءة»، قال أبو هريرة: «فأذّن معنا عليٌّ في أهل منًى يوم النّحر ببراءة، وأن لا يحجّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التّوبة: ٣]؛ يعني: إعلام، إعلامٌ من الله وإخبارٌ منه ﷻ أن حجّ المشرك ممنوعٌ بعد هذا الفتح، وأنّه ليس لأحدٍ أن يقرب هذا البيت إلّا وهو مسلمٌ؛ ولهذا قال في السّورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ﴾ [التّوبة: ٢٨] كانوا يؤذّنون، ينادون في منى، في

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) سبق تخريجه (ص٢٧٩).

فجاج منى عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَلَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**»(١)، ومن كان له عند رسول الله عهدٌ فعهده إلى مدته، ومن ليس له عهدٌ فله أربعة أشهرٍ.

كان النّداء بهذه الكلمات الأربع، جماعةٌ ينادون: أبو بكر، وعليٌّ، وأبو هريرة رضي الله عنهم وجماعةٌ ينادون في النّاس بهذا الخبر؛ حتّى يعم البلاغ، في حجّة الوداع لم يحجّ مشركٌ؛ قد تم الفتح ودخل النّاس في دين الله أفواجًا، وأسلم أهل الطائف وغيرهم، ولم يبق إلّا مسيلمة وجماعته الّذين غرّهم الشّيطان؛ فغزاهم المسلمون بعد موت النّبيّ ﷺ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ **[التوبة: ٣]**(٢).

يقول تعالى: وإعلام ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ وتَقَدُّم وإنذار إلى الناس، ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ وهو يوم النحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأظهرها وأكثرها جمعًا ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾؛ أي: بريء منهم أيضًا.

ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال: ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾؛ أي: مما أنتم فيه من الشرك والضلال ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي: استمررتم على ما أنتم عليه ﴿فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ﴾ بل هو قادر، وأنتم في قبضته،

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٧٩).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأحد ٧ ـ ١١ ـ ١٤١٧هـ، ومغرب الأربعاء ١٠ ـ ١١ ـ ١٤١٧هـ.

وتحت قهره ومشيئته، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾؛ أي: في الدنيا بالخزي والنَّكال، وفي الآخرة بالمقامع والأغلال.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثني عَقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني حُمَيد بن عبد الرحمٰن أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في تلك الحَجَّة في المُؤَذِّنين، بعثهم يوم النحر، يُؤذِّنون بمنى: ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد: ثم أردف النبيُّ ﷺ بعلي بن أبي طالب، فأمره أن يُؤَذِّن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذَّنَ معنا عليٌّ في أهل منى يوم النحر ببراءة أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ[1]. ورواه البخاري أيضًا: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شُعَيب، عن الزهري، أخبرني حميد بن عبد الرحمٰن أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر فيمن يُؤذِّن يوم النحر بمنى: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ويوم الحج الأكبر يوم النحر، وإنما قيل: «الأكبر»، من أجل قول الناس: «الحج الأصغر»، فَنَبَذَ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام، فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله ﷺ مشرك. وهذا لفظ البخاري في كتاب «الجهاد».

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ قال: لما كان النبي ﷺ زمن حنين، اعتمر من الجِعِرَّانة، ثم أمرَ أبا بكر على تلك الحجة ـ قال معمر: قال الزهري: وكان أبو هريرة يحدِّث أن أبا بكر أمرَ أبا هريرة أن يؤذن ببراءة في حجة أبي بكر. قال أبو هريرة: ثم أتبَعَنا النبيُّ ﷺ عليًّا، وأمره أن يؤذن ببراءة، وأبو بكر على الموسم كما هو، أو قال: على هيئته وهذا السياق فيه غرابة، من جهة أن أمير الحج كان

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٧٩).

سنة عمرة الجِعرَّانة إنما هو عَتَّاب بن أسيد، فأما أبو بكر إنما كان أميرًا سنة تسع.

وقال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن مغيرة، عن الشعبي، عن مُحرِّر بن أبي هريرة، عن أبيه قال: كنت مع علي بن أبي طالب، حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة «ببراءة»، فقال: ما كنتم تنادون؟ قال: كنا نادي: ألا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله ـ أو أمَدَه ـ إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك. قَالَ: فَكُنْتُ أُنَادِي حَتَّى صَحِلَ صَوْتِي[1].

وقال الشعبي: حدثني مُحَرر بن أبي هريرة، عن أبيه قال: كنت مع ابن أبي طالب رضي الله عنه، حين بعثه رسول الله ﷺ ينادي، فكان إذا صَحل ناديتُ. قلت: بأي شيء كنتم تنادون؟ قال: بأربع: لا يطوف بالكعبة عريان، ومن كان له عهد مع رسول الله ﷺ فعهده إلى مدته، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يحج بعد عامنا مشرك.

رواه ابن جرير من غير ما وجه، عن الشعبي. ورواه شعبة، عن مغيرة، عن الشعبي، به إلا أنه قال: ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فعهده إلى أربعة أشهر. وذكر تمام الحديث

قال ابن جرير: وأخشى أن يكون وهمًا من بعض نقلته؛ لأن الأخبار متظاهرة في الأجل بخلافه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن سِماك، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ بعث بـ«براءة» مع أبي بكر، فلما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٩٩)، والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب قوله عز وجل: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ برقم (٢٩٥٨).

بلغ ذا الحُليفة قال: «**لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**». فَبَعَثَ بِهَا مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه[(١)].

مداخلة: من هو الذي وضع يده على فيه؟

الشيخ: النبي ﷺ.

القول برجوع أبي بكر الصديق من الحج بعد إرسال علي بآيات براءة

المقصود أن هذه الرواية الذي فيها أنه رجع أبو بكر، هذه غلط من بعض الرواة؛ لأن أبو بكر لم يرجع، استمر في الإمارة حتى كمل الحج رضي الله عنه، وصار علي معه من المنادين، علي ينادي بالآيات من براءة مثل أبي هريرة، ومثل غيره من المنادين، ينادون بها كما أمرهم النبي ﷺ: «**لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فمدته أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة**».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ورواه الترمذي في التفسير، عن بندار، عن عفان وعبد الصمد، كلاهما عن حماد بن سلمة به ثم قال: حسن غريب من حديث أنس رضي الله عنه[(٢)].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثنا محمد بن سليمان ـ لُوَين حدثنا محمد بن جابر، عن سماك، عن حَنَش، عن علي رضي الله عنه، قال: لما نزلت عشر آيات من «براءة» على النبي ﷺ، دعا النبي ﷺ أبا بكر، فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ثم دعاني فقال: «**أَدْرِكْ أَبَا بَكْرٍ فَحَيْثُمَا لَحِقْتَهُ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢١٢).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب من سورة براءة برقم (٣٠٩٠).

فَخُذِ الْكِتَابَ مِنْهُ فَاذْهَبْ بِهِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَاقْرَأْهُ عَلَيْهِمْ». فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكرٍ إلى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله نزل فيّ شيءٌ؟ قال: «**لَا وَلَكِنَّ جِبْرِيلَ جَاءَنِي فَقَالَ: لَنْ يُؤَدِّيَ عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ**»(١)، هذا إسناد فيه ضعف.

وليس المراد أن أبا بكر رضي الله عنه، رجع من فوره؛ بل بعد قضائه للمناسك التي أمّره عليها رسول الله ﷺ، كما جاء مبيّنًا في الرواية الأخرى.

وقال عبد الله أيضًا: حدثني أبو بكر، حدثنا عمرو بن حماد، عن أسباط بن نصر، عن سماك، عن حنش، عن علي، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ حين بعثه بـ«براءة» قال: يا نبي الله، إني لست باللسن ولا بالخطيب، قال: «**ما بُدٌّ لي أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت**». قال: فإن كان ولا بدَّ فسأذهب أنا. قال: «**انطلق فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك**». قال: ثم وضع يده على فيه(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يثيع - رجل من همدان: سألنا عليًّا بأيّ شيْءٍ بعثت يعني يوم بعثه النّبيّ ﷺ مع أبي بكرٍ في الحجّة. قال بعثت بأربعٍ: لا يدخل الجنّة إلّا نفسٌ مؤمنةٌ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ، ومن كان بينه وبين النّبيّ ﷺ عهدٌ فعهده إلى مدّته، ولا يحجّ المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا(٣).

ورواه الترمذي عن قلابة، عن سفيان بن عيينة، به وقال: حسن صحيح.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٥١).
(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٢/ ٤٢٣ و٤٢٤).
(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب من سورة براءة برقم (٣٠٩٠)، والإمام أحمد (١/ ٧٩).

كذا قال، ورواه شعبة، عن أبي إسحاق فقال: عن زيد بن يُثَيع وهم فيه. ورواه الثوري، عن أبي إسحاق، عن بعض أصحابه، عن علي رضي الله عنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا الخبر تبليغ عن الرسول ﷺ براءة، استغله الرافضة من إيران، صاروا يأمرون بعض حجَّاجهم بإعلان البراءة كما يقولون على وجه المظاهرة، يصفون مظاهرة في أيام الحج، وهذا غلط قبيح ومنكر، الرسول ﷺ ما فعل هذا، الرسول ﷺ أمرهم ينادون في الأربع المسائل هذه، جماعة ينادون في الناس من غير مظاهرات، ثم هذا ما فعله النبي ﷺ إلا سنة تسع، ثم لم يفعله سنة عشر، ولم يفعله الخلفاء، إنما فعله سنة تسع حتى يعلم «**أَلَا لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ**»[1]، ولم يفعله في حجة الوداع، ولا الخلفاء بعده، فهذه المظاهرات اللي يفعلها الرافضة من إيران هذا من المنكرات، ومن البدع.

مداخلة: رافضة إيران كفار؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كل الرافضة الذين يعبدون عليًّا رضي الله عنه كفار، من إيران وغيرها، مَن عَبَدَ عليًّا وأهل بيته فهو كافر، نسأل الله العافية، يعبدونه، وينادونه من دون الله، يسبون الصحابة، نسأل الله العافية، ينادون الحسين والحسن وفاطمة ويعبدونهم من دون الله عبادة واضحة، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبو أسامة، عن زكريا،

(١) سبق تخريجه (ص٢٧٩).

عن أبي إسحاق، عن زيد بن يُثَيع، عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ حين أنزلت «براءة» قال: بعثت بأربعٍ أن لا يطوف بالبيت عريانٌ، ومن كان بينه وبين النّبيّ ﷺ عهدٌ فهو إلى مدّته، ومن لم يكن له عهدٌ فأجله أربعة أشهرٍ، ولا يدخل الجنّة إلّا نفسٌ مؤمنةٌ، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا[1]. ثم رواه ابن جرير، عن محمد بن عبد الأعلى، عن ابن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي قال: أمرت بأربع. فذكره.

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يُثَيع قال: نزلت براءة فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر، ثم أرسل عليًّا، فأخذها منه، فلما رجع أبو بكر قال: نزل في شيء؟ قال: «**لا ولكن أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي**». فانطلق إلى أهل مكة، فقام فيهم بأربع: لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فعهده إلى مدته.

وقال محمد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنَيْف، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي قال: لما نزلت «براءة» على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكر ليقيم الحج للناس، فقيل: يا رسول الله، لو بعثت إلى أبي بكر. فقال: «**لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي**». ثم دعا عليًّا فقال: «**اخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى: أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يَطُف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته**».

فخرج علي رضي الله عنه، على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر في الطريق فلما رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور؟ قال بل مأمور، ثم

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب من سورة براءة برقم (٣٠٩٢).

مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب فأذَّن في الناس بالذي أمره رسول الله ﷺ، فقال: يا أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام، ولا يطف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ. فكان هذا من «براءة» فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام، وأهل المدة إلى الأجل المسمى.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا أبو زُرْعة وهب الله بن راشد، أخبرنا حَيْوَة بن شُريح: أخبرنا أبو صخر: أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول: سألت علي بن أبي طالب عن «يوم الحج الأكبر» فقال: إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قُحَافة يقيم للناس الحج، وبعثني معه بأربعين آية من «براءة»، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة، فلما قضى خطبته التفت إليَّ فقال: قم يا علي، فأدّ رسالة رسول الله ﷺ، فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من «براءة»، ثم صَدَرنا فأتينا منى، فرميت الجمرة ونحرتُ البدنة، ثم حلقت رأسي، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا كلهم خطبة أبي بكر يوم عرفة، فطفت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم، فمن ثم إخال حسبتم أنه يوم النحر ألا وهو يوم النحر ألا وهو يوم عرفة.

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن أبي إسحاق: سألت أبا جُحَيفة عن يوم الحج الأكبر، قال: يوم عرفة. فقلت: أمِنْ عندك أم من أصحاب محمد ﷺ؟ قال: كل في ذلك.

وقال عبد الرزاق أيضًا، عن جُرَيْج، عن عطاء قال: يوم الحج الأكبر، يوم عرفة.

وقال عُمَر بن الوليد الشَّنِّي: حدثنا شهاب بن عباد العَصَريّ، عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: هذا يوم عرفة، هذا يوم الحج الأكبر، فلا يصومَنَّه أحد. قال: فحججت بعد أبي فأتيت المدينة، فسألت عن أفضل أهلها، فقالوا: سعيد بن المسيب، فأتيته فقلت: إني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا: سعيد بن المسيب، فأخبرني عن صوم يوم عرفة؟ فقال: أخبرك عمن هو أفضل مني مائة ضعف عمر أو: ابن عمر كان ينهى عن صومه، ويقول هو يوم الحج الأكبر.

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وهكذا روي عن ابن عباس، وعبد الله بن الزبير، ومجاهد، وعِكْرِمة، وطاوس: أنهم قالوا: يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر.

وقد ورد فيه حديث مرسل رواه ابن جُرَيْج: أخبرت عن محمد بن قيس بن مَخْرَمة أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة، فقال: هذا يوم الحج الأكبر.

وروي من وجه آخر عن ابن جريج، عن محمد بن قيس، عن المِسْوَر بن مخرمة، عن رسول الله ﷺ، أنه خطبهم بعرفات فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن هذا يوم الحج الأكبر».

والقول الثاني: أنه يوم النحر.

قال هُشَيْم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن علي رضي الله عنه، قال: يوم الحج الأكبر يوم النحر.

وقال أبو إسحاق السَّبِيعي، عن الحارث الأعور، سألت عليًّا رضي الله عنه، عن يوم الحج الأكبر، فقال: هو يوم النحر.

وقال شعبة، عن الحكم: سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن علي رضي الله عنه، أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة، فجاء رجل

فأخذ بلجام دابته، فسأله عن الحج الأكبر، فقال: هو يومك هذا، خَل سبيلها.

وقال عبد الرازق، عن سفيان عن شعبة عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن أبي أوفى أنه قال: يوم الحج الأكبر يوم النحر.

وروى شعبة وغيره، عن عبد الملك بن عمير، به نحوه. وهكذا رواه هشيم وغيره، عن الشيباني عن عبد الله بن أبي أوفى.

وقال الأعمش، عن عبد الله بن سنان قال: خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير فقال: هذا يوم الأضحى، وهذا يوم النحر، وهذا يوم الحج الأكبر.

وقال حماد بن سلمة، عن سِمَاك، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس أنه قال: الحج الأكبر، يوم النحر.

وكذا روي عن أبي جُحَيْفة، وسعيد بن جُبَير، وعبد الله بن شداد بن الهاد، ونافع بن جُبَير بن مطعم، والشعبي، وإبراهيم النَّخَعِي، ومجاهد، وعِكْرِمة، وأبي جعفر الباقر، والزهري، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا: يوم الحج الأكبر هو يوم النحر. واختاره ابن جرير. وقد تقدم الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخاري: أن أبا بكر بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

قف على وقد ورد في ذلك أحاديث أخر. رَحِمَهُ اللهُ، نعم. هو المشهور المعروف يوم الحج الأكبر يوم النحر، يوم عرفة يوم الحج إدراك الحج، لكن يوم الحج الأكبر يوم النحر؛ لأن فيه أعمال الحج: من الطواف، والسعي، والرمي، والذبح، والنحر، والحلق. الله المستعان. الله أكبر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ...﴾ برقم (٤٦٥٥).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد ورد في ذلك أحاديث أخر، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثني سهل بن محمد السجستاني، حدثنا أبو جابر الحرمي، حدثنا هشام بن الغاز الجرشي ـ عن نافع، عن ابن عمر قال: وقف رسول الله ﷺ يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع، فقال: «**هذا يوم الحج الأكبر**»(١).

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن مَرْدُويه من حديث أبي جابر ـ واسمه محمد بن عبد الملك، به، ورواه ابن مردويه أيضًا من حديث الوليد بن مسلم، عن هشام بن الغاز، به. ثم رواه من حديث سعيد بن عبد العزيز، عن نافع، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويدل على هذا المعنى قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣]، هم أذنوا يوم النحر، . . . . . . يوم الحج الأكبر، جعلهم ينادون يوم النحر، يطوفون على الناس في منازلهم، ويقولون: (إنه لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو على مدته، ومن ليس له عهد فله أربعة أشهر)، ينادون في الناس بهذا يوم النحر، والله سمَّاه يوم الحج الأكبر ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٢]؛ وذلك لأن فيه غالب أعمال الحج: الرمي، والنحر، والحلق، والطواف، والسعي، كلها تفعل بها يوم النحر، والأفضل أن تكون يوم النحر جميعًا، يرمي الجمرة يوم النحر، ينحر هديه، ويحلق رأسه أو يقصره، ويطوف ويسعى، وكل هذه فعلها

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الحج، باب الخطبة في أيام منى ساقه بعد الحديث رقم (١٧٤٢)، وتقدم وصله وابن ماجه في كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر برقم (٣٠٥٨)، انظر: كلام الحاكم على هذا الحديث في الجزء الرابع من المستدرك برقم (٣٣١٥) (ص٢١٤).

النبي ﷺ يوم العيد يوم النحر، في حجة الوداع، رمى، ثم نحر، ثم حلق، ثم ذهب إلى البيت فطاف به عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال شعبة، عن عمرو بن مُرَّة عن مُرَّة الهَمْداني، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ على ناقة حمراء مخضرمة، فقال: «**أتدرون أي يوم يومكم هذا؟**» قالوا: يوم النحر. قال: «**صدقتم، يوم الحج الأكبر**» وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا يزيد بن زُرَيع، حدثنا ابن عون، عن محمد بن سيرين، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: لما كان ذلك اليوم، قعد رسول الله ﷺ على بعير له، وأخذ الناس بخطامه أو: زمامه فقال: «**أي يوم هذا؟**» قال: فسكتنا حتى ظننا أنه سيسمِّيه سوى اسمه، فقال: «**أليس هذا يوم الحج الأكبر**» وهذا إسناد صحيح، وأصله مخرَّج في الصحيح.

وقال أبو الأحوص، عن شبيب بن غرقدة، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فقال: «**أي يوم هذا؟**» فقالوا: اليوم الحج الأكبر.

وعن سعيد بن المسيب أنه قال: يوم الحج الأكبر اليوم الثاني من يوم النحر. رواه ابن أبي حاتم. وقال مجاهد أيضًا: يوم الحج الأكبر أيام الحج كلها.

وكذا قال أبو عبيد، قال سفيان: «يوم الحج»، و«يوم الجمل»، و«يوم صفين»؛ أي: أيامه كلها.

وقال سهل السراج: سئل الحسن البصري عن يوم الحج الأكبر، فقال: ما لكم وللحج الأكبر، ذاك عام حج فيه أبو بكر، الذي استخلفه رسول الله ﷺ فحج بالناس. رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا أبو أسامة، عن ابن

عون: سألت محمدًا يعني ابن سيرين عن يوم الحج الأكبر فقال: كان يومًا وافق فيه حج رسول الله ﷺ حج أهل الوبر.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ **الآية** [التوبة: ٤][(١)].

الآية على ظاهرها الذين لهم عهد أمره الله أن يتم عهدهم لهم، ما لم يغيروا فينقضوا العهد أو يظاهروا أعداء المسلمين، فإن ظاهروهم وجب قتالهم، وإذا نقضوا العهد كذلك؛ ولهذا لما ساعدت قريش بني بكر على خزاعة انتقض عهد قريش وبني بكر، وحاربهم النبي ﷺ يوم الفتح، ودخل مكة وفتحها عنوة عام ثمان من الهجرة؛ لنقضهم العهد؛ لأن خزاعة كانت في حلف النبي ﷺ، وكانت بنو بكر في عهد قريش وحلف قريش، فهجمت بنو بكر خزاعة؛ يعني: تعدت عليهم، وأتوهم بغتة ـ أي: فُجاءة ـ وقاتلوهم وهم في حلف رسول الله ﷺ فاستنجدوا بالرسول ﷺ وطلبوا منه أن ينصرهم ووعدهم النصر، وكانت قريش قد ساعدتهم بالمال والسلاح؛ فلهذا غزاهم النبي ﷺ وفتح الله عليه مكة؛ لنقضهم العهد، وكان قد عاهدهم عشر سنين، فلما نقضوا العهد بمساعدتهم بني بكر انتقض عهدهم، وغزاهم النبي ﷺ وفتح الله عليه.

*

(١) من فتاوى نور على الدرب، (٢٧/ ١٨٥)، والفتاوى (٢٤/ ٢٣٦).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ **الآية** [التوبة: ٤][1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾. هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق ليس بمؤقت، فأجله أربعة أشهر، يسيح في الأرض يذهب فيها ليتجر بنفسه حيث شاء، إلا من له عهد مؤقت فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها، وقد تقدمت الأحاديث، ومن كان له عهد...

الشيخ: وقد تقدمت..

الملقي: [وقد تقدمت الأحاديث ومن كان له عهد].

الشيخ: كذا عندكم: تقدمت الأحاديث والا وتقدم في الأحاديث؟

مداخلة: قد تقدمت الأحاديث. ومن كان له عهد مع رسول الله ﷺ فعهده إلى مدته، وذلك بشرط أن لا ينقض المعاهد عهده، ولم يظاهر على المسلمين أحدًا..] أي: يمالئ عليهم من سواهم، فهذا الذي يوفى له بذمته.. وعهده إلى مدته.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني إذا لم ينقض العهد، ولم يظاهر على المسلمين، أما إذا نقضه أو ظاهر انتقض عهده.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا حرض تعالى على الوفاء بذلك]. الشيخ: ولهذا. الملقي: [ولهذا حرض تعالى على الوفاء بذلك، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، أي: الموفين بعهدهم.

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٤](١).

حدّثني إسحاق، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا أبي، عن صالحٍ، عن ابن شهابٍ أنّ حميد بن عبد الرّحمن أخبره أنّ أبا هريرة أخبره: «أنّ أبا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعثه في الحجّة الّتي أمّره رسول الله ﷺ عليها قبل حجّة الوداع في رهطٍ يؤذّن في النّاس: أن لا يحجّنّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ»، فكان حميدٌ يقول: يوم النّحر: يوم الحجّ الأكبر، من أجل حديث أبي هريرة.

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة: ٥](٢).

اختلف المفسرون في المراد بالأشهر الحرم هاهنا، ما هي؟ فذهب ابن جرير إلى أنها [الأربعة] المذكورة في قوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١٤ ـ ١١ ـ ١٤١٧هـ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [التوبة: ٣٦]، قاله أبو جعفر الباقر، لكن قال ابن جرير: آخر الأشهر الحرم في حقهم المحرم وهذا الذي ذهب إليه حكاه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإليه ذهب الضحاك أيضًا، وفيه نظر.

والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس في رواية العوفي عنه، وبه قال مجاهد، وعمرو بن شعيب، ومحمد بن إسحاق، وقتادة، والسدي، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها في قوله: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾؛ أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم فيها قتالهم، وأجلناهم فيها، فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم؛ لأن عَود العهد على مذكور أولى من مقدر؛ ثم إن الأشهر الأربعة المحرمة سيأتي بيان حكمها في آية أخرى بعد في هذه السورة الكريمة.

وقوله: ﴿ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾؛ أي: من الأرض. وهذا عام، والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]

وقوله: ﴿وَخُذُوهُمْ﴾؛ أي: وأسروهم، إن شئتم قتلًا وإن شئتم أسرًا.

وقوله: ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾؛ أي: لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم؛ بل اقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم، والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع، وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

ولهذا اعتمد الصدِّيق رضي الله عنه، في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها، حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال، وهي الدخول

في الإسلام، والقيام بأداء واجباته. ونبه بأعلاها على أدناها، فإن أشرف الأركان بعد الشهادة الصلاة، التي هي حق الله، ﷻ، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين؛ ولهذا كثيرًا ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة، وقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ**»(١) الحديث.

وقال أبو إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومن لم يزك فلا صلاة له.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: أبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة، وقال: يرحم الله أبا بكر، ما كان أفقهه.

الأسئلة:

مداخلة: حكم تارك الزكاة؟

الشيخ: إن قاتل دونها مثلما فعل الصحابة يقاتل كافرًا، وإن منعها من غير قتال تؤخذ منه، ويعزَّر، كما قال في الحديث: «**فإنا آخذوها وشطر ماله**»، أما إذا قاتل دونها هذا دليل على أنه جاحد لها، فيقاتل كافرًا، كما فعل الصدِّيق والصحابة رضي الله عنهم.

● **س: قوله: أن الصلاة لا تقبل إلا بالزكاة؟**

○ **الجواب**: لا، الصواب تقبل بالزكاة، هذا من باب التغليظ، وإلا إذا صلى فالزكاة فرض، ولكن لا يكفر بتركها إلا إذا حارب دونها وقاتل.

● **س: أحسن الله إليك! صحة دعاء الرسول ﷺ في مرجعه من الطائف: «اللهم أشكو إليك ضعفي، وقلة حيلتي»؟**

○ **الجواب**: مشهور، ولكن في سنده بعض المقال، نعم.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٦٥).

• **س: الصحيح في الأشهر الحرم المقصودة في الآية يا شيخ؟!**

○ **الجواب**: الراجح فيها هي أشهر التسيير، اللي سيرها، حين قال: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]، يعني: ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشرًا من ربيع الآخر، نعم. الله المستعان.

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا حميد الطويل، عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَأَكَلُوا ذَبِيحَتَنَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ**».

ورواه البخاري في صحيحه وأهل السنن إلا ابن ماجه، من حديث عبد الله بن المبارك، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه. والمعنى في هذا يعني إذا التزموا الإسلام، مثل ما في حديث ابن عمر: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**» متفق على صحته[١]، فهكذا حديث أنس: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَأَكَلُوا ذَبِيحَتَنَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا**

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٦٥).

بِحَقِّهَا لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ». . المعنى أنهم كانوا مسلمين بهذا، إذا التزم بالشهادتين وبحقهما هو مسلم، ولهذا في الأحاديث الأخرى: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ. فَإِذَا قَالُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ. عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا**»، وفي لفظ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»، ومن حقها شهادة أن محمدًا رسول الله، من حقها الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، إلى غير ذلك.

مداخلة: أحسن الله إليكم يا شيخ! معنى (وأكلوا ذبيحتنا)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني استحلوا ذبيحتنا بالتسمية، سموا مثلما نسمي، وأكلوا ما أباح الله لنا من الإبل والبقر وغير ذلك، وتركوا ما لا نأكل، معنى تابعوا الشرع.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدي، حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده، وعبادته لا يشرك به شيئًا، فارقها والله عنه راض» - قال: وقال أنس: هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم، قبل هرج الأحاديث، واختلاف الأهواء، وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ - قال: توبتهم خلع الأوثان، وعبادة ربهم، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ثم قال في آية أخرى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] ورواه ابن مردويه.

ورواه محمد بن نصر المروزي في كتاب «الصلاة» له: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا حَكَّام بن سِلْم، حدثنا أبو جعفر الرازي، به سواء.

وهذه الآية الكريمة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم: إنها نسخت كل عهد بين النبي ﷺ وبين أحد من المشركين، وكل عهد، وكل مدة.

وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية: لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة، منذ نزلت براءة وانسلاخ الأشهر الحرم، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل أربعة أشهر، من يوم أذن ببراءة إلى عشر من أول شهر ربيع الآخر.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية، قال: أمره الله تعالى أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الإسلام، ونقض ما كان سمي لهم من العقد والميثاق، وأذهب الشرط الأول.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري قال: قال سفيان قال علي بن أبي طالب: بُعث النبي ﷺ بأربعة أسياف: **سيف** في المشركين من العرب قال الله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ هكذا رواه مختصرًا، وأظن أن **السيف الثاني**: هو قتال أهل الكتاب في قوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

والسيف الثالث: قتال المنافقين في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩].

والرابع: قتال الباغين في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟

فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩].

ثم اختلف المفسرون في آية السيف هذه، فقال الضحاك والسدي: هي منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

مداخلة: أقول لا يوجد سيف خامس وهو قتال المرتدين أو داخل في المشركين؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، الظاهر أنه بدل المنافقين، قتال المرتدين يعني: المنافقين ما يقاتلون إذا أظهروا الإسلام، أما السيف الرابع قتال المرتدين، ، غير المشركين الأصول.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ثم اختلف المفسرون في آية السيف هذه].

مداخلة: أحسن الله إليكم! المراد بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التحريم: ٩]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم. جهاد الكفار بالسيف، والمنافقين بالغلظة لهم، إلا إذا أظهروا نفاقهم، إذا أظهروه صاروا كفارًا صرحاء، ولهذا لم يقتل النبي ﷺ عبد الله بن أبي ولا جماعته.

مداخلة: الصواب في هذه الآية أنها منسوخة؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال قتادة بالعكس

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليست منسوخة، ولكنها مخصَّصة بآية الجزية، فأدوا الجزية أهل الكتاب، ومخصصة بما إذا رأى ولي الأمر الصلح، ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] إذا رأى المصلحة الصلح، كما صالح النبي ﷺ

أهل الأوثان من أهل مكة يوم الحديبية، إذا رأى المصلحة صالحهم لمدة معلومة، فهي آية عامة ولكنها مخصوصة بأنواع من التخصيص بأهل الكتاب وإذا رأى المصلحة في ذلك، ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

مداخلة: ! المشركون المنتسبون إلى الإسلام يعاملون معاملة المرتدين أم معاملة الكفار الملحدين؟

الشيخ: من كان شركه أصيلًا فهو كالمشركين الأولين، ومن كان شركه طارئًا فهو معاملة المرتدين، من طرأ عليه الشرك فهو من المرتدين، ومن كان عاش على الشرك ونشأ على الشرك فهو من الكفار الأصليين، نسأل الله العافية.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥][1].

هذه الآية الكريمة تدل على وجوب حمل الناس على ما ظهر منهم، وأن يؤخذوا بما ظهر منهم، وأن يعاملوا بما ظهر منهم من أعمال وأقوال، وأما قلوبهم فإلى الله ﷻ، السرائر إلى الله ﷻ، وولاة الأمور إنما يأخذون الناس بما ظهر من أعمالهم، وهكذا المعاملات بين الناس على ما ظهر من الأعمال، أما ما يتعلق بالقلوب والسرائر فهذا إلى الله ﷻ هو الذي يعلمها ويجازي عليها ﷻ؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥] يعني: ليس لكم حق في التنقيب عن بواطنهم، أمورهم إلى الله إذا كانوا منافقين وقالوها تقية فالله الذي يعلم ذلك ﷻ، إنما على العبد الأخذ

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/ ١٠٦).

بالظاهر، فمن أظهر الإسلام قُبل منه الإسلام وحُقن دمه وماله، ولو اتهم بالنفاق ولو اتهم بغرض آخر فالأمر معلق بالظاهر؛ لقوله تعالى: ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾ أي: لا تقتلوهم.

وفي الآية الأخرى قال: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١] هم إخواننا في الدين على ما أظهروا، وما يتعلق بالقلوب فهو إلى الله ﷻ، ولهذا أُقر من يتهم بالنفاق في عهد النبي ﷺ، جم غفير اتهموا بالنفاق؛ لأنهم لم يظهروا وهم متهمون ولم يؤخذوا به بل يؤخذون بما ظهر من أعمالهم، وهكذا في كل زمان إنما يؤخذ الناس بما ظهر من أعمالهم، فإذا تعلقت الأمور بالقلوب صار في ذلك من الفساد العريض ما لا يحصيه إلا الله ﷻ، فالقلوب ليس لأحد علمٌ بما فيها إلا الله ﷻ.

ولهذا جاء في حديث ابن عمر: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(١).

وفي اللفظ الآخر: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا**».

وحديث طارق بن أشيم «مَنْ قالَ لَا إلهَ إلَّا الله، وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله تَعَالَى».

وفي اللفظ الآخر: «**مَنْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ ﷻ**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٦٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك عن أبيه في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله برقم (٢٣).

وحديث المقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه: سأل النبي ﷺ عما قد يقع بين لقاء الكفار فيقطع الكافر يد المسلم ثم يلوذ منه بشجرة أو حجر أو نحو ذلك، فيقول: أسلمت لله ويقول: لا إلـٰه إلا الله، فقال: يا رسول الله أأقتله؟ قال: «**لا**» يعني: أظهر الإسلام وجب الكف عنه، فإن قتلته فهو بمنزلتك قبل أن تقتله؛ يعني: معصوم، وأنت بمنزلته قبل أن يقول: ما قال؛ يعني: حلال الدم، وهذا يدل على وجوب الكف على من أظهر الإسلام وعدم قتاله ولو قاتل، إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه.

وهكذا حديث أسامة لما غزوا الحُرقة من جُهينة ولحق إنسانًا منهم فقال: لا إلـٰه إلا الله، وكان معه شخص من الأنصار فكف الأنصاري عنه لما قال: لا إلـٰه إلا الله وأسامة قتله، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك أنكر على أسامة: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» قال: يا رسول الله إنما قالها تعوُّذًا، قال: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا**» كيف لك بلا إلـٰه إلا الله يوم القيامة.

المقصود: أن من أظهر الإسلام يُكَف عنه حتى ولو في حال القتال ولو بين الصفين، وهذا كله مما يدل على أنه ينبغي الترغيب في الإسلام وينبغي حث الناس على الإسلام، والكف عنهم إذا أظهروه ترغيبًا لهم في الإسلام، ليس المقصود قتالهم، المقصود دعوتهم إلى الله، المقصود إخراجهم من الظلمات إلى النور، فإذا أظهروا الإسلام وجب الكف عنهم سواء كان قبل القتال أو في حال القتال، وإنما يكف عمَّن قال: لا إلـٰه إلا الله إذا كان لا يقولها قبل ذلك؛ كعُباد الأوثان في عهد النبي ﷺ لا يقولونها، إذا قالوها فهو علامة إسلامهم، أما كفار اليوم يقولونها وهم كفار وهم يعبدون غير الله، فلا يكف عنهم إلا إذا قالوا: تُبنا إلى الله من ذلك، أو رجعنا عما نحن عليه من تعلق بالقبور وعبادة الأوثان، حتى يصرِّحوا بشيء يدل على توبتهم مما هم فيه.

والخلاصة: أن الواجب الكف عمن أظهر الإسلام بأي لغة أظهرها بأي معنى أظهرها، إذا أظهرها بالمقابل أنه أظهر الإسلام بلغته أو بعلامة عرفها منه فإنه يكف عنه، فإن الناس يختلفون، ليس كلهم عربًا، قد يكون منهم أعاجم لا يعرفون أن يقولوا: لا إلـٰه إلا الله، ولكن متى أظهر الإسلام بطريقة عرفها منه فإنه يكف عنه، ثم ينظر في أمره فإن استقام على الإسلام فالحمد لله، وإن رجع إلى كفره صار مرتدًا يُقتل لردَّته، «**من بدل دينه فاقتلوه**»[١]. ثم أمر الناس على الظواهر في كل شيء في البيع والشراء والنكاح وغير هذا من شؤون الناس حتى يظهر خلاف ذلك، وإلا فيحمل على ما ظهر من إسلامه، في زواجه وفي معاملاته وفي إجابة دعوته إلى غير هذا من الشؤون، حتى يظهر منه ما يدل على كفره أو معصيته التي يستحق بها الهجر، أو ما أشبه ذلك.

❊

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ٦﴾ [التوبة: ٦][٢].

يقول تعالى لنبِّيه، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين أمرتك بقتالهم، وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم، ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾؛ أي: استأمنك، فأجبه إلى طلبته ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآن تقرؤه عليه وتذكر له شيئًا من أمر الدين تقيم عليه به حجة الله، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾؛ أي: وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ٦﴾؛ أي: إنما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله برقم (٣٠١٧).
(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١٤ ـ ١١ ـ ١٤١٧هـ.

شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله، وتنتشر دعوة الله في عباده.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في تفسير هذه الآية، قال: إنسان يأتيك يسمع ما تقول وما أنزل عليك، فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه، حيث جاء ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه، مسترشدًا أو في رسالة، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش، منهم: عروة بن مسعود، ومِكْرَز بن حفص، وسهيل بن عمرو، وغيرهم واحدًا بعد واحد، يترددون في القضية بينه وبين المشركين، فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم.

ولهذا أيضًا لما قدم رسول مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ قال له: «**أتشهد أن مسيلمة رسول الله؟**» قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا**»[١].

وقد قيض الله له ضرب العنق في إمارة ابن مسعود على الكوفة، وكان يقال له: ابن النواحة، ظهر عنه في زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة، فأرسل إليه ابن مسعود فقال له: إنك الآن لست في رسالة، وأمر به فضربت عنقه، لا رَحِمَهُ اللهُ ولعنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ومن هذا الوفود الذين يفدون عن النبي ﷺ فإنه يقرهم ويعلِّمهم ويرجعهم إلى مأمنهم، مثل وفود أهل الطائف، ووفود أهل نجران سمع منهم، وعلَّمهم، وأرشدهم، وبلَّغهم، وردَّهم إلى مأمنهم.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الرسل برقم (٢٧٦١)، والإمام أحمد (١/ ٣٩٦ و٣/ ٤٨٧).

الأسئلة:

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! بالنسبة للأمان ما يعطى إلا المسترشد والوفود والرسول فقط؟**

○ **الجواب**: اللي يأتي لحاجة، أو يرى ولي الأمر مجيئه لحاجة.. مصلحة.

● **س: لكن لو كان في حرب وانتصر المسلمون، وجاء أحد الكفرة يستأمن يؤمن؟**

○ **الجواب**: يرى ولي الأمر، ينظر فيه ولي الأمر، إن رأى قَتْله قَتَله، وإن رأى أمنه على حسب ما يراه ولي الأمر.

● **س: لعن الكفار؟**

○ **الجواب**: يقول النبي ﷺ: **«لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُم قَدْ أفضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»**(١)، لكن كثير من أهل العلم إذا مر ذكره للكافرين من شدة البغضاء يلعنونهم مثل ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

والصواب في هذا أنه يقره ولي الأمر ما رأى من المدة التي يرى فيها المصلحة؛ لأن هذه الجزيرة أولًا ما هي بمحل الكفار، والبلاد الأخرى محل نظر لولي الأمر، كمصر والشام والعراق يسكنها الكفار، فالذي يأتي من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين ولي الأمر ينظر في أمره، فيرى رأيه شهر، شهرين، أربعة أيام، ثلاثة أيام، خمسة أيام، على حسب ما تحصل به المصلحة.

مداخلة: يعني: طالت المدة أو قصرت؟

الشيخ: إيه بشرط مراعاة المصلحة الشرعية.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما ينهى من سب الأموات برقم (١٣٩٣).

● **س: ولو زادت على سنة أحسن الله إليكم؟**

○ **الجواب**: التحديد بسنة ما عليه دليل.

● **س: وهذا عام حتى في جزيرة العرب يا شيخ؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: وهذا عام حتى في الجزيرة؟

○ **الجواب**: لا الظاهر الجزيرة بلا شك، ولكن ظاهر كلام ابن كثير حتى في غير الجزيرة، لولي الأمر أن ينظر في الأمر؛ لأنه قد يكون جاسوس، قد يكون له مقاصد خبيثة، فينظر ولي الأمر في إقامته، فإن رأى المصلحة وإلا أبعده.

● **س: أحسن الله إليكم! سياق كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ كأنه يعني أكثر من سنة محل اتفاق؛ لأنه قال: فيما دون ذلك في فيه قولان..؟**

○ **الجواب**: ما هو بالظاهر.

مداخلة: أحسن الله إليك! عليهم أن يلتزموا بهم؟

الشيخ: ما يظهروا كفرهم.

س: أحسن الله إليك! قول الأشاعرة في مسألة الكلام؟

مداخلة: قول الأشاعرة في مسألة الكلام...؟

○ **الجواب**: الكلام كلام الله حرفًا ومعنى، لا المعتزلة، ولا الجهمية، ولا الأشاعرة، ولا غيرهم، الواجب كلام أهل السُّنَّة، ولا الكلابية، كلام أهل السُّنَّة كلامه جَلَّ وَعَلَا لفظًا ومعنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة، أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية، أو نحو ذلك من الأسباب، فطلب من الإمام أو نائبه أمانًا، أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه. لكن قال العلماء: لا

يجوز أن يمكَّن من الإقامة في دار الإسلام سنة، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر، وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان، عن الإمام الشافعي وغيره من العلماء، رحمهم الله.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة: ٧][1].

يبيِّن تعالى حكمته في البراءة من المشركين ونظرته إياهم أربعة أشهر، ثم بعد ذلك السيف المرهف أين ثُقفوا، فقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ وأمان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله، ﴿رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ﴾، يعني يوم الحديبية، كما قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ الآية [الفتح: ٢٥]، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾؛ أي: مهما تمسَّكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك والمسلمون، استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست، إلى أن نقضت قريش العهد ومالئوا حلفاءهم بني بكر على خزاعة أحلاف رسول الله ﷺ، فقتلوهم معهم في الحرم أيضًا، فعند ذلك غزاهم رسول الله ﷺ في رمضان سنة ثمان، ففتح الله عليه البلد الحرام، ومكنه من نواصيهم، ولله الحمد والمنة، فأطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم، فسُمُّوا الطلقاء،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١٤ - ١١ - ١٤١٧هـ.

وكانوا قريبًا من ألفين، ومن استمر على كفره وفرَّ من رسول الله ﷺ بعث إليه بالأمان والتسيير في الأرض أربعة أشهر، يذهب حيث شاء: منهم صفوان بن أمية، وعِكْرِمة بن أبي جهل وغيرهما، ثم هداهم الله بعد ذلك إلى الإسلام التام، والله المحمود على جميع ما يقدره ويفعله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

سبحان الله، لا إلٰه إلا الله.

الأسئلة:

- **س: حتى جزيرة العرب في بقاء هؤلاء اليهود والنصارى؟**

○ **الجواب**: لا، الجزيرة ما يبقى فيها أحد، هذا في خارج الجزيرة.

- **س: بعض الكفار يكون عندهم حصانة دبلوماسية يتعرض إليه؟**

○ **الجواب**: على كل حال إلى ولي الأمر، ينظر في الأمر ولي الأمر، إذا رأى المصلحة في ذلك يقيمه مدةً يراها ولي الأمر لمصلحة المسلمين، لكن لا يظهروا كفرهم، عليهم أن يلتزموا بما قيل لهم، وأن لا يظهروا كفرهم، يمنعوا.

- **س: وإذا أظهروا المنكر؟**

○ **الجواب**: يجب أن يمنعوا، ويؤدبوا إذا أظهروا، على ولي الأمر أن يمنعهم.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ١٢](١).

حدّثنا محمّد بن المثنّى، حدّثنا يحيى، حدّثنا إسماعيل، حدّثنا

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

زيد بن وهبٍ قال: كنّا عند حذيفة فقال: «ما بقي من أصحاب هذه الآية إلّا ثلاثةٌ، ولا من المنافقين إلّا أربعةٌ»، فقال أعرابيٌّ: إنّكم أصحاب محمّدٍ ﷺ تخبروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء الّذين يبقرون بيوتنا، ويسرقون أعلاقنا؟ قال: «أولئك الفسّاق، أجل لم يبق منهم إلّا أربعةٌ: أحدهم شيخٌ كبيرٌ لو شرب الماء البارد لما وجد برده»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: من المنافقين، ذاك الوقت: وقت حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تكلّم عليه الشّارح على الأربعة؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣٢٣)]: «قوله: **(إلّا ثلاثةٌ)**: سمّي منهم في رواية أبي بشرٍ عن مجاهدٍ: أبو سفيان بن حربٍ. وفي رواية معمرٍ عن قتادة: أبو جهل بن هشامٍ، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان، وسهيل بن عمرٍو.

وتعقّب بأنّ أبا جهلٍ وعتبة قتلا ببدرٍ، وإنّما ينطبق التّفسير على من نزلت الآية المذكورة وهو حيٌّ فيصحّ في أبي سفيان، وسهيل بن عمرٍو وقد أسلما جميعًا.

قوله: **(ولا من المنافقين إلّا أربعةٌ)**: لم أقف على تسميتهم.

قوله: **(فقال أعرابيٌّ)**: لم أقف على اسمه.

قوله: **(إنّكم أصحاب محمّد ﷺ)**: بنصب أصحابٍ على النّداء مع حذف الأداة، أو هو بدلٌ من الضّمير في «إنّكم».

قوله: **(تخبروننا فلا ندري)**: كذا وقع في رواية الإسماعيليّ: «تخبروننا عن أشياء».

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ برقم (٤٦٥٨).

قوله: (**يبقرون**): بموحّدةٍ ثمّ قافٍ؛ أي: ينقبون. قال الخطّابيّ: وأكثر ما يكون النّقر في الخشب والصّخور؛ يعني: بالنّون.

قوله: (**أعلاقنا**): بالعين المهملة والقاف؛ أي: نفائس أموالنا. وقال ابن التّين: وجدته في بعض الرّوايات مضبوطًا بالغين المعجمة ولا وجه له. انتهى. ووجد في نسخة الدّمياطيّ بخطّه بالغين المعجمة أيضًا، ذكره شيخنا ابن الملقّن. ويمكن توجيهه بأنّ الأغلاق جمع: غلقٍ بفتحتين وهو الباب الّذي يغلق على البيت ويفتح بالمفتاح، ويطلق الغلق على الحديدة الّتي تجعل في الباب ويعمل فيها القفل؛ فيكون قوله: (**ويسرقوا أغلاقنا**) إمّا على الحقيقة فإنّه إذا تمكّن من سرقة الغلق توصّل إلى فتح الباب، أو فيه مجاز الحذف؛ أي: يسرقون ما في أغلاقنا.

قوله: (**أولئك الفسّاق**)؛ أي: الّذين يبقرون ويسرقون، لا الكفّار ولا المنافقون.

قوله: (**أحدهم شيخٌ كبيرٌ**): لم أقف على تسميته». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعلم أنّ المتعدّين على النّاس ليسوا بمنافقين؛ لأنّه استنكر هذا الأعرابي أنّه ما بقي من المنافقين إلّا أربعةٌ!! وهؤلاء الّذين يؤذون النّاس ويسرقون بيوتهم، ويسرقون نخيلهم؛ فقال له حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هؤلاء الفسّاق؛ يعني: العصاة.

أمّا المنافقون هم الّذين أظهروا الإسلام وهم كفارٌ في الباطن، هذا مراد حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنّ الرّسول ﷺ أعلمه بجماعةٍ من المنافقين، أسرّ إليه أخبارهم، ولا يلزم من قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ألّا يكون هناك منافقون آخرون، لا، هناك منافقون كثيرون، لكن مقصوده المنافقون

الّذين علمهم هو واطّلع عليهم من أخبار النّبيّ ﷺ، وإلّا فالمنافقون في كلّ زمانٍ.

فالحاصل: أنّ الفسّاق غير المنافقين، والسّراق والظّلمة غير المنافقين، المنافق هو الّذي يتظاهر بالإسلام وباطنه الكفر، وقد يتظاهر بخصال أهل النّفاق، وإن كان مسلمًا ولكنه ضعيف الإسلام، ضعيف الإيمان؛ لما ظهر منه من علامات النّفاق: «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ...**» الحديث.

لكن الفساق هم الّذين يتعاطون المعاصي من سرقةٍ، من سبّ النّاس، من العقوق، من قطيعة الرّحم، شرب المسكر، شهادة الزّور، ما أشبه هؤلاء، هؤلاء هم الفسّاق، وهم ضعفاء الإيمان؛ ولهذا شرع الله في حقّهم حدودًا وتعزيراتٍ لردعهم مع الحكم لهم بالإسلام، كما هو قول أهل السّنّة والجماعة، خلافًا للخوارج.

• **س: قوله: «لو شرب الماء البارد لما وجد برده»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الإنسان يختلّ في ذلك، تختل طبيعته لكبر سنّه جدًّا.

• **س: يعني: بقوا على النّفاق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

بقوا على النّفاق، الأربعة بقوا على النّفاق. ما أشار الشّارح لقوله: «شيخ كبير لو شرب الماء» ما تكلّم بشيء....(١)؟

• **س: كأنّه يعرفه بعينه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كأنّه، ظاهره أنّه يعرفهم.

---

(١) لعل قراءة الشرح سقطت من الأصل.

• س: يعني: كأنّ هؤلاء الأربعة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

معروفون له من بقية الّذين حدّثهم به النّبيّ ﷺ، بقية النّاس من المنافقين؛ كأنّه في آخر حياة حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الله المستعان.

• س: عفا الله عنك: ذكر هنا في الشرح يقول: «فأتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ **فقال: إنه لن يؤدِّيها ـ يعني: سورة براءة ـ إلّا أنت أو رجل من أهل بيتك»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني البلاغ: وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ [التوبة: ٣]، ولهذا أرسل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الصّدّيق؛ لأنّ عليًّا من أهل بيته، ابن عمّه.

• س: هذا ـ بارك الله فيك ـ يصحّ الحديث الّذي فيه أنّه لن يؤديه إلّا أحدٌ من أهل بيتك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، ولهذا بعث عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زيادة.

• س: أمير الحج عفا الله عنك أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تابعٌ للتبليغ فقط، أرسله للتبليغ مع المؤذنين الآخرين.

• س: ولكن ليس لوحده، أرسل معه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الّذين أمرهم الصّدّيق أن يؤذنوا كثيرون منهم: أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أكّد على قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] عامهم هذا الّذي هو العام التاسع.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ١٦][1].

يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أيها المؤمنون أن نترككم مهملين، لا نختبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب؟ ولهذا قال: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾؛ أي: بطانة ودخيلة بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ولرسوله، فاكتفى بأحد القسمين عن الآخر، كما قال الشاعر:

وما أدري إذا يممت أرضًا أريد الخير أيهما يليني

وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

والحاصل أنه تعالى لما شرع الجهاد لعباده، بيَّن أن له فيه حكمة، وهو اختبار عبيده: من يطيعه ممن يعصيه، وهو تعالى العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؟ فيعلم الشيء قبل كونه،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١٣ ـ ٥ ـ ١٤١٨هـ.

ومع كونه على ما هو عليه، لا إلٰه إلا هو، ولا ربَّ سواه، ولا رادَّ لما قدَّره وأمضاه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يوجب للمؤمن التفطن، والانتباه، وأنه مختبَر، وأنه مبتلى، وأنه ممتحن، فليصدق مع الله، وليحذر أن تكون أعماله الظاهرة غير الباطنة؛ أي: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يبتلي عباده بالسراء والضراء، في الشدة والرخاء، فمن صدق مع الله في الشدة والرخاء فهو وليه حقًّا، وهو الموعود بالجنة والكرامة والسعادة والنصر، أما من كان ظاهره خلاف باطنه، وإنما يعمله لمقاصد أخرى وأسباب أخرى فهو يفتضح، ويعلم الله ما لديه، وتسوء عاقبته؛ ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وفي أول العنكبوت يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، لا يختبرون، الفتنة الاختبار والامتحان، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]، قد يفتن بالمرض، قد يفتن بالمال والثروة الكثيرة، قد يفتن بالأمر بالجهاد، قد يفتن بغير ذلك، فلينتبه، وليكون على المنهج القويم في الشدة والرخاء، في المرض صابر ثابت مستقيم على الحق، وهكذا في الصحة ثابت مستقيم على الحق، شاكر لله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا في المال شاكر لله في الفقر، صابر مستقيم على طاعة الله، وهكذا في جميع الأحوال، ينتبه لجميع ما يبتلى به من شدة ورخاء، من مال وفقر، من صحة ومرض، من جاه وغيره، حتى يكون مع الله في كل شيء، يعني مع شرعه، مع ما يريد منه سبحانه شرعًا وقدرًا، لا مع هواه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ اللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى النَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُولَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٧، ١٨][(١)].

يقول تعالى: ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له. ومن قرأ: «مسجد الله» فأراد به المسجد الحرام، أشرف المساجد في الأرض، الذي بني من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له. وأسسه خليل الرحمٰن هذا، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر؛ أي: بحالهم وقالهم، كما قال السُّدِّي: لو سألت النصراني: ما دينك؟ لقال: نصراني، واليهودي: ما دينك؟ لقال يهودي، والصابئي، لقال: صابئي، والمشرك، لقال: مشرك.

﴿أُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾؛ أي: بشركهم، ﴿وَفِى النَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أن المشرك ليس من عمَّار مساجد الله؛ لأنه ليس أهلًا لذلك؛ لأن كفره ينافي ذلك، ويبعده من ذلك، ولو بنى هذا المسجد، ولو جلس في المسجد، ولو صلى صلاته التي يعتقد، كل ذلك باطل، وليس من عمار المسجد، وإنما عمارة المساجد بطاعة الله، والإخلاص له، واتباع أمره، والدعوة إلى سبيله، لا عمارتها باللبِن، ولا بالحصى،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١٣ ـ ٥ ـ ١٤١٨هـ.

ولا بالإسمنت، ولا بغير ذلك، ولا بالجلوس فيها، ولا بالتعبد الباطل فيها، وإنما تعمر بطاعة الله ورسوله، والإخلاص لله، والدعوة إليه، وإقامة أمره، هذه هي عمارة المساجد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ فشهد تعالى بالإيمان لعمار المساجد، كما قال الإمام أحمد:

حدثنا سريج، حدثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث؛ أن درَّاجًا أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان**»؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، ورواه الترمذي، وابن مردويه، والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والحديث ضعيف؛ لأن دراج هذا ليس ممن يحتج به، ولكن المعنى صحيح، فالمحافظة على الصلاة في المساجد وحضورها من دلائل الإيمان، ومن دلائل الخير، ما لم يتبين خلاف ذلك، وإلا فالحضور في المساجد، والمحافظة على الصلوات الخمس من دلائل الإيمان، ومن دلائل الخير، ومن علامات الخير، لكن قد يفعل ذلك بعض الناس رياءً، ولمقاصد أخرى ثم ينكشف، لكن الغالب على من حافظ على الصلاة في المساجد من غير دافع أهم أنه حمله الإيمان، حمله خوف الله وتقوى الله، أما ما قد يقع من بعض المجاهرين ومن بعض الذين يفعلون ذلك لأغراض خاصة، ثم ينكشفون، هذا من النوادر، وإلا فالمشهور والغالب والواقع هو أن من حافظ على المساجد، وسارع إلى الصلوات وعرف بذلك، فذلك من أدلة إيمانه وتقواه، ومن أدلة أنه من أهل الخير؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، هؤلاء هم عمارها، لا المراءون ولا البناءون، بنائها قد يبنيها الفاجر وغير الفاجر، نعم، وقد يحضر فيها من ليس كذلك، لكن من يعمرها، ويستقيم فيها، ويحافظ عليها، ويشهد له بالمحافظة عليها، هذا من الدلائل على إيمانه وتقواه، إذا ما انكشف بشيء، وهو من النادر.

الأسئلة:

● **س: هل المشركين يولون عمارة المساجد الحسية؟**

○ **الجواب**: لا يجوز أن يولوا ذلك، لا يولوا؛ لأنهم لا يؤمنوا، لكن لو عمروها فليس دليلًا على إسلامهم وتقواهم، لو عمروا، لكن المسلمون لا يولون الكفار عمارة المساجد، يعمروها المسلمون.

● **س: المراد بالعمارة، يعني إن العمارة العبادة؟**

○ **الجواب**: العبادة نعم ما في شك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عبد بن حميد في مسنده: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا صالح المري، عن ثابت البناني، عن ميمون بن سياه، وجعفر بن زيد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما عُمَّار المساجد هم أهل الله**»[(١)].

ورواه الحافظ أبو بكر البزار، عن عبد الواحد بن غياث، عن صالح بن بشير المري، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما عمار المساجد هم أهل الله»، ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت غير صالح[(٢)].

الشيخ: كذا عندك: عبد بن حميد في مسنده كذا؟ هذا عندكم؟

مداخلة: وقال: عبد الرحمن بن حميد.

---

(١) سنده ضعيف لضعف صالح الري (مجمع الزوائد ٢/ ٢٣).

(٢) أخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار برقم (٤٤٣) وسنده ضعيف علته كسابقه.

الشيخ: لا المعروف عبد بن حميد غير ظاهر.

مداخلة: في نسخة الشعب: وقال عبد بن حميد في مسنده.

الشيخ: انظر التقريب معكم أو الخلاصة؟

مداخلة: في نسخة: عبد الرحمٰن.

الشيخ: لا، هو عبد بن حميد، هذا المعروف، ما هو بعبد الرحمٰن، عبد بن حميد، من دون إضافة، انظر في التقريب أو في الخلاصة الذي معه الخلاصة؛ لعله في مسنده، لعله مصحَّف، عندكم في مسنده؟

مداخلة: أي: نعم!

الشيخ: ما نعرف أنه قال: في مسندي عند اللغوي هذه نسبة لغيره.

مداخلة: في مسنده، أحسن الله إليك!

الشيخ: قال: في مسنده؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: طيب، وصالح واعظ من الوعاظ، وهو ضعيف في الرواية، قال: صالح المري من الوعاظ والقصاص، لكنه ضعيف في الرواية، ولكنه شاهد لما قبله، وكلا لفظ الحديثين ضعيف، لكن المعنى صحيح، المعنى: هو أن عمار المساجد بطاعة الله، والمحافظة على الصلاة، هم أهل الله، وهم أهل الخير، هذا هو المعروف، وهذا هو الغالب إلا ما ندر.

الأسئلة:

مداخلة: عمارة المساجد.

الشيخ: بطاعة الله، والمحافظة على صلاة الجماعة.

● **س: ما تشمل الحسية والمعنوية؟**

○ **الجواب**: لا، المقصود هنا عمارتها بطاعة الله.

مداخلة: ما تدخل في هذا الحكم؟

الشيخ: لأن مسألة البناء لها فضل آخر، «**من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة**».

● **س: الحديث يكون حسن وإلا درجته؟**

○ **الجواب**: ضعيف، الحديث ضعيف؛ لأن صالح المري أقول: المري صالح نعم ليس بذاك، ما يقوى إلى الحسن، وقد يقال: حسن لغيره من أجل المعنى، من حيث المعنى أيضًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روى الدارقطني في الأفراد من طريق حكامة بنت عثمان بن دينار، عن أبيها، عن أخيه مالك بن دينار، عن أنس مرفوعًا: «**إذا أراد الله بقوم عاهة، نظر إلى أهل المساجد، فصرف عنهم**». ثم قال: غريب.

وروى الحافظ البيهقي في المستقصى، عن أبيه بسنده إلى أبي أمية الطرسوسي: حدثنا منصور بن صقير، حدثنا صالح المري، عن ثابت، عن أنس مرفوعًا: «**يقول الله: وعزتي وجلالي، إني لأهم بأهل الأرض عذابًا، فإذا نظرت إلى عمار بيوتي وإلى المتحابين في، وإلى المستغفرين بالأسحار، صرفت ذلك عنهم**». ثم قال ابن عساكر: حديث غريب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا سعيد، عن قتادة، حدثنا العلاء بن زياد، عن معاذ بن جبل؛ أن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد**».

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون الأودي قال: أدركت أصحاب النبي ﷺ وهم يقولون: إن المساجد بيوت الله في الأرض، وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا له شواهد، لزوم الجماعة، هذا هو المطلوب، إلا عند الضرورة، وعند الفتن يلتمس الإنسان أسباب النجاة، ولكن عند وجود العامة ووجود الأخيار يكون معهم، ويبتعد عن الشعاب والشذوذ والخروج فإن هذا فيه خطر، لكن عند شدة الغربة مثلما جاء في حديث حذيفة، عند شدة الغربة يلتمس الحق وأهله، ولو قلوا.

الحكم على حديث: «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له» وبيان معناه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، عن ابن عباس مرفوعًا: «**من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر**»، كما ذكره الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في البلوغ، فهو حديث عظيم، وكذلك حديث الأعمى: (قال يا رسول الله! ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال رسول الله ﷺ: «**هل تسمع النداء للصلاة؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**»)، أخرجه مسلم في الصحيح. يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، أو مريض، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

● **س: شيخ أحسن الله إليك! قوله: «فلا صلاة له»، المقصود الكمال أو بطلان الصلاة يا شيخ؟**

○ **الجواب**: بطلان بيان كمالها يعني من ذهب أنها واجب وهو الحضور في الجماعة، فهذا مثل ما قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله لا ينفي شيء من أسماء الدين إلا لنقص بعض واجباته، فالمعنى: أن من

واجبات الصلاة: الحضور في الجماعة، فالواجب الحضور، مثلما أن الأذان واجب وفرض كفاية والإقامة، لكن لا تكمل الصلاة بتركه، لو أنه صلى وحده صحَّت، لكن يكون عاصيًا آثمًا.

قول شيخ الإسلام ابن تيمية في حكم صلاة الجماعة:

مداخلة: أحسن الله إليك! شيخ الإسلام.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: شيخ الإسلام أحسن الله إليكم! ما يرى أن الجماعة شرط لصحة الصلاة؟

الشيخ: له قولان في هذا، له قولان: **أحدهما**: الوجوب. **والثاني**: أنه يراها شرط، والمعروف عند أهل العلم: أنها واجبة فقط، ليست شرطًا، نعم؛ ولهذا لم يأمر النبي ﷺ الذين تخلفوا عنهم أن يعيدوا.

معنى مقولة: (عسى من الله واجبة):

الشيخ: يعني عسى أن هذا واجب، فالمعنى فأولئك، (وعسى أن يبعثك ربك) يعني: أن الله سيبعثك مقامًا محمودًا، ومنه قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ﴾ [التحريم: ٨]، إنها لمن الله واجبة، عسى من الله واجب، من أتى بالسبب حصل له المطلوب المعلق، الله أكبر.

الأسئلة:

● **س: رجل كان لا يصلي، ثم تاب الله عليه، فهل يقضي الصلوات التي فاتته؟**

○ **الجواب**: لا (التوبة تجبُّ ما قبلها)، الكافر إذا أسلم لا ما يقضي، (تجب ما قبلها).

مداخلة: لكن كان متساهل فيها يا شيخ! يصلي بعضها ويترك بعضها؟

الشيخ: ولو، التوبة تكفي، الحمد لله، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، الله أكبر.

مداخلة: ما يشير! قول الله ﷻ: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]؟

الشيخ: يعني: صلوا مع المصلين، احتج بها على وجوب الجماعة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال المسعودي، عن حبيب بن أبي ثابت وعدي بن ثابت، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: من سمع النداء بالصلاة ثم لم يجب ويأتي المسجد ويصلي، فلا صلاة له، وقد عصى الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية رواه ابن مردويه.

وقد روي مرفوعًا من وجه آخر، وله شواهد من وجوه أخر ليس هذا موضع بسطها. وقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: التي هي أكبر عبادات البدن، ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلائق، ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: ولم يخف إلا من الله تعالى، ولم يخش سواه، ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ يقول: من وحّد الله، وآمن باليوم الآخر يقول: من آمن بما أنزل الله، ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، يعني: الصلوات الخمس، ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يقول: لم يعبد إلا الله - ثم قال: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾ يقول: إن أولئك هم المفلحون، كقوله لنبيه ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] يقول: إن ربك سيبعثك مقامًا محمودًا وهي الشفاعة، وكل «عسى» في القرآن فهي واجبة.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار، رَحِمَهُ اللهُ: و«عسى» من الله حق.

الشيخ: بركة، نعم، اللَّهُمَّ صل عليه.

الأسئلة:

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ، رجل كان لا يصلي.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ما يشير قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]؟

الشيخ: يعني: صلوا مع المصلين، احتج بها على وجوب الجماعة.

مداخلة: تدل على الوجوب فحسب؟

الشيخ: نعم تدل على الوجوب.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤][1].

أمر الله تعالى بمباينة الكفار به، وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهى عن موالاتهم إذا (اسْتَحَبُّوا)؛ أي: اختاروا الكفر على الإيمان، وتوعَّد على ذلك كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأربعاء ٢٣ ـ ٥ ـ ١٤١٨هـ.

حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

وروى الحافظ أبو بكر البيهقي من حديث عبد الله بن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينعت له الآلهة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده ابنه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

ثم أمر تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله وعلى رسوله وجهاد في سبيله، فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾؛ أي: اكتسبتموها وحصلتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾؛ أي: تحبونها لطيبها وحسنها؛ أي: إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾؛ أي: فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم؛ ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن زهرة بن معبد، عن جده قال: كنا مع رسول الله ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ من نَفْسِه**». فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إليَّ من نفسي. فقال رسول الله: «**الآن يا عمر**». انفرد بإخراجه البخاري، فرواه عن يحيى بن سليمان، عن ابن وهب، عن حيوة بن شريح، عن أبي عقيل زهرة بن معبد، أنه سمع جده عبد الله بن هشام، عن النبي ﷺ بهذا.

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١).

وروى الإمام أحمد، وأبو داود ـ واللفظ له ـ من حديث أبي عبد الرحمٰن الخراساني، عن عطاء الخراساني، عن نافع، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا تَبَايَعْتُم بِالعِينَةِ، وَأَخَذْتُم أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَاد، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إلى دِينِكُمْ**»(٢). وروى الإمام أحمد أيضًا عن يزيد بن هارون، عن أبي جناب، عن شهر بن حوشب أنه سمع عبد الله ابن عمرو عن رسول الله ﷺ بنحو ذلك، وهذا شاهد للذي قبله، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود: أن هاتان الآيتان فيهما التحذير من موالاة أعداء الله والركون إليهم، والحذر من موالاتهم، يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾، لا يكونوا أصحابًا لكم وأحبابًا لكم إذا استحبوا الكفر على الإيمان؛ بل أبغضوهم في الله وعادوهم في الله، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾، ينصرهم ويواليهم ويكون وليًّا لهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾، في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] آية المائدة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]،

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان برقم (١٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل... برقم (٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة برقم (٣٤٦٢).

وفي الآية يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾، وهذا فيه الحذر، وأن المؤمن يؤثر طاعة الله ورسوله، والقيام بحقه على هذه الأشياء، وإن كانوا من أقرب الناس إليه؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾ [المجادلة: ٢٢]. قد سمعتم قصة أبي عبيدة مع والده الجراح يوم بدر، لما عرض له ولم يعزل عنه قتله رضي الله عنه؛ لأنه على الكفر والضلال ويدعو إليه، فقتله ابنه أبو عبيدة، وهذا من أعظم الموالاة في الله، والمحبة في الله، والمعاملة في الله، ويقول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**». قال عمر رضي الله عنه: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. قال: «**لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك**». قال: لأنت الآن أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي، كمال الإيمان وتمامه أن يكون الله ورسوله أحب إليك من كل شيء، فعليك أن تحب في الله، وتبغض في الله، وتوالي في الله، وتعادي في الله، ترجو ثواب الله، وتخشى عقاب الله، ومن يتولى الكفار وينصرهم ويحميهم ضد المؤمنين، هذا من أعظم الناس ردةً، نسأل الله العافية.

- **س: فيه قول مخالف له؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أبو عبيدة هذا؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: . . . الحديث هل يصح؟

○ **الجواب**: مشهور عنه ذلك أن أبا عبيدة قتل أباه، نعم يوم بدر.

مداخلة: يقول البيهقي: منقطع يعني.

الشيخ: قال البيهقي هنا ماذا؟

مداخلة: والبيهقي يقول: منقطع.

الشيخ: إسناده ماذا يقول؟

مداخلة: يقول: رواه البيهقي في السنن الكبرى من طريق ربيع بن سليمان، عن أسد بن موسى، عن عروة بن ربيعة، عن عبد الله بن شوذب، وقال البيهقي: هذا منقطع.

الشيخ: عن عبد الله بن شوذب إن كان ما رواه ابن شوذب عن غيره فهو منقطع، نعم، ماذا بعد ابن شوذب؟ عن من؟

مداخلة: عن عبد الله بن شوذب، وقال البيهقي: هذا منقطع.

الشيخ: هو المشهور، السياق المشهور أن أبا عبيدة قتل أباه. الله المستعان.

الأسئلة:

معنى نعت أبي أبي عبيدة الآلهة لولده يوم بدر:

● **س: أحسن الله إليك! الحافظ في الإصابة: إن هذا يوم بدر؟**

○ **الجواب**: يعني يعظمها له، يقول له: وإنها تفعل، وإنها تفعل، يرغبه في الرجوع عن دينه، نسأل الله العافية.

● **س: أحسن الله إليك! المحبة الطبيعية تنافي البراء؟**

○ **الجواب**: محبة الأقارب الطبيعية في اللي ما تحمل على معصية ولا ترك واجب ما تنافيهما، مثلما يحب الأكل والشرب ونحو ذلك.

مداخلة: نعم؟

الشيخ: مثلما يحب الطعام والشراب هذه محبة طبيعة ما لها دخل في الدين.

مداخلة: يحب أباه وأمه..؟

الشيخ: محبة طبيعية، لكن لا يحبهم في الله، ولا يواليهم على كفرهم وضلالهم، لا يحبهم في حال كفرهم وضلالهم، إنما المحبة الطبيعية المحبة أنه يُسْلم محبة أن الله يهدي فلان، محبة أنه يَسلَم من كذا ومن كذا هذا لا بأس.

• **س: وكذلك المحبة على المصالح، مصالح التي تصير له؟**

○ **الجواب**: لا، هذه ما تجوز.

مداخلة: نعم؟

الشيخ: ما تجوز، لا بد يبغضه في ذلك.

مداخلة: يبغضه هو يبغضه في ذلك.

الشيخ: أما كونه يشتري منك أشياء، ويبيع منه كذا هذا ما يضر، اشترى النبي ﷺ من اليهود، واشترى من المشركين، لكن لا يحبهم.

• **س: لكن إذا قدم له الخدمة أو كذا صارت محبة؟**

الشيخ: هذا ما هو محل البحث.

مداخلة: حديث (لا تجعل ابني... علينا)..؟

الشيخ: ما يلزم من هذا المحبة.

○ **الجواب**: كونه يقدم له مكافئة ما يلزم أنه يحبه، أو يشتري منه أو يبيع منه، أو يهدي له هدية لعل الله يهديه، أو لقرابته، مثلما أهدى عمر لقرابته في مكة وهم على دين الكفار، ومثلما أمر النبي ﷺ أسماء بنت أبي بكر أن تحسن إلى أمها، وتحسن على أبوها أبو بكر.

الشيخ: هو الظاهر غيره أحد في أبو جناب ثاني؟

مداخلة: لا ما في إلا هو.

الشيخ: هو هذا.

مداخلة: أحسن الله إليك. الوعيد في الجهاد المتعيِّن أم عموم الجهاد؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الوعيد هذا في الجهاد المتعين أم لعموم الجهاد؟

الشيخ: ما أعرف حال سنده، ما أعرف له سند جيد، لكن المعنى صح، أقول: ما أعرف له سند جيد.

مداخلة: السند عفا الله عنك!

الشيخ: نعم؟

● **س: من أحسن إلى أحد من الكفار؟**

○ **الجواب**: يكون كافر، إذا أحسن إليه يكون كافر. نعم.

● **س: هل يجوز أن يقول لوالديه: أنه يحبهم؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هل يجوز أن يقول لوالديه: أنه يحبهما إذا كانا كافرين؟

○ **الجواب**: المحبة الطبيعة ما تضر، إذا كانت المحبة اللي تقتضي معصية، أو موالاة، أو نوع نصرة، أو تشجيع على الباطل، وإنما المحبة الطبيعة مثل محبة الطعام والشراب، محبة أن يشتري من فلان ما يناسبه.

مداخلة: لا بأس بقوله يا شيخ؟

الشيخ: نعم؟ محبة طبيعية؛ لأنها ما لها تعلق بالموالاة والنصرة، ولا تأييد الكفر والضلال؛ لأن هذا ما يجوز وغيرها من الأمور.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٧](١).

قال ابن جُرَيْج، عن مجاهد: هذه أول آية نزلت من سورة «براءة».

يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله وأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعَددهم ولا بعُددهم ونبههم على أن النصر من عنده، سواء قل الجمع أو كثر، فإن يوم حُنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئًا فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ. ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه، كما سنبينه إن شاء الله تعالى مفصلًا ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده وبإمداده وإن قل الجمع، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، سمعت يونس يحدث عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ**»(٢).

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأربعاء ٢٣ ـ ٥ ـ ١٤١٨هـ.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب فيما يستحب من الجيوش والرفقاء =

وهكذا رواه أبو داود، والترمذي ثم قال: هذا حديث حسن غريب، لا يسنده كبير أحد غير جرير بن حازم، وإنما روي عن الزهري، عن النبي ﷺ مرسلًا.

وقد رواه ابن ماجه والبيهقي وغيره، عن أكثم بن الجون، عن رسول الله ﷺ، بنحوه والله أعلم.

وقد كانت وقعة: «حُنين» بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة، وذلك لما فرغ عليه السلام من فتح مكة، وتمهدت أمورها، وأسلم عامة أهلها، وأطلقهم رسول الله ﷺ، فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه، وأن أميرهم مالك بن عوف النَّضْري، ومعه ثقيف بكمالها، وبنو جُشم وبنو سعد بن بكر، وأوزاع من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، وقد أقبلوا معهم النساء والولدان والشاء والنَّعم، وجاءوا بقَضِّهم وقَضِيضهم فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة، وهم الطلقاء في ألفين أيضًا، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له «حنين»، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح، انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد ثاوروهم ورشقوا بالنبال، وأصلتوا السيوف، وحملوا حملة رجل واحد، كما أمرهم ملكهم. فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين، كما قال الله ﷻ وثبت رسول الله ﷺ، وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو، والعباس عمه آخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابها

= والسرايا برقم (٢٦١١)، والترمذي في كتاب السير، باب ما جاء في السرايا برقم (١٥٥٥)، والإمام أحمد (١/ ٢٩٤).

الأيسر، يثقلانها لئلا تسرع السير، وهو ينوه باسمه، عليه الصلاة والسلام، ويدعو المسلمين إلى الرجعة ويقول: «أين يا عباد الله؟ إليَّ أنا رسول الله»، ويقول في تلك الحال:

أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وثبت معه من أصحابه قريب من مائة، ومنهم من قال: ثمانون، فمنهم: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما، والعباس وعلي، والفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، وأسامة بن زيد، وغيرهم رضي الله عنهم ثم أمر ﷺ عمه العباس ـ وكان جهير الصوت ـ أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة ـ يعني شجرة بيعة الرضوان، التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها، على ألا يفروا عنه ـ فجعل ينادي بهم: يا أصحاب السمرة ويقول تارة: يا أصحاب سورة البقرة، فجعلوا يقولون: يا لبيك، يا لبيك، وانعطف الناس فجعلوا يتراجعوا إلى رسول الله ﷺ، حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع، لبس درعه، ثم انحدر عنه، وأرسله، ورجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ. فلما رجعت شرذمة منهم، أمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة، وأخذ قبضة من التراب بعدما دعا ربه واستنصره، وقال: «**اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني**» ثم رمى القوم بها، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما شغله عن القتال، ثم انهزموا، فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون، وما تراجع بقية الناس إلا والأسارى مجدلة بين يدي رسول الله ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

أنزل الله جند من السماء، أقول: أيدهم الله أيضًا بجند من السماء، . . . عطف المسلمون وحملوا وصدقوا الحملة، وأنزل الله جند من السماء الملائكة، وأيد عباده بالملائكة، كما أيدهم يوم بدر، الله أكبر، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا يعلى بن عطاء، عن عبد الله بن يسار أبي همام، عن أبي عبد الرحمٰن الفهري ـ واسمه يزيد بن أسيد، ويقال: يزيد بن أنيس، ويقال: كُرْز ـ قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين، فسرنا في يوم قائظ شديد الحر، فنزلنا تحت ظلال الشجر، فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ وهو في فسطاطه، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، حان الرواح؟ فقال: «**أجل**». فقال: «**يا بلال**» فثار من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر، فقال: لبيك وسعديك، وأنا فداؤك فقال: «**أسرج لي فرسي**». فأخرج سرجًا دفتاه من ليف، ليس فيهما أشرٌ ولا بَطَر.

قال: فأسرج، فركب وركبنا، فصافقناهم عشيتنا وليلتنا، فتشامت الخيلان، فولى المسلمون مدبرين، كما قال الله، ﷻ: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**يا عباد الله، أنا عبد الله ورسوله**»، ثم قال: «**يا معشر المهاجرين، أنا عبد الله ورسوله**». قال: ثم اقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه فأخذ كفًّا من تراب، فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني: أنه ضرب به وجوههم، وقال: «**شاهت الوجوه**». فهزمهم الله ﷻ. قال يعلى بن عطاء: فحدثني أبناؤهم، عن آبائهم، أنهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابًا، وسمعنا صلصلة بين السماء والأرض، كإمرار الحديد على الطست الجديد.

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في «دلائل النبوة» من حديث أبي داود الطيالسي، عن حماد بن سلمة به.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمٰن بن جابر، عن أبيه جابر عن عبد الله قال: فخرج مالك بن

عوف بمن معه إلى حنين، فسبق رسول الله ﷺ إليه، فأعدوا وتهيئوا في مضايق الوادي وأحنائه، وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل، فاشتدت عليهم، وانكفأ الناس منهزمين، لا يُقْبِل أحد عن أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول: «**أيها الناس هلموا إليَّ أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله**» فلا شيء، وركبت الإبل بعضها بعضًا.

فلما رأى رسول الله ﷺ أمر الناس قال: «يا عباس، اصرخ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة». فأجابوه: لبيك، لبيك، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيقذف درعه في عنقه، ويأخذ سيفه وقوسه، ثم يَؤُمَّ الصوت، حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مائة، فاستعرض الناسُ فاقتتلوا، وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار، ثم جعلت آخرًا بالخزرج وكانوا صُبُرًا عند الحرب، وأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه فنظر إلى مُجتَلَد القوم، فقال: «**الآن حمي الوَطيس**»: قال: فوالله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ ملقَون، فقتل الله منهم من قتل، وانهزم منهم من انهزم، وأفاء الله على رسوله أموالهم وأبناءهم.

وفي الصحيحين من حديث شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، أنه قال له رجل: يا أبا عمارة، أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين، فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفرّ، إن هوازن كانوا قومًا رُمَاة، فلما لقيناهم وحَمَلنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، فانهزم الناس، فلقد رأيت رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قلت: وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا

اليوم في حَومة الوَغَى، وقد انكشف عنه جيشه، هو مع ذلك على بغلة وليست سريعة الجري، ولا تصلح لكرٍّ ولا لفرٍّ ولا لهرب، وهو مع هذا أيضًا يركضها إلى وجوههم وينوِّه باسمه ليعرفه من لم يعرفه، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله، وتوكلًا عليه، وعلمًا منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾؛ أي: طمأنينته وثباته على رسوله، ﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: الذين معه، ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير:

حدثنا القاسم قال حدثني الحسن بن عرفة قال: حدثني المعتمر بن سليمان، عن عوف ـ هو ابن أبي جميلة الأعرابي ـ قال: سمعت عبد الرحمٰن مولى ابن بُرْثُن، حدثني رجل كان مع المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حَلَب شاة ـ قال: فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ ـ قال: فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا. قال: فانهزمنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إياها.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني محمد بن أحمد بن بَالُويَه، حدثنا إسحاق بن الحسن الحربي، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الحارث بن حَصِيرة، حدثنا القاسم بن عبد الرحمٰن، عن أبيه قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حُنين، فولى عنه الناس، وبقيتُ معه في ثمانين رجلًا من المهاجرين والأنصار، قدمنا ولم نولهم الدبر، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة. قال: ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قُدُمًا، فحادَت بغلته، فمال عن السرج، فقلت: ارتفع رفعك الله. قال: «**ناولني كفًّا من التراب**». فناولته، قال: فضرب به وجوههم، فامتلأت

أعينهم ترابًا، قال: «**أين المهاجرون والأنصار؟**» قلت: هم هناك. قال: «**اهتف بهم**». فهتفت بهم، فجاؤوا وسيوفهم بأيمانهم، كأنها الشهب، وولى المشركون أدبارهم.

ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان، به نحوه. وقال الوليد بن مسلم: حدثني عبد الله بن المبارك، عن أبي بكر الهُذلي، عن عِكْرِمة مولى ابن عباس، عن شيبة بن عثمان قال: لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عَرى، ذكرت أبي وعمي وقتل علي وحمزة إياهما، فقلت: اليوم أدرك ثأري منه ـ قال: فذهبت لأجيئه عن يمينه، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائمًا، عليه درع بيضاء كأنها فضة، يكشف عنها العجاج، فقلت: عَمُّه ولن يخذله ـ قال: فجئته عن يساره، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقلت: ابن عمه ولن يخذله. فجئته من خلفه، فلم يبق إلا أن أسَوّره سورة بالسيف، إذ رفع لي شُوَاظ من نار بيني وبينه، كأنه برق، فخفت أن تَمْحَشَني، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى، فالتفت رسول الله ﷺ وقال: «**يا شيبَ، يا شيب ادن مني، اللَّهُمَّ أذهب عنه الشيطان**». قال: فرفعت إليه بصري، ولهو أحب إلي من سمعي وبصري، فقال: «**يا شيب قاتل الكفار**».

رواه البيهقي من حديث الوليد، فذكره ثم روى من حديث أيوب بن جابر، عن صدقة بن سعيد، عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به، ولكني أبيت أن تظهر هوازن على قريش، فقلت وأنا واقف معه: يا رسول الله، إني أرى خيلًا بُلقًا، فقال: «**يا شيبة، إنه لا يراها إلا كافر**». فضرب بيده في صدري، ثم قال: «**اللَّهُمَّ، اهد شيبة**»، ثم ضربها الثانية، ثم قال: «**اللَّهُمَّ، اهد شيبة**»، ثم ضربها الثالثة ثم قال: «**اللَّهُمَّ اهد شيبة**». قال: فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إليَّ منه، وذكر تمام الحديث، في التقاء الناس وانهزام

المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قف على وقال محمد بن إسحاق، اللَّهُمَّ اغفر لنا وارحمنا.

● **س: أحسن الله إليك! الإسناد أحسن الله إليك..**

○ **الجواب**: فيه نظر، والصواب أنه كان على بغلته الشهباء عليه الصلاة والسلام.

والله ﷻ أيده بعد هذا بجنود من السماء، و... المسلمون، وهزم الله العدو؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، الله أكبر، الله نصر أولياءه وعباده المؤمنين، كما نصرهم يوم بدر، وصارت هذه الجيوش وهذه النساء والأولاد كلها غنيمة للمسلمين، الله المستعان، الله أكبر، نعم، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، الله أكبر، ويقول ﷻ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

وهذا فيه آية أخرى دليل على أنه رسول الله، وأنه عبد الله ورسوله، وأنه الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، أيده الله في أوقات الشدائد، ونصره على أعدائه مع كثرتهم، وجعل له العاقبة ولأوليائه ولأصفيائه، وهكذا قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. ويقول ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي

ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، هذه الشروط التي بيَّنها ﷻ في نصره لأوليائه، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال محمد بن إسحاق: حدثني والدي إسحاق بن يَسَار، عمن حدثه، عن جُبَير بن مطعم رضي الله عنه، قال: إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين، والناس يقتتلون، إذ نظرت إلى مثل البِجَاد الأسود يهوي من السماء، حتى وقع بيننا وبين القوم، فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي، فلم يكن إلا هزيمة القوم، فما كنا نشك أنها الملائكة.

وقال سعيد بن السائب بن يسار، عن أبيه قال: سمعت يزيد بن عامر السُّوَائي ـ وكان شهد حنينًا مع المشركين ثم أسلم بعد ـ فكنا نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين، فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطَّسْت فيطنّ، فيقول كنا نجد في أجوافنا مثل هذا.

وقد تقدم له شاهد من حديث يزيد بن أبي أسيد، فالله أعلم.

وفي صحيح مسلم، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق، أنبأنا مَعْمَر، عن هَمَّام قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نُصرت بالرعب وأعطيت جوامع الكلم**»(١).

ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ قد تاب الله على بقية هوازن، وأسلموا وقدموا عليه مسلمين، ولحقوه وقد قارب مكة عند الجِعِرَّانة، وذلك بعد الوقعة بقريب من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، برقم (٥٢٣).

عشرين يومًا، فعند ذلك خَيَّرهم بين سبيهم وبين أموالهم، فاختاروا سبيهم، وكانوا ستة آلاف أسير ما بين صبي وامرأة، فرده عليهم، وقسم أموالهم بين الغانمين، ونفل أناسًا من الطلقاء ليتألف قلوبهم على الإسلام، فأعطاهم مائةً مائةً من الإبل، وكان من جملة من أعطي مائة مالك بن عوف النَّضْري، واستعمله على قومه كما كان، فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها:

ما إنْ رَأيتُ ولا سَمعتُ بمثْلِه ... في النَّاس كُلّهم بمثل مُحَمَّد
أوْفَى وأعْطَى للجزيل إذا اجتُدى ... ومَتى تَشَأ يُخْبرْكَ عَمّا في غَد
وإذَا الكتيبة عَرّدَتْ أنيابُها ... بالسَّمْهَريّ وَضَرْب كُلّ مُهَنَّد
فَكَأنَّه ليث على أشْبَاله ... وسط الهَبَاءة خَادر في مَرْصَد

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١][1].

وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال المشركين الكفار من اليهود والنصارى، لمقالتهم هذه المقالة الشنيعة، والفِرْية على الله تعالى، فأما اليهود فقالوا في العُزَير: «إنه ابن الله»، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. وذكر السدي وغيره أن الشبهة التي حصلت لهم في ذلك، أن العمالقة لما غلبت على بني إسرائيل، فقتلوا علماءهم وسَبَوا كبارهم،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١١ ـ ٦ ـ ١٤١٨هـ.

بقي العزير يبكي على بني إسرائيل وذهاب العلم منهم، حتى سقطت جفون عينيه، فبينا هو ذات يوم إذ مَرّ على جبانة، وإذ امرأة تبكي عند قبر وهي تقول: وامطعماه! واكاسياه! [فقال لها ويحك] من كان يطعمك قبل هذا؟ قالت: الله. قال: فإن الله حي لا يموت! قالت: يا عزير فمن كان يُعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله. قالت: فلم تبكي عليهم؟ فعرف أنه شيء قد وُعظ به. ثم قيل له: اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه، وصَلِّ هناك ركعتين، فإنك ستلقى هناك شيخًا، فما أطعمك فكله. فذهب ففعل ما أمر به، فإذا شيخ فقال له: افتح فمك. ففتح فمه. فألقى فيه شيئًا كهيئة الجمرة العظيمة، ثلاث مرات، فرجع عُزَير وهو من أعلم الناس بالتوراة، فقال: يا بني إسرائيل، قد جئتكم بالتوراة. فقالوا: يا عُزَير، ما كنت كَذَّابًا. فعمد فربط على إصبع من أصابعه قلمًا، وكتب التوراة بإصبعه كلها، فلما تراجع الناس من عَدُوّهم ورجع العلماء، وأخبروا بشأن عزير، فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال، وقابلوها بها، فوجدوا ما جاء به صحيحًا، فقال بعض جهلتهم: إنما صنع هذا لأنه ابن الله.

وأما ضَلال النصارى في المسيح فظاهر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من أخبار بني إسرائيل التي لا قيمة لها، خرافات بني إسرائيل لا قيمة لها، فلا تصدق ولا تكذب إلا بدليل كما قال ﷺ: «**حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، وأخبار بني إسرائيل على أقسام ثلاثة، مثل أخبار الحسَّابين وأشباههم: **القسم الأول**: ما وافق الحق من الكتاب والسُّنَّة، هذا يقبل. **القسم الثاني**: ما خالف الحق، هذا يرد. **القسم الثالث**: ما لم يعرف أنه حق ولا باطل، هذا مثلما قال عليه الصلاة والسلام: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، هذا هو القسم الثالث، الذي لا يعلم أنه باطل، ولا يعلم أنه حق بالأدلة الشرعية، فهذا

مثلما قال ﷺ: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، يقال فيه: الله أعلم.

والمقصود من هذا: أن قول اليهود: عزير ابن الله، من أعظم الكفر والضلال، مع كونهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، ومع ما جرى منهم من تكذيب النبي محمد عليه الصلاة والسلام أنواع من الكفر، فالله سبحانه لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، من زعم أن هذا ولد لله عزير أو غير عزير فقد كفر، وكفره أعظم بإجماع أهل العلم. وهكذا النصارى في زعمهم في عيسى كفر أكبر، وضلال بعيد، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وهو القائل ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا كَذَّب الله سبحانه الطائفتين فقال: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾؛ أي: لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم واختلاقهم، ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾؛ أي: يشابهون ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلهم من الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وقال ابن عباس: لعنهم الله، ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾؟ أي: كيف يضلون عن الحق، وهو ظاهر، ويعدلون إلى الباطل؟

وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ روى الإمام أحمد، والترمذي، وابن جرير من طرق، عن عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرَّ إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثمَّ منَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها، ورَغَّبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عَدِيّ المدينة، وكان

رئيسًا في قومه طيئ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدَّث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عَدِيّ صليب من فضة، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: «**بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم**». وقال رسول الله ﷺ: «**يا عدي، ما تقول؟ أيُفرّك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئًا أكبر من الله؟ ما يُفرك؟ أيفرّك أن يقال لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله إلا الله**»؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم، وشهد شهادة الحق، قال: فلقد رأيتُ وجهه استبشر.

● **س**: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾، **هل سبقهم أحد...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ظاهر الآية الكريمة نعم قد يكون سبقهم إلى هذه المقالة لأنهم ظاهروا مَن قبلهم، والمؤلف ابن كثير ما صرح بهذا، لكن ظاهر السياق، ظاهره أن هناك من الأمم من قال: أن لله ولدًا. نعم؛ ولهذا ظاهروهم وتأسوا بهم، نسأل الله العافية، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٣٠﴾، أنى يصرفون عن الحق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فهل تعلم شيئًا أكبر من الله؟ ما يفرك أن يقال: لا إلٰه إلا الله؟ فهل تعلم إلٰهًا غير الله؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم، وشهد شهادة الحق، فقال: فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال: إن اليهود).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وجهه يعني وجه النبي ﷺ، الله أكبر، نعم، اللَّهُمَّ صل عليه وسلم، نعم، يفرح بإسلام المسلمين، وهذا من كمال نصحه، وكمال محبته للخير وأهل الخير، إذا أسلم... فرح بإسلامه، وسره إسلامه،

وإذا رأى من يسارع إلى الخيرات وينفق سُرَّ بذلك، (لما أمر بالصدقة ورأى الناس سارعوا إلى الصدقة استنار وجهه كأنه مذهبة عليه الصلاة والسلام)، فهذا يدل على أن المؤمن يفرح بالخير ويسره، ويظهر عليه وعلى وجهه دلائل فرحه بالخير، كمسارعة الناس إلى الصلاة، ومسارعة الناس إلى الخيرات، إسلام الكافر.. وهكذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: «**إن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون**»، وهكذا قال حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وغيرهما في تفسير: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إنهم اتبعوهم فيما حلَّلوا وحرَّموا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المعنى: ليس بشرط أن يعبدوهم يدعونهم مع الله، وليس بشرط أن يستغيثوا بهم مع الله، وليس بشرط أن يقولوا: هم أربابنا، إذا أحلوا الحرام فاتبعوهم، وحرَّموا الحلال فاتبعوهم، ولم يبالوا به الشرع كفى هذا في عبادتهم، نسأل الله العافية.

مداخلة: يستثنى الجاهل من ذلك؟

الشيخ: نعم، الذي قصده الخير ولكن غلط ما هو بداخل في هذا، لكن هؤلاء دانوا بهذا الدين، جعلوا الدين معلقًا بأحبارهم ورهبانهم، ما أحلوه أحلوه، وما حرموه حرموه، ولم يبالوا بالتوراة والإنجيل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السدي: استنصحوا الرجال، وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾؛ أي: الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلله حل، وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾؛ أي: تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد، لا إلٰه إلا هو، ولا رب سواه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو الحق، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، فالله خلق الخلق لهذا وأمرهم بهذا، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، هم خلقوا ليعبدوا الله جنهم وإنسهم، وأمروا بهذا، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، يعني: أمر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه. هذا هو الواجب على جميع الثقلين: الجن والإنس، ثم أمروا بهذا في آيات، وبعث الرسل بهذا، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، فليس لأحد من جن وإنس أن يعدل عن هذا الواجب؛ بل يجب اتباع هذا الواجب، وأن يدين به، ويستقيم عليه، ويعلمه غيره ويدعو غيره إليه، وهو توحيد الله ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]. يقول تعالى: يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٢]؛ أي: ما بعث به رسوله ﷺ من الهدى.

الشيخ: قف على هذا، نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ
وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ
يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
(٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ
هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ
اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ
حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً
كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي
الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ (٣٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ
قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنصُرُوهُ
فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ
بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ
هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٤٠][(١)].

ربنا ﷻ ينادي أهل الإيمان، مخبرًا لهم بحال هذه الطوائف الثلاث، ليحذروا أخلاقهم الذميمة، وهذه الطوائف الثلاث هي: الأحبار والرهبان والتجار الكانزون للمال.

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية (٤/ ٣٥١) لفضيلة الشيخ عبد السلام السليمان حفظه الله.

فالأحبار: هم العلماء، والرهبان: العُبَّاد، والكانزون: هم أهل الأموال. فيخبر عباده من أن هذا واقع وأن هؤلاء مُتوعَّدون بالعذاب الأليم بسبب ما فعلوه من أكل أموال الناس بالباطل، ومن الصَّدِّ عن سبيل الله، ومن عدم الإنفاق من تلك الأموال في سبيل الله.

والمعنى: أيها المؤمنون، احذروا هذه الأخلاق، واحذروا هذه الصفات، فقد كان فيمن قبلكم في بني إسرائيل وفي غيرهم من كان بهذه الصفة من كان عالمًا، لكنه لم ينفعه علمه، بل أكل أموال الناس بالباطل، وصدَّ الناس عن الحق، بسبب اتباع الهوى، وكان في الناس ممن قبلكم كان فيهم العباد والرهبان أيضًا، ولكنهم لم تنفعهم عباداتهم، بل صاروا يأكلون أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة، من الرُّشَا والرِّبا وغير ذلك من أنواع الأكل بالباطل. ومع هذا ما كفاهم عن الحق بتلبيس الحق عليهم، وإدخالهم في الباطل بأنواع الشُّبه وأنواع الخداع؛ حتى لا يُفطَنَ لهم، وحتى لا يُعرف باطلُهم، وحتى يلتبس على الناس أمرهم في أكلهم أموال الناس بالباطل.

هذان الصنفان: الأحبار والرهبان، وهم الذين اتخذوهم بنو إسرائيل أربابًا من دون الله، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فإياك يا معشر أمة أن تفعلوا مثلَ هؤلاء وأن تصيروا إلى خُلُقهم الذميم الذي غضب الله عليهم بسببه، وواعدهم النار وساءت سمعتهم وساءت أخبارهم بسبب ذلك.

ثم يحذِّر أيضًا أهل السعة والمال من أن يكونوا مثل هؤلاء الكنَّازين الذين كنزوا الأموال ولم ينفقوها في سبيل الله؛ وفي الجهاد وفي طاعة الله ورسوله، ولم يخرجوا حقوقها، بل كنزوها لحاجاتهم ولشهواتهم، أو كنزوها بُخلًا وشُحًّا حتى لم ينتفعوا بها لا هم ولا غيرهم، بل حُرموا خيرها وصار عليهم وبالُها! فبعض الناس قد يكنز المال ولا ينتفع به، بل همه الحرص والجَشَع والجَمْع، ولكن لا ينتفع

بذلك، فلا يأكل ولا يشرب إلا يسيرًا، وربما كان يأكل على حساب غيره، ويكنز المال ويحفظه حتى يكون لمن بعده، فيكون عليه إثمه ويكون لمن بعده منفعته.

وكما أن هذا واقع فيمن قبلنا فهو واقع في هذه الأمة أيضًا، كما قال النبي ﷺ: **«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»**(١)، فكما أن في بني إسرائيل وغيرهم من لم ينفعه علمه، ولم يظهر علمه للناس، بل كتمه وأكل المال بالباطل، وصدَّ عن سبيل الله اتباعًا للهوى وإيثارًا للعاجلة، فهكذا في هذه الأمة من فعل ذلك من علماء السُّوء وهكذا العباد الذين صدوا عن الحق، وأكلوا أموال الناس بالباطل، وتظاهروا بالعبادة وهم براءٌ منها، فكذلك هنا في هذه الأمة وقع ذلك.

وهكذا الكنَّازون، كما كان فيمن قبلنا كنّازون لم ينتفعوا بأموالهم، ولم ينفعوا بها الناس، ولم ينفقوها في سبيل الله، فصار عليهم آثامها، وصار لغيرهم نفعها فكذلك في هذه الأمة وقع ذلك.

فيجب الحذر من هذه الصفات الذميمة، ويجب على طالب العلم أن يعنى بإظهار علمه والعمل به، والحذر من أن يكون هذا العلم سببًا لدخوله النار.

وهكذا العابدُ عليه أن يتقي الله، وأن يخلص في عمله لله ﷻ، وأن يكون داعيةَ خيرٍ بحسب ما أعطاه الله من علم وعبادة، وألا يكون سببًا وداعيةً إلى ضلال غيره وهلاك غيره، كما أهلك نفسه.

وهكذا صاحب المال، يشكر الله على ما أعطاه له من المال،

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٥٦)، ومسلم في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى برقم (٢٦٦٩).

وينفق في سبيل الله، وفي وجوه الخير، في الجهاد، في تعمير المساجد، في الإنفاق على الفقير والمسكين وابن السبيل إلى غير ذلك، وفي أداء الحقوق من زكاة وغيرها، حتى لا يكون هذا المال وَبالًا وشرًّا عليه، ولكي لا يدخل في هذا الوعيد العظيم: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] هذه الأموال جمعوها وحرصوا عليها، ثم صار عليهم وبالها، فصاروا يعذَّبون بها يوم القيامة، مِن كيٍّ في جباههم وجنوبهم وظهورهم، نسأل الله العافية.

ثم يقال لهم تقريعًا وتوبيخًا وتعذيبًا: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]، يخاطبون بهذا الخطاب الذي فيه تقريعهم، وفيه توبيخهم، وفيه زيادة عذابهم ونكالهم في هذا المال الذي كسبوه وجمعوه، وربما أن يكونوا كسبوه من طرق حرام أيضًا، فقد يجتمع على الإنسان أن يكسب المال من الطرق الحرام ولا ينفقه، فيكون عليه وبالًا وبالًا، نعوذ بالله.

ثم قال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم؛ هذه هي الشهور الأربعة ثلاثة متوالية: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وواحد منفرد ما بين جمادى وشعبان.

وقد خطب النبي ﷺ يوم حجة الوداع فقال: «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ شَهْرُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ**»(١)، فبيَّن ﷺ أن الله ﷻ جعل عام حجة

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين برقم (٣١٩٧)، وأخرجه مسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال برقم (١٦٧٩).

الوداع عامًا فيه اعتدال الأمور، ورجوع الشهور إلى حالها، وكانت قريش تغيِّر الشهور وتنسيء بعضها وتعجّل بعضها على حسب أهوائها، فربما جعلوا المحرم صفرًا، وجعلوا صفرًا المحرم؛ لأهوائهم وقصدهم الإغارة على أحد، والتعدي على أحد، إلى غير ذلك، فهم يلعبون في الشهور، فكانت سَنَةُ حجةِ الوداع بحمد الله سَنَة استدار فيها الزمان، ليس فيها تغيير، واستمر الأمر على ذلك على حاله، فالنسيء الذي فعلوه قد ذهب، واستدار الزمان في حجة الوداع وعاد كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ورتبه تبارك وتعالى.

وفيه التحذير من ظلم النفس في هذه الشهور، وأن الواجب على المسلم أن يحذر ظلم نفسه بالمعاصي والسيئات في جميع الشهور وإن كانت في المحرم أشد من غيرها، وآكد من غيرها؛ لكنه منهي عن ظلم نفسه بالمعاصي والشرك في جميع الزمان في السنة كلها، عليه أن يحذر ما حرم الله عليه، وأن يؤدي ما فرض الله عليه في جميع الزمان، حتى يرضي ربه عز وجل. فالعبادة ليست خاصة بزمان دون زمان، بل في كل الأزمان، فالمسلم يتق الله في جميع الزمان، ويؤدي فرائض الله في جميع الزمان، ويحذر محارم الله في جميع الزمان، والمعاصي ظلم للنفس، وأعظم الظلم: الشرك بالله والكفر به تبارك وتعالى، ثم يلي ذلك ظلم البدع، وظلم المعاصي، فهي أيضًا من الظلم الشنيع الخبيث.

فعليك يا عبد الله أن تحذر الظلم كله، صغيره وكبيره في جميع الزمان، قال الله سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] يعني: الموت؛ فالإنسان مأمور بالعبادة في جميع الأحوال حتى يلقى ربه، فالرسل هم أعلى الناس، وهم أعلى الطبقات، ثم يَلِيهِم جميع الناس، إذ عليهم أن يعبدوا الله وأن يؤدوا فرائضه، وأن يَدَعوا محارمه في جميع الزمان؛ حتى يلقوا ربهم وهم على ذلك؛ هذا هو سبيل النجاة وطريق السعادة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥](١).

قال السدي: الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى.

وهو كما قال، فإن الأحبار هم علماء اليهود، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ﴾ [المائدة: ٦٣].

والرهبان: عبَّاد النصارى، والقسيسون: علماؤهم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

والمقصود: التحذير من علماء السوء وعُبَّاد الضلال كما قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا كان فيه شبه من النصارى. وفي الحديث الصحيح: «**لتركبنّ سَنَن من كان قبلكم حَذْو القُذّة بالقُذّة**». قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**». وفي رواية: فارس والروم؟ قال: «**وَمَن الناس إلا هؤلاء؟**».

والحاصل التحذير من التشبه بهم في أحوالهم وأقوالهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس، يأكلون أموالهم بذلك، كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف، ولهم عندهم خَرْج وهدايا وضرائب

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير مغرب الأربعاء ٢١ ـ ٦ ـ ١٤١٨هـ.

تجيء إليهم، فلما بعث الله رسوله، صلوات الله وسلامه عليه استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم، طمعًا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات، فأطفأها الله بنور النبوة، وسلبهم إياها، وعوضهم بالذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾؛ أي: وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق، ويُلبسون الحق بالباطل، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير، وليسوا كما يزعمون؛ بل هم دعاة إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾﴾. هؤلاء هم القسم الثالث من رءوس الناس، فإن الناس عالة على العلماء، وعلى العُبَّاد، وعلى أرباب الأموال، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس، كما قال بعضهم:

وَهَل أَفْسَدَ الدِّينَ إلا المُلوكُ ... وَأحبارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُها؟

وأما الكنز فقال مالك، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أنه قال: هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة.

وروى الثوري وغيره عن عُبَيد الله عن نافع، عن ابن عمر قال: ما أُدِّي زكاتُه فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهرًا لا تؤدى زكاته فهو كنز. وقد رُوي هذا عن ابن عباس، وجابر، وأبي هريرة موقوفًا ومرفوعًا وعمر بن الخطاب، نحوه رضي الله عنهم: «أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا في الأرض، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض».

وروى البخاري من حديث الزهري، عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر، فقال: هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت

جعلها الله طُهرًا للأموال، وكذا قال عمر بن عبد العزيز، وعراك بن مالك: نسخها قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال سعيد بن محمد بن زياد، عن أبي أمامة أنه قال: حلية السيوف من الكنز ما أحدثكم إلا ما سمعت.

وقال الثوري، عن أبي حصين، عن أبي الضُّحَى، عن جَعْدَة بن هبيرة، عن علي رضي الله عنه، قال: أربعة آلاف فما دونها نفقة، فما كان أكثر منه فهو كنز.

وهذا غريب. وقد جاء في مدح التقلل من الذهب والفضة وذم التكثر منهما، أحاديث كثيرة؛ ولنورد منها هنا طرفًا يدل على الباقي، فقال عبد الرازق: أخبرنا الثوري، أخبرني أبو حصين، عن أبي الضحى، بن جعدة بن هبيرة، عن علي رضي الله عنه، في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال النبي ﷺ: «**تَبًّا للذهب، تَبًّا للفضة**» يقولها ثلاثًا، قال: فشق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: فأي مال نتخذ؟ فقال: عمر رضي الله عنه، أنا أعلم لكم ذلك، فقال: يا رسول الله، إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا: فأيَّ مال نتخذ؟ قال: «**لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وزوجة تعين أحدكم على دينه**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود إن الذهب والفضة تبًّا لها إذا شغلت عن الخير، وصدَّت عن سبيل الله، أما إذا استعان بها صاحبها على الخير مثل ما قال ﷺ: «**نِعم المال الصالح للرجل الصالح**»، الذي ينفق منه في وجوه البر، وإذا اتخذ لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، ويسَّر الله له زوجةً صالحة تعينه على الحق، فهذه من نِعم الله العظيمة، كون العبد يوفق للسان ذاكر، كثير الذكر، وقلب شاكر، كثير الشكر لله جل جلاله، ويوفق زوجةً صالحة تعينه على

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٦٦ و٣٧٨).

طاعة الله، وعلى مواساة الفقير والمسكين، وعلى بر الوالدين، وصلة الرحم، إلى غير هذا، فهذا من نعم الله، مثل ما في الحديث: «**خير متاعها الزوجة الصالحة**»، في الحديث الآخر: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، حدثني سالم، حدثني عبد الله بن أبي الهُذَيْل، حدثني صاحب لي أن رسول الله ﷺ قال: «**تبًّا للذهب والفضة**». قال: فحدثني صاحبي أنه انطلق مع عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، قولك: «**تبًّا للذهب والفضة**»، ماذا ندخر؟. قال رسول الله ﷺ: «**لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وزوجة تُعين على الآخرة**».

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة، عن أبيه، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا: فأي المال نتخذ؟ قال عمر: أنا أعلم ذلك لكم فأوضع على بعير فأدركه، وأنا في أثره، فقال: يا رسول الله، أي المال نتخذ؟ قال: «**ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا ولسانًا ذاكرًا وزوجة تعين أحدكم في أمر الآخرة**».

ورواه الترمذي، وابن ماجه، من غير وجه، عن سالم بن أبي الجعد، وقال الترمذي: حسن، وحكي عن البخاري أن سالمًا لم يسمعه من ثوبان.

قلت: ولهذا رواه بعضهم عنه مرسلًا، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى صحيح، (تبًّا لها) يعني لمن شغلته، (تبًّا لها) لمن شغلته عن طاعة الله، لمن شغلته عن الحق.

الأسئلة:

الحكم على سند حديث: " «تبًّا للذهب تبًّا للفضة»:

● **س: ولكن السند ضعيف هذا؟**

○ **الجواب**: هذا السند جيد لا بأس، نعم، الذي رواه أبو حصين وشيخ المؤلف عبد الرزاق جيد، جعدة إما صحابي صغير، أو تابعي ثقة، لا بأس به.

● **س: حديث! «نعم المال الصالح للرجل الصالح»**

مداخلة: حديث؟

○ **الجواب**: نعم في الصحيح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا حميد بن مالك، حدثنا يحيى بن يعلى المحاربي، حدثنا أبي، حدثنا غَيْلان بن جامع المحاربي، عن عثمان أبي اليقظان، عن جعفر بن إياس، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ الآية، كَبُر ذلك على المسلمين، وقالوا: ما يستطيع أحد منا أن يترك لولده ما لا يبقى بعده. فقال عمر: أنا أفرِّج عنكم. فانطلق عمر واتبعه ثوبان، فأتى النبي ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، إنه قد كَبُر على أصحابك هذه الآية. فقال نبيُّ الله ﷺ: «**إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم**». قال: فكبَّر عمر، ثم قال له النبي ﷺ: «**ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرَّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته**».

ورواه أبو داود، والحاكم في مستدركه، وابن مردويه من حديث يحيى بن يعلى، به وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المهم بكل حال مثل ما تقدم، الله ﷻ لما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾، أما من أنفق وأدى الزكاة الحمد لله، المؤمن والصحابة حفظوا المال، واقتنوا المال، وفيهم التجار والأخيار، ولهذا قال النبي ﷺ في حديث أم سلمة.

وفي هذا الحديث أيضًا: «**إن الله ﷻ لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي**»، إذا أخرج الإنسان الواجب طاب له ما بقي من ذهب، أو فضة، أو مركوب، أو ملابس، أو دواب، أو غير ذلك، المهم أن يؤدي الواجب، فإذا أدى الواجب فالمال بعده طيب، نعم، سواء ذهب أو فضة أو غير ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: كان شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في سفر، فنزل منزلًا فقال لغلامه: ائتنا بالشَّفْرَةِ نعْبَث بها. فأنكرت عليه، فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أَخْطمُها وأزمُّها غير كلمتي هذه، فلا تحفظونها علي، واحفظوا ما أقول لكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللَّهُمَّ، إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، وأسألك لسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود يحتمل فيه انقطاع يعني بين وفاتيهما مدة، لكنه حديث عظيم جدًّا، وهذا الدعاء العظيم: «**اللَّهُمَّ إني أسألك الثبات في الأمر،**

والعزيمة على الرشد»، هذا حديث عظيم... جدير بالعناية والحفظ، ....، الله أكبر.

مداخلة: أحسن الله إليك! الحديث رواه البخاري في الأدب مستقل.

الشيخ: نعم يحتاج تأمل! عندك سنده؟

مداخلة: أنا أحفظه من الأدب المفرد.

الشيخ: يراجع الآن سنده عند البخاري، تراجعه وتأتي به جزاك الله خير، تراجعه.

- **س: قوله: (ائتنا بالشفرة) يا شيخ؟**

○ **الجواب:** نعم؟

- **س: معنى (ائتنا بالشفرة)؟**

○ **الجواب:** بالسكين. نعم.

مداخلة: شداد بن أوس أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: في الخلاصة: شدًّا

- **س: معنى قوله: «وأسألك قلبًا سليمًا» من الشرك و...؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: **«وأسألك قلبًا سليمًا»** من الشرك و...؟

○ **الجواب:** نعم. **«قلبًا سليمًا»** من الشرك وغيره، من الشرك وسائر المعاصي، **«ولسانًا صادقًا»**، الله أكبر.

- **س: ما حال حديث: «المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرَّته» الحديث الذي قبله؟**

مداخلة: **«المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرَّته»**؟

○ **الجواب**: نعم هذا صحيح، هذا الحديث صحيح، «**خير متاعها الزوجة الصالحة**» صحيح، نعم، الله أكبر.

مداخلة: شيخ أليس الصواب بالسين..؟

الشيخ: نعم؟

● **س: أليس الصواب بالسين بالسفرة بدل الشفرة؟**

○ **الجواب**: محتمل، السفرة هذه للطعام، لكن الأقرب أنها الشفرة؛ لأن السفرة ما يلعب بها، الشفرة اللي يحك بها كذا، ويقطع بها كذا، يعبث بها. نعم.

مداخلة: ذكر أحسن الله إليك! حاشية هنا في على نسخة الشعبي، قال: الشفرة والشفيرة: التي تقنع من النكاح بأيسره. وهي نقيض القعيرة، انظر اللسان.

الشيخ: لا غير هذا، المعلوم المراد في الحديث غير هذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾؛ أي: يقال لهم هذا الكلام تبكيتًا وتقريعًا وتهكمًا، كما في قوله: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٨، ٤٩]؛ أي: هذا بذاك، وهو الذي كنتم تكنزون لأنفسكم؛ ولهذا يقال: من أحب شيئًا وقدمه على طاعة الله، عذب به. وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم، عذبوا بها، كما كان أبو لهب، لعنه الله، جاهدًا في عداوة الرسول، صلوات الله وسلامه عليه وامرأته تعينه في ذلك، كانت يوم القيامة عونًا على عذابه أيضًا ﴿فِي جِيدِهَا﴾؛ أي: في عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥]؛ أي: تجمع من الحطب في النار وتلقي عليه، ليكون ذلك أبلغ في

عذابه ممن هو أشفق عليه ـ كان ـ في الدنيا، كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأشياء على أربابها، كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة، فيحمى عليها في نار جهنم، وناهيك بحرِّها، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما بخلوا بها ولم يؤدوا حقها عُذِّبوا بها، وهكذا الإبل والبقر والغنم إذا لم يؤدوا حقها يعذبوا بها يوم القيامة، (يبطحون لها في قاع من قرقر، تطؤه الإبل بأخفافها، وتعظه بأفواهها، وتطؤه البقر والغنم بأظلافها، وتنطحه بقرونها، كلما مرت عليهم أخراها أعادت عليهم أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة). كما يأتي، نسأل الله العافية.

• **س: قول المؤلف: ولهذا يقال: من أحب شيئًا وقدَّمه على طاعة الله عُذِّب به، هل هو على إطلاقه؟**

○ **الجواب**: فيه تفصيل، إذا قدم على ما أوجب الله عليه، الجزاء من جنس العمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود: والله الذي لا إلٰه غيره، لا يكوى عبد بكنز فيمس دينار دينارًا، ولا درهم درهمًا، ولكن يوسَّع جلده، فيوضع كل دينار ودرهم على حدته.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويكفي والعياذ بالله، كونه يعذب به يكفي نسأل الله العافية، نعم، سواء كانت بعضها فوق بعض، أو كل واحدة مستقلة، لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد رواه ابن مرْدُويه، عن أبي هريرة مرفوعًا، ولا يصح رفعه، والله أعلم.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: بلغني أن الكنز يتحول يوم القيامة شجاعًا يتبع صاحبه، وهو يفر منه ويقول: أنا كنزك! لا يدرك منه شيئًا إلا أخذه.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجَعْد، عن مَعْدَان بن أبي طلحة، عن ثوبان أن نبي الله ﷺ كان يقول: «**من ترك بعده كنزًا مَثَل له يوم القيامة شُجاعًا أقرع له زبيبتَان، يتبعه، يقول: ويلك ما أنت؟ فيقول: أنا كنزك الذي تركته بعدك! ولا يزال يتبعه حتى يُلقمه يده فَيُقَصْقِصَها ثم يتبعها سائر جسده**».

مداخلة: عندنا! فيقصقصها.

الشيخ: لا، فيقضمها. هكذا جاء في الحديث الصحيح على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

مداخلة: كيف يجمع بين هذا الحديث وقول النبي ﷺ: «**لأن تترك أهلك أغنياء خير لهم من أن تتركهم فقراء يتعففون الناس**»؟

الشيخ: ما فيها منافاة، تركهم أغنياء لكن يؤدي الحق ولو خلف ملايين من الذهب والفضة، إذا أدى الحق ما عليه شيء، ما بينهما تخالف، المهم الوعيد على من لم يؤد حقها، فإذا أدى حقها سلم من شرها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ورواه ابن حبان في صحيحه، من حديث يزيد، عن سعيد به،

وأصل هذا الحديث في الصحيحين من رواية أبي ال وفي صحيح مسلم، من حديث سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جُعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جنبه وجبهته وظهره، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس، ثم يَرَى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» وذكر تمام الحديث.

وقال البخاري في تفسير هذه الآية: حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن حُصَيْن، عن زيد بن وهب قال: مررت على أبي ذر بالرَّبَذة، فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض، قال كنا بالشام، فقرأت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾﴾ فقال معاوية: ما هذه فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب. قال: قلت: إنها لفينا وفيهم.

ورواه ابن جرير من حديث عبثر بن القاسم، عن حصين، عن زيد بن وهب، عن أبي ذر رضي الله عنه، فذكره وزاد: فارتفع في ذلك بيني وبينه القول، فكتب إلى عثمان يشكوني، فكتب إليَّ عثمان أن أقبل إليه، قال: فأقبلت، فلما قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ، فشكوت ذلك إلى عثمان، فقال لي: تَنَحَّ قريبًا. قلت: والله لن أدع ما كنت أقول. قلت: كان من مذهب أبي ذر رضي الله عنه، تحريم ادخار ما زاد على نفقة العيال، وكان يفتي الناس بذلك، ويحثهم عليه، ويأمرهم به، ويغلظ في خلافه، فنهاه معاوية فلم ينته، فخشي أن يضر بالناس في هذا، فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين عثمان، وأن يأخذه إليه، فاستقدمه عثمان إلى المدينة، وأنزله بالربذة وحده، وبها مات رضي الله عنه، في خلافة عثمان. وقد اختبره معاوية رضي الله عنه وهو عنده، هل يوافق عمله قوله؟ فبعث إليه بألف دينار، ففرقها من يومه، ثم بعث إليه الذي أتاه بها فقال: إن

معاوية إنما بعثني إلى غيرك فأخطأت، فهات الذهب! فقال: ويحك! إنها خرجت، ولكن إذا جاء مالي حاسبناك به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان هذا رأيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أبو ذر كان له هذا الرأي، ولهذا رأى عثمان اعتزاله في الربذة؛ لأنه رأي خاطئ، غلط فيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والصواب: أن المال لا يضره إذا أدى حقه، ولو كان زائدًا على نفقة العيال، هذا هو الحق الذي عليه عامة المسلمين وأهل العلم قاطبة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس أنها عامة.

وقال السدي: هي في أهل القبلة.

وقال الأحنف بن قيس: قدمت المدينة، فبينا أنا في حلقة فيها مَلأ من قريش، إذ جاء رجل أخشن الثياب، أخشن الجسد، أخشن الوجه، فقام عليهم فقال: بشر الكانزين برَضْف يحمى عليه في زناد، نار جهنم، فيوضع على حَلمة ثَدْي أحدهم حتى يخرج من نُغْضِ كتفه، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل ـ قال: فوضع القوم رؤوسهم، فما رأيت أحدًا منهم رَجَع إليه شيئًا ـ قال: وأدبر فاتبعته حتى جلس إلى سارية، فقلت: ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم. فقال: إن هؤلاء لا يعلمون شيئًا.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذَرّ: **«ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبًا يمر عليه ثالثة وعندي منه شيء إلا دينار أرصده لدَين»**، فهذا ـ والله أعلم ـ هو الذي حدا أبا ذر على القول بهذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الذي يخبره النبي ﷺ قد جاء أنه يحب هذا، **«ما يسرني**

أن عندي مثل أُحد ذهبًا تمر عليه ثلاثة أيام وعندي منه دينار، إلا دينار أرصده لدين، ولكن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا»، هذا معناه الحث على الجود والنفقة، وليس معناه تحريم الادخار، ولكن أبو ذر غلط في هذا ﷺ. شف (يوضع على حلمة ثديه) أيش؟ هذا متن الحديث.

مداخلة: نعم؟

الشيخ: (يوضع على حلمة ثديه) ماذا؟

القاري: فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه.

الشيخ: من نغض كتفه؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: ماذا، والذي عندك كذا؟

مداخلة: عندي بضم النون عفا الله عنك! نغض.

الشيخ: سهل، نعم، نغض، نعم، شف القاموس نغض.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن سعيد بن أبي الحسن، عن عبد الله بن الصامت رضي الله عنه، أنه كان مع أبي ذر، فخرج عطاؤه ومعه جارية له، فجعلت تقضي حوائجه، ففضلت معها سبعة، فأمرها أن تشتري به فلوسًا. قال: قلت: لو ادخرته للحاجة تَنُوبك وللضيف ينزل بك! قال: إن خليلي عهد إليَّ أنْ أيما ذهب أو فضة أوكِي عليه، فهو جمر على صاحبه، حتى يفرغه في سبيل الله عز وجل. ورواه عن يزيد، عن همام، به. وزاد: إفراغًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بركة، اللَّهُمَّ صلِّ عليه، نسأل الله العافية والسلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الحافظ ابن عساكر بسنده إلى أبي بكر الشبلي في ترجمته، عن محمد بن مهدي: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن صدقة بن عبد الله، عن طلحة بن زيد، عن أبي فَرْوَة الرّهاوي، عن عطاء، عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الق الله فقيرًا ولا تلقه غنيًّا**». قال: يا رسول الله، كيف لي بذلك؟ قال: «**ما سُئِلتَ فلا تَمْنَع، وما رُزِقْت فلا تَخْبَأ**»، قال: يا رسول الله، كيف لي بذلك؟ قال رسول الله ﷺ: «**هو ذاك وإلا فالنار**» إسناده ضعيف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا كله مثل ما تقدم، كل ما ورد في هذا الباب معناه هو أن يبخل بما أوجب الله عليه، أما من أدى ما أوجب الله عليه فلا حرج عليه، لا يكون كنزًا إلا من بخل بما يجب عليه من زكاة وغيرها، فإنه يؤاخذ بما بخل به، أما من أدى الحقوق فلا بأس عليه، وإن كانت عنده الأموال الطائلة الكثيرة، إذا أدى حقها، كما تقدم في قصة أبي بكر الصديق وعبد الرحمٰن بن عوف وغيرهم من أغنياء الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا عتيبة، عن بريد بن أصرم قال: سمعت عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول: مات رجل من أهل الصُّفَّة، وترك دينارين ـ أو: درهمين ـ فقال رسول الله ﷺ: «**كيَّتان، صلوا على صاحبكم**» وقد روي هذا من طرف آخر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا لو صح يحمل على محمل صحيح، يحمل أنه بخل بها عن حق، أو أخذهما من سُحت، أو ما يحمل بها سوى ذلك مما لو صح الخبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال قتادة، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن أبي أمامة صُدَي بن عَجْلان قال: مات رجل من أهل الصُّفَّة، فوجد في مئزره دينار، فقال رسول الله ﷺ: «**كيَّة**». ثم تُوفي رجل آخر فوجد في مئزره ديناران، فقال رسول الله ﷺ: «**كيتان**».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الفراديسي، حدثنا معاوية بن يحيى الأطرابلسي، حدثني أرطاة، حدثني أبو عامر الهَوْزَني، سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: ما من رجل يموت وعنده أحمر أو أبيض، إلا جعل الله بكل قيراط صفحة من نار يكوى بها من قدمه إلى ذقنه.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن خداش، حدثنا سيف بن محمد الثوري، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يوضع الدينار على الدينار، ولا الدرهم على الدرهم، ولكن يُوَسَّع جلده فيكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**» سيف ـ هذا ـ كذاب، متروك.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ **[التوبة: ٣٤]**[(١)].

حدّثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيبٌ، حدّثنا أبو الزّناد أنّ عبد الرّحمن الأعرج حدّثه أنّه قال: حدّثني أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه سمع

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

رسول الله ﷺ يقول: «يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: حيةٌ عظيمةٌ كبيرة السّنّ قد ذهب شعر رأسه لشدّة سمّه وكبر سنّه، نسأل الله العافية، يؤذيه - لا حول ولا قوّة إلّا بالله - هذا المال يحبّه، ويوالي عليه ويعصي الله من أجله صار شجاعًا أقرع يوم القيامة، يأخذه بلهزمتيه ويقول: أنا كنزك، أنا مالك، نسأل الله العافية.

حدّثنا قتيبة بن سعيدٍ، حدّثنا جريرٌ، عن حصينٍ، عن زيد بن وهبٍ قال: مررت على أبي ذرٍّ بالرّبذة فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: «كنّا بالشّام فقرأت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾ قال معاوية: ما هذه فينا، ما هذه إلّا في أهل الكتاب، قال: قلت: إنّها لفينا وفيهم»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل ما قال أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فينا وفيهم. والمراد: من لا يؤدّي الزّكاة، وأمّا ما ذكر عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فلعلّ معاوية أراد؛ يعني: التأديب مطلقًا في أهل الكتاب، أنّهم من شريعتهم أنّهم لا يكنزون، أمّا نحن فلنا أن نكنز إذا أدّينا الزّكاة والحقوق، الأمّة لها أن تكنز، ولها أن تحفظ المال إذا أدّت الزّكاة والحقوق الّتي فيها؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

فمن كنز المال وحفظ المال وأدّى حقّه فلا شيء عليه، إنّما الإثم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ برقم (٤٦٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير في الباب السابق برقم (٤٦٦٠).

والعقوبة على من كنزه ولم يؤدّ حقّه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التّوبة: ٣٥]، بسبب بخلهم بالحقّ وعدم أدائهم الواجب. فالمقصود: أنّ ما أدّي حقّه فليس بكنزٍ.

صدق أبو ذرٍّ ﵁، هي فينا وفيهم، ومعاوية ﵁ في هذا وهم رضي الله عنه وأرضاه، ولكن في الرّواية الأخرى، أنّ أبا ذرٍّ ﵁ كان يقول: «إنّ أصحاب الكنوز يعذّبون»؛ فكأنّ الرّواية هذه مختصرةٌ، يقول: أصحاب الكنوز يعذّبون بها ولو زكّوها حتّى يخرجوها كلّها ما يبقى عندهم شيءٌ إلّا قدر الحاجة الضرورية، ومعاوية ﵁ يقول: لا، إذا أخرجوا زكاتها سلموا منها.

والصّواب مع معاوية ﵁ في هذا، والغلط من أبي ذر ﵁، كان يشدّد أبو ذرٍّ ﵁ في هذا، ولهذا طلب معاوية ﵁ من عثمان ﵁ أن يطلبه إلى المدينة؛ لئلّا يفسد على النّاس علومهم في هذا، ويضيّق عليهم وينغّص عليهم حياتهم؛ ولئلا يقع النزاع الكثير، فطلبه عثمان ﵁، فلم يزل على فتواه فرغب إليه عثمان ﵁ أن يتنحى عن النّاس إلى الرّبذة؛ لئلّا تقع الفتن.

وهذا من الغلط الّذي غلط فيه أبو ذرٍّ ﵁، وصار الآن الشيوعيّون يتشبّثون بقوله، وهم كذبةٌ فجرةٌ؛ ليسوا من قوله في شيءٍ، إنّما أراد هو التحذير من كنز المال، والحثّ على الصدقة والنفقة، وسمع أحاديث عن النّبيّ ﷺ في الحثّ على النفقة، فظنّ أنّها تعمّ هذا كلّه، ولو أديت الزّكاة ولو أدّى الحقّ الّذي عليه، والأمر ليس كذلك؛ بل جاءت النّصوص الكثيرة الصّحيحة الدالّة على أن العبد متى أدّى حقّ الله سلم له ماله ولم يضرّه ماله.

● **س: يعني: أهل الكتاب كانوا لا يكنزون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لعلّ معاوية عنده علمٌ بهذا، أنّهم يعاقبون ليس لهم كنزٌ، ليس لهم أن يكنزون مطلقًا. تكلّم الشّارح على قوله في أهل الكتاب؟

وكان أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشدّد ويرى أنّه لا يكنز شيءٌ أبدًا، كلّ شيءٍ ينفق، وهذا فهمه غلطٌ في ذلك - فهم أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ولهذا رأى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يكون في الرّبذة بعيدًا عن النّاس وعن تعلّقهم به وسؤالهم إيّاه.

والصّواب: أنّه لا بأس بالكنز إذا أدّيت الحقوق، ولو كان عنده ملايين، ولكن يؤدّي حقوقها فلا شيء عليه.

• **س: ومن اكتفى بدفع الزّكاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الزّكاة والحقوق الأخرى.

• **س: من يستدلّ بهذه الآية على أن الحلي الّذي تلبسه المرأة تتزين به، أنّه من الكنز؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا لم تؤدّ زكاته.

• **س: ولكن في قول ثانٍ أنّه ليس فيه زكاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا خلافٌ بين العلماء، خلافٌ بين أهل العلم معروفٌ، والصّواب: أنّه داخلٌ في ذلك، إلّا إذا أدّي حقّه.

• **س: ما هي الحقوق الأخرى بعد الزّكاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كثيرةٌ، منها الفقراء المحاويج إذا عرف أنّهم محاويج وجب عليه أن ينقذهم ويعطيهم، ومنها صلة الرّحم، ومنها الإنفاق على أولاده

الفقراء، ومنها إكرام الضيف، ومنها النّفقة في الجهاد إذا قام الجهاد، وهكذا نفقاتٌ كثيرةٌ.

• **س: أحسن الله إليك: إذا جاءت مشركةٌ إلى هذه البلاد للضّرورة هل يجب أن يأتي معها محرمٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، للضّرورة ما يشترط المحرم المهاجرة لا يشترط لها المحرم.

• **س: مشركة أحسن الله إليك ولكن للضّرورة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا جاءت للهجرة؟

• **س: لا، طبيبةٌ مثلًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما لها التزامٌ بالإسلام، إذا جاءت مشركةٌ ما عندها التزامٌ بأحكام الإسلام حتّى توجّه. هذا إذا جاءت للإسلام مهاجرة لها أن تهاجر من دون محرمٍ، إذا لم يتيسّر لها محرمٌ؛ حتّى تنقذ نفسها من بلاد الشّرك، أمّا استقدام المشركين لا يستقدمون إلى الجزيرة إلّا عند الضّرورة، لا يستقدم المشرك، الرّسول ﷺ أوصى بإخراجهم من هذه الجزيرة عليه الصّلاة والسّلام.

• **س: أحسن الله إليك: الجهاد بالمال يغني عن الجهاد بالنفس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما يغني أما قرأت قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التّوبة: ٤١] الجهاد بالنفس هو الأول، ثمّ المال، لكن قدّم المال لشدة الحاجة إليه في الجهاد، قدّمه على النفس؛ لأنّ المال ينفق على المجاهدين ويشترى به السّلاح، فله شأنٌ في الجهاد، ولكن لا يغني عن النّفس إذا كان قادرًا، أمّا إذا كان عاجزًا

مريضًا أو أعرج أو أعمى فلا جهاد عليه، لكن إذا كان قويًّا عليه الجهاد بنفسه وماله جميعًا.

• س: بارك الله فيك يا شيخ: من يستشهد بهذه الآية على أنّه ليس في عروض التّجارة زكاة إلّا ما كان من كنز في الفضة والذهب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عروض التّجارة كنزٌ؛ لأنّها للبيع، أقول: عروض التّجارة كنزٌ، والأموال تتصور في العروض، التجّار ما يخلّون الأموال جالسة، ما تصير تجارة إلّا بالتّصريف، ولهذا في الحديث أمرهم ﷺ أن يخرجوا الزّكاة مما يعد للبيع.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٥][١].

وقال أحمد بن شبيب بن سعيدٍ: حدّثنا أبي عن يونس، عن ابن شهابٍ، عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال: «هذا قبل أن تنزل الزّكاة، فلمّا أنزلت جعلها الله طهرًا للأموال»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الحقّ الّذي عليه أهل العلم جميعًا، ما قاله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو الّذي عليه أهل العلم جميعًا؛ أنّه إذا أخرج زكاته فليس بكنزٍ.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا﴾...إلخ برقم (٤٦٦١).

والكنز ما لم تؤد زكاته كما في الحديث الصّحيح حديث أم سلمة ﵂ حيث قال ﷺ: «**مَا أُدِّيَ زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ**»[(١)].

• **س: قول ابن عمر ﵄ هذا قبل أن تنزل الزّكاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

يعني: كانت كنزًا في الجملة ـ قول ابن عمر ﵄ ـ لأنّ هذا الوعيد قبل أن تجب عليهم الزّكاة، كانوا متوعّدين بالعذاب، فلمّا جاءت الزّكاة طهّرت الأموال.

• **س: يعني: لمن أخرجها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

لمن أخرجها هذا مراده يعني.

• **س: ....؟**[(٢)]

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

صحيحٌ، هذا يرد على ابن عمر ﵄، اللّهمّ إلّا أن يقال: إنّ هذه الآية تأخرت ـ نزولها ـ المشهور أن براءة نزلت جميعًا، فإذا قلنا: إنّها نزلت مقطّعةً يمكن أن تكون الآية هذه تقدمت قبل نزول الزّكاة، محتملٌ؛ لأنّ هناك سُوَرًا منها آيات تقدمت، ومنها آيات تأخّرت، يراجع البحث إن شاء الله.

يعني: كلام ابن عمر ﵁ هذا فيه نظرٌ، لكن إن كان السبب في هذا أن الآية تقدّم نزولها ممكنٌ.

• **س: يا شيخ هنا قوله: عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر ﵄. وقال: هذا... هذا معلق يا شيخ؟**

---

(١) ساقه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز لقول النبي ﷺ: **ليس فيما دون خمس أواق صدقة**» ساقه بعد الحديث رقم (١٤٠٣).

(٢) السؤال غير واضح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي نعم، لكن وقال أحمد بن شبيبٍ، أحمد شيخٌ له، لكن ما قال: حدّثنا أحمد، علّقه، وإلّا أحمد من شيوخ المؤلّف، بعض العلماء لا يرى التعليق، يرى هذا متصلًا ـ وقال أحمد ـ وهو شيخه، ولكن طريقة المؤلّف الحافظ في «التّقريب» يجعل هذا معلقًا، وفي الشّرح أيضًا كذلك.

• **س: ما يقال نقله عن الغير؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا مقصوده؛ لأنّه يحتمل جزم به، لكن ما قال حدّثنا ولا قال: قال لي، يحتمل أنّه رواه عن غيره.

• **س: الحافظ ما ذكر قولًا آخر أن ما سمعه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قد يقع هذا، لكن ما أذكر شيئًا.

زبدة الفائدة في هذا، وهو قول أهل العلم قاطبةً ما نعلم فيه خلافًا، وقول أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ هذا يعني: قد أميت بين أهل العلم، والّذي عليه أهل العلم قاطبةً أن الزّكاة والحقوق إذا أخرجها المؤمن سلم من عهدة المال، ولكن الأفضل له أن يكثر النّفقة؛ مثل ما قال النّبيّ ﷺ: **«مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا لِي ذَهَبًا، يَأْتِي عَلَيَّ لَيْلَةٌ أَوْ ثَلَاثٌ، عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا»**(١).

فالإنفاق مطلوبٌ، لكن كونه يؤاخذ بذلك، لا، قد كان الصّدّيق وعمر وعثمان وعبد الرّحمن بن عوفٍ وأمّةٌ كبيرةٌ من الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك برقم (٦٢٦٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، ساقه بعد الحديث رقم (٩٩١).

عندهم الأموال الكثيرة؛ فلم تضرهم ولم يعب عليهم ذلك، ولم ينكر عليهم، عليه الصّلاة والسّلام ولم يقل لهم: أخطأتم؛ بل أقرّهم.

وكان عثمان رضي الله عنه ساعد في جيش العسرة بألف دينارٍ من جملة ماله رضي الله عنه وأرضاه، ألف دينارٍ من الذّهب.

المقصود: أن الأموال موجودةٌ عند الصّحابة رضي الله عنهم ومن بعد الصّحابة، فإذا أدّي الحقّ فلا حرج في بقاء المال؛ ليستعين به على طاعة الله، وحاجات الدّنيا؛ ولينفق منه، وليجاهد منه، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

• س: أحسن الله إليك: قول الحنابلة في الذّهب المعدّ للّبس ليس فيه زكاة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

فيه خلافٌ بين العلماء، والصّواب فيه الزّكاة؛ لحديث عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما وما جاء في معناه: أنّه قال للمرأة ذات الحليّ: «**أَتُؤَدِّينَ زَكَاةَ هَذَا؟**» قالت: لا. قال: «**أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بِهِمَا يَوْم القِيَامَةِ سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ؟**»(١)، فألقتهما لله ولرسوله، مع العموم ـ عموم الأدلّة ـ يروى عن جماعةٍ من الصّحابة رضي الله عنهم أنّهم قالوا: لا زكاة في ذلك إذا كان للبس. يروى عن عائشة رضي الله عنها وجماعةٍ.

• س: أحسن الله إليك: من كان عنده حليٌّ لم يبلغ نصابًا وحال عليه الحول، وعنده من النّقدين ما يكمّل النصاب ولكن لم يحل عليه الحول هل تجب فيه الزّكاة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

إذا حال الحول وجبت الزّكاة، وأمّا قبل الحول لا، حتّى يحول

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما، باب الكنز ما هو وزكاة الحلي برقم (١٥٦٣)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب زكاة الحلي برقم (٢٤٧٩)، والإمام أحمد (٦/ ٤٥٥).

الحول على الحليّ وما معها مما يكمّل الزّكاة، فإذا حال الحول على الجميع وجبت الزّكاة.

● **س: بارك الله فيك يا شيخ: من يقول: إن الّذين يقولون بزكاة حليّ المرأة معهم الأثر، ومن لم يقل بذلك معه النظر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

النظر والقياس ما لها محلٌّ مع النصّ، إنّما هذا عند عدم النصّ، إذا جاء النصّ قضي على النظر والعقل، هذه نصوصٌ في وجوب الزّكاة في الذّهب والفضة.

● **س: ولكن من ذهب إلى أنّه ليس فيه شيء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يرجى له الخير ـ إن شاء الله ـ إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجرٌ، إذا كان مجتهدًا وقصده وجه الله فهو على خيرٍ، إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجرٌ، لكن من قال بالزّكاة يرجى له الأجران؛ أصاب.

● **س: كيف يكون النصاب في حالة الحلي، السّؤال الّذي ذكر الآن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

مثل النصاب في الجنيهات، عشرون مثقالًا من الذّهب هو النّصاب، أحد عشر جنيهًا سعوديًّا الآن وثلاثة أسباع جنيهٍ هي مقدار العشرين مثقالًا.

● **س: كم بالجرام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

حوالي اثنين وتسعين جرامًا.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦][1].

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، أخبرنا أيوب، أخبرنا محمد بن سيرين، عن أبي بَكْرَة، أن النبي ﷺ خطب في حجته، فقال: «**ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان**». ثم قال: «**أي يوم هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسمِّيه بغير اسمه، قال: «**أليس يوم النحر؟**» قلنا؛ بلى. ثم قال: «**أي شهر هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس ذا الحجة؟**» قلنا: بلى. ثم قال: «**أي بلد هذا؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليست البلدة؟**» قلنا: بلى. قال: «**فإن دماءكم وأموالكم** ـ قال: وأحسبه قال: **وأعراضكم ـ عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا لا ترجعوا بعدي ضُلالًا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت؟ ألا ليبلغ الشاهد الغائب منكم، فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من يسمعه**». ورواه البخاري في التفسير وغيره، ومسلم من حديث أيوب، عن محمد ـ وهو ابن سيرين ـ عن عبد الرحمٰن بن أبي بَكْرَة، عن أبيه، به.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير مغرب الأحد ٢٥ ـ ٦ ـ ١٤١٨هـ، مغرب الأربعاء ٢٨ ـ ٦ ـ ١٤١٨هـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه دلالة على وجوب التبليغ، وأن الواجب على أهل العلم أن يبلِّغوا رسالة الله، كما بلَّغ الصحابة رضي الله عنهم، وهكذا من بعدهم، يجب على أهل العلم أن يبلغوا، وينشرون العلم، ويعظوا ويذكروا، حتى تبلغ الحجة لمن خفيت عليه، وحتى تقوم الحجة على من جهلها، فالرسول ﷺ خطب الناس في حجة الوداع في عرفة، وفي يوم النحر، وخطب أيضًا بعد ذلك، وأبدى وأعاد في هذا الأمر، وقال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت، ليبلغ الشاهد الغائب، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع**»، وهكذا أنذر الناس قبل الحج وبعد الحج، وقال: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله وعرضه**». فالواجب على أهل العلم أن يبلغوا، وعلى المسلمين أن يتناصحوا، وأن يحذر بعضهم بعضًا، هكذا يكون نشر الدين بالتواصي، بالتناصح، بنشر العلم، بالدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾ [التوبة: ٧١] الآية. ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، وأتباعه هكذا يدعون إلى الله على بصيرة، لا يسكتون، يبينون الحق الذي عندهم به علم، في منازلهم، وفي مجالسهم، وفي مساجدهم، وفي مجتمعاتهم، وبين إخوانهم أينما كانوا، وفي مراكبهم أينما كانوا، دعاة إلى الله، يفرحون بأن يصل العلم إلى غيرهم، ولهم مثل أجور من هداه الله على يديهم، هذا خير عظيم، له مثل أجور من هداه الله على يديه، يقول ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»، «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من**

أجورهم شيئًا»، إنسان يتكاسل في صلاة الجماعة، ثم ذكرته بالله وحرصته، فصار يصلي في الجماعة، فلك مثل أجوره، ما بقي على ظهر الدنيا وصار يحافظ على الصلاة، إنسان عاق لوالديه فذكرته بالله وبر والديه بأسبابك، لك مثل أجره أبدًا حتى يموت، فلك مثل أجره في هذا البر، ذكرته عن الإسبال، فرفع ثيابه بأسبابك، لك مثل أجره دائمًا، يحلق لحيته، ذكرته بالله فوفرها لك مثل أجره، يعامل بالربا فذكرته بالله فترك المعاملة بالربا لك مثل أجره، يغتاب الناس فذكرته بالله لك مثل أجره، نمام ذكرته بالله لك مثل أجره، وهكذا، **«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»**، **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيء»**، خير عظيم، وفضل كبير، لا ينبغي التقاعس عنه، والتساهل به.

• **س: أحسن الله إليكم! قوله: (الله ورسوله أعلم بعد موت النبي)، هل تقال في حياته أو تقال مطلقًا؟**

○ **الجواب**: في حياته، وأما بعد وفاته يقال: الله أعلم، لا أدري، أما في حياته يقال؛ لأن إذا جهل يذهب يسأل إنسان يعلمه، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.

• **س: معنى قوله صلَّى الله عليه قوله: (وإن الزمان قد استدار) معناه يا شيخ؟**

○ **الجواب**: كان في الجاهلية ينسئون بعض الشهور يغيِّرون يبدلون، فيجعلون ذي القعدة في شهر شوال، وذي الحجة ذي القعدة، والمحرم ذي الحجة، وصفر يجعلونه مكان عاشوراء، يقدمون ويؤخرون، فصادف حجة الوداع أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، ذي الحجة ذي الحجة، المحرم المحرم، ذو القعدة ذو القعدة، إلى يومنا هذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد قال ابن جرير: حدثنا محمد بن مَعْمَر، حدثنا روح، حدثنا أشعث، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها، أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان**»[(١)].

ورواه البَزَّار، عن محمد بن معمر، به ثم قال: لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، وقد رواه ابن عَوْن وقُرَّة، عن ابن سيرين، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، عن أبيه، به.

وقال ابن جرير أيضًا: حدثني موسى بن عبد الرحمٰن المسروقي، حدثنا زيد بن حُبَاب، حدثنا موسى بن عبيدة الربَذي، حدثني صدقة بن يسار، عن ابن عمر قال: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال: «**أيها الناس، إن الزمان قد استدار، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم، أولهن رَجَب مضر بين جمادى وشعبان، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم**»

وروى ابن مَرْدُويه من حديث موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمرو، مثله أو نحوه.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] برقم (٤٦٦٢)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال برقم (١٦٧٩).

وقال حماد بن سلمة: حدثني علي بن زيد، عن أبي حُرّة حدثني الرقاشي، عن عمه وكانت له صحبة قال: كنت آخذًا بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق، أذود الناس عنه، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم فلا ـ تظلموا فيهن أنفسكم**»

وقال سعيد بن منصور: حدثنا أبو معاوية، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ قال: محرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة.

وقوله ﷺ في الحديث: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**»، تقرير منه، صَلَوَات الله وسلامه عليه، وتثبيت للأمر على ما جعله الله تعالى في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير، ولا زيادة ولا نقص، ولا نسيء ولا تبديل، كما قال في تحريم مكة: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة**»، وهكذا قال هاهنا: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**»؛ أي: الأمر اليوم شرعًا كما ابتدأ الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض.

وقد قال بعض المفسرين والمتكلمين على هذا الحديث: إن المراد بقوله: «**قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**»، أنه اتفق أن حج رسول الله ﷺ في تلك السنة في ذي الحجة، وأن العرب قد كانت نسأت النسيء، يحجون في كثير من السنين؛ بل أكثرها، في غير ذي الحجة، وزعموا أن حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة، وفي هذا نظر، كما سنبينه إذا تكلمنا على النسيء.

وأغرب منه ما رواه الطبراني، عن بعض السلف، في جملة حديث: أنه اتفق حج المسلمين واليهود والنصارى في يوم واحد، وهو يوم النحر، عام حجة الوداع، والله أعلم.

الأسئلة:

● **س: أحكام هذه الأشهر؟**

○ **الجواب**: بعض أهل العلم يرى أنها باقية، وأن لا يقاتل فيها، والمعروف عند جمهور أهل العلم أنها نسخ حكمها، وأنه لا بأس بالقتال فيها، كما قاتل الصحابة فيها أيام الصدِّيق، وأيام عمر رضي الله عنه وغيره.

مداخلة: في كل خطبه يعتبر من سنته ﷺ؟

الشيخ: نعم؟

● **س: الاستفهام الله يجزاك الجنة في مبدأ كل خطبة استفهام، كما استفهم ﷺ، هل هو من سنته ﷺ في الخطب؟**

○ **الجواب**: محل نظر، أقول: محل نظر، ما أعلم مانع، قول الخطيب مثل هذا هل وعيتم ما قلت لكم من خير، ما في مانع إذا دعت الحاجة إلى هذا الشيء.

مداخلة: لكن يعتبر سنة وإلا ما يعتبر سنة؟

الشيخ: محل نظر، على حسب الحاجة؛ لأنه ليس خطبة النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

فصل

ذكر الشيخ علم الدين السَّخاوي في جزء جمعه سمَّاه «المشهور في أسماء الأيام والشهور»: أن المحرم سمِّي بذلك لكونه شهرًا محرمًا، وعندي أنه سمي بذلك تأكيدًا لتحريمه؛ لأن العرب كانت تتقلب به،

فتحله عامًا وتحِّرمه عامًا، قال: ويجمع على محرَّمات، ومحارم، ومحاريم.

صفر: سمي بذلك لخلو بيوتهم منه، حين يخرجون للقتال والأسفار، يقال: «صَفِرَ المكان»: إذا خلا ويجمع على أصفار كجمل وأجمال.

وشهر ربيع أول: سمي بذلك لارتباعهم فيه. والارتباع الإقامة في عمارة الربع، ويجمع على أربعاء كنصيب وأنصباء، وعلى أربعة، كرغيف وأرغفة.

ربيع الآخر: كالأول.

جمادى: سمي بذلك لجمود الماء فيه. قال: وكانت الشهور في حسابهم لا تدور. وفي هذا نظر فإذا كانت شهورهم منوطة بالأهلة فلا بد من دورانها فلعلهم سموه بذلك أول ما سمي عند جمود الماء في البرد كما قال الشاعر:

وَلَيلَةٍ مِنْ جُمادى ذَاتِ أَنْدِيَة لا يُبْصِرُ العبدُ في ظُلماتها الطُّنُبَا

لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غَير وَاحدَةٍ حَتَّى يَلُفَّ عَلَى خُرْطُومه الذَّنَبَا

ويُجمع على جُمَاديات، كحبارى وحُبَاريات، وقد يذكر ويؤنث، فيقال: جمادى الأولى والأول، وجمادى الآخر والآخرة.

رجب: من الترجيب، وهو التعظيم، ويجمع على أرجاب، ورِجَاب، ورَجَبات.

شعبان: من تشعب القبائل وتفرقها للغارة ويجمع على شَعَابين وشَعْبانات

ورمضان: من شدة الرمضاء، وهو الحر، يقال: «رمضت الفصال»: إذا عطشت، ويجمع على رَمَضَانات ورَماضين وأرْمِضَة قال: وقول من قال: «إنه اسم من أسماء الله»؛ خطأ لا يعرَّج عليه، ولا يلتفت إليه.

قلت: قد ورد فيه حديث؛ ولكنه ضعيف، وبيَّنته في أول كتاب الصيام.

شوال: من شالت الإبل بأذنابها للطراق، قال: ويجمع على شَوَاول وشَوَاويل وشَوَّالات.

القعدة: بفتح القاف ـ قلت: وكسرها ـ لقعودهم فيه عن القتال والترحال، ويجمع على ذوات القعدة.

الحجة: بكسر الحاء ـ قلت: وفتحها ـ سمي بذلك لإيقاعهم الحج فيه، ويجمع على ذوات الحجة.

أسماء الأيام: أولها الأحد، ويجمع على آحاد، وأُحاد ووحود. ثم يوم الإثنين، ويجمع على أثانين. الثلاثاء: يمد، ويُذَكَّر ويؤنث، ويجمع على ثلاثاوات وأثالث. ثم الأربعاء بالمد، ويجمع على أربعاوات وأرابيع. والخميس: يجمع على أخمسة وأخامس، ثم الجمعة ـ بضم الميم، وإسكانها، وفتحها أيضًا ـ ويجمع على جُمَع وجُمُعات.

السبت: مأخوذ من السَّبْت، وهو القطع؛ لانتهاء العدد عنده. وكانت العرب تسمي الأيام أول، ثم أهون، ثم جُبَار، ثم دُبار، ثم مؤنس، ثم العروبة، ثم شيار، قال الشاعر ـ من العرب العرباء العاربة المتقدمين:

أُرَجِّي أن أعيشَ وأن يَومِي ... بأوّل أو بأهون أو جُبَار
أو التالي دُبَار فإن أفْتهُ ... فمؤنس أو عروبةَ أو شيار

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ فهذا مما كانت العرب أيضًا في الجاهلية تحرمه، وهو الذي كان عليه جمهورهم، إلا طائفة منهم يقال لهم: «البَسْل»، كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر، تعمقًا وتشديدًا.

وأما قوله: «ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، فإنما أضافه إلى مضر، ليبين صحة قولهم في رجب أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان، لا كما كانت تظنه ربيعة من أنَّ رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال، وهو رمضان اليوم، فبيَّن، عليه الصلاة والسلام، أنه رجب مضر لا رجب ربيعة. وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة، ثلاثة سَرْدٌ وواحد فرد؛ لأجل أداء مناسك الحج والعمرة، فحرم قبل شهر الحج شهر، وهو ذو القعدة؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحُرِّم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرم بعده شهر آخر، وهو المحرم؛ ليرجعوا فيه إلى نائي أقصى بلادهم آمنين، وحرم رجب في وسط الحول، لأجل زيارة البيت والاعتمار به، لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنًا.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾؛ أي: هذا هو الشرع المستقيم، من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحرم، والحَذْو بها على ما سبق في كتاب الله الأول.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني تضاعف من جهة الكيفية، في الأشهر الحرم، وفي رمضان، وفي البلد الحرام، من جهة الكيفية، أما العدد فواحد، السيئة واحدة، لكن السيئة تكون في الحرم أو في رمضان ليس مثل السيئة التي في الطائف، أو في شعبان، أو نحو ذلك.

مداخلة: أحسن الله إليك! يعني تعظم السيئة؟

الشيخ: يعني تعظم من جهة الإثم، لا من جهة العدد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: في هذه الأشهر المحرمة؛ لأنه آكد وأبلغ في الإثم من غيرها، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام؛ ولهذا تغلظ فيه الدية في مذهب الشافعي، وطائفة كثيرة من العلماء، وكذا في حَقِّ من قتل في الحرم أو قتل ذا محرم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، والصواب: أنه لا تغليظ فيها، ولا في الحرم، ولا في المحارم، الدية واحدة، مائة من الإبل، الجمهور على أن هذا منسوخ في الأشهر الحرم، وأنها يجوز فيها القتال في سبيل الله، وأن الدية لا تغلظ لا فيها ولا في غيرها، ولا مع الأقارب، إنما تغلظ على حسب الجناية، فهي مغلظة في العمد وفي شبه العمد، ودون ذلك في الخطأ المحض.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مِهْران، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: في الشهور كلها.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ الآية ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ في كلِّهن، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرامًا، وعَظَّم حُرُماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم.

وقال قتادة في قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ إن الظلم في الأشهر الحُرُم أعظم خطيئة ووزرًا، من الظلم فيما سواها، وإن كان

الظلم على كل حال عظيمًا، ولكن الله يعظِّم من أمره ما يشاء. قال: إن الله اصطفى صَفَايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلًا ومن الناس رسلًا واصطفى من الكلام ذِكْرَه، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر، فَعَظِّموا ما عظم الله، فإنما تُعَظم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل.

وقال الثوري، عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد بن الحنفية: بألا تحرموهن كحرمتهن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بألا تحرموهن، كأن المعنى: يعني نبَّهكم لئلا تقصروا في حرمتهن، أو بأن تعد ألف لام في ألا، أو بأن تحرموهن؟

مداخلة: أحسن الله إليك! بألا.

الشيخ: عندكم لا؟

مداخلة: إي نعم، أحسن الله إليك!

الملقي: بألا تحرموهن.

الشيخ: تحرموهن ماذا؟

الملقي: كحرمتهن.

مداخلة: في نسخة: لحرمتهن.

مداخلة: ويصير المعنى عفا الله عنك! أنهم كانوا يظلمون فيها أنفسهم، لا يحرمون كحرمتهن..

الشيخ: بألا تحرموهن لحرمتهن؟

مداخلة: كحرمتهن.

الشيخ: كحرمتهن؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: بالكاف؟

مداخلة: نسختين يا شيخ! نسخة بالكاف، ونسخة باللام: كحرمتهن، ولحرمتهن.

الشيخ: نعم، سهل، كلام محمد أقول: سهل.

- **س: القول الراجح في القتال والراجح الشهر الحرام؟**

○ **الجواب**: الأقرب أنها منسوخة؛ لأن الصحابة قاتلوا فيها بعد ذلك بعد النبي ﷺ، دل على أن... القتال فيها قد نسخ، كذلك ما فعله النبي مع أهل الطائف، نعم.

- **س: أشهر التسيير أحسن الله إليك! ما هي؟**

○ **الجواب**: الذي قال النبي ﷺ للكفار لما فتح مكة: «**من كان له عهد فهو على مدته، ومن كان ليس له عهد فله أربعة أشهر، إن أسلم وإلا قوتل**»، سموها التسيير، يعني: يسيرون فيها من بلاد إلى بلاد حتى يتمكنوا من الوصول إلى بلادهم وإلى حاجاتهم في الأربع، بعد فتح مكة، عام الفتح، نعم.

مداخلة: إذا وجد بعد الأربع الثالثة يا شيخ؟

الشيخ: إذا لم يسلموا قاتلهم.

- **س: أحسن الله إليكم يا شيخ! الذنوب تضاعف في الأشهر الحرم؟**

○ **الجواب**: ينبغي الحذر منها، على إطلاق النصوص ينبغي الحذر، ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، فيها وفي غيرها من الشهور، يجب الحذر، الله المستعان، نعم.

مداخلة: أحسن الله إليك! هل ثبت في حديث عنه ﷺ أن أشهرًا في إحرامه خير من الدنيا وما فيها؟

الشيخ: ما أعلم ذلك.

مداخلة: أحسن الله إليك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال محمد بن إسحاق: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: لا تجعلوا حرامها حلالًا ولا حلالها حرامًا، كما فعل أهل الشرك، فإنما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك، زيادة في الكفر ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية [التوبة: ٣٧].

وهذا القول اختيار ابن جرير.

وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾؛ أي: جميعكم ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾؛ أي: جميعهم، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام: هل هو منسوخ أو محكم؟ على قولين:

أحدهما ـ وهو الأشهر: أنه منسوخ؛ لأنه تعالى قال هاهنا: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ وأمر بقتال المشركين وظاهر السياق مشعر بأنه أمر بذلك أمرًا عامًّا، فلو كان محرمًا ما في الشهر الحرام لأوشك أن يقيده بانسلاخها؛ ولأن رسول الله ﷺ حاصر أهل الطائف في شهر حرام ـ وهو ذو القعدة ـ كما ثبت في الصحيحين: أنه خرج إلى هوازن في شوال، فلما كسرهم واستفاء أموالهم، ورجع فَلُّهم، فلجئوا إلى الطائف ـ عَمد إلى الطائف فحاصرها أربعين يومًا، وانصرف ولم يفتتحها فثبت أنه حاصر في الشهر الحرام.

والقول الآخر: أن ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام، وأنه لم ينسخ تحريم الحرام، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [الآية] [المائدة: ٢]، وقال: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ الآية

[البقرة: ١٩٤]، وقال: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية] [التوبة: ٥٠]

وقد تقدم أنها الأربعة المقررة في كل سنة، لا أشهر التسيير على أحد القولين.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ فيحتمل أنه منقطع عما قبله، وأنه حُكم مستأنف، ويكون من باب التهييج والتحضيض؛ أي: كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضًا لهم إذا حاربتموهم، وقاتلوهم بنظير ما يفعلون، ويحتمل أنه إذن للمؤمنين بقتال.

المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٩١]، وهكذا الجواب عن حصار رسول الله ﷺ أهل الطائف، واستصحابه الحصار إلى أن دخل الشهر الحرام، فإنه من تتمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف، فإنهم هم الذين ابتدأوا القتال، وجمعوا الرجال، ودعوا إلى الحرب والنزال، فعندما قصدهم رسول الله ﷺ كما تقدم، فلما تحصنوا بالطائف ذهب إليهم لينزلهم من حصونهم، فنالوا من المسلمين، وقتلوا جماعة، واستمر الحصار بالمجانيق وغيرها قريبًا من أربعين يومًا. وكان ابتداؤه في شهر حلال، ودخل الشهر الحرام، فاستمر فيه أيامًا، ثم قفل عنهم لأنه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء، وهذا هو أمر مقرر، وله نظائر كثيرة، والله أعلم. ولنذكر الأحاديث الواردة في ذلك وقد حررنا ذلك في السيرة، والله أعلم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦][1].

هذه الآية الكريمة وما جاء في معناها تدل على فضل الجهاد، والجهاد هو سنام الإسلام وبه قوامه وانتشاره؛ ولهذا شرعه الله للمسلمين بعدما أعطاهم القوة شرع لهم الجهاد، ولما كانوا مستضعفين لم يؤمروا بالجهاد وكانوا في مكة جهادهم الدعوة للضعف وعدم وجود القوة، فكان جهادهم بالدعوة إلى الله والتبليغ عن الله، وهكذا في أول الهجرة كان الجهاد بالدعوة إلى الله والبلاغ والبيان، فلما قوَّاهم الله وأعانهم وكثر جمعهم، أوجب عليهم سبحانه الجهاد فقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٩٣] قاتلوهم؛ يعني: الكفرة ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾، وقال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال ﷻ في سورة الصف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١]، هذه التجارة العظيمة: الإيمان والجهاد فهي تجارة توصل أهلها إلى دار الكرامة والنعيم المقيم، إيمان وجهاد في سبيل الله لإظهار دينه ونصر دينه وإعلاء كلمته ودعوة الناس إلى الدخول في دين الله، ومن أبى قُوتل بالسيف حتى يخضع للحق أو يؤدي الجزية إن كان من أهل الجزية؛ كاليهود والنصارى والمجوس؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٤/ ١٤).

ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، والآيات في الجهاد كثيرة جدًّا، وهي تدل على فضله العظيم، وأنه من أفضل الأعمال بعد الإيمان.

ولهذا لما (سُئل عليه الصلاة والسلام: أيُّ العَمل أفْضَلُ؟ قَالَ: **«إيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ»** قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **«الجهادُ في سَبيلِ اللهِ»** قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **«حَجٌّ مَبْرُورٌ»**)، فأول شيء توحيد الله والإخلاص له والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله وأداء الفرائض من: صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، ونحو ذلك، ثم الجهاد فرض كفاية مع القدرة في سبيل الله لأنواع الكفرة: من اليهود والنصارى والوثنيين وغيرهم من أنواع الكفرة، لكن من كان من أهل الجزية؛ كاليهود والنصارى فإنه يجاهد حتى يسلم أو يؤدي الجزية وهكذا المجوس، أما الكفار الآخرون الوثنيون والشيوعيون فهؤلاء يجاهدون حتى يسلموا ولا تقبل منهم الجزية، وهكذا لما سُئل: (أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: **«الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا»**)؛ يعني: في حق المؤمن؛ يعني: قد آمن يصلي الصلاة على وقتها الفرض عمود الإسلام، (قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: **«بِرُّ الوَالِدَيْنِ»**)؛ لأنه مقدم على جنس الجهاد، (قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: **«الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ»**) فبرّ الوالدين أمر لازم وفريضة.

ولهذا لما جاء رجلٌ إلى النّبيّ ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: **«أَحَيٌّ وَالِدَاكَ»**؟ قال: نعم. قَالَ: **«فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»**[١]، وفي لفظ قال: **«ارْجِعْ**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين برقم (٣٠٠٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنها أحق به برقم (٢٥٤٩).

إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا»(١). فدَلّ ذلك على تقدم البر على الجهاد وإن بر الوالدين والقيام بحقهما مقدَّم، فإذا أذِنا فلا بأس، واللفظ الآخر قال لما سُئل: (أيُّ العَمل أفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**» قُلْتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الوَالِدَيْنِ**» قلتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قَالَ: «**الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ**»). فالمؤمن يبدأ بما فرض الله عليه من صلاة وغيرها، وإذا جاء الجهاد قام بالواجب من الجهاد حسب الطاقة، وإذا كان والداه في الحاجة إليه ولم يأذنا له قدَّم برّهما والقيام عليهما، فإذا أذنا له جاهد مع المسلمين، والجهاد أقسام، جهاد النفس في طاعة الله ورسوله، وجهاد لها في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد في قتال الكفار أينما كانوا، فجهاد النفس بأداء فرائض الله أمر لازم، وهكذا الجهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر لازم حسب الطاقة وهو فرض كفاية أيضًا، والجهاد بالسيف لجهاد أعداء الله حتى يدخلوا في الإسلام، أو يؤدوا الجزية إن كان من أهلها، وشرط ذلك أن يقوى عليه وأن يستطيع ذلك، فإن لم يستطع لكونه أعمى أو مريضًا أو أعرج فهو مسامح، أو عاجز عن النفقة ليس عنده نفقة وليس في بيت المال ما ينفق عليه فهو ساقط أيضًا عنه؛ لأن الله يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فمن استطاع الجهاد بنفسه أو بإسعاف غيره أو بإسعاف ولاة الأمور جاهد، ومن عجز أو كان مريضًا أو أعرج أو أعمى فهو مسامح، أو حي والداه فلم يأذنا له أو أحدهما فهو معذور.

* *

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان برقم (٢٥٣٠)، والإمام أحمد (٣/ ٧٥).

❑ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [التوبة: ٣٧][(١)].

مثل ما بيَّن ﷻ في الآية نفسها: قال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾؛ يعني: من طريقة الكفرة أنهم يحرمون النسيء والنسيء محرم يجعلونه صَفَر، وصفر يجعلونه محرَّمًا، تارةً وتارة، فتارةً يكون محرم محرمًا وصفر حلًّا، وتارةً يعكسون فيجعلون محرمًا صفر ويستحلُّونه، ويؤخِّرون محرم إلى صفر. يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا، وهذا من جهلهم وضلالهم وتمثيلهم، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾. يقولون إن الشهور الأربعة: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة والمحرم. هذه أربعة، فإذا حرمنا صفرًا، وحللنا محرمًا فالشهور أربعة، إلا أنّا قدمنا وأخَّرنا، وهذا ضلال؛ لأنهم خالفوا شرع الله، شرع الله جعل محرمًا ما ما جعل صفرًا، فلهذا قال: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾ ويجعله سبحانه زيادة في الكفر؛ يعني: تغييرهم شرايع الله زيادة في الكفر. نسأل الله العافية.

فالواجب بقاء الشهور على حالها محرمة، رجب وحده بين جمادى وشعبان، وثلاثة متوالية، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم. هذا هو الواجب. أما أن يؤخر محرم إلى صفر، ويقدم صفر إلى محرم، هذا باطل، هذا من جهلهم وضلالهم.

*

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٨٧).

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [التوبة: ٣٧][(١)].

هذا مما ذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة، وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله، فإنهم كان فيهم من القوة الغضَبية والشهامة والحمية ما استطالوا به مدة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم وتأخيره إلى صفر، فيحلون الشهر الحرام، ويحرمون الشهر الحلال، ليواطئوا عدة الأشهر الأربعة (كما قال شاعرهم ـ وهو عمير بن قيس المعروف ـ بجذل الطعان:

لَقَدْ عَلِمَت مَعَد أنَّ قَومِي ... كرَامُ النَّاس أنَّ لَهُمْ كِراما
ألسْنا الناسئينَ على مَعد ... شُهُورَ الحِل نَجْعلُهَا حَرَاما
فأيّ النَّاسِ لَم تُدْرَك بوتْر؟ ... وأيّ النَّاس لم نُعْلك لجاما؟

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ قال: النسيء أنَّ جُنادة بن عوف بن أمية الكناني، كان يوافي الموسم في كل عام، وكان يكنى «أبا ثُمَامة»، فينادي: ألا إن أبا ثمامة لا يُحاب ولا يُعاب، ألا وإن صفر العام الأول حلال. فيحله للناس، فيحرم صفرًا عامًّا، ويحرم المحرم عامًا، فذلك قول الله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يقول: يتركون المحرم عامًا، وعامًا يحرمونه.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ٢ ـ ٧ ـ ١٤١٨هـ.

وروى العوفي عن ابن عباس نحوه.

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلى الموسم على حمار له، فيقول: يا أيها الناس، إني لا أعاب ولا أجاب، ولا مَرَدّ لما أقول، إنا قد حَرَّمنا المحرم، وأَخَّرنا صفر. ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته، ويقول: إنا قد حرمنا صفر، وأَخَّرنا المحرم. فهو قوله: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قال: يعني الأربعة ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ لتأخير هذا الشهر الحرام.

وروي عن أبي وائل، والضحاك، وقتادة نحو هذا.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ الآية، قال: هذا رجل من بني كنانة يقال له: «القَلَمَّس»، وكان في الجاهلية، وكانوا في الجاهلية لا يغيرُ بعضهم على بعض في الشهر الحرام، يلقى الرجل قاتل أبيه ولا يَمُدُّ إليه يده، فلما كان هو، قال: اخرجوا بنا. قالوا له: هذا المحرم! قال: ننسئه العام، هما العام صفران، فإذا كان العام القابل قضينا جعلناهما مُحرَّمين. قال: ففعل ذلك، فلما كان عام قابل قال: لا تغزُوا في صفر، حرموه مع المحرم، هما محرمان.

فهذه صفة غريبة في النسيء، وفيها نظر؛ لأنهم في عام إنما يحرمون على هذا ثلاثة أشهر فقط، وفي العام الذي يليه يحرمون خمسة أشهر، فأين هذا من قوله تعالى: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الصواب أنهم ينسئون واحد، ويعجلون واحد، موه شهرين؛ لأنهم لو جعلوها شهرين صارت خمسة، فالتفسير الأول أصح، تارةً محرم، وتارةً حلًّا، وبداله صفر، وهذا من جهلهم وتلاعبهم وخرافاتهم. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روي عن مجاهد صفة أخرى غريبة أيضًا، فقال عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَر، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ الآية، قال: فرض الله عَزَّ وَجَلَّ، الحج في ذي الحجة. قال: وكان المشركون يسمون الأشهر ذا الحجة، والمحرم، وصفر، وربيع، وربيع، وجمادى، وجمادى، ورجب، وشعبان، ورمضان، وشوالًا وذا القعدة. وذا الحجة يحجون فيه مرة أخرى ثم يسكتون عن المحرم ولا يذكرونه، ثم يعودون فيسمون صفر صفر، ثم يسمون رجب جمادى الآخرة، ثم يسمون شعبان رمضان، ثم يسمون شوالًا رمضان، ثم يسمون ذا القعدة شوالًا.

ثم يسمُّون ذا الحجة ذا القعدة، ثم يسمُّون المحرم ذا الحجة، فيحجون فيه، واسمه عندهم ذو الحجة، ثم عادوا بمثل هذه القصة فكانوا يحجون في كل شهر عامين، حتى وافق حجة أبي بكر الآخر من العامين في القعدة ثم حج النبي ﷺ حجته التي حج، فوافق ذا الحجة، فذلك حين يقول النبي ﷺ في خطبته: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**».

وهذا الذي قاله مجاهد فيه نظر أيضًا، وكيف تصح حجة أبي بكر وقد وقعت في ذي القعدة، وأنى هذا؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية [التوبة: ٣]، وإنما نودي بذلك في حجة أبي بكر، فلو لم تكن في ذي الحجة لما قال تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ ولا يلزم من فعلهم النسيء هذا الذي ذكره، من دوران السنة عليهم، وحجهم في كل شهر عامين؛ فإن النسيء حاصل بدون هذا، فإنهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عامًا يحرمون عوضه صفرًا، وبعده ربيع وربيع إلى آخر السنة والسنة بحالها على نظامها وعدتها وأسماء شهورها ثم في العام القابل

يحرِّمون المحرم ويتركونه على تحريمه، وبعده صفر، وربيع وربيع إلى آخرها فيحلونه عامًا ويحرمونه عامًا؛ ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله؛ أي: في تحريم أربعة أشهر من السنة، إلا أنهم تارة يقدِّمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية وهو المحرم، وتارة ينسئونه إلى صفر؛ أي: يؤخِّرونه. وقد قدمنا الكلام على قوله ﷺ: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر**»؛ أي: أن الأمر في عدة الشهور وتحريم ما هو محرم منها، على ما سبق في كتاب الله من العدد والتوالي، لا كما يعتمده جهلة العرب، من فصلهم تحريم بعضها بالنسيء عن بعض، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مقصوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن النسيء إنما يكون في محرم وصفر، وأن الله جَلَّ وَعَلَا أبطل ما عليه الجاهلية، أما ذو الحجة فهو على حاله في حجة الوداع، وفي حجة أبي بكر الصدِّيق، وإنما يقع منهم النسيء في الشهرين اللذين هما أول العام الهجري: محرم وصفر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا صالح بن بشر بن سلمة الطبراني، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أنه قال: وقف رسول الله ﷺ بالعقبة، فاجتمع إليه من شاء الله من المسلمين، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: «**وإنما النسيء من الشيطان، زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلُّونه عامًا ويحرِّمونه عامًا**». فكانوا يحرمون المحرم عامًا، ويستحلون صفر ويستحلون المحرم، وهو النسيء.

وقد تكلم الإمام محمد بن إسحاق على هذا في كتاب «السيرة» كلامًا جيدًّا ومفيدًا حسنًا، فقال: كان أول من نسأ الشهور على العرب،

فأحل منها ما حرم الله، وحرم منها ما أحل الله ﷻ، «القَلَمَّس»، وهو: حذيفة بن عبد مُدْرِكة فُقَيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة بن مدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعدَّ بن عدنان، ثم قام بعده على ذلك ابنه عَبَّاد ثم من بعد عباد ابنه قَلَع بن عباد، ثم ابنه أمية بن قلع، ثم ابنه عوف بن أمية، ثم ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام. فكانت العرب إذا فرغت من حجِّها اجتمعت إليه، فقام فيهم خطيبًا، فحرم رجبًا، وذا القعدة، وذا الحجة، ويحل المحرم عامًا، ويجعل مكانه صفر، ويحرمه عامًا ليواطئ عدة ما حرم الله، فيحل ما حرم الله، يعني: ويحرم ما أحل الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بركة. والمقصود من هذا: بيان تلاعب الجاهلية في أمور التحريم والتحليل؛ لأنه ليس لهم إلا هواهم، ما عندهم شريعة، ما عندهم إلا الهوى والعوائد التي يحكمون بها طواغيتهم ورؤساؤهم، مثلما قد يقع لكثير من رؤساء القبائل، حتى الآن، كثير من رؤساء القبائل يشرعون لهوًا شيئًا ما شرعه الله، ويحكمون بين قبائلهم بشيء ما شرعه الله، كلها تأسٍّ بالجاهلية الأولى.

• **س: ترجيح المؤلف بأن الأشهر باقية على حالها؟**

○ **الجواب**: إلا صفر ومحرم، هذا هو محل النسيء، نعم.

• **س: هو قول مجاهد إن الأشهر تدور؟**

○ **الجواب**: لا ما له أصل هذا، الصواب هو هذا، ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ [التوبة: ٣٧]؛ ولهذا سمى الله ﷻ يوم النحر الحج الأكبر في حجة الصدِّيق.

• **س: على هذا كيف يفسر استدارة الزمان في حديث: «ألا وإن الزمان قد استدار»، كيف يفسر على أنه لا يحرم إلا ما حرم...**

○ **الجواب**: هذا هو، كهيئته يوم خلق الله، يعني: وافق المحرم الذي بيدخل بعد الحجة هو محرم، وصفر هو صفر.

❊

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩][1].

القيّم: هو القائم.

حدّثنا عبد الله بن عبد الوهّاب، حدّثنا حمّاد بن زيدٍ، عن أيّوب، عن محمّدٍ، عن ابن أبي بكرة، عن أبي بكرة، عن النّبيّ ﷺ قال: «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ**»[2].

❊

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿مَعَنَا﴾: ناصرنا، السكينة: فعيلة من السكون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿مَعَنَا﴾: يعني: معنا بنصرته، هذه المعيّة الخاصّة، المعيّة العامّة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]؛ يعني: بعلمه واطّلاعه

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) سبق تخريجه في (ص٣٥١).

وإحاطته، عند أهل السّنّة والجماعة، كما حكى إجماع أهل السّنّة على ذلك أبو عمر الطّلمنكي، وأبو عمر بن عبد البرّ، وأبو نصرٍ السّجزي وغيرهم.

ولهذا أشار المؤلف هنا: **(ناصرنا)** مع أنّه فوق العرش سبحانه وتعالى، وعلمه محيطٌ بهم جل وعلا.

حدّثنا عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا حبّان، حدّثنا همّامٌ، حدّثنا ثابتٌ، حدّثنا أنسٌ قال: حدّثني أبو بكرٍ رضي الله عنه قال: «كنت مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم في الغار، فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أنّ أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كذا عندكم: «رفع قدمه»؟

(القارئ): (لو أن أحدهم رفع قدمه لرآنا).

قال سماحة الشيخ ابن بازٍ رحمه الله: المعروف في الرّواية: «لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه».

حدّثنا عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا ابن عيينة، عن ابن جريجٍ، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّه قال حين وقع بينه وبين ابن الزّبير: قلت: «أبوه الزّبير، وأمّه أسماء، وخالته عائشة، وجدّه أبو بكرٍ، وجدّته صفيّة»، فقلت لسفيان: إسناده؟ فقال: حدّثنا، فشغله إنسانٌ ولم يقل: ابن جريجٍ[2].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي بكر رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ برقم (٤٦٦٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق برقم (٢٣٨١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾... إلخ برقم (٤٦٦٤).

حدّثني عبد الله بن محمّدٍ، قال: حدّثني يحيى بن معينٍ، حدّثنا حجّاجٌ قال ابن جريجٍ: قال ابن أبي مليكة، وكان بينهما شيءٌ: فغدوت على ابن عبّاسٍ فقلتُ: أتريد أن تقاتل ابن الزّبير، فتحلّ ما حرم الله؟ فقال: «معاذ الله، إنّ الله كتب ابن الزّبير وبني أميّة محلّين، وإنّي والله لا أحلّه أبدًا»، قال: «قال النّاس: بايع لابن الزّبير، فقلت: وأين بهذا الأمر عنه، أمّا أبوه فحواريّ النّبيّ ﷺ، يريد الزّبير، وأمّا جدّه فصاحب الغار، يريد أبا بكرٍ، وأمّا أمّه فذات النّطاق، يريد أسماء، وأمّا خالته فأمّ المؤمنين، يريد عائشة، وأمّا عمّته فزوج النّبيّ ﷺ، يريد خديجة، وأمّا عمّة النّبيّ ﷺ فجدّته، يريد صفيّة، ثمّ عفيفٌ في الإسلام، قارئٌ للقرآن، والله إن وصلوني وصلوني من قريبٍ، وإن ربّوني ربّني أكْفاءٌ كرامٌ، فآثر عليّ التّويتات والأسامات والحميدات، يريد أبطنًا من بني أسدٍ: بني تويتٍ، وبني أسامة، ومن أسدٍ، إنّ ابن أبي العاص برز يمشي القدميّة؛ يعني: عبد الملك بن مروان، وإنّه لوّى ذنبه؛ يعني: ابن الزّبير»(١).

حدّثنا محمّد بن عبيد بن ميمونٍ، حدّثنا عيسى بن يونس، عن عمر بن سعيدٍ قال: أخبرني ابن أبي مليكة: دخلنا على ابن عبّاسٍ فقال: «ألا تعجبون لابن الزّبير، قام في أمره هذا، فقلت: لأحاسبنّ نفسي له ما حاسبتها لأبي بكرٍ، ولا لعمر، ولهما كانا أولى بكلّ خيرٍ منه، وقلت: ابن عمّة النّبيّ ﷺ، وابن الزّبير، وابن أبي بكرٍ، وابن أخي خديجة، وابن أخت عائشة، فإذا هو يتعلّى عنّي، ولا يريد ذلك، فقلت: ما كنت أظنّ أنّي أعرض هذا من نفسي فيدعه، وما أراه يريد خيرًا، وإن كان لا بدّ لأن يربّني بنو عمّي أحبّ إليّ من أن يربّني غيرهم»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾...إلخ برقم (٤٦٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾...إلخ برقم (٤٦٦٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اللّهمّ ارض عنهم.

وهذا لما مات يزيد بن معاوية وطلب... عبد الله بن الزّبير طلب الخلافة وبايعه النّاس، ثمّ قام مروان في الموضوع وجاءت الفتنة، ثمّ قام عبد الملك بعده، بعد موت مروان وصارت الفتنة بين ابن الزّبير وبين عبد الملك، قد تمت البيعة لعبد الله بن الزّبير؛ واستقرّ في الخلافة إلى أن قتل سنة ثلاثٍ وسبعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، على يد الحجّاج، وأمره معروفٌ، القصّة معروفةٌ رضي الله عن الجميع، ورحم الله الجميع.

• **س: ... تأخّر ابن عبّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **عن البيعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهر حاله أنّه بايع، أقول: ظاهر السّياق أنّه بايع، مع ما كانوا غير حريصين فيه، لا بدّ؛ يعني: أن البيعة لا بدّ أن تقيل، وأن يتولاه وأمثاله خيرٌ من أن يتولّى غيرهم، اللّهمّ ارض عنهم.

• **س: أحسن الله إليك: أيهم أكثر فضلًا ابن عبّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أم ابن الزّبير رضي الله عنهم أجمعين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أفضل بكثيرٍ، وأعلم؛ نشر الله به العلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن الزّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا له فضل الصّحبة وفضل العلم أيضًا، لكن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا له مزايا من جهة العلم والفقه في الدين، دعا له النّبيّ: «**اللَّهُمَّ فقه فِي الدين وعلمه التأويل**»(١)، «**اللَّهُمَّ علِّمه الكِتَاب**»(٢)، لكنّه توقف لأجل مسألة الفتنة الّتي بين ابن الزّبير وبين مروان وابنه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٢٨). (٢) سبق تخريجه (١/ ٣٢).

• **س: يعني: توقف عن البيعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو الظّاهر أنّه توقّف عن البيعة؛ لأجل مسألة بيعة النّاس لمروان في الشّام محلّ العاصمة.

• **س: لكن أحسن الله إليك: كأنّه يميل إلى ابن الزّبير يقول: لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لو قصده القرابة كان هذا أقرب، لكن كأنّ مقصوده الأدلّة الشّرعيّة؛ كأنّه رأى أن أولئك بايعهم النّاس الّذين هم؛ يعني: الأصول وأئمة النّاس في الشّام محلّ عاصمة المُلك بعد وفاة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ووفاة يزيد، كأنّه، البحث بسطه العلّامة ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «البداية» الله يغفر لهم ويعفو عنا وعنهم جميعًا.

• **س: بارك الله فيك يا شيخ: القول الّذي يروى عن سفيان لما سأل ابن جريج فشغله إنسان فلم يقل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يتبين في الرّواية الأخرى.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١][(١)].

قال سفيان الثوري، عن أبيه، عن أبي الضحَى مسلم بن صَبيح: هذه الآية: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أول ما نزل من سورة براءة.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأحد ٩ - ٧ - ١٤١٨هـ.

وقال معتمر بن سليمان، عن أبيه قال: زعم حَضْرمي أنه ذكر له أن ناسًا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلًا أو كبيرًا، فيقول: إني لا آثم، فأنزل الله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية.

أمر الله تعالى بالنفير العام مع الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، عام غزوة تبوك، لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب، وحَتَّم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المَنْشَط والمَكْرَه والعسر واليسر، فقال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

وقال علي بن زيد، عن أنس، عن أبي طلحة: كهولًا وشَبَابًا ما أسمع الله عَذَر أحدًا، ثم خرج إلى الشام فقاتل حتى قُتل.

وفي رواية: قرأ أبو طلحة سورة براءة، فأتى على هذه الآية: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فقال: أرى ربنا يستنفرنا شيوخًا وشَبَابًا جهزوني يا بَنِيَّ. فقال بنوه: يرحمك الله، قد غزوت مع رسول الله حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزو عنك. فأبى، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام، فلم يتغير، فدفنوه بها.

وهكذا روي عن ابن عباس، وعِكْرِمة وأبي صالح، والحسن البصري، وشَمْر بن عطية، ومقاتل بن حَيَّان، والشعبي وزيد بن أسلم: أنهم قالوا في تفسير هذه الآية: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قالوا: كهولًا وشبابًا، وكذا قال عِكْرِمة والضحاك، ومقاتل بن حيان، وغير واحد.

وقال مجاهد: شبابًا وشيوخًا، وأغنياء ومساكين. وكذا قال أبو صالح، وغيره.

وقال الحكم بن عُتيبة: مشاغيل وغير مشاغيل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مع إطلاقه مقيد بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]،

وقوله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ﴾ [النور: ٦١]، يعني: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، يعني إذا استطاعوا ذلك، هذا المراد يعني مع الاستطاعة، ليس خاصًّا بالشباب، ينفر الشباب والشيوخ مع الاستطاعة، نعم، وهذا يوم غزوة تبوك؛ لأن الرسول ﷺ قصد عدوًّا كثيرًا، عدوًّا كبيرًا عظيمًا وكثيرًا، وهم الروم، والحاجة ماسة إلى النفير الكبير؛ ولهذا نفر معه نحو ثلاثين ألفًا، كان الجيش نحو ثلاثين ألفَ مقاتل؛ وذلك لأن الرسول ﷺ قصد عدوًّا كبيرًا فاستنفر الناس كثيرًا، وأمرهم الله بها: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ثم رجع من تبوك ولم يكتب الله له لقاء العدو؛ لحكمة بالغة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يقول: انفروا نشاطًا وغير نشاط. وكذا قال قتادة.

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مُجاهد: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قالوا: فإن فينا الثقيل، وذا الحاجة، والضيعة، والشغل، والمتيسر به أمر، فأنزل الله وأبى أن يعذرهم دون أن ينفروا خفافًا وثقالًا وعلى ما كان منهم.

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري أيضًا: في العسر واليسر. وهذا كله من مقتضيات العموم في الآية، وهذا اختيار ابن جرير.

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي: إذا كان النفير إلى دُروب الروم نفرَ الناس إليها خفافًا وركبانًا، وإذا كان النفير إلى هذه السواحل نفروا إليها خفافًا وثقالًا وركبانًا ومشاة. وهذا تفصيل في المسألة.

وقد روي عن ابن عباس، ومحمد بن كعب، وعطاء الخراساني وغيرهم أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢] وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله.

وقال السدي قوله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يقول: غنيًّا وفقيرًا، وقويًّا وضعيفًا فجاءه رجل يومئذ، زعموا أنه المقداد، وكان عظيمًا سمينًا، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فأبى فنزلت يومئذ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، فلما نزلت هذه الآية اشتد على الناس شأنها فنسخها الله، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١].

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّة، حدثنا أيوب، عن محمد قال: شهد أبو أيوب مع رسول الله ﷺ بدرًا ثم لم يتخلف عن غَزاة للمسلمين إلا وهو في آخرين إلا عامًا واحدًا قال: وكان أبو أيوب يقول: قال الله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ فلا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا ليس بنسخ وإنما هو من باب الإيضاح، ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] الآية، كل هذا من باب الإيضاح، ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يعني: مع القدرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثني سعيد بن عمر السَّكُوني، حدثنا بَقِيَّة، حدثنا حَرِيز، حدثني عبد الرحمٰن بن ميسرة، حدثني أبو راشد الحُبْراني قال: وافيت المقدام بن الأسود فارس رسول الله ﷺ جالسًا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص، وقد فضل عنها من عظمه، يريد الغزو، فقلت له: لقد أعذر الله إليك فقال: أتت علينا سورة البعوث ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ وبه قال ابن جرير: حدثني حيان بن زيد الشَّرْعِبي قال: نفرنا مع صفوان بن عمرو، وكان واليًا على حمص قِبَل الأفسُوس، إلى الجراجمة فلقيت شيخًا كبيرًا همًّا، وقد سقط حاجباه على عينيه، من أهل دمشق، على راحلته، فيمن أغار. فأقبلت إليه فقلت: يا عم، لقد أعذر الله إليك. قال: فرفع حاجبيه فقال: يا ابن أخي، استنفرنا الله

خفافًا وثقالًا إنه من يحبه الله يبتليه، ثم يعيده الله فيبقيه، وإنما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر، ولم يعبد إلا الله ﷻ.

ثم رغَّب تعالى في النفقة في سبيله، وبذل المهج في مرضاته ومرضاة رسوله، فقال: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾؛ أي: هذا خير لكم في الدنيا والآخرة، ولأنكم تغرمون في النفقة قليلًا فيغنيكم الله أموال عدوكم في الدنيا، مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «**وتكفَّل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرده إلى منزله نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة**»، ولهذا قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد:

حدثنا محمد بن أبي عَدِيّ، عن حميد، عن أنس؛ عن رسول الله ﷺ قال لرجل: «**أسلم**». قال: أجدني كارهًا. قال: «**أَسْلِمْ وإن كُنْتَ كَارِهًا**»(١).

● **س: أحسن الله إليكم. يأتي الإنسان يبحث عن الإسلام، فقد يقول: أنا أريد أن تتركوني شهرين ثلاثة شهور أقرأ، فهل نقول له: أسلم ثم اقرأ، أو نقول له: انتظر، لا تدخل..؟**

○ **الجواب**: لا، يحثه على المبادرة، قد يأتيه الموت قبل ذلك، قد يأتيه الموت، يبادر ويقرأ، نعم.

الحكم على حديث: «أسلم ولو كنت كارهًا».

● **س: الحديث الأخير صحيح: «أَسْلِمْ إِنْ كُنْتَ كَارِهًا»؟**

○ **الجواب**: سنده جيد، لا يتأخر يبادر بالإسلام، ولو ترددت

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٠٩).

نفسه يبادر يقهرها يجاهدها، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، لا بد.

● س: والحديث الثاني: «تكفل الله للمجاهد في سبيله»؟

○ **الجواب**: كله صحيح، الله أكبر، بركة، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة: ٤٢][(١)].

يقول تعالى موبِّخًا للذين تخلَّفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، وقعدوا عن النبي ﷺ بعد ما استأذنوه في ذلك، مظهرين أنهم ذوو أعذار، ولم يكونوا كذلك، فقال: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ قال ابن عباس: غنيمة قريبة، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾؛ أي: قريبًا أيضًا، ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾؛ أي: لكانوا جاؤوا معك لذلك، ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾؛ أي: المسافة إلى الشام، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: لكم إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾؛ أي: لو لم تكن لنا أعذار لخرجنا معكم، قال الله تعالى: ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

مداخلة: ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾، يعني: الهلاك هنا ما المقصود به؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

للتخلف عن الرسول ﷺ بغير عذر؛ لأن المعاصي هلاك، والشرك

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأربعاء ١٢ - ٧ - ١٤١٨هـ.

هلاك، لكن الشرك أعظم هلاكًا، والمعاصي نوع من الهلاك، ﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾؛ لتخلفهم عن الرسول ﷺ بغير عذر شرعي، وإذا كان عن نفاق صار الهلاك أعظم، نسأل الله العافية!

مداخلة: أليس بالحلف عفا الله عنك؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أليس بالحلف الكاذب؟

الشيخ: وهذا من المعاصي، نعم.

مداخلة: ما يشهد هذا على قصة المجامع قال: هلكت وقعت على أهلي؟

الشيخ: نعم، من هذا الباب، كل المعاصي هكذا، كل المعاصي أنه من الهلكة نسأل الله العافية!

*

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٤٣ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤٤ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥﴾ [التوبة: ٤٣ ـ ٤٥][(١)].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو حصين بن يحيى بن سليمان الرازي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن مِسْعَر عن عون قال: هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾، وكذا قال مُوَرِّق العِجْلي وغيره.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأربعاء ١٢ ـ ٧ ـ ١٤١٨هـ.

وقال قتادة: عاتبه كما تسمعون، ثم أنزل التي في سورة النور، فرخَّص له في أن يأذن لهم إن شاء: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢] وكذا رُوي عن عطاء الخراساني.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذِنُوا رسول الله فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا.

ولهذا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾؛ أي: في إبداء الأعذار، ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ يقول تعالى: هلَّا تركتهم لما استأذنوك، فلم تأذن لأحد منهم في القعود، لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب، فإنهم قد كانوا مصِّرين على القعود عن الغزو وإن لم تأذن لهم فيه. ولهذا أخبر تعالى أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو أحد يؤمن بالله ورسوله، فقال: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾؛ أي: في القعود عن الغزو ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾؛ لأن أولئك يرون الجهاد قربة، ولما ندبهم إليه بادروا وامتثلوا. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾؛ أي: في القعود ممن لا عذر له ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾؛ أي: لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم، ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: شكت في صحة ما جئتهم به، ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: يتحيرون، يُقَدِّمُون رجلًا ويؤخرون أخرى، وليست لهم قدم ثابتة في شيء، فهم قوم حيارى هَلْكى، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: إنما يستأذن هؤلاء الذين ما عندهم إيمان، ولا عندهم بصيرة، ولا عندهم يقين، ما عندهم إلا الشرك، ولهذا يستأذنون، أما أهل الصدق والإيمان هم يفرحوا بالجهاد، ولا يستأذنوا، . . . ﴿بِٱللَّهِ

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾، نسأل الله العافية! الله أكبر.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٦، ٤٧][(١)].

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾؛ أي: معك إلى الغزو ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾؛ أي: لكانوا تأهبوا له، ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾؛ أي: أبغض أن يخرجوا معك قدرًا، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾؛ أي: أخرهم، ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: قدرًا.

ثم بيَّن الله تعالى وجه كراهيته لخروجهم مع المؤمنين. فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾؛ أي: لأنهم جبناء مخذولون، ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾؛ أي: ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾؛ أي: مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدي هذا إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير.

مداخلة: وكلامهم يستنصحونهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾، يعني: من يقبلوا منهم، نسأل الله العافية.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مغرب الأربعاء ١٢ - ٧ - ١٤١٨هـ.

• **س: كراهة قدرية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **نعم؟**

مداخلة: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ كراهة قدرية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قدرًا، نعم.

مداخلة: تكون الكراهة شرعية أو قدرية؟

○ **الجواب**: نعم، كراهة قدرية، وإلا هم مأمورون شرعًا.

مداخلة: نعم.

مداخلة: يقول الكراهة تنقسم إلى قسمين الكراهة؟

الشيخ: نعم، مثل الإرادة، ومثل المشيئة، الإرادة مثل المشيئة لا، الأصل فيها أنها كونية فقط، وأما الإرادة تنقسم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال مجاهد، وزيد بن أسلم، وابن جرير: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾؛ أي: عيون يسمعون لهم الأخبار وينقلونها إليهم.

وهذا لا يبقى له اختصاص بخروجهم معهم؛ بل هذا عام في جميع الأحوال، والمعنى الأول أظهر في المناسبة بالسياق، وإليه ذهب قتادة وغيره من المفسرين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى الأول يعني أنهم سماعون لهم يعني من يستجيب لهم، وإلى تثبيطهم، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال محمد بن إسحاق: كان فيما بلغني ـ من استأذن ـ من ذوي الشرف منهم: عبد الله بن أبي ابن سلول والجَدُّ بن قيس، وكانوا أشرافًا في قومهم، فثبطهم الله، لعلمه بهم: أن يخرجوا معه فيفسدوا عليه

جنده، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه، لشرفهم فيهم، فقال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾.

ثم أخبر تعالى عن تمام علمه فقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فأخبر بأنه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾، فأخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا ومع هذا ما خرجوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٦٨] والآيات في هذا كثيرة.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة: ٤٨][(١)].

قول تعالى محرضًا لنبيه عليه السلام على المنافقين: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾؛ أي: لقد أعملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك وإخماله مدة طويلة، وذلك أول مقدم النبي ﷺ المدينة رَمَته العرب عن قوس واحدة، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها، فلما نصره الله يوم بدر وأعلى كلمته، قال عبد الله بن

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأربعاء ١٢ ـ ٧ ـ ١٤١٨هـ.

أبي وأصحابه: هذا أمر قد تَوَجَّه. فدخلوا في الإسلام ظاهرًا، ثم كلما أعز الله الإسلام وأهله غاظهم ذلك وساءهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحمد لله، الحمد لله، هذا هو الذي يحبه المؤمنون، ويغيظ المنافقين ظهور أمر الله، والمنافقون شرهم في كل مكان، نسأل الله العافية، وهكذا من يسمع لهم، ويجيبهم، وينصرهم هو مثلهم، نسأل الله العافية.

● **س: أحسن الله إليك! من يقول: إن النفاق الاعتقادي لا يوجد في هذا العصر؟**

○ **الجواب**: ما عنده بصيرة؛ شرير، يعرف يأكل ويشرب، الله المستعان، النفاق في كل زمان، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩][(١)].

يقول تعالى: ومن المنافقين من يقول لك يا محمد: ﴿ٱئْذَن لِّي﴾ في القعود ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ بالخروج معك، بسبب الجواري من نساء الروم، قال الله تعالى: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾؛ أي: قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا. كما قال محمد بن إسحاق، عن الزهري، ويزيد بن رُومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١٦ ـ ٧ ـ ١٤١٨هـ.

قال رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو في جهازه، للجد بن قيس أخي بني سلمة: «**هل لك يا جَدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر؟**» فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجبًا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر لا أصبر عنهن. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «**قد أذنت لك**». ففي الجَدِّ بن قيس نزلت هذه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ الآية؛ أي: إن كان إنما يخشى من نساء بني الأصفر وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة بتخلُّفه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عن نفسه، أعظم.

وهكذا روي عن ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: أنها نزلت في الجد بن قيس. وقد كان الجد بن قيس هذا من أشراف بني سلِمة، وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «**من سيدكم يا بني سلمة؟**» قالوا: الجد بن قيس، على أنا نُبَخِّله، فقال رسول الله ﷺ: «**وأي داء أدوأ من البخل، ولكن سَيِّدكم الفتى الأبيض الجَعْد بِشْر بن البراء بن مَعْرُور**».

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾؛ أي: لا مَحيد لهم عنها، ولا مَحيص، ولا مَهرَب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نسأل الله العافية! بني سلمة رهط من الأنصار، ومنهم جابر بن عبد الله، وكعب بن مالك بن عمرو: هي بالكسر بني سَلِمة بالكسر، وهم رهط من الأنصار، نعم، طائفة رهط منهم رضي الله عنهم.

• **س: لماذا الرسول ﷺ انتزع السيادة من الجد بن قيس إلى بشر بن البراء لهذه الصفة؟**

○ **الجواب**: لأجل نفاقه وبخله، نفاقه وبخله، من النفاق الذي عليه.

مداخلة: البراء هذا أسلم؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: الجعد؟

الشيخ: البراء.

مداخلة: بشر بن البراء.

الشيخ: بشر بن البراء.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١][1].

الله ﷻ بيَّن لنا أن ما أصابنا هو بأسباب كسبنا، وبيَّن ما يقع هو بقضائه وقدره: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، فقد سبق علمه وقدره وكتابه لكل شيء، ولكنه سبحانه علّق ما أصابنا مما يضرنا بأنه بأسباب معاصينا، وإن كانت مكتوبة ومقدرة، ولكن لنا كسب، ولنا عمل، ولنا اختيار.

فكل شيء يقع بقدر؛ سواء من الطاعات والمعاصي، فما وقع منا من معاص فهو من كسبنا ومن عملنا، ونحن مؤاخذون به إن فعلناه، ولنا عقول ومشيئة وقدرة وعمل، ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، والآية الأخرى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]، فلا تنافي بين القدر وبين العمل؛ فالقدر سابق، ولله الحجة البالغة ﷻ، والأعمال أعمالنا؛ كالزنى، وشرب الخمر، وترك الصلاة، والعقوق، وقطيعة الرحم، فهي من أعمالنا، ونحن نستحق عليها العقوبة؛

---

(١) مجموع تفسير آيات من القرآن، جمع: يزيد الدرعان (ص١٣١).

لأنه تفريطنا وتقصيرنا؛ لأن لنا اختيارًا ولنا عمل ينسب إلينا، وإن كان سبق في علم الله كتابه وتقديره.

فالقدر فيما مضى به قدره وعلمه وكتابه، ونحن مسؤولون عن أعمالنا وعن أخطائنا وعن تقصيرنا، ومؤاخذون بذلك إلا أن يعفو ربنا عنا.

وبهذا تعلم أنه لا منافاة بين الآيتين، فإحداهما تدل على أن أعمالنا من كسبنا، وأننا نستحق عليها العقوبة إذا كانت غير صالحة، وهي أعمالنا باختيارنا، والآية الأخرى تدل على أنه قد مضى في علم الله كتابتها وتقديرها، وقد صحَّ عن رسول ﷺ أنه قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» أخرجه مسلم في صحيحه[(١)].

فهو سبحانه الحكيم العليم العالم بكل شيء ﷻ، وفي آية أخرى يقول ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] فكتاب الله سابق، وعلمه سابق ﷻ وقدره سابق، وأعمالنا محصاة علينا، ومنسوبة إلينا، ومكتوبة علينا، وهي من كسبنا وعملنا واختيارنا، فيجازينا على الطيب الجزاء الحسن؛ من الطاعات وأنواع الخير والصالحات، ونستحق العقاب على سيئها؛ من العقوق، والزنى والسرقة، وسائر المعاصي والمخالفات. والله المستعان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠][(٢)].

*

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج موسى وآدم عليهما السلام برقم (٢٦٥٣).
(٢) كتاب أركان الإسلام (ص٢١٢).

□ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٢ ـ ٥٤][1].

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾؟ أي: تنتظرون بنا ﴿إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ شهادَة أو ظَفرٌ بكم. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾؛ أي: ننتظر بكم هذا أو هذا، إما أن يصيبكم الله بقارعة من عنده أو بأيدينا، بسبي أو بقتل، ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

وقوله: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾؛ أي: مهما أنفقتم من نفقة طائعين أو مكرهين ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

ثم أخبر تعالى عن سبب ذلك، وهو أنهم لا يتقبل منهم، ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: قد كفروا والأعمال إنما تصح بالإيمان، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾؛ أي: ليس لهم قصد صحيح، ولا همة في العمل، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ نفقة ﴿إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ وقد أخبر الصادق المصدوق أن الله لا يمل حتى تملوا، وأنه طيب لا يقبل إلا طيبًا؛ فلهذا لا يتقبل الله من هؤلاء نفقة ولا عملًا لأنه إنما يتقبل من المتقين.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في مغرب الأحد ١٦ ـ ٧ ـ ١٤١٨هـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذا التحذير من أعمالهم الخبيثة، تقاعسهم عن الجهاد، ونفاقهم، وسوء الظن بالمسلمين، كل هذا دليل على أنهم دائرة السوء؛ لسوء ظنهم، ولنفاقهم، وجبنهم، نسأل الله العافية والسلامة! والله ﷻ مولى المؤمنين، ينصرهم، ويعينهم، ويحوطهم، ويكفيهم، والأمر بيده ﷻ، فلن يفوته المنافقون والكافرون؛ بل هو الحكيم العليم فيما يقدره ويقضيه لهؤلاء وهؤلاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

• **س: أحسن الله إليك شيخ! من يأتي الصلاة وهو كسلان يكون مشابهًا للمنافقين في صفاتهم؟**

○ **الجواب**: نعم شبه ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]، الكسل عنها والتثاقل من صفاتهم، (أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والصبح)، دل على أنها ثقيلة عليهم، وأثقلها صلاة العشاء وصلاة الفجر، نسأل الله..، وما أكثر المشابهين، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥](١).

يقول تعالى لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مغرب الأحد ١٦ ـ ٧ ـ ١٤١٨هـ.

وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال الحسن البصري: بزكاتها، والنفقة منها في سبيل الله.

وقال قتادة: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، واختار ابن جرير قول الحسن، وهو القول القَوي الحسن.

وقوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝﴾؛ أي: ويريد أن يميتهم حين يميتهم على الكفر، ليكون ذلك أنكى لهم وأشد لعذابهم، عياذًا بالله من ذلك، وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وتعذيبهم بها أعم من فرش من الزكاة وغيرها، تعذيبهم بها قد يكون أنواعًا من العذاب بالأموال والأولاد، قد يسلط الله أموالهم عليهم فتكون شر عليهم، وينفقونها فيما يضرهم، وهكذا أولادهم قد تضرهم أولادهم بأسباب كثيرة، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ويريد أن يميتهم حين يميتهم على الكفر؛ ليكون ذلك أنكى لهم وأشد لعذابهم، عياذًا بالله من ذلك، وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نسأل الله العافية، يعني استدراجهم في الأموال، والأولاد، والصحة، ونحو ذلك، ثم يأخذهم وتكون المصيبة أكبر، وهي أنهم يصيرون إلى النار، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ [التوبة: ٥٦، ٥٧].

الشيخ: بركة، الله المستعان، نسأل الله العافية! لا حول ولا قوة إلا بالله، هذه حال المنافقين وشرهم، شر في الدنيا وشر في الآخرة، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ **[التوبة: ٥٦، ٥٧]**(١).

يخبر الله تعالى نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم أنهم ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ يمينًا مؤكدة، ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾؛ أي: في نفس الأمر، ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾؛ أي: فهو الذي حملهم على الحلف. ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾؛ أي: حصنًا يتحصنون به، وحرزًا يحترزون به، ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ وهي التي في الجبال، ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ وهو السَّرَب في الأرض والنفَق. قال ذلك في الثلاثة ابنُ عباس، ومجاهد، وقتادة: ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾؛ أي: يسرعون في ذهابهم عنكم؛ لأنهم إنما يخالطونكم كرهًا لا محبة، وودوا أنهم لا يخالطونكم، ولكن للضرورة أحكام؛ ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغَمٍّ؛ لأن الإسلام وأهله لا يزال في عزّ ونصر ورفعة؛ فلهذا كلما سُرّ المؤمنون ساءهم ذلك، فهم يودون ألا يخالطوا المؤمنين؛

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولـــهـــذا قـــال: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠][1].

قال مجاهدٌ: يتألّفهم بالعطيّة.

حدّثنا محمّد بن كثيرٍ، أخبرنا سفيان، عن أبيه، عن ابن أبي نعم، عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: «بعث إلى النّبيّ ﷺ بشيءٍ فقسمه بين أربعةٍ، وقال أتألّفهم، فقال رجلٌ: ما عدلت، فقال: يخرج من ضئضئ هذا قومٌ يمرقون من الدّين»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا من أصل الخوارج جافٍ، يقول للنّبيّ ﷺ: **(ما عدلت)**. لما قسم المال يوم هوازن وفيه هذه القطعة من الذّهب، شيءٌ من الذّهب قسمه يتألف به جماعةً من صناديد العرب، هذا جاهلٌ قال هذه الكلمة: اعدل يا محمّد فإنّك لم تعدل. قال: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ**»[3]، استأذن عمر رضي الله عنه، وفي روايةٍ: خالدٌ أن يقتله قال: «**دعه فَإِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يحقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ**

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه. أخرجه البخاري قي كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ برقم (٤٦٦٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤).

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب فرض الخُمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه برقم (٣١٥٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه برقم (١٠٦٢).

صِيَامِهِمْ، وقراءَته مَعَ قراءتِهِم؛ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»؛ يعني: الخوارج.

(من الطّالب): عندنا في نسخة: عن ابن أبي نعم بزيادة (ابن)، عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الظّاهر ابن أبي نعم. راجع كلام الشّارح عليه؟

(من الطّالب): ما تعرّض له.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والعينيّ؟

(من الطّالب): قال العيني: «عن أبيه سعيد بن مسروق وهو يروي عن عبد الرّحمن بن أبي نعم».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو، هو عبد الرّحمن بن أبي نعم. اللّهمّ اغفر لنا وله.

• **س: الخروج متوقف على ولاة الأمر أم أن هناك خروجًا على العلماء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الخروج على ولاة الأمر، وليّ الأمر شقّ العصا، أمّا على العلماء فهذا معناه قد يكون من باب السبّ أو من باب الغيبة، هذا له حكمٌ آخر.

• **س: أحسن الله إليك: حكم الخوارج؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عند أهل العلم أنّهم فساقٌ وأهل كبائر يستحقون القتل، وقال بعض أهل العلم: إنّهم كفارٌ؛ لقول النّبيّ ﷺ: **«يمرقُون من الإِسْلَام ثُمَّ لا يعودُون إليه»**.

والقول بأنّهم كفارٌ أظهر في ظاهر الأحاديث؛ لأنّهم استحلّوا دماء المسلمين، وقاتلوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقاتلوا المسلمين، وقتلهم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• **س: قول علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«هم من الكفر فرّوا»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا اجتهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، زعمهم أنّهم فارّون من الكفر، لكن وقعوا فيه، فرّوا منه ووقعوا فيه؛ قبّحهم الله.

• **س: أحسن الله إليك: الدَّين يمنع الزّكاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الصّواب لا يمنع، يؤدّي الزّكاة ويوفّي الله الدّين إن شاء الله.

• **س: ومن قال: إنّ الدَّين يمنع الزّكاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أنّه يقول ما تمّ غناه؛ يعني: إذا صار مدينًا ما تمّ غناه؛ يعني: ليس بغنيٍّ كما يجب، لكن الصّواب أنّه لا يمنع؛ لأنّ الرّسول ما كان يسألهم، أمر العمال أن يأخذوا الزّكاة من أهل الأموال ولا يسألونهم هل عليهم دَينٌ أو ما عليهم دين؟

هذا هو الصّواب، إذا كان عنده غنمٌ، أو إبلٌ، أو دراهمُ يؤدّي الزّكاة ولا يسأل: هل عليه دينٌ أو ما عليه دينٌ؟ لكن لو أخرج الدّين قبل وجوب الزّكاة لا بأس، لو أخرج الدّين قبل الحول زكّي الباقي.

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ: هل يبقى سهم المؤلفة قلوبهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

باقٍ نعم، الصّواب أنّه باقٍ، جمهور أهل العلم على أنّه باقٍ.

• **س: الّذي يرى رأي الخوارج ويروي روايةً عن النّبيّ ﷺ في الأحاديث هل يقال: إن حديثه مردودٌ مطلقًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عمران بن حطان كانوا يروون عنه، وهو ممّن يرى رأي الخوارج، وله روايةٌ في البخاريّ؛ لأنّهم من أصدق النّاس؛ عندهم الصدق يتحرّونه، ويخشون الكفر، عند من يرى عدم كفرهم يقبل روايتهم؛ لأنّهم معروفون بالصّدق يتحرّون.

وضابط الخوارج: أنّهم يرون العاصي كافرًا يقتل، وأنّه مخلّدٌ في النّار، من زنى عندهم كفر، من سرق كفر، من عقّ والديه كفر وهكذا.

والمعتزلة مثلهم، إلّا أن المعتزلة ما يقولون كافرٌ، يقولون بالمنزلة ليس بكافرٍ ولا مسلم، بينهما، ولكنه إذا مات مخلدٌ في النّار كالكفرة؛ فهم وافقوهم في الآخرة، واختلفوا معهم في الدّنيا اختلافًا لفظيًّا، اختلافٌ في اللّفظ في الدّنيا قالوا: في منزلةٍ بين المنزلتين، وهذا باطل، ما هناك منزلةٌ بين المنزلتين، إمّا كفرٌ ولّا إسلامٌ، ما هناك منزلة.

● **س: وإن تاب عندهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا تاب عند الجميع قبلت توبته، عند الجميع.

● **س: أحسن الله إليك: معنى أن الزّمان قد استدار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: كان أهل الجاهليّة عندهم تصرفٌ في الجاهليّة، يجعلون ذا القعدة ذا الحجة، وذا الحجّة محرمًا، والمحرم صفرًا، يلعبون بالشّهور حتّى يستحلّوا ما أرادوا؛ فاستدار في حجّة الوداع، وافق ذو الحجّة ذا الحجّة، والمحرّم هو المحرم، واستمرّ الأمر على ذلك.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: ٦١][1].

يقول تعالى: ومن المنافقين قوم يُؤذون رسولَ الله ﷺ بالكلام فيه

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويقولون: ﴿هُوَ أُذُنٌۚ﴾؛ أي: من قال له شيئًا صدقه، ومن حدثه فينا صدقه، فإذا جئنا وحلفنا له صدقنا. روي معناه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾؛ أي: هو أذن خير، يعرف الصادق من الكاذب، ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: ويصدق المؤمنين، ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾؛ أي: وهو حجة على الكافرين؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من فضائح المنافقين، المنافقون لهم فضائح ولهم أعمال شنيعة، ومنها: هذا الذي ذكره الله ﷻ: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾، يعني: يرمونه ﷺ بأنه لا يعتني بما يسمع، يسمع من كل من هبَّ ودبَّ ما يبالي، يسمع من الصادقين والكاذبين. قال الله ردًّا عليهم: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ يسمع ما يقال، ويميز بين الحق والباطل، ويؤمن بالله، ويؤمن للمؤمنين، فليس كأحدكم أو كغيركم ممن لا يبالي؛ بل هو أذن خير يسمع القيل والقال، ويرد على المبطلين، ويصدق الصادقين، ويثني على الأخيار، ويذم الأشرار، ويبين الحق لعباد الله، ولولا سماعه لهذا وهذا لما تمكن من إخبارهم بما يجب عليهم. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾ هذا وعيد عظيم لهم، وهذا يشمل المنافقين ويشمل غيرهم من الكفار، ولكن المنافقين شرهم أعظم؛ لأنهم يتظاهرون بالإسلام ثم يسبون الإسلام ويذمونه ويدعون إلى ضده، فيغتر بهم الجهال، ولهذا صاروا شرًّا من الكفار، وصارت عقوبتهم أعظم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، نسأل الله العافية.

* *

تفسير قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التوبة: ٦٤][(١)].

قال مجاهد: يقولون القول بينهم، ثم يقولون: عسى الله ألا يفشي علينا سرنا هذا.

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨]

وقال في هذه الآية: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾؛ أي: إن الله سيُنزل على رسوله ما يفضحكم به، ويبيِّن له أمركم كما قال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٢٩، ٣٠]؛ ولهذا قال قتادة: كانت تسمى هذه السورة «الفاضحة»، فاضحة المنافقين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بيَّن الله بها الكثير من صفاتهم، ولهذا سمِّيت: الفاضحة والمثيرة؛ لأنها أثارت ما لديهم وبينت ما لديهم مما يكتمون. والناس أصناف ثلاثة: مؤمن صادق الإيمان ظاهرًا وباطنًا، وكافر ظاهره الكفر ظاهرًا وباطنًا ككفار مكة وأشباههم واليهود والنصارى وأشباههم، والقسم الثالث وهو شر الأقسام: الذي يتظاهر بالإسلام وهو في الباطن مع الكفار وهم المنافقون، يكفرون بالله باطنًا، ويتظاهرون بأنهم مع المسلمين ظاهرًا، فيُفشوا أسرار المسلمين، ويذموا المسلمين، ويعيبون المسلمين، وينفرون من الإسلام، وهم يدعون الإسلام. نسأل الله العافية.

*

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦][١].

قال أبو معشر المديني عن محمد بن كعب القُرَظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قُرّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونًا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء. فرُفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء إلى رسول الله وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. فقال: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ وإن رجليه لتنسفان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ، وهو متعلق بنسعة رسول الله ﷺ[٢].

مداخلة: (وإن رجليه لتنسفان).

الشيخ: والذي عندك: تخطان؟

القاري: [لتسفعان].

الشيخ: تسفعان بالعين؟

الشيخ: المعنى متقارب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه الطبري من طريق أبي معشر به، وسنده ضعيف، ويتقوى بالرواية التالية والمراسيل التي تليها.

ما رأيت مثل قُرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المسجد: كذبتَ، ولكنك منافق. لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ تَنكُبُه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾[1].

وقد رواه الليث، عن هشام بن سعد، بنحو من هذا[2].

وقال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم وَديعة بن ثابت، أخو بني أمية بن زيد، من بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له: مُخَشّن بن حُميّر[3] يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جِلادَ بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ والله لكأنا بكم غدًا مُقَرّنين في الحبال، إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين، فقال مُخَشّن بن حُمَيّر: والله لوددتُ أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وإنا نَنْفَلتُ أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه. وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - لعمار بن ياسر: «**أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما**

(١) أخرجه الطبري عن يونس عن عبد الله بن وهب به، وصحَّحه الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) أخرجه الطبري من طريق عبد الله بن صالح على الليث به، ويتقوى بسابقه.
(٣) مُخشن بن حميِّر: ويقال له مُحسِّن، الأشجعي حليف لبني سلمة من الأنصار كان من المنافقين ومن أصحاب مسجد الضرار، ثم تاب وحسنت توبته وطلب من النبي ﷺ أن يغير اسمه: فسمَّاه: عبد الله بن عبد الرحمٰن، فدعا مخشن ربه أن يقتل شهيدًا حيث لا يعلم، فقتل يوم اليمامة ولم يعلم له أثر. أسد الغابة (٤/ ٣٣٨)، والإصابة (٣/ ٣٧٢).

قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلتم كذا وكذا» فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت، ورسول الله ﷺ واقف على راحلته، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، فقال مُخَشّن بن حُمّير: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي. فكان الذي عفا عنه في هذه الآية مُخَشّن بن حُمّير، فتسمَّى عبد الرحمٰن، وسأل الله أن يقتل شهيدًا لا يُعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وإننا نغلب) كذا.

مداخلة: وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم.

الشيخ: نعم حديث طيب.

القاري: ننفلت؟.

الشيخ: ننفلت طيب. يعني: نسلم.

مداخلة: في نسخة نغلب يا شيخ.

الشيخ: لا نفلت، نفلت ما يخالف نفلت، وننفلت نونين ما يخالف، تصلح هذه وهذه، ننفلت ونفلت كلها طيبة، يعني: نسلم من معرة هذا القول، يعني: بودِّنا أنا نضرب مائة جلدة ونسلم من هذا القول.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال قتادة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ قال: فبينما النبي ﷺ في غزوة تبوك، ورَكْب من المنافقين يسيرون بين

---

(١) ذكره ابن هشام (السيرة ٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) وآخره تقدم في ترجمة مخشن.

يديه، فقالوا: يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها. هيهات هيهات. فأطلع الله نبيه ﷺ على ما قالوا، فقال: «**عَليَّ بهؤلاء النفر**». فدعاهم، فقال: «**قلتم كذا وكذا**». فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب[(١)].

وقال عِكْرِمة في تفسير هذه الآية: كان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول: اللَّهُمَّ، إني أسمع آية أنا أعنَى بها، تقشعر منها الجلود، وتجب منها القلوب، اللَّهُمَّ، فاجعل وفاتي قتلًا في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسّلت، أنا كفنت، أنا دفنت، قال: فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا وقد وجد غيره[(٢)].

وقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾؛ أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾؛ أي: لا يُعْفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾؛ أي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بركة، . . . نسأل الله العافية. .

الأسئلة:

● **س: الطائفة التي لم يُعْفَ عنها في غزوة تبوك ألم يتوبوا ويعتذروا؟**

○ **الجواب**: نص القرآن واضح ما قبل الله عذرهم نسأل الله العافية. نعم؛ لأنهم منافقون، يقولون ما لا يبطنون. نسأل الله العافية.

مداخلة: هل سبب عدم قبول توبتهم: النفاق؟

---

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح، لكنه مرسل من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة ويشهد له سابقه.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح، لكنه مرسل من طريق أيوب السختياني عن عكرمة، ويشهد له ما سبق من الآثار.

الشيخ: لأنهم كفار منافقون يكذبون، بخلاف مخشن فإنه صادق، بعد إيمانهم الذي أظهروا.

حكم الاستهزاء بالعلماء.

• **س: الذي يستهزئ بالعلماء يدخل ضمن هذه الآية؟**

○ **الجواب**: لا.....[1] يؤذي الرسول.....[2] قد يكون له أسباب أخرى، جريمة ومنكر، ولكن قد يكون له أسباب أخرى.

• **س: الذي يستهزئ بالصحابة هل يقاس عليه هذا؟**

○ **الجواب**: الذي يستهزي بالصحابة كلهم أو جمهورهم يكفر، أما بواحد سب واحد أو انتقص واحدًا يكون معصية فقط، نسأل الله العافية.

حكم توبة المستهزئ بالله ورسوله.

• **س: المستهزئ بالله ورسوله يقبل توبته في الدنيا يا شيخ، يقام عليه الحد وإلا يقبل توبته بدون حد؟**

○ **الجواب**: فيه خلاف بين العلماء، يسمَّون الزنادقة من أظهر الزندقة. جمع من أهل العلم يقول: يقتل لإظهاره الزندقة. وبعض أهل العلم يرى أنه يقبل توبته إذا جاء تائبًا نادمًا قبل أن يُقدر عليه.

مداخلة: والراجح عندكم؟

الشيخ: الأقرب: أنه إذا جاء تائبًا نادمًا يُقبل قبل أن يقدر عليه.

* *

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٧، ٦٨][(١)].

يقول تعالى منكرًا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كان هؤلاء ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾؛ أي: عن الإنفاق في سبيل الله، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: نسوا ذكر الله، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ معاملة من نسيهم، كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾؛ أي: الخارجون عن طريق الحق، الداخلون في طريق الضلالة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على رسول الله. وهذا من ربنا عَزَّ وَجَلَّ تحذير للأمة من صفات المنافقين، ودليل على خبثهم وضلالهم وشرهم، حتى قال فيهم سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، فالواجب على أهل الإيمان: الحذر من صفاتهم الخبيثة، وهم يتظاهرون بالإسلام وهم ضده.. وهم على ضده، يعني: كفار في الباطن ـ نسأل الله العافية ـ ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، يعني: عن كل خير، عن النفقة في سبيل الله، وعن

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الجهاد في سبيل الله، وعن الأمر بالمعروف وعن النهي عن المنكر، وعن الصدقات؛ لخبث الطوية وفساد العقيدة. فالواجب: الحذر من صفاتهم أو أخلاقهم الذميمة ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ يعني: أعرضوا عن الله وعاملوه معاملة الناسي فلم يبالوا بأمره فنسيهم ﷻ، يعني: أعرض عنهم وعاملهم معاملة المنسيين لخبثهم وضلالهم، وهو سبحانه لا ينسى شيئًا، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، وقال: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

المقصود: أنه ﷻ لا تخفى عليه خافية، ولا ينسى شيئًا سبحانه، ولكنه عاملهم معاملة المنسيين؛ لخبثهم وضلالهم أعرض عنهم ﷻ، وتركهم في ضلالهم يعمهون. فالواجب الحذر من أخلاقهم الذميمة، والتخلق بأخلاق المؤمنين الآتية التي ذكرها في قوله بعد ذلك: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. هذه أخلاق المؤمنين، فالواجب الأخذ بها، والحذر من أخلاق المنافقين الذين سخط الله عليهم، وتوعدهم بالدرك الأسفل من النار، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: ماكثين فيها مخلدين، هم والكفار، ﴿هِىَ حَسْبُهُمْ﴾؛ أي: كفايتهم في العذاب، ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: طردهم وأبعدهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾؛ أي: عاملهم.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٩][(١)].

يقول تعالى: أصاب هؤلاء من عذاب الله في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم، وقد كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالًا وأولادًا، ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ قال الحسن البصري: بدينهم[(٢)]، ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾؛ أي: في الكذب والباطل، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾؛ أي: بطلت مساعيهم، فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾؛ لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب.

قال ابن جُرَيْج عن عُمَر بن عَطَاء، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية، قال ابن عباس: ما أشبه الليلة بالبارحة، ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ هؤلاء بنو إسرائيل، شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه قال: «والذي نفسي بيده، لتتبعنَّهم حتى لو دخل الرجل منهم جُحر ضَبٍّ لدخلتموه».

قال ابن جُرَيْج: وأخبرني زياد بن سعد، عن محمد بن زيد بن مهاجر، عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لتتبعن سَنَن الذين من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، وباعًا بباع، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه»**. قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ أهل الكتاب؟ قال: **«فَمَه»**[(٣)].

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.
(٢) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الحسن..
(٣) سبق تخريجه في (ص٣٥٠).

وهكذا رواه أبو مَعْشَر، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، فذكره وزاد: قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم القرآن. ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ قال أبو هريرة: الخلاق: الدين. ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ قالوا: يا رسول الله، كما صنعت فارس والروم؟ فيقال: «**وَمَن الناسُ إلا أولَئِكَ**» وهذا الحديث له شاهد في الصحيح[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في الصحيحين عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»، يعني فمن الناس إلا أولئك ـ في اللفظ الآخر: ـ فارس والروم؟ قال: «**فمن الناس إلا أولئك**»، والمعنى: أن هذه الأمة تسلك مسالك من قبلها من فارس والروم واليهود في الأخلاق الذميمة والأعمال السيئة إلا من عصم الله (إلا من رحم ربك).

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة: ٧٠][٢].

يقول تعالى واعظًا لهؤلاء المنافقين المكذبين للرسل: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» برقم (٧٣١٩).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: ألم تخبروا خبر من كان قبلكم من الأمم المكذبة للرسل ﴿قَوۡمِ نُوحٖ﴾ وما أصابهم من الغرق العام لجميع أهل الأرض، إلا من آمن بعبده ورسوله نوح عليه السلام، ﴿وَعَادٖ﴾ كيف أهلكوا بالريح العقيم، لما كذبوا هودًا عليه السلام، ﴿وَثَمُودَ﴾ كيف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحًا عليه السلام، وعقروا الناقة، ﴿وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ كيف نصره الله عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم، وأهلك ملكهم النمروذ بن كنعان بن كوش الكنعاني لعنه الله، ﴿وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام، وكيف أصابتهم الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة، ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾ قوم لوط، وقد كانوا يسكنون في مدائن، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ﴾ [النجم: ٥٣]؛ أي: الأمة المؤتفكة، وقيل: أم قراهم، وهي «سدوم». والغرض: أن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبيَّ الله لوطًا عليه السلام، وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

﴿أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾؛ أي: بالحجج والدلائل القاطعات، ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾؛ أي: بإهلاكه إياهم؛ لأنه أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل وإزاحة العلل ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠﴾؛ أي: بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق، فصاروا إلى ما صاروا إليه من العذاب والدمار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود: الحذر من أعمالهم التي بها هلكوا: تكذيب الرسل، وطاعة الهوى، وإتيان الفواحش؛ فأسباب العذاب والنكال في الدنيا والآخرة: طاعة الهوى والشيطان، وعصيان أمر الله عز وجل، فمن أراد السعادة في الدنيا والآخرة فليستقم على أمر الله، وليقف عند حدود الله، وليحذر محارم الله، وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، وليحذر طاعة هواه وشيطانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الأسئلة:

● **س: الذهاب إلى ديار الذين عذبوا؟**

○ **الجواب**: النبي ﷺ لما مر عليهم قنع رأسه وأسرع، قال: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين**». نسأل الله العافية.

مداخلة: ولو كان للعظة والعبرة؟

الشيخ: ما يجوز، مثلما قال ﷺ: «**إلا أن تكونوا باكين**».

● **س: حكم قصد ديار الذين عذبوا بالزيارة القصد إليه يا شيخ! أقول: القصد إليه السفر من أجل السياحة أو الاعتبار؟**

○ **الجواب**: ما يجوز إلا إذا دخل وهو باكي، إذا دخل وهو باكي على ما أصابهم من البلاء والشر والفساد، نسأل الله العافية؛ وإلا فالواجب الحذر! وإذا دعي إلى المرور ودعت الحاجة يمرها مسرعًا. نسأل الله العافية.

مداخلة: إذا مر بها لكن يقصدها؟

الشيخ: ما لها قصد، قصدها ما تقصد، لكن من بلي بذلك فليدخل وهو باكي وإلا ليحذر. نسأل الله.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١](١).

لما ذكر الله تعالى صفات المنافقين الذميمة، عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة، فقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

يَأْمُرُونَ﴾؛ أي: يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيح: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(١). وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.

وفي الصحيح أيضًا: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(٢).

وقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾؛ أي: يطيعون الله ويحسنون إلى خلقه، ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ﴾؛ أي: فيما أمر، وترك ما عنه زجر، ﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ﴾؛ أي: سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾؛ أي: عزيز، من أطاعه أعزه، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ﴿حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ في قسمته هذه الصفات لهؤلاء، وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة، فإن له الحكمة في جميع ما يفعله، تبارك وتعالى.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١](٣).

فيقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

(١) سبق تخريجه في (ص١٠٥). (٢) سبق تخريجه في (٢/ ٤٦).
(٣) حديث المساء (ص١٠٤)، ط٣، دار قرطبة.

بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾.

يبيِّن ﷻ أخلاق المؤمنين وصفاتهم العظيمة ليعلمها طالب النجاة فيأخذ بها ويستقيم عليها؛ فالمؤمنون والمؤمنات شيء واحد فيما أوجب الله عليهم من الأخلاق والأعمال، ولهذا قال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ يتحابون في الله ويتناصحون ولا يغتاب بعضهم بعضًا ولا يخونوا بعضهم بعضًا ولا يؤذي بعضهم بعضًا ولا يشهد عليه بالزور ولا يظلمه لا في نفس ولا في مال ولا في عرض؛ بل يحب له كل خير ويكره له كل شر، هكذا الأولياء بعضهم أولياء بعض، فإذا عرفت من نفسك خيانة لأخيك أو ظلمًا لأخيك أو شهادة عليه بالزور، أو ما أشبه ذلك، فاعلم أن هذا نقص في إيمانك، وضعف في دينك، وسبب لغضب الله عليك. فاتقِ الله واعرف حق أخيك، وأدِّه ولهذا يقول ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾؛ يعني: لا غلّ ولا حقد ولا حسد ولا تباغض ولا تدابر ولا خيانة ولا عدوان على بعضهم من بعض، هذا واجبهم، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(١).

هكذا المؤمنون مثل الجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه العين أو اشتكى الرِّجل أو اليد تتابع عليه التألم؛ فالمؤمن هكذا مع إخوانه يألم لهم ويُسر لهم ويحب لهم الخير ويكره لهم الشر ويؤذيه ما يؤذيهم ويحزنه ما يحزنهم.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث النعمان بن بشير ﷺ في كتاب الأدبُ، باب رحمة الناس والبهائم برقم (١١ ـ ٦)، ومسلم من كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين ومن لحقهم برقم (٢٥٨) واللفظ له.

ومن صفاتهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لا يمنعهم ما بينهم من الصلة والمحبة والأخوة الإيمانية، لا يمنعهم ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداءً للواجب؛ لأن بهذا الأمر العظيم تصلح المجتمعات ويسود الحق وتختفي آثار الشر، أما بالإهمال والإعراض وعدم الأمر والنهي فإن هذا وسيلة إلى ظهور الشرور وانتشار المنكرات واختفاء الفضائل والأعمال الصالحات؛ فالمؤمنون واجبهم أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر حسب الطاقة باليد ثم اللسان ثم القلب.

ثم من ذلك أن يقيموا الصلاة، هذا من أخلاقهم العظيمة أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويطيعوا الله ورسوله، هكذا المؤمن يقيم الصلاة كما أمر الله يؤديها كما أمر الله بجميع شرائطها وأركانها وواجباتها يؤديها المؤمن في إخوانه في الجماعة وتؤديها المؤمنة في بيتها، هذا هو واجب الجميع.

وهكذا الزكاة تؤدَّى من المؤمن عن طيب نفس وعن إخلاص وعن صدق، تؤدَّى كما أمر الله وتُصرف في وجوهها كما أمر الله، ثم ختم ذلك بقوله: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾.

هذا وصف جامع يجمع الخير كله؛ فالمؤمنون والمؤمنات من شأنهم أنهم يؤدون فرائض الله وينتهون عن محارم الله ويجاهدون أنفسهم في طاعة الله ورسوله في كل شيء.

قال بعد هذا سبحانه: ﴿سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾.

من كان بهذه الصفات فهو محل الرحمة والعطف والجود والكرم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. رحمهم بأعمالهم الطيبة واجتهادهم في الخير وطاعتهم لله ولرسوله، ومن رحمته لهم أنه وفقهم للعمل الصالح في الدنيا وأدخلهم الجنة في الآخرة. رحمة لهم؛ ولهذا

قال بعده سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] هذا جزاؤهم في الآخرة وفي الدنيا رضًا من الله والتوفيق والإعانة.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ **[التوبة: ٧٢]**[(١)].

يخبر تعالى بما أعدَّه للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم في ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: ماكثين فيها أبدًا، ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾؛ أي: حسنة البناء، طيبة القرار، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[(٢)].

وبه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للمؤمن في الجنة لَخَيْمَة من لؤلؤة واحدة مُجَوَّفة، طولها ستون ميلًا في السماء، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم، لا يرى بعضهم بعضًا**» أخرجاه.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ برقم (٤٨٧٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم برقم (١٨٠).

وفي الصَّحيحين[١] وفيهما أيضًا، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة وصام رمضان، فإن حقًّا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها**». قالوا: يا رسول الله، أفلا نخبر الناس؟ قال: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن**»[٢].

وعند الطبراني والترمذي وابن ماجه، من رواية زيد بن أسلم، عن عطاء بن يَسَار، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول... فذكر مثله[٣]، وللترمذي عن عبادة بن الصامت، مثله[٤].

وعن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة ليتراءون الغُرفة في الجنة، كما تراؤون الكوكب في السماء**». أخرجاه في الصَّحيحين[٥].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري بنحوه (المصدر السابق برقم ٤٨٧٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، مع تقديم وتأخير، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ برقم (٧٤٢٣).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٢٠/١٥٨)، والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء صفة درجات الجنة برقم (٢٥٣٠)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة الجنة برقم (٤٣٣١).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في درجات الجنة برقم (٢٥٣١).

(٥) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٥٥)، ومسلم في كتاب الجنة، باب ترائي أهل الجنة وأهل الغرف (٢٨٣٠).

ثم ليُعلم أن أعلى منزلة في الجنة مكانٌ يقال له: «**الوسيلة**» لقربه من العرش، وهو مسكن رسول الله ﷺ من الجنة، كما قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرازق، أخبرنا سفيان، عن ليث، عن كعب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صليتم عليَّ فسلوا الله لي الوسيلة**»، قيل: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال: «**أعلى درجة في الجنة، لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو**»[(١)].

وفي صحيح مسلم، من حديث كعب بن علقمة، عن عبد الرحمٰن بن جُبَير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلَّت عليه الشفاعة يوم القيامة**»[(٢)].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا الوليد بن عبد الملك الحراني، حدثنا موسى بن أعين، عن ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**سلوا الله لي الوسيلة، فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدًا ـ أو شفيعًا ـ يوم القيامة**»[(٣)].

وفي مسند الإمام أحمد، من حديث سعد أبي مجاهد الطائي، عن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٦٥) قال شعيب الأرنؤط: إسناده ضعيف ويغني عنه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عند مسلم برقم (٣٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن برقم (٣٨٤).

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه في الأوسط (١/ ٣٧٠) برقم (٦٣٧) ويشهد له سابقه.

أبي المدلَّه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: «**لبنة ذهب، ولبنة فضة، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**»[١]. وروي عن ابن عمر مرفوعًا، نحوه.

وعند الترمذي من حديث عبد الرحمٰن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لغُرفًا يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**». فقام أعرابي فقال: يا رسول الله، لمن هي؟ فقال: «**لمن طيَّب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلَّى بالليل والناس نيام**» ثم قال: حديث غريب[٢].

ورواه الطبراني، من حديث عبد الله بن عمرو وأبي مالك الأشعري، كل منهما عن النبي ﷺ، بنحوه وكل من الإسنادين جيد حسن، وعنده أن السائل هو «أبو مالك»[٣]، فالله أعلم.

وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا هل مُشَمِّر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خَطَر لها، هي ـ ورب الكعبة ـ نور يتلألأ وريحانة تَهْتَزّ، وقصر مَشيدٌ، ونهر مُطَّرد، وثمرة نَضِيجة، وزوجة حسناء جَميلة، وحُلَل كثيرة، ومقام في مقام أبد، في دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة غرف الجنة برقم (٢٥٢٧).

(٣) الطبراني في الكبير (٣/ ٣٠١) برقم (٣٤٦٦)، وحسنه الحافظ ابن كثير، وأخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو ومن حديث أبي مالك الأشعري وصححهما ووافقه الذهبي في المستدرك (١/ ٣٢١)، وحسنه المنذري في الترغيب (١/ ٤٢٤).

ونعمة في محلة عالية بهية». قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمِّرون لها، قال: «**قولوا: إن شاء الله**». فقال القوم: إن شاء الله. رواه ابن ماجه[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾؛ أي: رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، كما قال الإمام مالك، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخُدْري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ، يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك يا ربنا وسعديك، والخير في يدك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**».، أخرجاه من حديث مالك.

وقال أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي: حدثنا الفضل الرُّخاميّ، حدثنا الفِرْياني، عن سفيان، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عَزَّ وَجَلَّ: هل تشتهون شيئًا فأزيدكم؟ قالوا: يا ربنا، ما خير مما أعطيتنا؟ قال: رضواني أكبر**».

ورواه البزار في مسنده، من حديث الثوري وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه «صفة الجنة»: هذا عندي على شرط الصحيح، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله جَلَّ وَعَلَا بيَّن في هذه الآيات صفات المؤمنين وأخلاقهم وما أعد

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة الجنة برقم (٤٣٣٢)، وضعفه البوصيري لجهالة رجل فيه اسمه: الضحاك المعافري، مصباح الزجاجة (٣/ ٣٢٥).

لهم في الجنة، فجدير بكل ذي نفس رفيعة وبكل مؤمن أن يسارع إلى هذه الصفات والأخلاق، وأن يستقيم عليها حتى يلقى ربه. ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ هذه أخلاق المؤمنين.. هذه صفات أهل الجنة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾. هذه أخلاقهم وسمعتم جزاءهم؛ فجدير بكل مؤمن أن يسارع إلى هذه الأخلاق، وأن يستقيم عليها، وأن يدعو إليها، وأن يتواصى مع إخوانه بها حتى يلقى ربه. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، وأن يعيذنا وإياكم من صفات الغافلين الهالكين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الأسئلة:

● **س: هل النهي عن الذهاب إلى ديار المعذبين إلا باكيًا يقتضي تحريم ذلك بدون بكاء، أو يدل على أن الأصل عدم الذهاب؟!**

○ **الجواب**: ظاهر الحديث: المنع، وأنه ما يجوز.

● **س: ما رأيك من قال: إن المرأة تتلذذ في الجنة مثل الرجل عندهم ناس اسمهم حور؟**

○ **الجواب**: النعيم عام للجميع، (والمؤمنون والمؤمنات) الجنة للجميع، والخير للجميع، والنظر لوجه الله للجميع، والرضا للجميع.

مداخلة: عندهم حور؛ الله يجزاك خير؟

الشيخ: لا. الحور للرجال هذا المعروف، الحور مع زوجات الدنيا للرجال ممن دخل الجنة.

• **س: هل الوسيلة هي المقام المحمود؟**

○ **الجواب**: المقام المحمود ما يعطيه الله يوم القيامة حين يشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم. هذا المقام المحمود.

• **س: معنى حديث وأطعم الطعام، وأدام الصيام صيام النفل والا الفرض؟**

○ **الجواب**: عام، ظاهر الحديث يعني أكثر من الصيام، صوم رمضان لا بد منه، لكن مع هذا يكثر من الصيام . .الله المستعان.

حكم الشرب من ديار المعذبين للاستشفاء.

• **س: قد يستشفى ببعض الأماكن التي هي من ديار الهالكين مثل قرية سدوم، الماء الموجود هناك يستخدم لعلاج بعض الأمراض؟**

○ **الجواب**: قريب بئر الناقة فقط، غيرها ما يجب أن يشرب من شيء ولا يؤخذ شيء إلا بئر الناقة فقط.

*

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة: ٧٣، ٧٤][1].

أمر تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، كما

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في مغرب الأربعاء ١٤ ـ ١٠ ـ ١٤١٨هـ.

أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة. وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: بُعث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف، سيف للمشركين: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وسيف للكفار أهل الكتاب: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وسيف للمنافقين: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة:٧٣، التحريم: ٩]، وسيف للبغاة: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيوف إذا أظهروا النفاق، وهو اختيار ابن جرير.

وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قال: بيده، [فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه] فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه[1].

وقال ابن عباس: أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم.

وقال الضحاك: جاهد الكفار بالسيف، واغلظ على المنافقين بالكلام، وهو مجاهدتهم. وعن مقاتل، والربيع مثله.

وقال الحسن وقتادة: مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم.

وقد يقال: إنه لا منافاة بين هذه الأقوال؛ لأنه تارة يؤاخذهم بهذا، وتارة بهذا بحسب الأحوال، والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عمرو بن أبي جندب عن ابن مسعود رضي الله عنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب أن المنافقين أقسام مثل ما قال ابن جرير إذا أظهروا نفاقهم وكفرهم قوتلوا جوهدوا بالسيف صاروا كفار معلنين، وإذا لم يظهروا نفاقهم جوهدوا بغير السيف بالنصيحة والتوجيه والغلظة عليهم والتحذير حتى لا يتظاهروا بشيء يضر المسلمين، فالمنافق تارة يعلن: وأن هذا الدين باطل، ويعلن معاداة المسلمين فيجاهد كما يجاهد الكفار بالسيف، وتارة لا، يظهر منه على فلتات لسانه وعلى تصرفاته ما يدل على نفاقه، فهذا يغلظ عليه وينكر عليه ويوجه إلى الخير وينصح لعله يهتدي. فالأقوال معناها ينزل كل قول على ما يناسبه، أما الكفار المعلنون فيجاهدون بالسيف حتى يسلموا، وأما أهل الكتاب فيجاهدوا بالسيف حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ قال قتادة: نزلت في عبد الله بن أبي، وذلك أنه اقتتل رجلان: جُهَني وأنصاري، فعلا الجهني على الأنصاري، فقال عبد الله للأنصار: ألا تنصروا أخاكم؟ والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: «سمِّن كلبك يأكلك».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني معناه: مثلنا ومثل المهاجرين.. يعني محمد وأصحابه المهاجرين إلى المدينة. هذا المراد، يعني: أنا واسيناهم وأحسنا إليهم ثم يتعدون علينا، فيقول هذه العبارة الخبيثة الشنيعة: (سمِّن كلبك يأكلك)، هذا يدل على الخبث العظيم. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]

فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي ﷺ، فأرسل إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قاله، فأنزل الله فيه هذه الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جُهَني كذا والا مهاجري؟

الملقي: (جهني).

الشيخ: إيش عندكم؟

مداخلة: جهني.. أقول: كذا جهني.

الشيخ: المعروف في الرواية: (مهاجري) لا بجهني. ضع عليها إشارة. المعروف: (مهاجري وأنصاري) ما هو جهني. ضع على جهني إشارة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروى إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه موسى بن عقبة قال: فحدثنا عبد الله بن الفضل، أنه سمع أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول: حزنت على من أصيب بالحرَّة من قومي، فكتب إلي زيد بن أرقم، وبلغه شدة حزني، يذكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ، اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار**» ـ وشك ابن الفضل في أبناء أبناء الأنصار ـ قال ابن الفضل: فسأل أنسًا بعض من كان عنده عن زيد بن أرقم، فقال: هو الذي يقول له رسول الله ﷺ: «**أوفى الله له بأذنه**»[1]. وذاك حين سمع رجلًا من المنافقين يقول ـ ورسول الله ﷺ يخطب ـ: لئن كان هذا صادقًا فنحن شر من الحمير، فقال زيد بن أرقم: فهو والله صادق، ولأنت شر من الحمار. ثم رُفع ذلك إلى رسول الله، فجحده القائل، فأنزل الله هذه الآية تصديقًا لزيد ـ يعني قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ الآية.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة المنافقون، باب ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ برقم (٤٩٠٦).

رواه البخاري في صحيحه، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة. إلى قوله: «هذا الذي أوفى الله له بأُذُنه» ولعل ما بعده من قول موسى بن عقبة، وقد رواه محمد بن فُلَيح، عن موسى بن عقبة بإسناده ثم قال: قال ابن شهاب. فذكر ما بعده عن موسى، عن ابن شهاب[١].

والمشهور في هذه القصة أنها كانت في غزوة بني المصطلق، فلعل الراوي وَهَم في ذكر الآية، وأراد أن يذكر غيرها فذكرها[٢]، والله أعلم.

قال «الأموي» في مغازيه: حدثنا محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن جده قال: لما قدم رسول الله ﷺ، أخذني قومي فقالوا: إنك امرؤ شاعر، فإن شئت أن تعتذر إلى رسول الله ﷺ ببعض العلة، ثم يكون ذنبًا تستغفر الله منه. وذكر الحديث بطوله، إلى أن قال: وكان ممن تخلف من المنافقين، ونزل فيه القرآن منهم، ممن كان مع النبي ﷺ الجُلاس بن سُوَيد بن الصامت[٣]، وكان على أم عُمَير بن سعد، وكان عمير في حجره، فلما نزل القرآن وذكرهم الله بما ذكر مما أنزل في المنافقين، قال الجلاس: والله لئن كان هذا الرجل صادقًا فيما يقول لنحن شر من الحمير، قال: فسمعها عمير بن سعد[٤] فقال: والله ـ يا جلاس ـ إنك لأحب الناس

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: وهذا مرسل جيد وكأن البخاري حذفه لكونه على غير شرطه، ولا مانع من نزول الآيتين في القصتين في تصديق زيد، فتح الباري (٨/ ٦٥١).

(٢) لقد أجاب الحافظ ابن حجر عن هذا الإشكال كما في الحاشية السابقة.

(٣) وكان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥١٩).

(٤) هو عمير بن الأوس صحابي جليل، الإصابة (٣/ ٣٢).

إلي، وأحسنهم عندي بلاء، وأعزهم عليَّ أن يصله شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن ذكرتها لتفضحنك ولئن كتمتها لتهلكني، ولإحداهما أهون عليَّ من الأخرى. فمشى إلى رسول الله ﷺ، فذكر له ما قال الجلاس. فلما بلغ ذلك الجلاس خرج حتى يأتي النبي ﷺ، فحلف بالله ما قال ما قال عمير بن سعد، ولقد كذب علي. فأنزل الله ﷻ، فيه: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ إلى آخر الآية. فوقفه رسول الله ﷺ عليها. فزعموا أن الجلاس تاب فحسنت توبته، ونزع فأحسن النزوع، هكذا جاء هذا «مدرجًا» في الحديث متصلًا به، وكأنه والله أعلم من كلام ابن إسحاق نفسه، لا من كلام كعب بن مالك.

وقال عروة بن الزبير: نزلت هذه الآية في الجلاس بن سويد بن الصامت، أقبل هو وابن امرأته مُصعب من قُبَاء، فقال الجلاس: إن كان ما جاء به محمد حقًّا فنحن أشر من حُمُرنا هذه التي نحن عليها. فقال مصعب: أما والله ـ يا عدو الله ـ لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت: فأتيت النبي ﷺ، وخفت أن ينزل فيَّ القرآن أو تصيبني قارعة، أو أن أخلط بخطيئته، فقلت: يا رسول الله، أقبلت أنا والجلاس من قباء، فقال كذا وكذا، ولولا مخافة أن أخلط بخطيئة أو تصيبني قارعة ما أخبرتك. قال: فدعا الجلاس فقال: «يا جلاس، أقلت الذي قاله مصعب؟» فحلف، فأنزل الله: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ الآية.

وقال محمد بن إسحاق: كان الذي قال تلك المقالة ـ فيما بلغني ـ الجلاس بن سويد بن الصامت، فرفعها عليه رجل كان في حجره، يقال له: عمير بن سعيد، فأنكرها، فحلف بالله ما قالها: فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته، فيما بلغني.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قف على أبو جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ، نعم. هذه المقالات هي مقالات الخبثاء عبد الله بن أبي وغيره، هذه مقالات المنافقين - نسأل الله العافية - إذا خلوا أظهروا نفاقهم، وإذا شهد عليهم أحد أو خافوا بادروا بالأيمان الكاذبة الفاجرة. نسأل الله العافية،. وهذه سنة المنافقين، وطريق المنافقين، إذا خلا لهم الجو باحوا بشرِّهم وباطلهم، وإذا خافوا أتوا بالأيمان العظيمة حتى يروجوا باطلهم ويبرئوا ساحتهم. نسأل الله العافية.

مداخلة: أقول عامة في الجلاس وغيره؟

الشيخ: تعم الجلاس وعبد الله بن أبي وغيرهم، تعم كل من قال المقالة السيئة ثم تنصَّل منها، وكذب. نسأل الله العافية.

مداخلة: الضبط عفا الله عنك الجلاس والا الجلاس؟

الشيخ: الجلاس، المعروف جلاس. الجلاس بن سويد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثني أيوب بن إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل شجرة فقال: «**إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني الشيطان، فإذا جاء فلا تكلِّموه**»[1]. فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «**علام تشتمني أنت وأصحابك؟**» فانطلق الرجل فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا، حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ الآية.

وذلك بَيِّنٌ فيما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب «دلائل

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٦٧).

النبوة» من حديث محمد بن إسحاق، عن الأعمش عن عمرو بن مُرة، عن [أبي] البختري، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: كنت آخذًا بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به، وعمار يسوق الناقة ـ أو أنا: أسوقه، وعمار يقوده ـ حتى إذا كنا بالعقبة فإذا أنا باثني عشر راكبًا قد اعترضوه فيها، قال: فأنبهت رسول الله ﷺ بهم فصرخ بهم فولوا مدبرين، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**هل عرفتم القوم؟**» قلنا: لا يا رسول الله، قد كانوا متلثمين، ولكنا قد عرفنا الركاب. قال: «**هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا؟**» قلنا: لا. قال: «**أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة، فيلقوه منها**». قلنا: يا رسول الله، أو لا تبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال: «**لا، أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمدًا قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم**»، ثم قال: «**اللَّهُمَّ ارمهم بالدُّبَيلة**». قلنا: يا رسول الله، وما الدُّبَيلة؟ قال: «**شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك**».

وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يزيد، أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي الطفيل قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أمر مناديًا فنادى: إن رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد. فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل فغشوا عمارًا وهو يسوق برسول الله، وأقبل عمار رضي الله عنه، يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: «**قُد، قُد**» حتى هبط رسول الله ﷺ، [فلما هبط] نزل ورجع عمار، فقال: «**يا عمار، هل عرفت القوم؟**» فقال: قد عرفت عامة الرواحل، والقوم متلثمون. قال: «**هل تدري ما أرادوا؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه**». قال: فسارَّ عمار رجلًا من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر. فقال: إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر. قال: فعذر رسول الله ﷺ

منهم ثلاثة قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله، وما علمنا ما أراد القوم. فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد[١].

وهكذا روى ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة بن الزبير نحو هذا، وأن رسول الله ﷺ أمر أن يمشي الناس في بطن الوادي، وصعد هو وحذيفة وعمار العقبة، فتبعهم هؤلاء النفر الأرذلون، وهم متلثمون، فأرادوا سلوك العقبة، فأطلع الله على مرادهم رسول الله ﷺ، فأمر حذيفة فرجع إليهم، فضرب وجوه رواحلهم، ففزعوا ورجعوا مقبوحين، وأعلم رسول الله ﷺ حذيفة وعمارًا بأسمائهم، وما كانوا هموا به من الفتك به، صلوات الله وسلامه عليه، وأمرهما أن يكتما عليهم. وكذلك روى يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق، إلا أنه سَمّى جماعة منهم، فالله أعلم.

وكذا قد حكي في معجم الطبراني، قاله البيهقي. ويشهد لهذه القصة بالصحة، ما رواه مسلم.

حدثنا زهير بن حرب، حدثنا أبو أحمد الكوفي، حدثنا الوليد بن جُمَيع، حدثنا أبو الطفيل قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله، كم كان أصحاب العقبة قال: فقال له القوم: أخبره إذ سألك. قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، ولا علمنا بما أراد القوم. وقد كان في حرة فمشى، فقال: «**إن الماء قليل، فلا يسبقني إليه أحد**»، فوجد قومًا قد سبقوه، فلعنهم يومئذ[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بسند ومتنه (٥/ ٤٥٣) قال شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٧٩).

وما رواه مسلم أيضًا، من حديث قتادة، عن أبي نَضْرة، عن قيس بن عباد، عن عمار بن ياسر قال: أخبرني حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: «**في أصحابي اثنا عشر منافقًا، لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط: ثمانية تكفيكهم الدُّبَيْلة: سراج من نار يظهر بين أكتافه حتى ينجم من صدورهم**»(١).

ولهذا كان حذيفة يقال له: «صاحب السر، الذي لا يعلمه غيره»؛ أي: من تعيين جماعة من المنافقين، وهم هؤلاء، قد أطلعه عليهم رسول الله ﷺ دون غيره، والله أعلم. وقد ترجم الطبراني في مسند حذيفة تسمية أصحاب العقبة، ثم روى عن علي بن عبد العزيز، عن الزبير بن بكار أنه قال: هم مُعَتِّب بن قشير، ووديعة بن ثابت، وجد بن عبد الله بن نَبْتَل بن الحارث من بني عمرو بن عوف، والحارث بن يزيد الطائي، وأوس بن قَيْظِي، والحارث بن سُوَيْد، وسعد بن زرارة وقيس بن فهد، وسويد وداعس من بني الحبلي، وقيس بن عمرو بن سهل، وزيد بن اللصيت، وسلالة بن الحمام، وهما من بني قينقاع أظهرا الإسلام(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبكل حال المنافقون ما يستغرب منهم هذا، المنافقون هم أعداء الله ورسوله، هؤلاء وغيرهم؛ لأن المنافقين أشر من الكفار، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، فهم حريصون على كل ما يضر المسلمين، وعلى كل ما يطفئ نور الله، ولكن الله خيب سعيهم، وكبتهم، وكفى المسلمين شرهم، والحمد لله.

مداخلة: كيف عدَّهم من أصحابه؟ أثابك الله.

---

(١) المصدر السابق برقم (٢٧٧٩).

(٢) الطبراني في الكبير (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦) وسنده معضل لإرسال الزيد بن بكار وهو من صغار أتباع التابعين.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: كيف عدَّهم من أصحابه قال: (من أصحابي)؟

الشيخ: ممن ينتسبون إلى صحبة النبي ﷺ، المنافق ينتسب إلى الصحبة، نفاقهم باطل، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾؛ أي: وما للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته ويُمن سفارته، ولو تمت عليهم السعادة لهداهم الله لما جاء به، كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ للأنصار: «**ألم أجدكم ضُلَّالًا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟**» كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمنّ[1].

وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، وكما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرًا فأغناه الله**».

ثم دعاهم الله تبارك وتعالى إلى التوبة فقال: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾؛ أي: وإن يستمروا على طريقهم ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: بالقتل والهم والغم، ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾؛ أي: بالعذاب والنكال والهوان والصغار، ﴿وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤﴾؛ أي: وليس لهم أحد يسعدهم ولا ينجدهم، ولا يحصل لهم خيرًا، ولا يدفع عنهم شرًّا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بركة، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم، لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية، وهذا يوجب على المؤمن الحذر، وسؤال الله العافية، يسأل الله

---

(١) متفق عليه. أخرجه الخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف برقم (٤٣٣٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم برقم (١٠٦١).

العافية من صفات المنافقين، وأخلاق المنافقين، إذا كان عمر وأشباهه يحذر، يقول ابن أبي مليكة: لقد أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كل واحد منهم يخاف النفاق على نفسه. كل واحد يخاف النفاق على نفسه، كيف بحالنا؟ فالواجب على المؤمن الحذر والخوف من الله دائمًا، وأن يكون على سؤال وضراعة إلى الله أن يثبته على الإيمان، وأن يعيذه من أسباب الشقاء، وعلى تدبر القرآن، وعناية بالقرآن، وإقبالًا على الله ﷻ، هكذا المؤمن أبدًا، مثلما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧، ٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، هكذا المؤمن يحذر ربه، ويحذر أسباب الهلاك القولية والفعلية، ويحذر أصحاب السوء، ويبتعد عنهم، نسأل الله العافية.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝٧٧ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٧٨﴾ **[التوبة: ٧٥ ـ ٧٨]**[1].

يقول تعالى: ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه: لئن أغناه من فضله ليصدقنَّ من ماله، وليكونن من الصالحين. فما وفى بما قال،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولا صدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقًا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقون الله ﷻ، يوم القيامة، عياذا بالله من ذلك.

وقد ذكر كثير من المفسرين، منهم ابن عباس، والحسن البصري: أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في «ثعلبة بن حاطب الأنصاري».

وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير هاهنا وابن أبي حاتم، من حديث مُعان بن رِفَاعة، عن علي بن يزيد، عن أبي عبد الرحمٰن القاسم بن عبد الرحمٰن، مولى عبد الرحمٰن بن يزيد بن معاوية، عن أبي أمامة الباهلي، عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أنه قال لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يرزقني مالًا. فقال رسول الله ﷺ: **«ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه»**(١). قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: **«أما ترضى أن تكون مثل نبي الله، فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبًا وفضة لسارت»**. قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالًا لأعطين كل ذي حق حقه. فقال رسول الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ ارزق ثعلبة مالًا»**. قال: فاتخذ غنمًا، فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، فنزل واديًا من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثم نمت وكَثُرت، فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود، حتى ترك الجمعة. فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة، يسألهم عن الأخبار، فقال رسول الله ﷺ: **«ما فعل ثعلبة»**؟ فقالوا: يا رسول الله، اتخذ غنمًا فضاقت عليه المدينة. فأخبروه بأمره فقال: **«يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»**. وأنزل الله جل ثناؤه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ الآية [التوبة: ١٠٣] قال: ونزلت عليه فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة: رجلًا من جُهَيْنَة، ورجلًا من سليم،

(١) قال العراقي في تخريج الإحياء: إسناده ضعيف (٣/ ٣٣٤).

وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما: «**مُرَّا بثعلبة، وبفلان ـ رجل من بني سليم ـ فخذا صدقاتهما**». فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية. ما هذه إلا أخت الجزية. ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرُغا ثم عُودا إلي. فانطلقا وسمع بهما السلمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله، فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ هذا منك. قال: بلى، فخذوها، فإن نفسي بذلك طيبة، وإنما هي له. فأخذوها منه. فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مَرَّا بثعلبة، فقال: أروني كتابكما فنظر فيه، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية. انطلقا حتى أرى رأيي. فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ، فلما رآهما قال: «**يا ويح ثعلبة**» قبل أن يكلمهما، ودعا للسلمي بالبركة، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ قال: وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة. قد أنزل الله فيك كذا وكذا. فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ، فسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: «**إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك**». فجعل يحثو على رأسه التراب، فقال له رسول الله ﷺ: «**هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني**». فلما أبى أن يقبض رسول الله ﷺ رجع إلى منزله، فقُبِض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئًا. ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه، حين استخلف، فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله، وموضعي من الأنصار، فاقبل صدقتي. فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ، وأبى أن يقبلها، فقبض أبو بكر ولم يقبلها. فلما وَلِي عمر رضي الله عنه، أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، اقبل صدقتي. فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، وأنا أقبلها منك! فقُبض ولم يقبلها؛ ثم ولي عثمان رضي الله عنه، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، وأنا أقبلها منك! فلم يقبلها منه، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان.

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾؛ أي: أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم، كما جاء في الصحيح، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(١).

وله شواهد كثيرة، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الخبر. سنده ضعيف، والأصل فيمن تاب أن الله يتوب عليه، من تاب وأناب تاب الله عليه، فمن تاب من نفاقه ورجع وصدق تاب الله عليه، فهو ﷻ القائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، وهو القائل ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وهو القائل سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وهو القائل ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]. فمن تاب من نفاقه ومن بُخله ومن سائر معاصيه ومن كفره وشِركه تاب الله عليه، سواء بخل بالصدقة ثم هداه الله، أو لم يصم ثم هداه الله، أو لم يحج مع الاستطاعة ثم هداه الله، أو لم يجاهد ثم هداه الله، من تاب تاب الله عليه، هذا هو الحق الذي لا ريب فيه.

مداخلة: أحسن الله إليك، سبب ضعف الحديث؟

الشيخ: سنده فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ يخبرهم تعالى أنه يعلم السر وأخفى، وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها، فإنه

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٧٤) و(٥/ ٤٤٠).

أعلم بهم من أنفسهم؛ لأنه تعالى علام الغيوب؛ أي: يعلم كل غيب وشهادة، وكل سر ونجوى، ويعلم ما ظهر وما بطن.

❋

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة: ٧٦ ـ ٧٨][(١)].

الآيات المشار إليها، وهي قوله تعالى في حق المنافقين: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ هي دالة على أن من عاهد الله أن يفعل شيئًا ثم أخلف عهده أنه بذلك قد تخلق بأخلاق المنافقين، وأنه على خطر عظيم من أن يعاقب بالنفاق في قلبه جزاءً له على إخلافه الوعد وكذبه، وهو سبحانه بذلك يحذر عباده من أخلاق المنافقين، ويحثهم سبحانه على الصدق والوفاء بالعهود، ويوضح لهم سبحانه أنه يعلم سرهم ونجواهم، ولا يخفى عليه شيء من شؤونهم، وهذا لا يمنع التوبة، فمن تاب إلى الله سبحانه توبة نصوحًا تاب الله عليه من جميع الذنوب، سواء كانت كفرًا أو نفاقًا أو دونهما، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طـه: ٨٢]، وقال ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٣٧).

أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية في التائبين.

وصحَّ عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»(١). وصحَّ أيضًا عنه ﷺ؛ أنه قال: «**الإسلام يهدم ما كان قبله والتوبة تهدم ما كان قبلها**»(٢).

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ **[التوبة: ٧٩]**(٣).

وهذه أيضًا من صفات المنافقين: لا يسلم أحد من عيبهم ولَمْزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدِّقون يَسْلمون منهم، إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا: هذا مراء، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا. كما قال البخاري:

حدثنا عبيد الله بن سعيد، حدثنا أبو النعمان البصري، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن أبي وائل، عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرائي. وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا.

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عبيد الله بن عبد الله عن أبيه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ: «**إِنَّ الإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا**» (٤/ ١٨٩، ٢٠٤، ٢٠٥).

(٣) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ الآية.

وقد رواه مسلم أيضًا في صحيحه، من حديث شعبة به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا الجريري، عن أبي السليل قال: وقف علينا رجل في مجلسنا بالبقيع فقال: حدثني أبي - أو: عمي أنه رأى رسول الله ﷺ بالبقيع، وهو يقول: «**من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة**»؟ قال: فحللت من عمامتي لوثًا أو لوثين، وأنا أريد أن أتصدق بهما، فأدركني ما يدرك ابن آدم، فعقدت على عمامتي. فجاء رجل لم أر بالبقيع رجلًا أشد سوادًا ولا أصغر منه، ولا أدمَّ ببعير ساقه، لم أر بالبقيع ناقة أحسن منها، فقال: يا رسول الله، أصدقة؟ قال: «**نعم**» فقال: دونك هذه الناقة. قال: فلمزه رجل فقال: هذا يتصدق بهذه فوالله لهي خير منه. قال: فسمعها رسول الله ﷺ فقال: «**كذبت بل هو خير منك ومنها**» ثلاث مرات، ثم قال: «**ويل لأصحاب المئين من الإبل**» ثلاثًا. قالوا: إلا من يا رسول الله؟ قال: «**إلا من قال بالمال هكذا وهكذا**»، وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**قد أفلح المزهد المجهد**» ثلاثًا: المزهد في العيش، المجهد في العبادة.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية، وقال: جاء عبد الرحمٰن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى رسول الله ﷺ وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام، فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمٰن بما جاء به إلا رياء. وقالوا: إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع.

وقال العوفي، عن ابن عباس: إن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس يومًا فنادى فيهم: أن اجمعوا صدقاتكم. فجمع الناس صدقاتهم، ثم جاء

رجل من آخرهم بصاع من تمر، فقال: يا رسول الله، هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير الماء، حتى نلت صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما، وأتيتك بالآخر. فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقات. فسخر منه رجال، وقالوا: إن الله ورسوله لغنيان عن هذا. وما يصنعان بصاعك من شيء. ثم إن عبد الرحمٰن بن عوف قال لرسول الله ﷺ: هل بقي أحد من أهل الصدقات؟ فقال: «لا»، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف: فإن عندي مائة أوقية من ذهب في الصدقات. فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أمجنون أنت؟ قال: ليس بي جنون. قال: فعلت ما فعلت؟ قال: نعم، مالي ثمانية آلاف، أما أربعة آلاف فأقرضها ربي، وأما أربعة آلاف فلي. فقال له رسول الله ﷺ: «**بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت**». ولمزه المنافقون فقالوا: والله ما أعطى عبد الرحمٰن عطيته إلا رياء. وهم كاذبون، إنما كان به متطوعًا، فأنزل الله عز وجل، عذره وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر، فقال تعالى في كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ الآية.

وكذا روي عن مجاهد، وغير واحد.

مداخلة: هنا قول النبي ﷺ: «**ويل لأصحاب المئين من الإبل**» تحديد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني إذا. إن صح، يعني: إذا بخلوا بالحق هم وغيرهم.

مداخلة: قوله: (فأدركني ما يدرك ابن آدم)؟

الشيخ: نعم. يعني من البخل.

مداخلة: يعني أن الأصل فيه البخل؟

الشيخ: من البخل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن إسحاق: كان المطوعون من المؤمنين في الصدق بأربعة آلاف درهم، وعاصم بن عدي أخا بني العجلان، وذلك أن رسول الله ﷺ رغب في الصدقات، وحض عليها، فقام عبد الرحمٰن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف، وقام عاصم فتصدق بمائة وسق من تمر، فلمزوهما وقالوا: ما هذا إلا رياء. وكان الذي تصدق بجهده: أبو عقيل أخو بني أنيف الإراشي حليف بني عمرو بن عوف، أتى بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة، فتضاحكوا به وقالوا: إن الله لغني عن صاع أبي عَقيل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بركة، نعم.

مداخلة: حديث ثعلبة ضعيف من جهة السند ومن جهة المتن؟

الشيخ: متنه ليس بصحيح من أجل علي بن يزيد لا يحتج به، نعم، لكن الآية تكفي، الآية فيها ذم ـ نسأل الله العافية ـ من يلمز من يبخل. نسأل الله العافية. نعم. الآية كافية. الله المستعان.

مداخلة: أحسن الله إليك، في قول الله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥] الآيات الماضيات فيها شيء من السنة؟

الشيخ: ما أعلم شيء، أقول: ما أعلم، النصوص واضحة، أقول: نصوص القرآن واضحة. نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليك! ضعيف من الجهتين من جهة السند ومن جهة المتن؟ **الشيخ**: المتن فيه شذوذ، أقول: فيه شذوذ نكارة......، لكن العمدة على ضعف السند.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا طالوت بن عباد، حدثنا أبو عَوَانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«تصدَّقوا فإني أريد أن أبعث بعثًا»**. قال: فجاء

عبد الرحمٰن بن عوف فقال: يا رسول الله، عندي أربعة آلاف، ألفين أقرضهما ربي، وألفين لعيالي. فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت**». وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر، فقال: يا رسول الله، أصبت صاعين من تمر: صاع أقرضه لربي، وصاع لعيالي. قال: فلمزه المنافقون وقالوا: ما أعطى الذي أعطى ابن عوف إلا رياء! وقالوا: ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا؟ فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ الآية ثم رواه عن أبي كامل، عن أبي عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه مرسلًا قال: ولم يسنده أحد إلا طالوت.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا زيد بن الحُبَاب، عن موسى بن عبيدة، حدثني خالد بن يسار، عن ابن أبي عقيل، عن أبيه قال: بت أجر الجرير على ظهري، على صاعين من تمر، فانقلبت بأحدهما إلى أهلي يتبلَّغون به، وجئت بالآخر أتقرب به إلى رسول الله ﷺ، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**انثره في الصدقة**». قال: فسخر القوم وقالوا: لقد كان الله غنيًّا عن صدقة هذا المسكين. فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ الآيتين.

وكذا رواه الطبراني من حديث زيد بن الحباب به. وقال: اسم أبي عقيل: حباب. ويقال: عبد الرحمٰن بن عبد الله بن ثعلبة.

وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ وهذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فعاملهم معاملة من سخر بهم، انتصارًا للمؤمنين في الدنيا، وأعد للمنافقين في الآخرة عذابًا أليمًا.

*

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩]**[١].

﴿يَلْمِزُونَ﴾: يعيبون، و﴿جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] وجهدهم: طَاقَتَهُمْ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: (**جهدهم وجهدهم: طاقتهم**)؛ يعني: لغتين بالفتح والضم، هذا هو المشهور. وقيل: بالضم: الطاقة والجهد: المشقة.

حدّثني بشر بن خالدٍ أبو محمّدٍ، أخبرنا محمّد بن جعفرٍ، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي وائلٍ، عن أبي مسعودٍ قال: «لمّا أمرنا بالصّدقة كنّا نتحامل، فجاء أبو عقيلٍ بنصف صاعٍ، وجاء إنسانٌ بأكثر منه، فقال المنافقون: إنّ الله لغنيٌّ عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلّا رئاءً، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآيَةَ»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**نتحامل**) بالتاء أو نحامل؟

(**من الطّالب**): نعم بالتاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعيني كذلك؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣٣١)]:

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ برقم (٤٦٦٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحمل أجرة يتصدق بها والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل برقم (١٠١٨).

«قوله: (**كنا نتحامل**): أي: يحمل بعضنا لبعضٍ بالأجرة، وقد تقدّم في الزّكاة من وجهٍ آخر عن شعبة بلفظ: «تحامل»: أي: نؤاجر أنفسنا في الحمل». [انتهى كلامه].

(**من الطّالب**): نعم شرحها العينيّ (١٨/ ٢٧١) قال: «قوله: (**كنا نتحامل**)؛ أي: نتكلّف بالحمل، يقال: تحاملت الشّيء؛ أي: تكلفته، وقيل: معناه: أي يحمل بعضنا لبعضٍ بالأجرة، وفي لفظ كتاب الزّكاة: «نحامل»؛ أي: نؤاجر أنفسنا في الحمل».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا المعروف في الرّواية، الأكثر: «نحامل».

والمقصود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أنّهم كانوا لما أمر النّبيّ بالصدقة كانوا يؤجرون أنفسهم، يشيل في السوق لفلانٍ طعامًا، أو لفلانٍ كذا، أو لفلانٍ كذا، أو بابًا أو خشبةً بالأجرة؛ ويتصدّقون، مقصودهم الصدقة؛ يعني: يحملون على ظهورهم للنّاس الحاجات، وما جاءهم من الصدقة أعطوه للفقراء والمساكين الّذين هم دونهم، والله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من شأن المنافقين، لا يسلم منهم أحدٌ؛ من خبثهم وشرّهم وتنفيرهم من الإسلام لا يسلم منهم أحدٌ، إن جاء المتصدّق بالقليل قالوا: الله غنيٌّ عن صدقة هذا، يتصدّق بنصف صاعٍ، الله غنيٌّ عن صدقته، والّذي يجيء بالكثير يقولون: هذا مراءٍ؛ فمن يسلَم؟! نسأل الله العافية، قاتلهم الله.

وأنزل الله فيهم فضيحتهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٩، ٨٠]، وما ذاك إلّا لخبثهم

ونفاقهم وتلبيسهم على النّاس؛ فاستحقّوا هذا الذمّ العظيم، والعقوبة العظيمة، نسأل الله العافية.

من يسلم حينئذٍ؟! إذا كان من جاء بقليلٍ قالوا: الله غنيٌّ عن صدقتك، وإن جاء بكثيرٍ قالوا: هذا مراءٍ، فمن يسلم؟! هذا من خبث المنافقين، نسأل الله العافية.

المقصود: التثبيط عن هذا الخير حتّى لا يتقدّم أحد بالخير؛ لأنّ المنافق يغيظه مسابقة النّاس بالخير، ومسارعتهم إلى الطاعات، ومواساتهم لإخوانهم الفقراء؛ لأنّ هذه استجابةٌ لله وللرّسول ﷺ، فهو يغيظهم، فلهذا يلمزون ويعيبون ليثبّطوا، فمن جاء بالكثير من الصّدقات قالوا: هذا مراءٍ، ما قصده وجه الله، ومن جاء بالقليل قالوا: الله غنيٌّ عن صدقتك، فحينئذٍ لا يسلم منه أحدٌ؛ قبّحهم الله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

حدّثني إسحاق بن إبراهيم، قال: قلت لأبي أسامة: أحدّثكم زائدة عن سليمان، عن شقيقٍ، عن أبي مسعودٍ الأنصاريّ، قال: «كان رسول الله ﷺ يأمر بالصّدقة، فيحتال أحدنا حتّى يجيء بالمُدّ، وإنّ لأحدهم اليوم مئة ألفٍ، كأنّه يعرّض بنفسه»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا يدلّ على فضل الصّحابة والمسارعة في الخير رضي الله عنهم وأرضاهم جميعًا. كان النّبيّ ﷺ إذا أمر بالصّدقة؛ صاروا يحاملون على ظهورهم، يحملون للنّاس الحاجات بالأجرة، ثمّ يأخذون الأجرة ويتصدّقون بها، يحمّلون لا ليأكلوا، يحملون ليتصدقوا حتّى يأخذوا الأجرة فيتصدّقوا.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي مسعود. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾... إلخ برقم (٤٦٦٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحمل أجرة... إلخ برقم (١٠١٨).

(**وإنّ لأحدهم اليوم لمائة ألفٍ**). كان هناك ذاك الوقت، مائة الألف اليوم لا قيمة لها، وإن لأحدهم اليوم مئات الملايين، وآلاف الملايين والبخل مقيمٌ في قلبه، لا يستطيع أن يخرج الزّكاة أو الصدقة، وخيرهم من يزكّي، نسأل الله السّلامة، لا حول ولا قوّة إلّا بالله، الله المستعان.

والمقصود من هذا الحثّ على الصدقة، يقول: كنّا في عهد النّبيّ ﷺ ما عندنا شيءٌ ونتصدق بالمدّ ونحوه، واليوم عندنا الأموال الكثيرة قد أصيب النّاس بالبخل، مائة ألفٍ، والآن آلاف الملايين، الله المستعان.

المقصود: من هذا الحثّ على الصدقة، وأنّه ينبغي للمؤمن أن يتحرّى الصدقة ويحرص، الله يقول: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] ويقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

يَنْبَغِي للمؤمن أَنْ يَكُوْن عِنْدَهُ رحمةٌ؛ يلاحظ جيرانَه، يلاحظُ الفُقَرَاء الآخرين من غَيْر جيرانه حَتَّى يُنفق، حَتَّى يتصدَّقَ حَتَّى يواسِي، ولو كَانُوا فِي غَيْر بلدِه يَكُوْن عِنْدَهُ رحمةٌ، وعنده حرصٌ عَلَى إيصالِ الصدقةِ إِلَى المستحقِّ، سواء فِي بلده أو فِي غَيْر بلدِه يرجُو مَا عِنْدَ اللهِ من المثوبةِ.

هَكَذَا المُؤْمِنُونَ، هَكَذَا الراغبون فِي الخَيْر يَقُوْل الله ﷻ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

الصدقة لها أثرٌ عظيمٌ ولا سيّما على المتعفّفين الّذين ليس لهم

أسبابٌ كما قال ﷺ: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَافِ الَّذِي تردُّه اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَإِنَّمَا المسكين الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ**»(١)، عفيفٌ يستحي أن يسأل النّاس، ولا يفطن له، هذا هو أحقّ النّاس بالصّدقة لعفته وعدم ماله، وهذا يعرف، يعرفه خواصّه وجيرانه وجلساؤه وغيرهم، يعرفونه.

● **س: عفا الله عنك، الرّواية هنا: «فنحتال» والأولى: «نتحامل»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يفعل أيّ شيءٍ لأجل كسب المال، والتّحامل معناه: أنّه يحمل على ظهره، في اللّفظ الآخر: «نحامل».

وأمّا يحتالون الظّاهر معناه واضحٌ؛ يعني: يلتمس أيّ حيلةٍ لكسب المال: الحمل على ظهره، إحضار حاجةٍ لا تحتاج إلى ظهرٍ يحملها على ظهره، قضاء حاجةٍ أخرى بدون حمل شيءٍ إلى غير ذلك؛ يعني: أسباب الرّزق.

● **س: أحسن الله إليك: ردّ الفقراء بدعوى أنّ كلّهم كَذَبةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا غلطٌ وباطل وسوء ظنٍّ، هذا من آفات البخل، دعاه إلى هذا البخل وعدم الحرص على الصّدقة، كذب، ما كلّهم كذبةٌ، فيهم الكاذب وفيهم الصادق، ثمّ إذا أخطأت وأعطيت الكاذب ماذا يضرّك؟! مثل ما في الحديث الصّحيح أن الرّجل تصدّق بصدقةٍ؛ فأصابت غنيًّا، وتصدّق بصدقةٍ؛ فأصابت زانيةً... إلى آخره، قيل: أمّا الغنيّ فلعله يعتبر، وأمّا الزّانية فلعلّها تتوب، وأمّا السّارق فلعلّه يتعفّف؛ فالإنسان يتصدّق ولا عليه، حتّى ولو وقعت في يد غنيٍّ، أجره تامٌّ، والإثم على الكذاب.

● **س: إذًا الأصل ـ أحسن الله إليك ـ أنّه لا يرد؟**

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٤٧٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصل ألّا يرد، أما قرأت قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، ويقول: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى: ١٠]، والله المستعان.

• **س: من عليه دينٌ فهل له أن يتصدّق ولو بشيءٍ قليلٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يتصدّق بالشّيء الّذي يناسبه، بالشّيء الّذي ما يضرّ الدّين.

• **س: بارك الله فيك يا شيخ: هنا عندنا: (أحدّثكم زائدة عن سليمان)؟ عند عبد العزيز «زائدة بن سليمان»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ماذا عندك السّند؟

(من القارئ): حدثني إسحاق بن إبراهيم قال: قلت لأبي أسامة: أحدثكم زائدة عن سليمان عن شقيقٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم زين، زائدة بن قدامة، عن سليمان، سليمان الشيباني، أو سليمان الأعمش محتمل.

• **س: سليمان هو الأعمش؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، اسمه سليمان بن مهران.

• **س: هذا هو شيخ زائدة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محتملٌ، ما أتذكر الآن، لكن ممكن أن زائدة يروي عنه.

❁

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨٠](١).

حدّثني عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لمّا توفّي عبد الله بن أبيٍّ جاء ابنه عبدُ الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه، فأعطاه، ثمّ سأله أن يصلّي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلّي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلّي عليه وقد نهاك ربّك أن تصلّي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ**: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ﴾ **وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ**» قال: إنّه منافقٌ، قال: فصلّى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ [٨٤](٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وكان ﷺ حريصًا على تأليف النّاس وترغيبهم في الخير، وكان عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ رجلًا صالحًا من خيرة الصّحابة رضي الله عنهم، فلمّا جاء يطلب منه القميص، عبد الله يرجو أنّ الله ينفع أباه بذلك؛ لأنّ أباه يتظاهر بالإسلام وهو منافقٌ، رأس المنافقين؛ فأعطاه النّبيّ القميص؛ لعلّ الله أنّ ينفع عبد الله به، ثمّ قال: صلّ عليه؛ فصلّى عليه ﷺ، يرجو أن ينفعه الله بذلك، ويتألف ابنه وأشباهه حتّى أنزل الله في ذلك: ﴿وَلَا

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ﴾... إلخ برقم (٤٦٧٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر برقم (٢٤٠٠).

﴿تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ من عُرف بالنفاق لا يصلّى عليه ولا يستغفر له، نسأل الله العافية.

وهذا ينبغي لوليّ الأمر وللعلماء والأخيار الحرص على التّأليف، لا يكونوا قساةً ولا جافّين، يشرع للأئمة والأمراء والعلماء الحرص على التّأليف واللّين، والرّفق؛ لعلّ الله يهدي بهم من قسا قلبه، ولو أخطئوا في شيءٍ ما يضرّ، لو حرصوا على التّأليف ولا نفع ما يضرّهم؛ لهم أجران إذا أصابوا، ولهم أجرٌ واحدٌ إذا أخطئوا.

فالمقصود من هذا فعل النّبيّ ﷺ، وحرصه على التّأليف يدلّ على أنّه ينبغي لأهل العلم ولولاة الأمور الحرص على تأليف النّاس، والحرص على إدخالهم في الإسلام، واستقامتهم على دين الله، ولو ظنّ بهم السّوء ما لم يعلم يقينًا أنّهم ليسوا أهلًا لذلك.

حتى النّبيّ ﷺ تألّف الكفرة وهم كفرةٌ، تألّفهم وهم كفارٌ في يوم حنينٍ وغير يوم حنينٍ، تألّف النّاس وهم كفارٌ لعلهم يسلمون.

فالتّأليف للكافر ليسلم، والتّأليف لضعيف الإيمان حتّى يقوى إيمانه أمرٌ مطلوبٌ، ولا سيّما الأعيان، أعيان النّاس الّذين إذا أسلموا واهتدوا نفع الله بهم، فتأليفهم من أهمّ المهمات: بالمال، والكلام الطّيّب، والأسلوب الحسن.

ولما تحدّث أنّ النّبيّ ﷺ سيقتل عبد الله بن أبيٍّ جاء ابنه إلى النّبيّ ﷺ؛ فقال: يا رسول الله، إنّي سمعت أنّك ستقتل أبي، فإن كنت فاعلًا فمرني أنا أن أقتله، أنا الّذي أقتله؛ فإنّي لا أحبّ أن أرى شخصًا قتل أبي، فإذا كنت تريد قتل أبي فأنا أقتله بأمرك، فقال: **«لا؛ بَلْ نُحْسِنُ صُحْبَتَهُ»**[1]، عليه الصّلاة والسّلام.

وهذا كلّه من باب التّأليف، هذا يدلّ على حرصه ﷺ على

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٦٢).

التّأليف؛ لأنّ الرجل رئيسٌ في قومه، وكبيرٌ في قومه، وله من يتعلّق به، وكان يتألفه كثيرًا، ويصبر عليه كثيرًا؛ حتّى في حالة موته أجاب ابنه عبد الله وأعطاه قميصًا وصلّى عليه؛ يتألف قومه ويرجو له أن ينفعه الله إن كان سليمًا من النّفاق؛ حتّى فضحه الله وبيّن حاله، وأنّه لا خير فيه وبيّن كفره قال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، فبيّن الله كفرهم، وأنّهم لا حيلة فيهم، ولا رجاء له، نسأل الله العافية.

هذا كلّه يدلّ على أن وليّ الأمر ـ ولا سيّما الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام ـ أحرص النّاس على الخير، ونفع النّاس، وتهدئة الأمور، وجلب القلوب وتأليفها، هكذا ينبغي لولاة الأمور أن يحرصوا مهما أمكن على تأليف القلوب، وجمعها وتأليفها، وعلى الحذر من أسباب الانشقاق والفرقة والاختلاف، ولا سيّما بين الأعيان والكبراء والقادة؛ لأنّ الانشقاق والانقسام يسبّب مشاكل كثيرةً، والتّأليف يترتّب عليه مصالح جمّةٌ.

وكان هذا الرجل قد اصطلحوا على أن يؤمّروه عليهم ويجعلوه ملكًا على المدينة، فلمّا جاء الله بهذا الخير العظيم على يد النّبيّ ﷺ لم يحصل له هذا الأمر، وحيل بينه وبينه، فلم يتمّ له الترئيس عليهم، فشرق بالأمر وشقّ عليه الأمر، وحسد النّبيّ ﷺ، وحسد المسلمين وصار في قلبه من الشّرّ والفساد والبلاء ما فيه من النّفاق؛ حتّى مات على ذلك، نسأل الله السّلامة، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وفي قصّة ابن عمر رضي الله عنهما وقصّة عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ الدّلالة على جواز التّسمية على الأب، وأنّه لا بأس أن يسمّى الإنسان على أبيه؛ فيقال: عبد الله بن عبد الله، محمّد بن محمّد، زيد بن زيدٍ، ولو كان حيًّا؛ لأنّ عبد الله بن أبيٍّ سمى ولده عبد الله، وكان ولده من أصلح النّاس، من خيرة الصّحابة رضي الله عنهم ضدّ أبيه.

وهكذا عبد الله بن عمر سمّى ولده عبد الله بن عبد الله بن عمر، وسمّى الثّاني عبيد الله؛ فدلّ ذلك على أنّه لا حرج بأن يسمّي الإنسان ولده باسمه؛ كما فعل ابن عمر رضي الله عنهما، وكما فعل ابن أبيٍّ، وأقرّه النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام.

كان من عادة النّاس هنا في نجدٍ أنّه لا يسمّى على أبيه إلّا إذا مات أبوه، إذا مات أبوه [وهو] في الحمل سمّوه عليه. أمّا أن يسمّي عليه في حياته فينتقد، فهذا ليس بصحيحٍ، ولا حرج في ذلك، ولا بأس.

• **س**: ...؟[١]

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يظنّون أنّه تفاؤلٌ.

• **س: بارك الله فيك يا شيخ: جارٌ يمنع جاره من المسجد ويقول: لا تصلّ معنا في هذا المسجد واذهب إلى مسجدٍ آخر فله أن يمتنع له؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لماذا؟ ما السبب؟ لا ما يجوز أن يمنعه من المسجد، لكن ينبغي الإصلاح بينهما، الجيران يصلحون بينهم، لا يجوز له أن يمنعه من المسجد هذا غلطٌ.

(**السّائل**): لكن يتهدده يقول: إن لم تفعل..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يُنصح ينصح، لكن هداك إذا أحبّ أن يروح مسجدًا آخر؛ حتّى يبتعد عن الشّرّ، ما يخالف، لكن الجيران ما يخلّونه، إذا عرفوا يتكلّمون عليه وينصحونه ويكفّ عن هذا، الرب جل وعلا قال: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال ﷺ في

---

(١) بياض في الأصل.

الحديث الصّحيح: «**مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**»(١). متفقٌ على صحته.

وقال: «**واللهُ فِي عَوْنِ العَبْد مَا كَانَ العَبْد فِي عَوْنِ أَخِيهِ**». أخرجه مسلمٌ في «الصّحيح»(٢).

فالجيران يتعاونون إذا أخطأ واحدٌ منهم يقومون عليه، لماذا تمنعه؟ ما تستحي على وجهك تمنع أحدًا من بيت الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤]، ما أحدٌ أظلم من هذا الجنس، نسأل الله العافية.

(**السّائل**): ولكن الرجل هذا لو ذهب إلي مسجدٍ آخر لدرء المفسدة يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جزاه الله خيرًا، لكن ما ينبغي يقرّ هذا الظالم؛ ينبغي أن يؤخذ على يديه ينصح، أمّا ذاك يبتعد عن الشّرّ يروح لمسجدٍ آخر.

● **س: ويؤجر على ذلك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يؤجر إذا ترك المشاغبة وراح لمسجدٍ آخر حتّى لا يقع شرٌّ.

● **س: عفا الله عنك: سهم المؤلفة قلوبهم هل للشخص العادي أن يجتهد في تأليف فلانٍ من زكاة ماله أو هذا راجع إلى ولي الأمر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا ما هو لولي الأمر، عام.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الحيل، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه برقم (٦٩٥١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).

• **س: أحسن الله إليك: من ردّ عمال الورش عن المسجد بسبب أن ثيابه متسخةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ينصحهم ويعلّمون، إذا كانوا يلبسون ثيابًا التي صار فيها ريح شين يقال: لا تصلّوا مع النّاس وأنتم فيكم الرّائحة؛ الرّسول ﷺ نهى الّذي يأكل بصلًا أو ثومًا أن يصلّي مع النّاس؛ لئلّا يؤذيهم، وإذا كانت ثيابه فيها ريحٌ شديدةٌ خبيثةٌ ينصحون، يوجّهون إلى الخير.

• **س: من أظهر المعاصي هل يبتسم في وجهه ويتألف؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ينصح يوجّه إلى الخير ويعلّم، ينصح يقال له: اتّق الله، راقب الله، بالأسلوب الحسن، بالطّريقة الطّيّبة؛ لعلّ الله أن يهديه، مثل ما تألّف النّبيّ ﷺ الكفّار، إذا أبى وأصرّ هذا يستحقّ الهجر حينئذٍ، إذا رأى المؤمن الهجر، وأنّه مصلحةٌ هجر.

• **س: شيخ: ما الفرق بين التّأليف والموالاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

التّأليف فعل ما يجرّه إلى الخير ويدعوه إلى الخير، والموالاة ميله مع الكفّار وحبّهم؛ لأجل الطّمع في أموالهم أو قرابتهم.

حدّثنا يحيى بن بكيرٍ، حدّثنا اللّيث، عن عقيلٍ، وقال غيره: حدّثني اللّيث، حدّثني عقيلٌ، عن ابن شهابٍ قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عبّاسٍ عن عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: لمّا مات عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول، دعي له رسول الله ﷺ ليصلّي عليه، فلمّا قام رسول الله ﷺ وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله، أتصلّي على ابن أبيٍّ وقد قال يوم كذا كذا وكذا؟ قال: أعدّد عليه قوله، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «**أخّر عنّي يا عمر**»، فلمّا أكثرت عليه قال: «**إنّي خيّرت فاخترت**،

لو أعلم أنّي إن زدت على السّبعين يغفر له لزدت بها»، قال: فصلّى عليه رسول الله ﷺ، ثمّ انصرف، فلم يمكث إلّا يسيرًا حتّى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾، قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الخُلق العظيم ماذا يؤثّر في النّاس، في عبد الله بن عبد الله وفي غيره؟ هذا الخُلق العظيم سوف يؤثّر الأثر العظيم في محبّة النّاس له ﷺ، وفي تأثرهم بسنّته، وفي إجابتهم لدعوته لخُلقه العظيم، وصبره وسماحته عليه الصّلاة والسّلام.

في الرّواية السّابقة: «زدته»، هنا: (سأزيده على السبعين)، [وكلاهما صحيحةٌ]، تقدمت: «ثم خيّرت».

● **س: والصّواب في اللّفظ: «ثمّ خيّرت وسأزيد على السبعين»؛ لأنّ الظّاهر أنّه زاده؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، هذا الظّاهر، وعد، لكن المقام ما هو مقام يعني رجاء، لكن الظّاهر من السّياق أنّه يعني بيانٌ؛ لأنّه لا حيلة في المغفرة له، ولكن النّبيّ ﷺ أراد أن يفعل شيئًا؛ لعلّه ينفعه؛ لهذا قال: «لو أعلم أنّه ينفعه لزدته».

● **س: أو كأنّه ما تبين له في أوّل الأمر ثمّ بيّن الله له؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

صار عنده شكٌّ في الأوّل؛ حتّى جاء الجزم بالنّهي: وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ﴾... إلخ برقم (٤٦٧١).

أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾، الأوّل على سبيل الرّجاء وعلى سبيل فعل المعروف والتّأليف.

• س: أحسن الله إليك: ما الفرق (سبعين وسبع) ترد كثيرًا في الكتاب وفي السّنّة ما الحكمة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عددٌ من الأعداد.

• س: يا شيخ: حفظك الله لو هجر الإنسان الّذين يظهرون المعاصي في هذا الزمان لهجر أكثر النّاس؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه فائدةٌ، الهجر ما فيه فائدةٌ، الدّعوة أفضل وأنفع هناك ما هم بهاجرين، لكن الدّعوة والتوجيه؛ لعموم البلية وكثرة الشّرّ.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ **[التوبة: ٨٤]**(١).

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يَبْرَأ من المنافقين، وألا يصلي على أحد منهم إذا مات، وألا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا عليه. وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه، وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أُبَيّ بن سلول رأس المنافقين، كما قال البخاري: حدثنا عُبَيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله ـ هو ابن أبي ـ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قميصه يُكَفِّن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسولُ الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله ﷺ: «**إنما خيَّرني الله فقال:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ **وسأزيده على السبعين**». قال: إنه منافق! قال: فصلى عليه رسولُ الله ﷺ فأنزل الله ﷻ، آية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي أسامة حماد بن أسامة، به.

ثم رواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر، عن أنس بن عياض، عن عبيد الله ـ وهو ابن عمر ـ العمري ـ به وقال: فصلى عليه، وصلينا معه، وأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ الآية.

وهكذا رواه الإمام أحمد، عن يحيى بن سعيد القطان، عن عبيد الله، به.

وقد رُوي من حديث عمرَ بن الخطاب نفسه أيضًا بنحو من هذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. اللَّهُمَّ صل وسلم على رسول الله. وهذا يدل على أن من ظهر نفاقه لا يصلى عليه، ولا يقام على قبره، والنفاق: هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، فمن علم أنه يُظهر الإسلام ويبطن الكفر، هذا هو المنافق، وتعرف أحوالهم بما يظهر على ألسنتهم وأعمالهم وفي اجتماعاتهم، يتبين حالهم، وهذا رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، كان النبي ﷺ يتألفهم ويتألفه، ويقدِّر ما يطلبه منه ابنه عبد الله، كان ابنه عبد الله رجلًا صالح، كان عبد الله بن عبد الله رجلًا صالحًا، فالنبي ﷺ أجاب طلبته، وأعطاه القميص، وقام وصلى عليه، حتى نهاه الله عن ذلك، فأنزل الله في هذا: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ

﴿أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، فهذا حكمهم إلى يوم القيامة، نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليك في نسخة: عبيد الله بن نافع عن ابن عمر؟

الشيخ: لا، عبيد الله بن عمر عن نافع عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم نعم. عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: سمعت عمرَ بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. يقول لما تُوفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولتُ حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أعلى عَدُوِّ الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا: كذا وكذا ـ يُعَدِّد أيامه ـ قال: ورسول الله ﷺ يتبسم، حتى إذا أكثرت عليه قال: «**أخِّر عني يا عمر، إني خُيِّرت فاخترتُ، قد قيل لي**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، **لو أعلم أني إن زدت على السبعين غُفر له لزدت**». قال: ثم صلى عليه، ومشى معه، وقام على قبره حتى فُرغ منه ـ قال: فَعَجَبٌ لي وجراءتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم! قال: فوالله ما كان إلا يسيرًا حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾، فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق، ولا قام على قبره، حتى قبضه الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهكذا رواه الترمذي في «التفسير» من حديث محمد بن إسحاق، عن الزهري، به وقال: حسن صحيح. ورواه البخاري عن يحيى بن

بُكَير، عن الليث، عن عُقَيل، عن الزهري، به، فذكر مثله وقال: «**أخّر عني يا عمر**». فلما أكثرت عليه قال: «**إنِّي خُيِّرت فاخترتُ، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين يُغْفَر له لزدت عليها**». قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ الآية، فعجبتُ بعد من جُرْأتي على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عُبَيد، حدثنا عبد الملك، عن أبي الزبير، عن جابر قال: لما مات عبد الله بن أبيّ، أتى ابنه النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك إن لم تأته لم نزل نُعَيَّر بهذا. فأتاه النبي ﷺ، فوجده قد أدخل في حفرته، فقال: أفلا قبل أن تدخلوه! فَأخرجَ من حُفرته، وتَفَل عليه من قرنه إلى قدمه، وألبسه قميصه.

ورواه النسائي، عن أبي داود الحراني، عن يعلى بن عبيد، عن عبد الملك ـ وهو ابن أبي سليمان به

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يدل على رحمته عليه الصلاة والسلام وحرصه على الخير لأمته عليه الصلاة والسلام، فكان أحرص الناس على الخير كما بيَّن الله ذلك عنه، هو عليه الصلاة والسلام يحب لأمته كل خير، ويحب لأمته كل ما يسبب سعادتهم ونجاتهم، ولكن أمر الله غالب في عبد الله لكفره وضلاله، نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليكم! في نسخة شيخ الإمام أحمد: محمد بن أبي عبيد؟

الشيخ: لا ابن عبيد.

مداخلة: تفل النبي ﷺ وإلباسه القميص ألا يخفف عنه من العذاب؟

الشيخ: قد.. هذا لما طلبه منه ابنه، لا، الكافر ما فيه حيلة، نسأل الله العافية.

مداخلة: ما يخفف عنه؟

الشيخ: الله أعلم..

مداخلة: أحسن الله إليكم! يوجد من بعض الكتَّاب السخرية ببعض أحكام الإسلام والاستهزاء بوضع المرأة في الإسلام، وهم ينتسبون للإسلام، فإذا ماتوا هل يصلى عليهم؟

الشيخ: من يستهزي كافر، من يستهزئ بأحكام الإسلام كافر: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

مداخلة: ومثله! الشعراء الذين يتكلمون ويستهزئون يدخلون؟

الشيخ: كلها الشاعر وغير الشاعر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن عثمان، أخبرنا ابن عُيَينة، عن عمرو، سمع جابر بن عبد الله قال: أتى النبيّ ﷺ عبد الله بن أبيّ بعد ما أدخل في قبره، فأمر به فأخرج، ووضع على ركبتيه، ونفث عليه من ريقه، وألبسه قميصه، والله أعلم.

وقد رواه أيضًا في غير موضع مع مسلم والنسائي، من غير وجه، عن سفيان بن عيينة، به.

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى، حدثنا مجالد، حدثنا عامر، حدثنا جابر (ح) وحدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبد الرحمٰن بن مغراء الدوسي، حدثنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر قال: لما مات رأس

المنافقين ـ قال يحيى بن سعيد: بالمدينة ـ فأوصى أن يصلي عليه النبي ﷺ، فجاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أبي أوصى أن يكفن في قميصك ـ وهذا الكلام في حديث عبد الرحمٰن بن مغراء ـ قال يحيى في حديثه: فصلى عليه، وألبسه قميصه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ وزاد عبد الرحمٰن: وخلع النبي ﷺ قميصه، فأعطاه إياه، ومشى فصلى عليه، وقام على قبره، فأتاه جبريل عليه السلام، لما ولَّى قال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ وهذا إسناد لا بأس به، وما قبله شاهد له.

وقال الإمام أبو جعفر الطبري: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو أحمد، حدثنا حماد بن سلمة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس: أن رسول الله ﷺ أراد أن يصلي على عبد الله بن أبيّ، فأخذ جبريل بثوبه وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾.

ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده، من حديث يزيد الرقاشي وهو ضعيف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا باطل؛ لأن الأحاديث الصحيحة الثابتة دلت على أنه صلى عليه، وحديث يزيد الرقاشي مثلما قال المؤلف: لا يعتمد عليه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال قتادة: أرسل عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله ﷺ وهو مريض، فلما دخل عليه قال له النبي ﷺ: «**أهلكك حبّ يهود**». قال: يا رسول الله، إنما أرسلتُ إليك لتستغفر لي، ولم أرسل إليك لتؤنبني! ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه، فأعطاه إياه، وصلى عليه، وقام على قبره، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾.

وقد ذكر بعض السلف أنه إنما ألبسه قميصه؛ لأن عبد الله بن أُبيّ

لما قدم العباس طُلب له قميص، فلم يُوجَد على تفصيله إلا ثوب عبد الله بن أُبيّ؛ لأنه كان ضخمًا طويلًا ففعل ذلك به رسول الله ﷺ، مكافأة له، فالله أعلم، ولهذا كان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية الكريمة عليه لا يصلي على أحد من المنافقين، ولا يقوم على قبره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الأظهر والله أعلم أنه حرص على نفعه، لعله يحصل له بذلك الخير، فألبسه القميص ونفث عليه وصلى عليه، كله يحب له الخير، لكنه ليس أهلًا للخير لكفره وضلاله نسأل الله العافية؟ فلهذا لم تنفعه صلاة النبي ﷺ، ولم ينفعه ما فعله النبي ﷺ؛ لكفره وضلاله نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

كما قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن أبيه، حدثني عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دعي لجنازة سأل عنها، فإن أثني عليها خيرًا قام فصلى عليها، وإن أثني عليها غير ذلك قال لأهلها: «شأنكم بها»، ولم يصل عليها.

وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على جنازة من جُهِل حاله، حتى يصلي عليها حذيفة بن اليمان؛ لأنه كان يعلم أعيان منافقين قد أخبره بهم رسول الله ﷺ؛ ولهذا كان يقال له: «صاحب السر» الذي لا يعلمه غيره أي من الصحابة.

وقال أبو عُبَيد في كتاب «الغريب»، في حديث عُمَر أنه أراد أن يصلي على جنازة رجل، فَمرَزَه حُذيفة، كأنه أراد أن يَصُده عن الصلاة عليها، ثم حكي عن بعضهم أن «المرز» بلغة أهل اليمامة هو: القَرْص بأطراف الأصابع.

ولما نهى الله عز وجل، عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم للاستغفار لهم، كان هذا الصنيعُ من أكبر القُرُبات في حق المؤمنين، فشرع ذلك. وفي فعله الأجر الجزيل، لما ثبت في الصحاح وغيرها من

حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من شهد الجنازة حتى يصلّي عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان**». قيل: وما القيراطان؟ قال: «**أصغرهما مثل أحد**».

وأما القيام عند قبر المؤمن إذا مات فقد قال أبو داود: حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي، أخبرنا هشام، عن عبد الله بن بَحير، عن هانئ ـ وهو أبو سعيد البربري، مولى عثمان بن عفان ـ عن عثمان رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**»(١)، انفرد بإخراجه أبو داود رحمه الله.

الأسئلة:

● **س: من عرف عن رجل نفاقه هل يحرم عليه أن يذهب ليصلي مع المسلمين؟**

○ **الجواب**: إذا عرف نفاقه النفاق الأكبر، لا يصلي عليه.

مداخلة: ويجوز للناس..؟

الشيخ: لا يجوز يصلي عليه.

مداخلة: وإذا صلى بارك الله فيكم له قيراطان؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: وإذا صلى له قيراطان؟

الشيخ: إذا صلى وتابع الجنازة له قيراطان، الصلاة قيراط والمتابعة قيراط.

مداخلة: حتى لو كان منافق؟

الشيخ: لا، لا المنافق لا يصلى عليه، المنافق يأثم ما يصلى عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت برقم (٣٢٢١).

مداخلة: من كان متهاونًا في الصلاة؟

الشيخ: الذي ما يصلي كافر، نسأل الله العافية.

● **س: هل استحباب الوقوف على قبر الميت؟**

○ **الجواب**: يستحب.. يقف عليه، (كان النبي ﷺ إذا مر من عنده وقف عليه وقال: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**»[١].

مداخلة: مع رفع اليدين؟

الشيخ: لا، ما يحتاج رفع اليدين.

● **س: صلاة الناس على الموتى الذين يدعون الجن؟**

الشيخ: ما يجوز، من كان يعرف بالشرك لا يصلى عليه، كالمنافق نسأل الله العافية.

حكم رفع اليدين عند الدعاء للميت.

● **س: عندما ذهب الرسول عليه السلام إلى البقيع، ذهب إلى البقيع رفع يديه وهو يستغفر؟**

○ **الجواب**: تقول عائشة: في آخر حياته أنه ذهب إلى القبور في آخر الليل، ورفع يديه ودعا لهم، نعم. أما عند.. بعد دفن الميت ما وجد.. ما جاء ما يدل على الرفع، يدعو لهم وينصرف.

مداخلة: لكن العمومات، عمومات رفع اليدين؟

الشيخ: لو رفع لنقل، لو رفع النبي ﷺ لنقل.. ترك الرفع في هذا أولى؛ لأنه لم ينقل.

● **س: الفرق... وبين قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾، ﴿وَلَا تَقُمْ﴾، في الآية ما الفرق بين: ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾، ﴿وَلَا تَقُمْ﴾؟**

---

(١) سبق تخريجه في (ص٤٩٠).

○ **الجواب**: ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾، الصلاة المعروفة، والقيام، القيام على القبر للدعاء له.

مداخلة: يا شيخ عند الوقوف القبر والدعاء عليه باليدين؟

الشيخ: هذا الظاهر، الدعاء بدون رفع اليدين، نعم. لأنه لم ينقل، أقول: لم ينقل فيما نعلم، إلا لما نقلت عائشة أنه خرج في آخر الليل، وزار القبور ورفع يديه في آخر حياته.. في آخر الليل.. زارهم ورفع يديه ودعا لهم، هذا لا بأس.

مداخلة: ما يكون دليل على الرفع؟

الشيخ: تركه أولى وأحوط.. أحوط، نعم.

● **س: عفا الله عنك يا شيخ، من تاب زمن الاحتضار قبل خروج الروح هل تصح توبته يا شيخ؟**

○ **الجواب**: من تاب تاب الله عليه، ما دام عقله معه تقبل توبته، إذا تاب توبة صادقة قبل خروج الروح وفيه عقل.

● **س: الجنائز التي تأتي إلى المسجد الحرام هل تبنى على الستر يعني وسلامة....؟**

○ **الجواب**: الأصل في المسلم الصلاة عليه، هذا هو الأصل في المسلم، اللَّهُمَّ صلِّ عليه.

*

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ **[التوبة: ٨٤]**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وفي قوله: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾، دلالةٌ على أن المؤمن يقام على قبره ويدعا له، أمّا المنافق والكافر فلا يقام على قبره، لكن المؤمن يقام

على قبره ويدعى له بالثّبات، وكان النّبيّ ﷺ إذا فرغ من الميت وقف عليه وقال: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**»(١)، هذا هو تفسير هذه الآية: ﴿وَلَا نَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

● **س: القيام الوقوف؛ يَعْنِي: ولو قليلًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، ولو قليلًا، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

حدّثني إبراهيم بن المنذر، حدّثنا أنس بن عياضٍ، عن عبيد الله، عن نافعٍ، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّه قال: لمّا توفّي عبد الله بن أبيٍّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفّنه فيه، ثمّ قام يصلّي عليه، فأخذ عمر بن الخطّاب بثوبه، فقال: تصلّي عليه وهو منافقٌ، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال: «**إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ، أَوْ أَخْبَرَنِي اللهُ، فَقَالَ:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾»، فقال: «**سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ**»، قال فصلّى عليه رسول الله ﷺ، وصلّينا معه، ثمّ أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا نَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر، الله أكبر، نسأل الله العافية.

وهذا يبيّن أنّ من عُرف نفاقه فلا يصلّى عليه؛ لأنّه من أكفر النّاس، ولو قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمّدًا رسول الله؛ لأنّ

---

(١) سبق تخريجه في (ص٤٩٠).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا نَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ (٤٦٧٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٢٤٠٠).

كفره أعظم من كفر من أعلن كفره، والنّبيّ ﷺ كان حريصًا على ما ينفع أمته، وحريصًا على تأليفهم ورعاية نفوسهم؛ ليطمئنّوا؛ ولهذا راعى نفس عبد الله بن عبد الله وأجابه إلى إعطائه القميص والصّلاة عليه.

كلّ هذا من باب التّأليف والرّحمة والعطف، وحُسن الخلق ما لم يتبيّن أمرٌ لا حيلة فيه من التّحريم فيمنع.

وتقدّم أنّ هذا يدلّ على حسن خُلقه ﷺ، والحرص على تأليف قلوب أصحابه، وحرصه على جمع كلمتهم وتعاونهم على الخير.

وهكذا يجب على ولاة الأمور، وعلى أهل العلم، وعلى أعيان النّاس أن يحرصوا على التّواضع، وتأليف القلوب، والرّحمة والإحسان وعدم التّكبّر؛ لما في هذا من جمع الكلمة، والتعاون على الخير.

• **س: متى هلك ابن أبيٍّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في السّنة العاشرة، في آخر حياة النّبيّ ﷺ في السّنة العاشرة.

• **س: أحسن الله إليك: في عهد النّبيّ ﷺ كان فيه وحيٌ فعرف المنافقين، في زماننا هذا كيف يعرفون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعرفون بأعمالهم وأقوالهم.

• **س: لكن يا شيخ: «إنما خيَّرني الله أو أخبرني»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شكٌّ من الرّاوي، تقدّم أنه: «**خيَّرنِي**» ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ «**خيَّرنِي**». تقدّم في الرّواية من دون شكٍّ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٨٦ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٨٧﴾ [التوبة: ٨٦، ٨٧][1].

يقول تعالى منكرًا وذامًّا للمتخلفين عن الجهاد، الناكلين عنه مع القدرة عليه، ووجود السعة والطَّوْل، واستأذنوا الرسول في القعود، وقالوا: ﴿ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٨٦﴾ ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء، وهن الخوالف، بعد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس، وإذا كان أَمْنٌ كانوا أكثر الناس كلامًا، كما قال الله تعالى، عنهم في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أي: علت ألسنتهم بالكلام الحاد القوي في الأمن، وفي الحرب أجبن شيء، وكما قال الشاعر:

أفي السّلم أعيارًا جفَاءً وَغلْظَةً وَفي الحَرْب أشباهُ النّسَاءِ العَوارِكِ

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ مُّحۡكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ ۝٢١ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٢٠ ـ ٢٢].

وقوله: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾؛ أي: بسبب نكولهم عن الجهاد والخروج مع الرسول في سبيل الله، ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٨٧﴾؛ أي: لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه، ولا ما فيه مضرة لهم فيجتنبوه.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيجتنبوه. نعم. هذا من جهلهم وضلالهم ونفاقهم، نسأل الله العافية! جبناء عند الحرب وإذا جاء السلم تكلموا وصاحوا وقالوا وتكلموا، وهذا من حال.. من صفات المنافقين والجبناء. نسأل الله العافية! الواجب على المؤمن: أن يكون قويًا نشيطًا حسب طاقته في جميع الأحوال يرجو الله ويخافه ويريد الدار الآخرة فهو قوي نشيط في الحرب مع إخوانه يشجع ويعين ويبذل وسعه، وهكذا في السلم.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [التوبة: ٩١ - ٩٣][(١)].

ثم بيَّن تعالى الأعذار التي لا حَرَج على من قعد فيها عن القتال، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد، ومنه العمى والعَرَج ونحوهما، ولهذا بدأ به. ما هو عارض بسبب مرض عَنَّ له في بدنه، شغله عن الخروج في سبيل الله، أو بسبب فقره لا يقدر على التجهز للحرب، فليس على هؤلاء حَرَج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم، ولم يرجفوا بالناس، ولم يُثَبِّطوهم، وهم محسنون في حالهم هذا؛ ولهذا قال: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال سفيان الثوري، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي ثمامة ﷺ، قال: قال الحواريون: يا روح الله، أخبرنا عن الناصح لله؟ قال: الذي يُؤثِر حق الله على حق الناس، وإذا حدث له أمران ـ أو: بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة ـ بدأ بالذي للآخرة ثم تفرغ للذي للدنيا.

وقال الأوزاعي: خرج الناس إلى الاستسقاء، فقام فيهم بلال بن سعد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر من حضر: ألستم مقرِّين بالإساءة؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم. فقال: اللَّهُمَّ، إنا نسمعك تقول: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ اللَّهُمَّ، وقد أقررنا بالإساءة فاغفر لنا وارحمنا واسقِنا. ورفع يديه ورفعوا أيديهم فَسُقوا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود: أن الضعفاء لا حرج عليهم، لكن عليهم أن ينصحوا لله ولعباده، عليهم أن يشجعوا على الخير، وأن يتكلموا بالحق، مع عجزهم عليهم أن ينصحوا لله ولعباده، وأن يتكلموا بالخير، ويشجعوا الناس على الخير حتى يكونوا مجاهدين بالكلام الطيب، والتشجيع، والترغيب في الخير والحث على مساعدة المسلمين ونصرهم.. هكذا، ولهذا قال: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ هو لا حرج عليهم لضعفهم أو عجزهم، لكن عليهم النصيحة لله ولعباده. نعم. وعدم التثبيط.

مداخلة: عفا الله عنك يا شيخ! في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [التوبة: ٩٠] هل الله ﷻ قبل عذرهم؟

الشيخ: ظاهر كلام المؤلف رجح هذا القول أنهم يعني لهم أعذار أوجبت قعودهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال قتادة: نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو المزني.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي، حدثنا ابن جابر، عن ابن فروة، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن

زيد بن ثابت قال: كنت أكتبُ لرسول الله ﷺ، فكنت أكتب «براءة» فإني لَواضعُ القلم على أذني إذ أمرْنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه، إذا جاء أعمى فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فأنزل الله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ الآية

وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية: وذلك أن رسول الله ﷺ أمرَ الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءته عصابة من أصحابه، فيهم عبد الله بن مُغَفَّل المزني فقالوا: يا رسول الله، احملنا. فقال لهم: «والله لا أجد ما أحملكم عليه». فتولوا ولهم بكاء، وعزَّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقة ولا محملًا. فلما رأى الله حرْصَهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ نزلت في بني مقرن من مزينة.

وقال محمد بن كعب: كانوا سبعة نفر، من بني عمرو بن عوف: سالم بن عُمَيْر، ومن بني واقف: هَرَمي بن عمرو - ومن بني مازن بن النجار: عبد الرحمٰن بن كعب، ويكنى أبا ليلى - ومن بني المُعَلى: [سلمان بن صخر - ومن بني حارثة: عبد الرحمٰن بن يزيد، أبو عبلة، وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه، ومن بني سَلِمة: عمرو بن عَنَمة وعبد الله بن عمرو المزني.

وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك: ثم إن رجالًا من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ، وهم البكَّاءون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، من بني عمرو بن عوف: سالم بن عُمَير وعلبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمٰن بن كعب، أخو بني مازن بن

النجار، وعمرو بن الحمام بن الجموح، أخو بني سَلِمة، وعبد الله بن المُغَفَّل المزني؛ وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله بن عمرو المزني، وهَرَميّ بن عبد الله، أخو بني واقف، وعِرْباض بن سارية الفزاري، فاستحملوا رسول الله ﷺ، وكانوا أهل حاجة، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حَزَنًا ألا يجدوا ما ينفقون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبين أن من تأخر عن الجهاد أو عن عمل صالح بسبب العذر يكون له أجر العاملين فضلًا من الله ﷻ، ومن هذا قوله ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**» رواه البخاري(١)، وبهذا الحديث: «**إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»(٢)، وفي اللفظ الآخر: «**إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ**»(٣)، قالوا: وهم بالمدينة؟! قال: «**وهم بالمدينة، حبسهم العذر**».

فالمقصود: أن الذي يتأخر عن الجهاد وهو يريد الجهاد، وهو يرغب الجهاد لولا العذر لولا المرض لولا العجز، يكون له أجر المجاهدين، وهكذا الذي يتأخر عن الصيام أو نوافل الصلاة أو غير ذلك بسبب المرض أو السفر يكون له أجر من فعل فضلًا من الله ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمر بن الأودي، حدثنا وَكيع، عن الربيع، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد خلَّفتم بالمدينة**

---

(١) سبق تخريجه في (٦/ ١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الغزو برقم (٢٨٩٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر برقم (١٩١١).

أقوامًا، ما أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم واديًا، ولا نلتم من عدوٍّ نيلًا إلا وقد شَركوكم في الأجر»، ثم قرأ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ الآية.

وأصل هذا الحديث في الصحيحين من حديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديًا، ولا سرتم مسيرًا إلا وهم معكم**». قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: «**نعم، حبسهم العذر**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد خلَّفتم بالمدينة رجالًا ما قطعتم واديًا، ولا سلكتم طريقًا إلا شَركوكم في الأجر، حبسهم المرض**»(١).

ورواه مسلم، وابن ماجه، من طرق، عن الأعمش، به.

ثم رد تعالى الملامة على الذين يستأذنون في القعود وهم أغنياء، وأنَّبهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرحال، ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٩٣﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٩٤ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٥ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٩٦﴾ **[التوبة: ٩٤ ـ ٩٦]**(٢).

أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يعتذرون

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٠٠).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

إليهم، ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾؛ أي: لن نصدِّقكم، ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾؛ أي: قد أعلمنا الله أحوالكم، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾؛ أي: سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾؛ أي: فيخبركم بأعمالكم، خيرها وشرها، ويجزيكم عليها.

ثم أخبر عنهم أنهم سيحلفون معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تُؤَنِّبُوهم، ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ احتقارًا لهم، ﴿إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ﴾؛ أي: خُبثاء نجس بواطنهم واعتقاداتهم، ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾ في آخرتهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾؛ أي: من الآثام والخطايا.

وأخبر أنهم وإن رضوا عنهم بحلفهم لهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾؛ أي: الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله، فإن الفسق هو الخروج، ومنه سمِّيت الفأرة «فُوَيسقة» لخروجها من جُحرها للإفساد، ويقال: «فسقت الرطبة»: إذا خرجت من أكمامها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه التحذير من النفاق، والاعتذار مما أوجب الله بغير حق، وأن هذا عند الله جَلَّ وَعَلَا سبب للغضب والعاقبة الوخيمة، هكذا المنافقون يعتذرون وهم كاذبون، فهذه عاقبتهم. نسأل الله العافية.

﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ﴾، يعني: نجس ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾، هذا وعيد عظيم ـ نسأل الله العافية ـ وما ذاك إلا لعدم إيمانهم في الباطن، وتظاهرهم بالإسلام كذبًا وزورًا، نسأل الله العافية. فالواجب على المؤمن: الصدق في قوله وعمله. هذا هو الإيمان، أن يكون صادقًا في قوله وعمله، في جهاده، في صلاته، في صومه، في جميع نفقاته، في كل شيء أن يكون صادقًا يرجو ثواب الله والدار الآخرة، لا رياءً ولا

سمعة، نسأل الله العافية. ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، نسأل الله العافية.

مداخلة: هذا رجل في أسرة كلها نساء ليس فيهم إلا هو رجل، وهو الذي يعولهم، هل يكون هذا من الأعذار؟ عن التخلف عن الجهاد؟

الشيخ: نعم، إذا كان عنده عائلة يقوم عليها هذا من العذر، في بعض الغزوات النبي ﷺ: أمر أن يخرج من كل اثنين واحد، وواحد يبقى عند العائلة.

مداخلة: الحديث ثابت؟

الشيخ: نعم.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٥﴾ [التوبة: ٩٥][1].

حدّثنا يحيى، حدّثنا اللّيث، عن عقيلٍ، عن ابن شهابٍ، عن عبد الرّحمن بن عبد الله أنّ عبد الله بن كعب بن مالكٍ قال: سمعت كعب بن مالكٍ حين تخلّف عن تبوك: «والله ما أنعم الله عليّ من نعمةٍ بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الّذين كذبوا حين أنزل الوحي: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى: ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٩٦﴾»[2].

*

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾... إلخ برقم (٤٦٧٣)، ومسلم =

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة: ٩٧ ـ ٩٩][1].

أخبر تعالى أن في الأعراب كفارًا ومنافقين ومؤمنين، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد، وأجدر؛ أي: أحرى ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، كما قال الأعمش عن إبراهيم قال: جلس أعرابي إلى زيد بن صَوْحان وهو يحدث أصحابه، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوَند، فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتريبني، فقال زيد: ما يُريبك من يدي؟ إنها الشمال. فقال الأعرابي: والله ما أدري، اليمين يقطعون أو الشمالَ؟ فقال زيد بن صوحان صدق الله: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مَهْدِي، حدثنا بن مُنَبِّه، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتُتِنَ**»[2] ورواه أبو داود، والترمذي،

= في كتاب الصلاة، باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه برقم (٧١٦).

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصيد، باب في اتباع الصيد برقم (٢٨٥٩)، والترمذي في كتاب الفتن، باب برقم (٢٢٥٦)، والنسائي في كتاب الصيد، باب اتباع الصيد برقم (٤٣٠٩)، والإمام أحمد (١/ ٣٥٧).

والنسائي من طرق، عن سفيان الثوري، به وقال الترمذي: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث الثوري.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الرواية الأخرى: «**وَمَنْ لَزِمَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ**»(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي لم يبعث الله منهم رسولًا وإنما كانت البعثة من أهل القرى، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩]، ولما أهدى ذلك الأعرابي تلك الهدية لرسول الله ﷺ فردَّ عليه أضعافها حتى رضي، قال: «لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قُرشي، أو ثَقَفي أو أنصاري، أو دَوْسِيّ؛ لأن هؤلاء كانوا يسكنون المدن: مكة، والطائف، والمدينة، واليمن، فهم ألطف أخلاقًا من الأعراب: لما في طباع الأعراب من الجفاء.

حديث الأعرابي في تقبيل الولد: قال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كُرَيْب قالا: حدثنا أبو أسامة وابن نُمَيْر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبِّلون صبيانكم؟ قالوا: «**نعم**». قالوا: ولكنا والله ما نقبِّل. فقال رسول الله ﷺ: «**وَأَمْلِكُ أن كان الله نزع منكم الرحمة؟**»(٢). وقال ابن نمير: «من قلبك الرحمة».

مداخلة: الحديث السابق يصح إسناده يا شيخ؟!

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصيد، باب في اتباع الصيد برقم (٢٨٦٠).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم (٥٩٩٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، وفضل ذلك برقم (٢٣١٧).

الشيخ: لا بأس ظاهر السند لا بأس به، تكلم عليه شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو الراوي في الحديث هذا، هذه علته، يراجع كلام الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ذكر طرقه في اقتضاء الصراط المستقيم. ولو صح معناه: من تبع الصيد: يعني أكثر من تتبع الصيود يغفل عن التفقه في دينه، وكذلك سكنى البادية: يبعد عن العلم وعن مجالس العلم فتحصل له الغفلة، وكذلك من لزم السلطان: قد يفتتن بالدنيا وشهواتها، لو صح الحديث. نسأل الله السلامة

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٩٧﴾؛ أي: عليم بمن يستحق أن يعلِّمه الإيمان والعلم، ﴿حَكِيمٌ ۝٩٧﴾ فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والإيمان والكفر والنفاق، لا يسأل عما يفعل، لعلمه وحكمته.

وأخبر تعالى أن منهم ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾؛ أي: في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾؛ أي: غرامة وخسارة، ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾؛ أي: ينتظر بكم الحوادث والآفات، ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾؛ أي: هي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٩٨﴾؛ أي: سميع لدعاء عباده، عليم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾، هذا هو القسم الممدوح من الأعراب، وهم الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله، ويبتغون بذلك دعاء الرسول لهم، ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾؛ أي: ألا إن ذلك حاصل لهم، ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٩﴾.

الأسئلة:

حكم قراءة آية (الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا..) أمام الأعرابي:

● **س: هل يأثم من قرأها عليهم هذه الآية؟**

○ **الجواب**: إذا رأى منه شر ما يأثم.

مداخلة: لكن هل ينكر على من استشهد بهذا على الأعراب.

الشيخ: إذا رأى منهم الشر للتحذير والترهيب.

مداخلة: حتى إذا كانت خصومة بينه وبينهم يستغل الآية، هذا معناه؟

الشيخ: المقصود: إذا رأى منه الشر إذا كان ظلمه وتعدى عليه، وإلا فالواجب الحذر لا يرميه بما ليس منه، بما هو منه براء. نسأل الله العافية.

● **س: حكم تسمية الولد إسرائيل؟**

○ **الجواب**: لا بأس، ما في بأس.

❊

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١][(١)].

يخبر تعالى رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، أن في أحياء العرب ممن حول المدينة منافقين، وفي أهل المدينة أيضًا منافقون ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾؛ أي: مرنوا واستمروا عليه، ومنه يقال: شيطان مريد ومارد، ويقال: تمرد فلان على الله؛ أي: عتا وتجبر.

وقوله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ الآية [محمد: ٣٠]؛

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين. وقد كان يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقًا، وإن كان يراه صباحًا ومساء، وشاهد هذا بالصحة ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال:

حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن النعمان بن سالم، عن رجل، عن جُبَير بن مطعم ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة، فقال: «**لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في جُحر ثعلب وأصغى إليَّ رسول الله ﷺ برأسه**» فقال: «**إن في أصحابي منافقين**» ومعناه: أنه قد يبوح بعض المنافقين والمرجفين من الكلام بما لا صحة له، ومن مثلهم صَدَر هذا الكلام الذي سمعه جُبَير بن مطعم. وتقدم في تفسير قوله: ﴿**وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ**﴾ [التوبة: ٧٤] أنه ﷺ أعلم حُذَيفة بأعيان أربعة عشر أو خمسة عشر منافقًا، وهذا تخصيص لا يقتضي أنه اطلع على أسمائهم وأعيانهم كلهم، والله أعلم.

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة «أبي عمر البيروتي» من طريق هشام بن عمار: حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا بن جابر، حدثني شيخ بيروت يكنى أبا عمر، أظنه حدثني عن أبي الدرداء؛ أن رجلًا يقال له «حرملة» أتى النبي ﷺ فقال: الإيمان هاهنا ـ وأشار بيده إلى لسانه ـ والنفاق هاهنا ـ وأشار بيده إلى قلبه ولم يذكر الله إلا قليلًا. فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجعل له لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وارزقه حُبّي، وحبَّ من يحبني، وصَيِّر أمره إلى خير**». فقال: يا رسول الله، إنه كان لي أصحاب من المنافقين وكنت رأسًا فيهم، أفلا آتيك بهم؟ قال: «**من أتانا استغفرنا له، ومن أصر على دينه فالله أولى به، ولا تخرقن على أحد سترًا**»

قال: وكذا رواه أبو أحمد الحاكم، عن أبي بكر الباغندي، عن هشام بن عمار، به.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن قتادة في هذه الآية أنه قال:

ما بال أقوام يتكلفون علم الناس؟ فلان في الجنة وفلان في النار. فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال: لا أدري! لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأحوال الناس، ولقد تكلفت شيئًا ما تكلفه الأنبياء قبلك. قال نبي الله نوح: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢] وقال نبي الله شعيب: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٦]، وقال الله لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾...

مداخلة: أحسن الله إليك! (لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأحوال الناس.

الشيخ: عندك بنصيبك؟

القاري: نعم.

الشيخ: الله أعلم، من عزاه له وقال من أحمد

الشيخ: ضع نسخة: (بنفسك) هذا من كلامه هو، من كلام قتادة، والأمر سهل؛ (بنفسك) نسخة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس في هذه الآية قال: قام رسول الله ﷺ خطيبًا يوم الجمعة فقال: «**اخرج يا فلان، فإنك منافق، واخرج يا فلان فإنك منافق**». فأخرج من المسجد ناسًا منهم، فضحهم. فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا، واختبئوا هم من عمر، ظنوا أنه قد علم بأمرهم. فجاء عمر فدخل المسجد فإذا الناس لم يصلوا، فقال له رجل من المسلمين: أبشر يا عمر، قد فضح الله المنافقين اليوم. قال ابن عباس: فهذا العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد، والعذاب الثاني عذاب القبر. وكذا قال الثوري، عن السدي، عن أبي مالك نحو هذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود: أن الله جَلَّ وَعَلَا يحذرنا من صفات المنافقين: ﴿وَمِمَّنْ

حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾، فالواجب على المؤمن: أن يحذر أخلاقهم الذميمة فإنها تجر إلى النفاق الأكبر، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، هذه الصفات الذميمة تجر إلى النفاق الأكبر. نسأل الله العافية. فيجب على المؤمن الحذر من أخلاقهم، يقول ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[1]، هذه علامته الظاهرة، ويقول ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[2]. ومن صفاتهم يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣]؛ فالمؤمن يحذر هذه الأخلاق الذميمة. ويقول ﷺ: «**إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»[3]. فأنت يا عبد الله! احذر أن يصيبك ما أصاب غيرك، واحذر أخلاقهم الذميمة، وصفاتهم الذميمة التي تجر إلى النفاق الأكبر الذي هو شر من الكفر، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. نسأل الله العافية.

مداخلة: أقول: هل ثبت أن النبي ﷺ صرح بأسمائهم في خطبة الجمعة؟

الشيخ: الله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٧٤) و(٥/ ٤٤٠).
(٢) سبق تخريجه في (١/ ٢٧٤) و(٥/ ٤٤٠).
(٣) سبق تخريجه في (٦/ ٣٤٢).

مداخلة: بارك الله فيكم! هذا الحديث وحديث ابن عياض عن أبيه في مسند الإمام أحمد يقوي بعضه بعضًا؟

الشيخ: يحتاج تأمل.

مداخلة: يصل إلى درجة الحسن بارك الله فيك؟

الشيخ: يحتاج تأمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال مجاهد في قوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، يعني: القتل والسباء وقال - في رواية - بالجوع، وعذاب القبر، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

وقال ابن جريج: عذاب الدنيا، وعذاب القبر، ثم يردون إلى عذاب النار.

وقال الحسن البصري: عذاب في الدنيا، وعذاب في القبر. وقال عبد الرحمٰن بن زيد: أما عذاب في الدنيا فالأموال والأولاد، وقرأ قول الله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٥٥]. فهذه المصائب لهم عذاب، وهي للمؤمنين أجر، وعذاب في الآخرة في النار ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ قال: النار.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال: هو - فيما بلغني - ما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه، عذاب الآخرة والخلد فيه.

وقال سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ عذاب الدنيا، وعذاب القبر، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أسرَّ إلى حذيفة باثني عشر رجلًا من المنافقين، فقال: «**ستة منهم تكفيكهم الدُّبَيْلة: سراج من نار جهنم، يأخذ**

في كتف أحدهم حتى يفضي إلى صدره، وستة يموتون موتًا». وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا مات رجل ممن يُرى أنه منهم، نظر إلى حذيفة، فإن صلى عليه وإلا تركه. وَذُكر لنا أن عمر قال لحذيفة: أنشدك بالله، أمنهم أنا؟ قال: لا. ولا أومن منها أحدًا بعدك.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ **[التوبة: ١٠٢]**[١].

لما بَيَّن تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغَزاة رغبة عنها وتكذيبًا وشكًّا، شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلًا وميلًا إلى الراحة، مع إيمانهم وتصديقهم بالحق، فقال: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين رَبِّهم، ولهم أعمال أخرَ صالحة، خلطوا هذه بتلك، فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه.

وهذه الآية ـ وإن كانت نزلت في أناس معينين ـ إلا أنها عامة في كل المذنبين الخاطئين المخلصين المتلوثين.

وقد قال مجاهد: إنها نزلت في أبي لُبَابة لما قال لبني قريظة: إنه الذبح، وأشار بيده إلى حلقه.

وقال ابن عباس: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ نزلت في أبي لُبابة وجماعة من أصحابه، تخلفوا عن غزوة تبوك، فقال بعضهم: أبو لبابة وخمسة معه، وقيل: وسبعة معه، وقيل: وتسعة معه، فلما رجع النبي ﷺ من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد، وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله ﷺ، فلما أنزل الله هذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أطلقهم النبي ﷺ، وعفا عنهم.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مثل ما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] في الدنيا والآخرة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من اعترف بذنبه، وتاب إلى الله، وأناب إليه فالله جَلَّ وَعَلَا هو الجواد الكريم، يعفو ويغفر ويصفح سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، قال النبي ﷺ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»(١).

الأسئلة:

● **س: حكم توبة الساحر؟**

○ **الجواب**: كل ذنب يتاب منه.. كل ذنب، ما هناك شيء مستثنى ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] لكن الساحر يقتل، وتوبته فيما بينه وبين الله تقبل، لكن في الدنيا تقبل، وهكذا من سب الله أو سب الرسول ﷺ على الخلاف في ذلك. نسأل الله العافية.

حكم الإعلان في الجرائد وغيرها عن تحديد مكان وزمان دفن الميت:

● **س: أحسن الله إليكم! من مات له ميت فأعلن في الجريدة مكانه الذي سيصلَّى عليه فيه واليوم الذي سيصلَّى عليه فيه؟**

○ **الجواب**: لا الذي ينبغي ترك هذا، يخشى أن يشبه حال ما نهى عنه رسول الله من النعي، ترك هذا أولى، وأحوط.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال البخاري: حدثنا مُؤَمَّل بن هشام، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا عوف، حدثنا أبو رجاء، حدثنا سَمُرَة بن جُنْدَب قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَابْتَعَثَانِي، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ**

---

(١) سبق تخريجه في (ص٤٦٥).

مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ قَالَا لَهُمُ اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ. فَوَقَعُوا فِيهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قَالَا: أَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ» هكذا رواه مختصرًا، في تفسير هذه الآية[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ هذا يفيد أن من جمع بين السيئات والحسنات فهو تحت مشيئة الله، قد يغفر الله لهم، وقد يعذب من شاء منهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، أهل المعاصي الذين ماتوا عليها لم يتوبوا منهم من يدخل النار ويعذب، ثم يخرجه الله من النار بشفاعة الشفعاء، أو بمجرد رحمته سبحانه وتعالى، ومنهم من يعفى عنه بأعمال صالحة قدمها فصارت من أسباب عفو الله عنه. وقد ثبت عنه ﷺ أنه يشفع لجماعة من أهل النار أربع شفاعات، كل مرة يحد الله له حدًّا، فيخرجهم من النار ثم يشفع فيحد الله له حدًّا، ثم يشفع فيحد الله له حدًّا، ثم يشفع فيحد الله له حدًّا، فهذا يدل على أن كثيرًا من العصاة يدخلون النار ولا بد، وبعضهم يعفى عنه، هذا كله في حق من لم يتب، أما من تاب في الدنيا توبة صادقة، فالله جل وعلا يتوب عليه ولا يدخل النار.

مداخلة: أحسن الله إليكم! من قتل نفسه؟

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله: ﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ ٩٦﴾ برقم (٤٦٧٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل... برقم (٢٢٢٥).

الشيخ: أمره إلى الله، تحت المشيئة.

*

☐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [التوبة: ١٠٢][(١)].

حدّثنا مؤمّلٌ، حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدّثنا عوفٌ، حدّثنا أبو رجاءٍ، حدّثنا سمرة بن جندبٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَابْتَعَثَانِي، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، قَالَا لَهُمُ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قَالَا: أَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا، وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ**»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا فيه بشارةٌ للتّائبين: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾.

فيه أنّ التّوبة تزيل هذه الآثار؛ ولهذا عفا الله عنهم، وزال عنهم الأثر القبيح.

فالتّوبة تزيل الشّرور كما قال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) سبق تخريجه في (ص٥١٣).

[النور: ٣١]. وقال عليه الصّلاة والسّلام: «**التَّوْبَةُ تجبُّ مَا كَانَ قبلَهَا**»(١).

هؤلاء أراهم الله محو سيّئاتهم بقبح الصّورة، والرّؤيا: دخلوا نهرًا فخرجوا؛ قد أزال الله عنهم ما بهم من سوءٍ، الشّطر السّيّئ أزاله الله، فهكذا التّوبة يمحو الله بها هذه الشّرور.

فالمؤمن وإن وقع منه ما يقع من الذّنوب؛ فإنّ له طريقًا ميسّرةً لمن هداه الله، ولمن رحمه الله، التّوبة، متى تاب ورجع وندم تاب الله عليه.

وقد يعفو الله عن أقوامٍ لأسبابٍ: أعمالٍ صالحةٍ، وجهادٍ ونفقاتٍ عظيمةٍ، وعتق رقابٍ وغير هذا من أسباب الخير. الله المستعان.

وهؤلاء الّذين تجاوز الله عنهم قد يكون بتوبتهم ورجوعهم إليه ﷻ، وقد يكون بأعمالٍ صالحةٍ قدّموها فتجاوز الله عنهم، وقد تكون بأسبابٍ أخرى.

المقصود: أنّه يوجد ممّن يلقى الله ﷻ وله بعض الأعمال السيئة ممّن يزيل الله عنه ذلك؛ فتكون حاله بمثابة هؤلاء الّذين وقعوا في النّهر؛ حتّى صارت حالهم أحسن حالٍ.

فالتّوبة يطهّر الله بها النّاس ويعيد لهم ما كان حسنًا، ويزيل عنهم ما كان سيئًا؛ لأنّها طهرة.

وقوله: ﴿ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾، يشعر بأنّهم تابوا، وأن هذا طهرًا صار بسبب التّوبة: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التّوبة: ١٠٢]؛ يعني: أنّهم اعترفوا اعتراف المقرّ المعترف النّادم المقلع؛ فطهرهم الله ﷻ.

● **س: ما يحتمل أن يكون في الآخرة ثمّ تجاوز الله عنهم؟**

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢) (١٢١)، بلفظ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**»، وانظر: «مجموع الفتاوى» لسماحته (١/ ١٥٧)، (٢/ ١١٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سياق الآية: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾ يشير إلى هذا: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ ويشمل أناسًا آخرين.

● **س: قد يغفر للمسلم وإن لم يتب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بأسباب الأعمال الصّالحة، قد تسبب العفو عنه، قد يعفو الله عنه بأعمالٍ صالحةٍ، مثل ما ذكر الشّيخ تقيّ الدّين في «الواسطية» رَحِمَهُ اللَّهُ: لأمورٍ قد تاب منها، أو أتى بحسناتٍ تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة النّبيّ ﷺ. ذكر جملةً منها عليه رحمة الله. ذكر العلماء عشرة أسبابٍ.

❊

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٠٣ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾ [التوبة: ١٠٣، ١٠٤](١).

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخُذَ من أموالهم صدقَة يطهرهم ويزكيهم بها، وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في «أموالهم» إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا؛ ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصًّا برسول الله ﷺ؛ ولهذا احتجوا بقوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾، وقد رَدَّ عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد الصديق أبو بكر وسائر الصحابة،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة، كما كانوا يُؤدونها إلى رسول الله ﷺ، حتى قال الصدِّيق: والله لو منعوني عِقالًا، وفي رواية: عَناقًا يُؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعه.

وقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾؛ أي: ادع لهم واستغفر لهم، كما رواه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أُتِيَ بصدقة قوم صَلَّى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: «**اللَّهُمَّ صَل على آل أبي أوفى**»، وفي الحديث الآخر: أن امرأة قالت: يا رسول الله، صلّ عليَّ وعلى زوجي. فقال: «**صلى الله عليك، وعلى زوجك**».

وقوله: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾: قرأ بعضهم: «صلواتك» على الجمع، وآخرون قرؤوا: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ على الإفراد.

﴿سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ قال ابن عباس: رحمة لهم. وقال قتادة: وقار.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾؛ أي: لدعائك ﴿عَلِيمٌ ١٠٣﴾؛ أي: بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له.

قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا أبو العُمَيْس، عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة، عن ابن لحذيفة، عن أبيه؛ أن النبي ﷺ كان إذا دعا لرجل أصابته، وأصابت ولده، وولد ولده.

ثم رواه عن أبي نُعَيم، عن مِسْعَر، عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة، عن ابن لحذيفة ـ قال مسعر: وقد ذكره مرة عن حذيفة: إن صلاة النبي ﷺ لتُدرك الرجل وولده وولد ولده.

وقوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منها يحطُّ الذنوب ويمحصها ويمحقها.

وأخبر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه، ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها، حتى تصير التمرة مثل أحد. كما جاء بذلك الحديث، عن رسول الله ﷺ ـ كما قال الثوري

ووكيع، كلاهما عن عباد بن منصور، عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم، كما يربي أحدكم مهره، حتى إن اللقمة**[1] **لتَصير مثل أحد**»، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وقوله: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقبل التوبة ويقبل الصدقة الخالصة لوجهه، ويربيها لأصحابها. فجدير بكل مؤمن أن يسارع إلى التوبة ويلزمها، وأن يجتهد في الصدقات ولا يقول: هذا قليل، ولو قليل، تمرة مع تمرة ودرهم مع درهم يكثر للفقير، ينفع للفقير، ولهذا يقول ﷺ كما روى الشيخان من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[2]. وفي صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»[3].

---

(١) الشيخ: المعروف في الرواية: (التمرة) نعم، المعروف في الرواية التمرة، التمرة بالتاء والميم.

(٢) سبق تخريجه في (٣/ ٥٤٢) (٣/ ٦٦١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات برقم (٢٦٣٠).

يعني: بهذه الرحمة، وهذا الإحسان، وهذا العطف على ابنتيها.

فالمقصود: أن المؤمن لا ييئس، ولا يستقل العمل الصالح بل يتصدق ويحسن بالدرهم وبالتمرة وبالقليل، ويرجو من الله المثوبة ﷻ، وإذا كان ذلك من كسب طيب وقصد صالح، صار القليل كثيرًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الثوري والأعمش كلاهما، عن عبد الله بن السائب، عن عبد الله بن أبي قتادة قال: قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن الصدقة تقع في يد الله ﷻ قبل أن تقع في يد السائل. ثم قرأ هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ وقد روى ابن عساكر في تاريخه، في ترجمة عبد الله بن الشاعر السَّكْسَكي الدمشقي ـ وأصله حمصي، وكان أحد الفقهاء، روى عن معاوية وغيره، وحكى عنه حوشب بن سيف السكسكي الحمصي ـ قال: غزا الناس في زمان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعليهم عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد، فَغَلَّ رجل من المسلمين مائة دينار رومية. فلما قفل الجيش نَدم وأتى الأميرَ، فأبى أن يقبلها منه، وقال: قد تفرق الناس ولن أقبلها منك، حتى تأتي الله بها يوم القيامةَ فجعل الرجل يستقرئ الصحابة، فيقولون له مثل ذلك، فلما قدم دمشق ذهب إلى معاوية ليقبلها منه، فأبى عليه. فخرج من عنده وهو يبكي ويسترجع، فمر بعبد الله بن الشاعر السكسكي، فقال له: ما يبكيك؟ فذكر له أمره، فقال: أمطيعُني أنت؟ فقال: نعم، فقال: اذهب إلى معاوية فقل له: اقبل مني خُمسك، فادفع إليه عشرين دينارًا، وانظر الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش، فإن الله يقبل التوبة عن عباده، وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم ففعل الرجل، فقال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لأن أكون أفتيتُه بها أحب إلي من كل شيء أملكه، أحسن الرجل»

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه فتوى عظيمة، وفقه عظيم، هذا غل مائة دينار، وقد تفرق

الجيش، قُسمت الغنائم، فأبى الأمير أن يقبلها منه، وضاق بها صدره، وأتى معاوية فلم يقبلها، وأفتاه هذا المفتي بأن يعطي معاوية الخمس الذي لبيت المال، ويتصدق بالثمانين الباقية عن الجيش كله، يتصدق بها عمن حضر الوقعة التي هذه من غنيمتها، هذه فتوى لها وجهها؛ لأن الإنسان إذا كان عنده مال، ونسي أهله، أو أضاع عناوينهم، المقصود لم يعرفهم، يتصدق بها عنهم، وهذا مثله، الغانمون تفرقوا، وتوزيعها بينهم ما هو متيسر، ما بقي إلا أن يتصدق بها عنهم.

مداخلة: ما صح عن ابن مسعود أنه أفتى بمثل هذا؟

الشيخ: ما أذكر شيء.

مداخلة: حديث: (كان النبي ﷺ إذا دعا لرجل أصابته، وأصابت ولده، وولد ولده)، صحته؟

الشيخ: يعني: فضلها وخيرها، والله أعلم.

مداخلة: عفا الله عنك! قتال أبي بكر لمانعي الزكاة على أنهم مرتدين.

الشيخ: نعم، من منعها وقاتل دونها يكون مرتد، أما منعها ولم يقاتل دونها تؤخذ منه، ولا يرتد.

❋

❑ **قوله تعالى**: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ **[التوبة: ١٠٣]**.

• **تستفسر عن الآية الكريمة**: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ **تقول: ما المقصود بالصلاة هنا؟**(١)

---

(١) فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٨٩).

المقصود: الدعاء، يدعو لهم، يقول سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾؛ يعني: يأخذ الصدقات منهم ويدعو لهم بالتوفيق والرحمة والخلف الجزيل، هذا معنى صلّ عليهم؛ يعني: يدعو لهم بالبركة، بارك الله لكم، أثابكم الله، تقبل منكم، زادكم من فضله، وما أشباه ذلك.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥][1].

قال مجاهد: هذا وَعيد، يعني من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرَضُ عليه تبارك وتعالى، وعلى الرسول، وعلى المؤمنين. وهذا كائن لا محالة يوم القيامة، كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]، وقال ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠] وقد يظهر ذلك للناس في الدنيا، كما قال الإمام أحمد:

حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لَهِيعة، حدثنا دَرَّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو أن أحدكم يعمل في صخرة صَماء ليس لها باب ولا كُوَّة، لأخرج الله عمله للناس كائنًا ما كان**»..

وقد ورد: أن أعمال الأحياء تُعرَض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ، كما قال أبو داود الطيالسي: حدثنا الصلت بن دينار، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن**

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم في قبورهم، فإن كان خيرًا استبشروا به، وإن كان غير ذلك» قالوا: **«اللَّهُمَّ، ألهمهم أن يعملوا بطاعتك»**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروايته بهذا يعلم أنها ضعيفة، فإن عرض الأعمال على الموتى أمر عظيم لو كان ذلك واقعًا لجاءت به الأحاديث الصحيحة وبينه الرسول ﷺ، والأرواح تكون في الجنة، أرواح المؤمنين في الجنة، حتى تعاد إلى أجسادها.

مداخلة: الحسن رواه عن جابر.

الشيخ: ما أدري، يكفي ما دام فيه الصلت بن دينار متروك كفى في ضعفه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: أخبرنا عبد الرزاق، عن سفيان، عمَّن سمع أنسًا يقول: قال النبي ﷺ: **«إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيرًا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللَّهُمَّ، لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا»**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا ضعيف أيضًا؛ لأن فيه مجهول مبهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال البخاري: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إذا أعجبك حُسن عمل امرئ، فقل: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وقد ورد في الحديث شبيه بهذا، قال الإمام أحمد:

حدثنا يزيد، حدثنا حُمَيد، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له؟ فإن العامل يعمل زمانًا**

من عمره ـ أو: بُرهَة من دهره ـ بعمل صالح لو مات عليه لدخل الجنة، ثم يتحول فيعمل عملًا سيئًا، وإن العبد ليعمل البرهة من دهر مات عليه دخل النار، ثم يتحول فيعمل عملًا صالحًا، وإذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله قبل موته». قالوا: يا رسول الله وكيف يستعمله: قال: «**يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه**» تفرد به أحمد من هذا الوجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا سند صحيح، ويدل عليه حديث ابن مسعود في الصحيحين: «**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ**»(١)، نسأل الله العافية، الأعمال بالخواتيم. وهذا يفيد أن العبد يحرص على سؤال الله حسن الختام، يسأل ربه الثبات على الحق، فكم من عامل مضى عليه دهر طويل على الخير ثم ارتد عن دينه وصار إلى النار. نسأل الله العافية. فالمؤمن يضرع إلى الله، ويسأله حسن الختام، ويجتهد في الثبات على الحق، وسؤال الثبات على الحق، والعافية من مضلات الفتن.

الأسئلة:

● **س: حكم الاستدلال بهذه الآية:** ﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾، **على الترغيب في العمل هل هذا استدلال صحيح؟**

○ **الجواب**: نعم، للترغيب، سوف يرى الله عمله ورسوله والمؤمنون فليكن عملًا طيبًا.

مداخلة: يستعملونها في أعمال الدنيا. . . .

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته برقم (٣٣٣٢)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته برقم (٢٦٤٣).

الشيخ: كذلك في أعمال الدنيا إذا عمل في أعمال الدنيا للآخرة، واستعان بالله في أعمال الدنيا لأجل الغنية عما في أيدي الناس، والتعفف عما حرم الله عليه، صارت نيته صالحة، يؤجر على هذا.

الحكم على حديث: «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء..».

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! حديث أبي سعيد مرفوعًا: «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء..»؟**

○ **الجواب**: هذا ضعيف يا وليدي ضعيف؛ لأن ابن لهيعة ودراج ضعيف. نعم. لكن المعنى: الحث على العمل الصالح، وأن الله ﷻ من ثوابه له أن يظهر عمله، ويطلق ألسنة الناس بالثناء عليه، من عمله الصالح، هذا من أسباب عمله الصالح، حسن السمعة والثناء والدعاء له، والسمعة في الملأ الأعلى أيضًا.

مداخلة: هذه الآية عفا الله عنك! الكريمة تكتب في بعض المدارس على شهادة الطلاب، فما أدري هذا له وجه؟.

الشيخ: ما أدري ما بلغني في هذا شيء، ما أعرف له أصل. أقول: ما أعرف له أصل.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠٦﴾ [التوبة: ١٠٦][(١)].

قال ابن عباس ومجاهدُ وعِكْرِمة، والضحاك وغير واحد: هم الثلاثة الذين خلِّفوا؛ أي: عن التوبة، وهم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد، كسلًا

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وميلًا إلى الدَّعَة والحفظ وطيب الثمار والظلال، لا شكًّا ونفاقًا، فكانت منهم طائفة رَبَطوا أنفسهم بالسواري، كما فعل أبو لُبابة وأصحابه، وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون، فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء، وأرجى هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية الآتية، وهي قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ الآية [التوبة: ١١٧]، ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ الآية [التوبة: ١١٨]، كما سيأتي بيانه في حديث كعب بن مالك.

وقوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: هم تحت عفو الله، إن شاء فعل بهم هذا، وإن شاء فعل بهم ذا، ورحمته تغلب غضبه، وهو ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾؛ أي: عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو، حكيم في أفعاله وأقواله، لا إلٰه إلا هو، ولا رب سواه.

* *

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨][(١)].

سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة قبل مَقدَم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له: «أبو عامر الراهبُ»، وكان قد تَنَصَّر في الجاهلية وقرأ علْم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير. فلما قَدم رسولُ الله ﷺ مهاجرًا

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شَرِق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش فألَّبهم على حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأصيب ذلك اليوم، فجرح في وجهه وكُسِرت ربَاعِيتُه اليمنى السفلى، وشُجَّ رأسه، صلوات الله وسلامه عليه.

وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبُّوه. فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شَر. وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرَّد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيدًا طريدًا، فنالته هذه الدعوة.

وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر الرسول، صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل، ملك الروم، يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومَنَّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويُمنِّيهم أنه سيقدمُ بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له مَعقلًا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كُتُبه ويكونَ مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته عليه السلام، فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة

في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: «**إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله**».

فلما قفل عليه السلام راجعًا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضِّرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء، الذي أسس من أول يوم على التقوى. فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هَدَمه قبل مقدمه المدينة، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم أناس من الأنصار، ابتنوا مسجدًا، فقال لهم أبو عامر، ابنوا مسجدًا واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم وأخرج محمدًا وأصحابه. فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة. فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ إلى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾. وكذا رُوي عن سعيد بن جُبير، ومجاهد، وعروة بن الزبير، وقتادة وغير واحد من العلماء.

وقال محمد بن إسحاق بن يَسَار، عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عُمَر بن قتادة وغيرهم، قالوا: أقبل رسول الله ﷺ - يعني: من تبوك - حتى نزل بذي أوان - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار - وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة، والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه. فقال: «**إني على جناح سَفر وحال شُغل** - أو كما قال رسول الله ﷺ: **ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا لكم فيه**». فلما نزل بذي أوان أتاه خبرُ المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم أخا بني

سالم بن عوف، ومعن بن عدي أو: أخاه عامر بن عدي أخا بلعجلان فقال: «**انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرِّقاه**». فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدّخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي. فدخل أهله فأخذ سَعَفًا من النخل، فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يَشتدَّان حتى دخلا المسجد وفيه أهله، فحرَّقاه وهدماه وتفرقوا عنه. ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ إلى آخر القصة. وكان الذين بنوه اثني عشر رجلًا: خذام بن خالد، من بني عُبَيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب من بني عبيد وهو إلى بني أمية بن زيد، ومعتِّب بن قُشير، من [بني] ضُبَيعة بن زيد، وأبو حبيبة بن الأذعر، من بني ضُبَيعة بن زيد، وعَبَّاد بن حُنَيف، أخو سهل بن حنيف، من بني عمرو بن عوف، وحارثة بن عامر، وابناه: مُجَمِّع بن حارثة، وزيد بن حارثة، ونَبْتَل [بن] الحارث، وهم من بني ضبيعة، وبخرج وهو من بني ضبيعة، وبجاد بن عُثمان وهو من بني ضُبَيعة، ووديعة بن ثابت، وهو إلى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر.

وقوله: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾؛ أي: الذين بنوه ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: ما أردناه ببنيانه إلا خيرًا ورفقًا بالناس، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]؛ أي: فيما قصدوا وفيما نوَوا، وإنما بنوه ضِرارًا لمسجد قُباء، وكفرًا بالله، وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الفاسق، الذي يقال له: «الراهب» لعنه الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الواقعة فضيحة عظيمة لمن فعل، ونذارة لغيرهم، لما فضحهم الله في هذا موعظة لغيرهم، حتى لا يفعلوا فعلهم، لما فضح الله

أمرهم وبين قصدهم الخبيث صار في ذلك عظة لغيرهم، حتى لا يفعلوا مثلها، وأن الله ﷻ لهم بالمرصاد، وأن من فعل المحادَّة لله ورسوله فالله ﷻ يفضحه ويسلط عليه، فيكون ذلك موعظة للآخرين ونذارة ودليلًا على صدقه ﷺ وأنه رسول الله حقًّا عليه الصلاة والسلام، حيث أنزل الله بيان قصدهم الخبيث.

الأسئلة:

حكم هدم المساجد التي أسست على بدع ومضارة:

• **س: أحسن الله إليك، هل يؤخذ من هذه القصة أن المساجد التي فيها بدع لا يصلى فيها؟**

○ **الجواب**: لا، المساجد التي أسست على بدع أو على مضارة للمساجد الأخرى تهدم.

مداخلة: التي على ربا، وعلى أغاني، وعلى محرمات تهدم؟

الشيخ: المسجد الذي بني للمضارة لغيره، أما كون مال من كسب ليس بطيب لا، ما يهدم، هذا لا حرج فيه، لكن الأولى والذي ينبغي أن تكون النفقة من كسب طيب.

• **س: إذا علم أن المسجد الفلاني قد بني من ربا، فهل الأولى الصلاة في غيره؟**

○ **الجواب**: لا حرج إن شاء الله.

• **س: فضل الصلاة في مسجد قباء؟**

○ **الجواب**: كعمرة، يقول النبي ﷺ: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءٍ فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ**»(١) إنما متى تيسر، كان

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء برقم (١٤١٢).

متى تيسر، كان النبي ﷺ يزوره كل أسبوع، كان النبي يزوره كل أسبوع عليه الصلاة والسلام.

مداخلة: مسجد قباء يُزار أسبوعيًّا؟

الشيخ: لا، مقصوده كل أسبوع يعني.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهيٌ من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، والأمة تَبَع له في ذلك، عن أن يقوم فيه؛ أي: يصلي فيه أبدًا.

ثم حثه على الصلاة في مسجد قُباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى، وهي طاعة الله، وطاعة رسوله، وجمعًا لكلمة المؤمنين ومَعقلًا وموئلًا للإسلام وأهله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾، والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجد قُباء كعُمرة**». وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ كان يزورُ مسجد قُباء راكبًا وماشيًا. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ لما بناه وأسسه أول قدومه ونزوله على بني عمرو بن عوف، كان جبريل هو الذي عَيَّن له جِهَة القبلة، فالله أعلم.

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا معاوية بن هشام، عن يونس بن الحارث، عن إبراهيم بن أبي ميمونة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم الآية.

ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث يونس بن الحارث، وهو ضعيف، وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه.

وقال الطبراني: حدثنا الحسن بن علي المعمري، حدثنا محمد بن حميد الرازي، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ بعث رسول الله ﷺ إلى عُوَيم بن ساعدة فقال: «**ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم؟**». فقال: يا رسول الله، ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه ـ أو قال: مقعدته ـ فقال النبي ﷺ. «**هو هذا**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا حُسَين بن محمد، حدثنا أبو أويس، حدثنا شرحبيل، عن عُوَيم بن ساعدة الأنصاري: أنه حَدّثه أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قُباء، فقال: «**إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطُّهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟**» فقالوا: والله ـ يا رسول الله ـ ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا. ورواه ابن خُزيمة في صحيحه.

وقال هُشَيْم، عن عبد الحميد المدني، عن إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري: أن رسول الله ﷺ قال لعُوَيم بن ساعدة: «ما هذا الذي أثنى الله عليكم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ قالوا: يا رسول الله، إنا نغسل الأدبار بالماء.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عُمارة الأسدي، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا إبراهيم بن محمد، عن شرحبيل بن سعد قال: سمعت خُزَيمة بن ثابت يقول: نزلت هذه الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ قال: كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط.

حديث آخر: قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا مالك ـ يعني: ابن مغْوَل ـ سمعت سيارًا أبا الحكم، عن شهر بن

حوشب، عن محمد بن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله ﷺ، يعني: قباء، فقال: «**إن الله ﷻ، قد أثنى عليكم في الطهور خيرًا، أفلا تخبروني؟**». يعني: قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ فقالوا: يا رسول الله، إنا نجده مكتوبًا علينا في التوراة: الاستنجاءُ بالماء.

وقد صرح بأنه مسجد قباء جماعة من السلف، رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. ورواه عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن عُرْوَة بن الزبير. وقاله عطية العوفي، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، والشعبي، والحسن البصري، ونقله البغوي عن سعيد بن جُبَير، وقتادة.

وقد ورد في الحديث الصحيح: أن مسجد رسول الله ﷺ الذي هو في جوف المدينة، هو المسجد الذي أسس على التقوى. وهذا صحيح. ولا منافاة بين الآية وبين هذا؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى والأحرى؛ ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمي، عن عمران بن أبي أنس، عن سهل بن سعد، عن أبيّ بن كعب: أن النبي ﷺ قال: «**الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مَسْجِدِي هَذَا**» تفرد به أحمد[1].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي، عن عمران بن أبي أنس، عن سهل بن سعد الساعدي قال: اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد رسول الله ﷺ. وقال الآخر:

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة برقم (٣٠٩٩)، والنسائي في كتاب المساجد، باب ذكر المسجد الذي أسس على التقوى برقم (٦٩٧)، والإمام أحمد (٣/ ٨٩ و٩١).

هو مسجد قباء. فأتيا النبي ﷺ فسألاه، فقال: «**هو مسجدي**» هذا تفرد به أحمد أيضًا.

حديث آخر: قال أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ليث، عن عمران بن أبي أنس، عن سعيد بن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**هُوَ مَسْجِدِي هَذَا**» تفرد به أحمد.

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا ليث، حدثني عمران بن أبي أنس، عن ابن أبي سعيد، عن أبيه أنه قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَسْجِدِي**» وكذا رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة، عن الليث وصححه الترمذي، ورواه مسلم كما سيأتي.

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا يحيى، عن أُنَيْس بن أبي يحيى، حدثني أبي قال: سمعت أبا سعيد الخدري قال: اختلف رجلان: رجل من بني خدْرة، ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال الخدري: هو مسجد رسول الله ﷺ، وقال العَمْري: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك، فقال: «**هو هذا المسجد**» لمسجد رسول الله ﷺ، وقال: «**في ذاك خير كثير**» يعني: مسجد قباء.

طريق أخرى: قال أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد ـ حدثنا حميد الخراط المدني، سألت أبا سلمة بن عبد الرحمٰن بن أبي سعيد فقلت: كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى؟ فقال أبي: أتيت رسول الله ﷺ فدخلت عليه

في بيت لبعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أين المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفًّا من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: **«هو مسجدكم هذا»**. ثم قال: فقلتُ له: هكذا سمعتَ أباك يذكره؟.

رواه مسلم منفردًا به عن محمد بن حاتم، عن يحيى بن سعيد، به ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره، عن حاتم بن إسماعيل، عن حُميد الخراط، به.

وقد قال بأنه مسجد النبي ﷺ جماعة من السلف والخلف، وهو مروي عن عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وزيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب. واختاره ابن جرير.

وقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له، وعلى استحباب الصلاة مع جماعة الصالحين، والعباد العاملين المحافظين على إسباغ الوضوء، والتنزه عن ملابسة القاذورات.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن عبد الملك بن عمير، سمعت شبيبًا أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ صَلَّى بهم الصبح فقرأ بهم الروم فأوهم، فلما انصرف قال: **«إنه يلبس علينا القرآن، إن أقوامًا منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء، فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء»**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم هذا سند جيد، وهذا يفيد الحذر من التساهل بالطهارة، وأن الواجب على المؤمن العناية بالطهارة وإكمالها والاستنجاء والحرص على الاستنجاء بالماء أو بالحجارة، كله طيب، لكن يعتني بهذا، إن كان

بالماء فيعتني، وإن كان بالحجارة فتكون بثلاثة أحجار فأكثر، حتى ينقي المحل في الدبر والقبل جميعًا.

مداخلة: لكن ـ أحسن الله إليك ـ يؤثر هذا على صلاة الإمام؟

الشيخ: نعم؟ على ظاهر الحديث أن هذا يؤثر على الإمام. نعم.

مداخلة: حديث شبيب سنده جيد؟

الشيخ: جيد.

مداخلة: عفا الله عنك يا شيخ، ما الأفضل ـ يا شيخ ـ: الصلاة في المسجد العتيق والا أكثر جماعة؟

الشيخ: الأكثر جماعة الذي جاء به النص، الأكثر جماعة. نعم.

مداخلة: أحسن الله إليك، هل يقال: إنه من السُّنَّة إذا أخطأ الإمام في الصلاة أو في القراءة أن ينبه المأمومين على حسن الوضوء؟

الشيخ: إذا لُبس عليه في القراءة لا بأس، تأسيًا بالنبي عليه الصلاة والسلام، نعم. إذا لبس عليه في القراءة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم رواه من طريقين آخرين، عن عبد الملك بن عمير، عن شبيب أبي روح من ذي الكَلاع: أنه صلى مع النبي ﷺ، فذكره فدل هذا على أن إكمال الطهارة يسهل القيام في العبادة، ويعين على إتمامها وإكمالها والقيام بمشروعاتها.

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ إن الطهور بالماء لحسن، ولكنهم المطهرون من الذنوب.

وقال الأعمش: التوبة من الذنب، والتطهير من الشرك.

وقد ورد في الحديث المروي من طرق، في السنن وغيرها، أن رسول الله ﷺ قال لأهل قباء: «**قد أثنى الله عليكم في الطهور، فماذا تصنعون؟**» فقالوا: نستنجي بالماء.

مداخلة: أحسن الله إليكم.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة، لو ذهب الإنسان لهذا القصد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما عليه دليل واضح، الله أثنى على أهل قباء لما تقدم، كونه أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، أحق من مسجد الضرار، يعني: أحق من المسجد الضرار الذي بني على الشر والفساد.

مداخلة: أحسن الله إليك، سند الحديث السابق صحيح؟

الشيخ: ماذا؟

مداخلة: «**إن أقوامًا لا يحسنون الوضوء..**»؟

الشيخ: أعد سنده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عبد الله بن شبيب، حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز قال: وجدته في كتاب أبي، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ فسألهم رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نُتْبِعُ الحجارة الماء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحديث الصحيح يقول ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**»(١)، فالتطهر من الذنوب والخطايا أعظم وأكبر، فالطهور من الحدث الأكبر والأصغر

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء برقم (٢٢٣).

هو شطر الإيمان، فينبغي للمؤمن أن يلاحظ طهارته من جنابته، والمرأة من حيضها ونفاسها، وكل منهما من الحدث الأكبر والأصغر، كل منهم عليه أن يعتني بهذا، فالله يحب المطهرين من الذنوب كما يحب المطهرين من الأذى أيضًا من البول والغائط وغيرهما، كل هذا محبوب إلى الله ﷻ، التطهر لازم من هذا وهذا.

مداخلة: يكون عامة ـ سلمك الله ـ حسيًّا ومعنويًّا؟

الشيخ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: تفرد به محمد بن عبد العزيز، عن الزهري، ولم يرو عنه سوى ابنه.

قلت: وإنما ذكرته بهذا اللفظ لأنه مشهور بين الفقهاء ولم يعرفه كثير من المحدّثين المتأخرين، أو كلهم، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كان ينبغي للمؤلف أن ينبه على عبد الله بن شبيب، سبحان الله، الله يعفو عنا وعنه، المقصود: أن الاستنجاء يجمع ثلاثة أنواع: **أكملها**: الحجارة ثم الماء، **الثاني**: الماء دون الحجارة، **الثالث**: الحجارة، فإذا تطهر بواحد من الثلاثة، بالحجارة بثلاثة أحجار فأكثر وأنقى كفى، استنجى بالماء وأنقى كفى، جمع بينهما فهذا أنقى وأقوى، نعم؛ لأجل النقاء لا لأجل الرواية هذه.

مداخلة: الحديث بهذا السند ضعيف؟

الشيخ: نعم.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٩، ١١٠][(١)].

يقول تعالى: لا يستوي من أسس بنيانه على تقوى الله ورضوان، ومن بنى مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل، فإنما بنى هؤلاء بنيانهم ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾؛ أي: طرف حَفِيرة مثاله ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾؛ أي: لا يصلح عمل المفسدين.

قال جابر بن عبد الله: رأيت المسجد الذي بني ضرارًا يخرج منه الدخان على عهد النبي ﷺ.

وقال ابن جُرَيْج ذُكر لنا أن رجالًا حَفَروا فوجدوا الدخان يخرج منه. وكذا قال قتادة.

وقال خلف بن ياسين الكوفي: رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالى في القرآن، وفيه جحر يخرج منه الدخان، وهو اليوم مَزْبلة. رواه ابن جرير رحمه الله.

وقوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: شكًّا ونفاقًا بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع، أورثهم نفاقًا في قلوبهم، كما أشرب عابدو العجل حبه.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾؛ أي: بموتهم. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وزيد بن أسلم، والسدي، وحبيب بن أبي ثابت،

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ بن كثير رحمه الله.

والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد من علماء السلف.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾؛ أي: بأعمال خلقه، ﴿حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ في مجازاتهم عنها، من خير وشر.

*

❑ **يستفسر عن معنى قوله تعالى:** ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩][(١)].

هذه الآية يفسرها ما قبلها، يقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧ ـ ١٠٩].

يبيِّن ﷻ أن ما فعله المنافقون من تعمير مسجد للضرار، كان المنافقون بنوا بيتًا سموه مسجدًا، وقالوا: إنه لذوي الحاجة في الليلة الشاتية والمطيرة، وكان هذا عند عزمه ﷺ على التوجه إلى تبوك، وطلبوا منه أن يصلي فيه، فقال: «**نحن على سفر ولكن إذا رجعنا صلَّينا فيه إن شاء الله**»، فلما رجع ودنى من المدينة جاء خبره من السماء أنه مسجد ضرار، وأنه قد فعله المنافقون مضارَّة لمسجد قباء، وقال الله له فيه: ﴿لَا

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٩٠).

نَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وهو مسجد النبي ﷺ، ومسجد قباء ـ خيرٌ من هذا المسجد الذي أسسوه على البلاء، والفساد والقصد الفاسد، وكانوا يقولون: إنه يأتي أبو عامر الفاسق وكان يقال له: الراهب، ويريدون أن ينزل فيه ويكون حربًا للرسول ﷺ، ولأصحابه، فأطلع الله ﷻ نبيَّه على مقصدهم الخبيث ونهاه أن يقوم فيه، ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾، ثم قال ﷻ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾ كمسجد قباء ومسجد النبي ﷺ، ثم قال: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾؛ يعني: كهؤلاء الذين أسسوا هذا البناء، وهو سببٌ لسقوطهم في جهنم؛ هو: بنيانهم هذا المقصود وعيدهم هم، وإلا البنيان ليس المقصود، المقصود أنهم أسسوا عملهم الخبيث على شفا جرفٍ هار، فإن هذا الذي أسَّسوه وهو قصدهم أن يأتي أبو عامر الفاسق ويحارب النبي ﷺ ويحارب المسلمين لأن هذا أساسٌ خبيث، أساسٌ باطل، أساس يقود أهله إلى أن يهوي بهم في جهنم. نسأل الله العافية.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢][1].

هذا نعتُ المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

الصفات الجميلة والخلال الجليلة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ من الذنوب كلها، التاركون للفواحش، ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾؛ أي: القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها، وهي الأقوال والأفعال فمن أَخَصّ الأقوال الحمد؛ فلهذا قال: ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ ومن أفضل الأعمال الصيامُ، وهو ترك الملاذِّ من الطعام والشراب والجماع، وهو المراد بالسياحة هاهنا؛ ولهذا قال: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ كما وصف أزواج النبي ﷺ بذلك في قوله تعالى: ﴿سَٰٓئِحَٰتٖ﴾ [التحريم: ٥]؛ أي: صائمات، وكذا الركوع والسجود، وهما عبارة عن الصلاة، ولهذا قال: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ وهم مع ذلك ينفعون خلق الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركُه، وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه، علمًا وعملًا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق؛ ولهذا قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ لأن الإيمان يشمل هذا كله، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه صفة الأخيار: التوبة والعبادة الثابتة لهم بأداء الفرائض والمستحبات، وترك المحارم والمشتبهات، ومع هذا عندهم كثرة الحمد والتسبيح والتهليل، والتقرب إلى الله بالصيام والصلاة والتعبد، ومع هذا اجتهدوا في نفع الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحفظ لحدود الله، هذه صفات أهل الإيمان: الرسل وأتباعهم، صالحون في أنفسهم ساعون في صلاح غيرهم، هكذا المؤمن، المؤمن صالح في نفسه بأدائه فرائض الله وتركه محارم الله، ساع في إصلاح الغير، آمر بالمعروف ناه عن المنكر، داع إلى الله ﷻ، ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾، بشر المؤمنين الذين هذه صفاتهم وهذه أخلاقهم، وفي آية أخرى قال: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [التوبة: ٧١] يطيعون الله ورسوله داخل في ذلك كل الأوامر وترك النواهي، وفي آية أخرى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، وفي آية يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]. فالآيات تفسر بعضها بعضًا، ويذكر في هذه الآية ما ليس في هذه الآية، ومجموعها كلها دالة على أخلاق المؤمنين وصفاتهم العظيمة، فالمؤمن يأخذ من كل آية ما فيها من الأخلاق العظيمة ويجتهد في التخلق بها والتمسك بها حتى يكون من أهلها. الله المستعان.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

بيان أن المراد بالسياحة الصيام

قال سفيان الثوري، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبد الله بن مسعود قال: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمون. وكذا رُوي عن سعيد بن جُبَير، والعوفي عن ابن عباس.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: كل ما ذكر الله في القرآن السياحة، هم الصائمون. وكذا قال الضحاك رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو أحمد، حدثنا إبراهيم بن يزيد، عن الوليد بن عبد الله، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سياحةُ هذه الأمة الصيام.

وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جُبَير، وعطاء، وأبو عبد الرحمٰن

السلمي، والضحاك بن مُزاحم، وسفيان بن عُيينة وغيرهم: أن المراد بالسائحين: الصائمون.

وقال الحسن البصري: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمون شهر رمضان.

وقال أبو عمرو العَبْدي: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الذين يديمون الصيام من المؤمنين.

وقد ورد في حديث مرفوع نحو هذا، وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبد الله بن بَزِيع،

حدثنا حكيم بن حزام، حدثنا سليمان، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**السائحون هم الصائمون**».

[ثم رواه عن بُنْدَار، عن ابن مهدي، عن إسرائيل، عن سليمان الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أنه قال: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمون].

وهذا الموقوف أصح.

وقال أيضًا: حدثني يونس، عن ابن وهب، عن عمر بن الحارث، عن عمرو بن دينار، عن عُبَيد بن عُمَير قال: سئل النبي ﷺ عن السائحين فقال: «**هم الصائمون**». وهذا مرسل جيد.

فهذه أصح الأقوال وأشهرها، وجاء ما يدل على أن السياحة الجهاد، وهو ما روى أبو داود في سننه، من حديث أبي أمامة أن رجلًا قال: يا رسول الله، ائذن لي في السياحة. فقال النبي ﷺ: «**سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله**».

وقال ابن المبارك، عن ابن لَهِيعة: أخبرني عُمارة بن غَزِيَّة: أن السياحة ذكرت عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله، والتكبير على كل شرف**».

وعن عِكْرِمة أنه قال: هم طلبة العلم. وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: هم المهاجرون. رواهما ابن أبي حاتم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب مثلما تقدم أنها الصيام؛ لأن الله وصف بها النساء سائحات، والنساء لسن من أهل الجهاد، فهو مثلما تقدم عن السلف.

مداخلة: من قال ـ يا شيخ ـ السياحة تكون على حسب السياق، الله يرضى عليك، سياق الآية؟

الشيخ: السياحة مثلما قال الصحابة: الصيام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض، والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري، فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتَن والزلازل في الدين، كما ثبت في صحيح البخاري، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك أن يكون خير مال الرجل غَنَم يَتْبَع بها شَعفَ الجبال، ومواقع القَطْر، يفر بدينه من الفتن**».

وقال العوفي وعلي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ قال: القائمون بطاعة الله. وكذا قال الحسن البصري، وعنه رواية: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ قال: لفرائض الله، وفي رواية: القائمون على أمر الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحدود تطلق المعاصي، وتطلق على الفرائض، والحافظين حدود الله هم الذين يؤدون الفرائض ويجتنبون المناهي، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ هذه المعاصي، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] هذه الأوامر، فالمؤمنون يحفظون حدود الله بفعل الأوامر وترك النواهي؛ لأن الحدود كلمة مشتركة تشمل الفرائض وتشمل المناهي.

مداخلة: أحسن الله إليك، لا يرجع في الحديث: «**السائحون الصائمون**» أنها الصيام في حق النساء، والجهاد في حق الرجال؟

الشيخ: العمدة على ما ذكره الصحابة، إلا أن يثبت حديث عن النبي ﷺ في هذا، إلا أن يثبت عن النبي ﷺ، النبي ﷺ أعلم، إذا ثبت عنه شيء. نعم. إن ثبت حديث أبي أمامة وإلا فالأصل مثل ما قال الصحابة رضي الله عنهم، هم أعلم الناس بكلام الله جل وعلا.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٣، ١١٤][١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبيه قال: لما حَضَرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: «**أيْ عَمّ، قل: لا إله إلا الله. كلمة أحاجّ لك بها عند الله عز وجل**». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملّة عبد المطلب؟ قال: فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»[٢].

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ بن كثير رحمه الله.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب برقم (٣٨٨٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة ونسخ جواز الاستغفار للمشركين برقم (٢٤).

فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] قال: ونزلت فيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] أخرجاه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، أخبرنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الخليل، عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رجلًا يستغفر لأبويه، وهما مشركان، فقلت: أيستغفر الرجل لأبويه وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ [التوبة: ١١٣، ١١٤] قال: «لما مات»، فلا أدري قاله سفيان أو قاله إسرائيل، أو هو في الحديث «لما مات».

قلت هذا ثابت عن مجاهد أنه قال: لما مات.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بسم الله، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم.. هذا يبين أن من خُتم له بالكفر فهو من أصحاب الجحيم نعوذ بالله، وأن الله هو الذي يهدي من يشاء. وفيه من الفوائد: عرض الإسلام على من حضرته الوفاة من الكفار لعله ولعله، وأنه لو أسلم عند موته نفعه ذلك؛ لأن الرسول ﷺ قال له: «**قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك عند الله**»، والحديث: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»، يعني: عن صدق وإخلاص ورغبة في الإسلام. وفيه من الفوائد: مَضرَّة أصحاب السوء وأنه يجب البعد عنهم والحذر منهم؛ فإن أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية أشارا عليه بالبقاء على الكفر، على أبي طالب فطاوعهما، وقال: هو على ملة عبد المطلب ومات على هذه الحال. نسأل الله العافية، وعبد الله بن أبي أمية أسلم رضي الله عنه بعد ذلك. وفيه أن ملة عبد المطلب هي الكفر بالله وعبادة غير الله، وهي الشرك وعبادة الأولياء والأصنام من دون الله. نسأل الله العافية.

مداخلة: عفا الله عنكم يا شيخ، أقول: تنفعه ولو عند الغرغرة؟

الشيخ: لا، ما دام عقله معه، قبل الغرغرة.

مداخلة: قبل الغرغرة؟

الشيخ: ما دام عقله معه.

مداخلة: يكفي القول بها؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: يكفي القول بلا إلٰه إلا الله؟

الشيخ: إذا قالها عن إيمان وإسلام نعم، كَفر الله ما قبلها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا زهَير، حدثنا زبيد بن الحارثِ اليامي عن محارب بن دثار، عن ابن بُرَيْدة، عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ، فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب، فصلى ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تَذْرِفان، فقام إليه عمر بن الخطاب وفَداه بالأب والأم، وقال: يا رسول الله، ما لك؟ قال: «**إني سألت ربي ﷻ، في الاستغفار لأمي، فلم يأذن لي، فدمعت عيناي رحمة لها من النار، وإني كنت نهيتكم عن ثلاث: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، لتذكركم زيارتُها خيرًا، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث، فكلوا وأمسكوا ما شئتم، ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية، فاشربوا في أي وعاء ولا تشربوا مسكرًا**».

وروى ابن جرير، من حديث علقمة بن مَرْثد، عن سليمان بن بُرَيدة، عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أتى رَسْمَ قبر، فجلس إليه، فجعل يخاطب، ثم قام مستعبرًا. فقلنا: يا رسول الله، إنا رابنا ما صنعت. قال: «**إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي، فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي**». فما رئي باكيًا أكثر من يومئذ.

وقال ابن أبي حاتم، في تفسيره: حدثنا أبي، حدثنا خالد بن خِداش، حدثنا عبد الله بن وهب، عن ابن جرَيج عن أيوب بن هانئ، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: خرجَ رسول الله ﷺ يومًا إلى المقابر، فاتبعناه، فجاء حتى جلس إلى قبر منها، فناجاه طويلًا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب، فدعاه ثم دعانا، فقال: «**ما أبكاكم؟**» فقلنا: بكينا لبكائك. قال: «**إن القبر الذي جلستُ عنده قبر آمنة، وإني استأذنتُ ربي في زيارتها فأذن لي**» ثم أورده من وجه آخر، ثم ذكر من حديث ابن مسعود قريبًا منه، وفيه: «**وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي، وأنزل علي:** ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ **فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكر الآخرة**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي هذا دلالة على أن من مات في الجاهلية لا يستغفر له، فلهذا لم يؤذن له أن يستغفر لأمه؛ لأنها ماتت في الجاهلية، ولم يؤذن له أن يستغفر لأبي طالب، فدل على أن من مات على ظاهر الكفر في الجاهلية لا يُستغفر له، أما الزيارة فلا بأس، زيارة قبور الكفار للعظة والذكرى من غير دعاء لهم، لكن للعظة والذكرى فلا بأس، ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٤]. وكان نهاهم عن زيارة القبور لما أسلموا خشية عليهم من الوقوع في شيء من الكفر، فلما استقر الإسلام في قلوب الناس أذن لهم في الزيارة؛ لما فيها من الذكرى: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**». ونهاهم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث لأجل دافة دفَّت في المدينة وفقراء، ثم قال لهم: «**كلوا وأطعموا**

وادَّخروا». ونهاهم عن الانتباذ في الأوعية التي من الدباء والحنتم والنقير والمزفَّت، ثم رخَّص لهم أن ينتبذوا في كل وعاء، وأن يحذروا شرب المسكر. فالمقصود من النهي عن الدباء والحنتم. لأنه قد يشتد النبيذ فيها ولا يفطنون له يشربون المسكر، ثم أذن لهم ﷺ في ذلك، ولكن مع الحذر عن شرب المسكر.

مداخلة: أحسن الله إليك، من قال: إن أبوي النبي ﷺ يعتبرا من أهل الفترة يا شيخ؟

الشيخ: لا، بعد تصريح النبي ﷺ بأنه من أهل النار ما.. «**إن أبي وأباك في النار**» في الحديث الصحيح رواه مسلم، ولم يؤذن له في الاستغفار لأمه، فهذا محل نظر، الاستغفار لأمه يدل على أن الكافر لا يستغفر له، ومن مات في الجاهلية لا يستغفر له، أما أمر من مات في الجاهلية لم يبلغهم خبر؛ فهذا إلى الله ﷻ.

مداخلة: لكن يستثنى منها أبوي النبي ﷺ لكونه النبي ﷺ صرح..؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: يشفع لهم يوم القيامة بارك الله فيك؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: يشفع لهما يوم القيامة؟

الشيخ: لا، لا، ما فيهم شفاعة، الكافر ما فيه شفاعة. ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] سبحانه.

مداخلة: الله يجزاك الجنة، الفداء بالأب والأم، إذا قال قائل للآخر: أفديك بأبي وأمي؟

الشيخ: أما للنبي ﷺ لا بأس، أما غيره ما أرى هذا.

مداخلة: ولو كان الوالدان كافرين؟

الشيخ: ما أرى أنه يقال هذا إلا للنبي ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر في معناه: قال الطبراني: حدثنا محمد بن علي المروزي، حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كَيْسَان، عن أبيه، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر، فلما هبط من ثنية عُسْفان أمر أصحابه: أن استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم، فذهب فنزل على قبر أمّه، فناجى ربَّه طويلًا ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه، وبكى هؤلاء لبكائه، وقالوا: ما بكى نبي الله بهذا المكان إلا وقد أُحدثَ في أمته شيء لا تُطيقه. فلما بكى هؤلاء قام فرجع إليهم، فقال: «**ما يبكيكم؟**». قالوا: يا نبي الله، بكينا لبكائك، فقلنا: لعله أحدث في أمتك شيء لا تطيقه، قال: «**لا وقد كان بعضه، ولكن نزلت على قبر أمي فدعوت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة، فأبى الله أن يأذن لي، فرحمتها وهي أمّي، فبكيت، ثم جاءني جبريل فقال:** ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ **فتبرّأ أنت من أمك، كما تبرأ إبراهيم من أبيه، فرحمْتُها وهي أمي، ودعوت ربي أن يرفع عن أمتي أربعًا، فرفع عنهم اثنتين، وأبى أن يرفع عنهم اثنتين: دعوتُ ربي أن يرفع عنهم الرجم من السماء والغَرَق من الأرض، وألا يلبسهم شيعًا، وألا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع الله عنهم الرجم من السماء، والغرق من الأرض، وأبى الله أن يرفع عنهم القتل والهرج**». وإنما عدل إلى قبر أمه لأنها كانت مدفونة تحت كَداء وكانت عُسْفان لهم.

وهذا حديث غريب وسياق عجيب، وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب «السابق واللاحق» بسند مجهول، عن عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيا أمَّه فآمنت ثم عادت وكذلك ما رواه السهيلي في «الروض» بسند فيه جَمَاعة مجهولون: أن الله أحيا له أباه وأمه فآمنا به.

وقد قال الحافظ ابن دِحْيَةَ: هذا الحديث موضوع يرده القرآن والإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]. وقال أبو عبد الله القرطبي: إن مقتضى هذا الحديث... وردَّ عَلَى ابن دِحية في هذا الاستدلال بما حاصله: أن هذه حياة جديدة، كما رجعت الشمس بعد غيبوبتها فصلى عَلِيٌّ العصر، قال الطحاوي: وهو حديث ثابت، يعني: حديث الشمس.

قال القرطبي: فليس إحياؤهما يمتنع عقلًا ولا شرعًا، قال: وقد سمعت أن الله أحيا عمه أبا طالب، فآمن به.

قلت: وهذا كله متوقف على صحة الحديث، فإذا صح فلا مانع منه، والله أعلم.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الآية، فإن رسول الله ﷺ أراد أن يستغفر لأمه، فنهاه الله عن ذلك فقال: «**فإنّ إبراهيم خليل الله استغفر لأبيه**»، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ الآية.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في هذه الآية: كانوا يستغفرُون لهم، حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ الآية.

وقال قتادة في هذه الآية: ذُكر لنا أن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا نبي الله، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الأرحام، ويفُكّ العاني، ويوفي بالذمم؛ أفلا نستغفر لهم؟ قال: فقال النبي ﷺ: «**بلى، والله إني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه**». فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ حتى بلغ: ﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾ ثم

عذر الله تعالى إبراهيم، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾. قال: وذُكر لنا أن نبي الله قال: «**أوحى إليّ كلمات، فدخلن في أذني ووقَرْن في قلبي: أمِرْتُ ألا أستغفرَ لمن مات مشركًا، ومن أعطى فَضْلَ ماله فهو خيرٌ له، ومن أمسك فهو شرٌّ له، ولا يلوم الله على كَفاف**»[(١)].

وقال الثوري، عن الشيباني، عن سعيد بن جُبير قال: مات رجل يهودي وله ابن مسلم، فلم يخرج معه، فذكر ذلك لابن عباس فقال: فكان ينبغي له أن يمشي معه ويدفنه، ويدعو له بالصلاح ما دام حيًّا، فإذا مات وكّله إلى شأنه ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ لم يَدْعُ.

[قلت] وهذا يشهد له بالصحة ما رواه أبو داود وغيره، عن علي بن أبي طالب قال: لما مات أبو طالب قلت: يا رسول الله، إن عمك الشيخ الضال قد مات. قال: «**اذهب فَوَاره ولا تُحْدثَنَّ شيئًا حتى تأتيني**». وذكر تمام الحديث.

ويروى أن رسول الله ﷺ لما مَرّت به جنازة عمه أبي طالب قال: «**وَصَلتك رَحِمٌ يا عم**»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يدل على أن الكافر يدفنه أهله، أبوه وولده وإخوته يدفنونه،

---

(١) ابن الطبري بسند صحيح من طريق بن أبي عروبة عن قتادة لكنه مرسل «حكمت».

(٢) (البيهقي، وتمام عن ابن عباس أن النبي ﷺ عارض جنازة أبي طالب فقال... فذكره). أخرجه تمام في الفوائد (١/ ١٤٣ برقم ٣٢٥). وأخرجه أيضًا ابن عدي (١/ ٢٦٠، ترجمة ٩٣ إبراهيم بن عبد الرحمٰن الخوارزمي)، والخطيب (١٣/ ١٩٦)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٠٤ رقم ١٥١٠) وقال الإمام أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر.

الدفن لا بأس، إنما الممنوع الصلاة عليه والاستغفار له، أما كونه يوارى هذا واجب، لا يترك على وجه الأرض للسباع ولكن يوارى؛ لقوله ﷺ لعلي: «**اذهب فواره**» لأبيه أبي طالب.

الأسئلة:

● **س: يكَّفن الكافر عفا الله عنك؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: يكفن ويغسل؟

○ **الجواب**: لا، لا يغسل، أما التكفين ما في مانع، التغسيل ما ينفعه التغسيل، النبي ﷺ قال: «**اذهب فواره**».

مداخلة: أحسن الله إليك، إذا دفن مع المسلمين؟

الشيخ: لا يدفن مع المسلمين، يدفن في مقبرة أخرى مع الكفار أو في محل ما فيه أحد، ما يدفن مع المسلمين.

مداخلة: . . . فعلوا ذلك، مع المسلمين؟

الشيخ: ينبش ويبعد عن المسلمين.

مداخلة: بارك الله فيك.

● **س: إذا توفي شخص مشهور أنه يترك في بعض أوقات الصلاة حتى تفوت وقتها تهاون وكسل، ينطبق عليه الحكم هذا؟ وهل يدفن تارك الصلاة مع المسلمين؟**

○ **الجواب**: المشهور عند الجمهور أنه لا يكفر إلا بالجحد، وظاهر الأحاديث أنه يكفر بمجرد الترك؛ لقوله ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[(١)]، «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ**

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).

فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[١]، فظاهر الأحاديث أنه يدفن في محل وحده، لا يدفن مع المسلمين.

حكم الصلاة على تارك الصلاة:

• **س: من صلى على تارك الصلاة؟**

○ **الجواب**: ظاهر الحديث أنه يأثم.

حكم المتهاون بالصلاة:

مداخلة: الذي يتهاون بالصلاة ولا يؤديها في وقتها هذا ما.. يعني: الخلاف من الجمهور، ما يجعل له، ما..؟

○ **الجواب**: إذا كان يصلي ولكن يتأخر عن الجماعة لا، ما يكفر، يكفر بالترك الكلي. نسأل الله العافية، نعم. أما مجرد التخلف عن الجماعة هذي معصية، وتشبُّه بالمنافقين، ولا يكفر بذلك، كونه يصلي في البيت هذا من علامات النفاق.

مداخلة: إن كان يصلي ويخلي، عفا الله عنك؟

الشيخ: يكفر إذا ترك، معروف بالترك يكفر، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عطاء بن أبي رباح: ما كنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة، ولو كانت حبشية حبلى من الزنا؛ لأني لم أسمع الله حجب الصلاة إلا على المشركين، يقول الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

وروى ابنُ جَرير، عن ابن وَكِيع، عن أبيه، عن عصمة بن زامل، عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: رحم الله رجلًا استغفر لأبي هريرة ولأمه. قلت: ولأبيه؟ قال: لا. قال: إن أبي مات مشركًا.

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).

وقوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾ قال ابن عباس: ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وفي رواية: لما مات تبين له أنه عدو لله.

وكذا قال مجاهد، والضحاك، وقتادة، وغيرهم، رحمهم الله.

وقال عُبَيْد بن عمير، وسعيد بن جُبَيْر: إنه يتبرأ منه في يوم القيامة حين يلقى أباه، وعلى وجه أبيه الغُبرة والقُتْرة فيقول: يا إبراهيم، إني كنت أعصيك وإني اليوم لا أعصيك. فيقول: أيْ رَبي، ألم تعدني ألا تخزني يوم يبعثون؟ فأيّ خزْي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقال: انظر إلى ما وراءك، فإذا هو بِذِيخٍ متلطخ؛ أي: قد مسخ ضِبْعانًا، ثم يسحب بقوائمه، ويلقى في النار.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ قال سفيان الثوري وغير واحد، عن عاصم بن بَهْدَلة، عن زِرّ بن حُبَيش، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الأواه: الدَّعَّاء. وكذا روي من غير وجه، عن ابن مسعود.

وقال ابن جرير: حدثني المثنى: حدثنا الحجاج بن مِنْهال، حدثنا عبد الحميد بن بَهْرام، حدثنا شَهْر بن حَوشب، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: بينما رسول الله ﷺ جالس قال رجل: يا رسول الله، ما الأوّاه؟ قال: «المتضرع»، قال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.

ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك، عن عبد الحميد بن بَهْرَام، به، قال: المتضرع: الدَّعَّاء.

وقال الثوري، عن سلمة بن كُهَيْل، عن مسلم البَطِين عن أبي العُبَيْدَيْن أنه سأل ابن مسعود عن الأواه، فقال: هو الرحيم.

وبه قال مجاهد، وأبو ميسرة عمرو بن شُرَحْبيل، والحسن البصري، وقتادة: أنه الرحيم؛ أي: بعباد الله.

وقال ابن المبارك، عن خالد، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: الأوَّاه: الموقن بلسان الحبشة. وكذا قال العوفي، عن ابن عباس: أنه

الموقن. وكذا قال مجاهد، والضحاك. وقال علي بن أبي طلحة، ومجاهد، عن ابن عباس: الأواه: المؤمن ـ زاد علي بن أبي طلحة عنه: المؤمن التواب. وقال العوفي عنه: هو المؤمن بلسان الحبشة. وكذا قال ابن جُرَيْج: هو المؤمن بلسان الحبشة.

وقال أحمد: حدثنا موسى، حدثنا ابن لهِيعة، عن الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر؛ أن رسول الله ﷺ قال لرجل يقال له «ذو البِجادين»: **«إنه أواه»**، وذلك أنه رجل كثير الذكر لله في القرآن ويرفع صوته في الدعاء. ورواه ابن جرير.

وقال سعيد بن جبير، والشعبي: الأواه: المسبّح. وقال ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جُبَير بن نفير، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: لا يحافظ على سبحة الضحى إلا أواه. وقال شُفَي بن مانع، عن أيوب: الأواه: الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها.

وعن مجاهد: الأواه: الحفيظ الوجل، يذنب الذنب سرًّا، ثم يتوب منه سرًّا. ذكر ذلك كلَّه ابن أبي حاتم رحمه الله.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا المحاربي، عن حجاج، عن الحكم، عن الحسن بن مسلم بن يناق: أن رجلًا كان يكثر ذكر الله ويسبّح، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: **«إنه أواه»**.

وقال أيضًا حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا ابن يمان، حدثنا المِنْهَال بن خليفة، عن حَجّاج بن أرطأة، عن عطاء، عن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ دفن ميتًا، فقال: **«رحمك الله إن كنتَ لأواهًا»**[(١)]! يعني: تَلَّاءً للقرآن وقال شعبة، عن أبي يونس الباهلي قال: سمعت رجلًا بمكة ـ وكان أصله روميًّا، وكان قاصًّا ـ يحدث عن أبي ذر قال: كان رجل يطوف

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدفن بالليل برقم (١٠٥٧).

بالبيت الحرام ويقول في دعائه: «**أوّه أوّه**»، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**إنه أواه**». قال: فخرجت ذات ليلة، فإذا رسول الله ﷺ يدفن ذلك الرجل ليلًا ومعه المصباح. هذا حديث غريب رواه ابن جرير ومشاه.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ قال: كان إذا ذكر النار قال: «**أوّه من النار**».

وقال ابن جُرَيْج عن ابن عباس: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ قال: فقيه.

قال الإمام العلم أبو جعفر بن جرير: وأولى الأقوال قول من قال: إنَّه الدعَّاء، وهو المناسب للسياق، وذلك أن الله تعالى لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياه، وقد كان إبراهيم كثير الدعاء حليمًا عمن ظلمه وأناله مكروهًا؛ ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه في قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٦، ٤٧]، فحلم عنه مع أذاه له، ودعا له واستغفر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من كمال إيمانه عليه الصلاة والسلام وحرصه على بر والده ولكن الله لم يقدر له الإسلام، وكان عليه الصلاة والسلام أواهًا كثير العبادة والتضرع إلى الله واللجأ إليه وسؤاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مداخلة: يعني الأواه يشمل كل هذا...؟

الشيخ: المتعبد كثير الدعاء كثير الضراعة إلى الله كثير اللجأ إليه والتوبة إليه.

مداخلة: فذكر هذا الإسناد، فقال: إسناد بدوي يخرَّج اعتبارًا، ما المقصود بذلك؟

الشيخ: من سكان البادية، (البدوي) سكان البادية. يعني.

الأسئلة:

● **س: قوله (وصلتك رحمة يا عم)؟**

الشيخ: لو صح، يعني أن تصله الرحم في حياته، أما بعد وفاته تكون الصلة لأقاربه لا له، هو مات. لو صح معناه الدعاء أن أرحامه تصله، نعم. وصلة أقاربه صلة له.

● **س: بعض المفسرين المتأخرين كالألوسي وغيره يقول: إن الخوض في ذكر تفصيل أن أبا طالب مات عن غير الإسلام...... بتعظيم مقام النبوة..؟**

○ **الجواب**: لا، هذا جهل، الإخبار عما أخبر به النبي ﷺ ودلَّ عليه القرآن هو الحق.

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]**(١).

حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، حدّثنا عبد الرّزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن الزّهريّ، عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه، قال: لمّا حضرت أبا طالبٍ الوفاة دخل عليه النّبيّ ﷺ وعنده أبو جهلٍ، وعبد الله بن أبي أميّة، فقال النّبيّ ﷺ: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فقال أبو جهلٍ وعبد الله بن أبي أميّة: يا أبا طالبٍ، أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟ فقال النّبيّ ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾(٢).

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري في كتاب =

نسأل الله العافية، ومن هذا أخذ العلماء أنّ من مات على ظاهر الكفر لا يستغفر له، ولا يصلّى عليه، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذه الرّواية مختصرةٌ في الرّواية الأخرى أنّه قال: «أنا على ملّة عبد المطلب»، أعاد عليه النّبيّ ﷺ فأعاد؛ فقال: «أنا على ملة عبد المطلب»[1]، وأبى أن يقول: لا إله إلّا الله، وأبو جهلٍ ـ قبّحه الله ـ وعبد الله بن أبي أميّة ذكّراه بملة عبد المطلب بالشّرك والكفر؛ فمال إليهما، وأخذ بقولهما لما سبق في علم الله من شقاوته، وعدم إيمانه، مع كونه نصر النّبيّ ﷺ وعرف الحقّ، وأنّه جاء به عليه الصّلاة والسّلام، ولكن سبق له الشّقاوة ـ نسأل الله العافية ـ وهو القائل:

ودعوتني وزعمت أنك ناصحٌ ... ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا

ومع ذلك طاوع أبا جهلٍ وعبد الله وقال: هو على ملة عبد المطّلب وأبى أن يقول: لا إله إلّا الله؛ لأنّه لو قالها لنفعته؛ لأنّه يعرف معناها، يعرف معناها وأن معناها الدّخول في الإسلام؛ فأبى.

ففي هذا فوائد: منها: الحذر من جلساء السّوء، وأنّ شرّهم عظيمٌ.

وفيها من الفوائد: أن الأعمال بالخواتيم، فنصره للنّبيّ ﷺ وقيامه معه وحمايته له ما نفعته لمّا ختم له بالسّوء. فالأعمال بالخواتيم؛ فصار

= التفسير، باب ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسۡتَغۡفِرُوا لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ برقم (٤٦٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة الإسلام من حضر الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة نسخ جواز الاستغفار للمشركين برقم (٢٤).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير سورة التوبة برقم (٣٢٤٩).

من أهل النّار، ونهى الله نبيّه أن يستغفر له قال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ وبقي بين النّاس حجّةً فيمن ضلّ وأبى وعاند يقولون ـ يسلون قريبه: النّبيّ لم يهد عمه؛ تسليةً للمؤمن إذا اجتهد في هداية أقربائه ونصيحتهم ولم يقبلوا؛ فله أسوةٌ بنبي الله عليه الصّلاة والسّلام مع عمّه.

وهكذا أبو لهبٍ عاند الحقّ واستكبر وصار مع المشركين ضدّ النّبيّ ﷺ، وكان ممّن يؤذيه الأذى الكثير؛ فمات على الكفر والضّلال، وأنزل الله فيه سورةً تُتلى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، نسأل الله العافية.

والمقصود من هذا: أنّ من أبى وعاند الحقّ ما تنفعه قرابة أقاربه الطّيّبين، ولو كان رسولًا؛ إنّما ينفعه عمله، ولهذا خطبهم ﷺ وقال: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَنِي مُرَّةَ بن كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّار، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(١).

اشتروا أنفسكم من اللهِ بالتّوحيد والإيمان؛ لا أغني عنكم من الله شيئًا؛ تنفيذًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: ٢]، فقرابة الإنسان من كافرٍ لا يضرّه، وقرابته من مؤمنٍ لا تنفعه، إنّما ينفعه عمله وتوحيده وطاعته لله.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ برقم (٢٠٤).

فهذا أبو طالبٍ، وهذا أبو لهبٍ ما نفعهما قربهما من النّبيّ ﷺ، وهكذا أبوه وأمّه لم ينفعهما قربهما من النّبيّ ﷺ، لما ماتا في الجاهليّة طلب ربّه أن يستغفر لأمّه فأبى عليه ونهاه، وقال للرّجل: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّار**»[1].

وهكذا إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام لم يستطع هداية أبيه وأنزل الله في حقّه: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التَّوْبَة: ١١٤].

وهكذا نوحٌ لم يستطع هدايةَ ابنِه قَالَ: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢] فأبى، قال: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٤٣] فلم ينفعْه قربهُ من نوحٍ لما أراد الله شقاوته، فأبى أن يركب ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣] مع الهالكين، نسأل الله العافية.

فالواجب على المكلّف أن يتقي الله، وأن يجتهد في طاعة الله والتّوبة إليه، وألا يغترّ بقربه من صالحين أو من أنبياءٍ أو من غير ذلك؛ فلن ينفعه إلّا عمله أو طاعته لله وتوحيده له ﷻ، لا ينفعه قربه من زيدٍ ولا قربه من عمرٍو.

● **س: عفا الله عنك: هل يشعر حديث عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: «إنّ عمّك الشّيخ الضّالّ قد مات»[2]، بأن أبا طالبٍ مات بعد هذا المجلس؟**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المؤمنين برقم (٢٠٣).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث علي رضي الله عنه في كتاب الصيد، باب الرجل يموت له قرابة مشرك برقم (٣٢١٤)، والنسائي في كتاب الجنائز، باب مواراة الشرك برقم (٢٠٠٦)، والإمام أحمد (١/ ١٣١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مات في الحال نعم، مات في السّاعة ما قام النّبيّ ﷺ من عنده إلّا وقد مات.

(السّائل): لكن إخبار عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنّه مات بعد ذلك قال: **«اذهب فواره»**؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يظهر من هذا أنّ النّبيّ ﷺ قام قبل أن يموت ـ يظهر من عليٍّ ـ أنّه قام ﷺ قال: **«لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»**(١)، فمات بعد هذا، ظاهر من جهة علي أنّه ما حضر وفاته عليه الصّلاة والسّلام، قام قبل أن تخرج روحه.

● **س: بالنّسبة للداعية إذا صار المدعو لم يستجب ما هو موقف الداعية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يدعو إليه، يقول: اللّهمّ اهده وأعِذه من الشّيطان، يحسن فيه لعل الله يجيب دعوته، يدعو له.

● **س: هل يشرع الدّعاء عليه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يشرع الدّعاء له بالهداية.

● **س: بارك الله فيك يا شيخ: قول النّبيّ ﷺ: إن اللهَ ينفعُ أبا طالبٍ بدعوةِ النَّبِيِّ ﷺ أو بِشَيءٍ من هَذَا الباب يَكُوْن فِي ضحضاحٍ من النَّار؟**

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله برقم (١٣٦٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة الإسلام من حضره الموت. . . . إلخ برقم (٢٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه شفاعته في تخفيف العذاب، شفاعة النّبيّ ﷺ في التّخفيف من العذاب، كان في غمرات النّار فشفع له فصار «**فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»[١]، وفي اللّفظ الآخر: «**لَهُ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»[٢]، نسأل الله العافية.

• **س: عبد الله بن أبي أمية أسلم، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عبد الله بن أبي أمية أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أمّا أبو جهل قتل على كفره يوم بدرٍ، نسأل الله العافية.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ [التوبة: ١١٥، ١١٦][٣].

يقول تعالى مخبرًا عن نفسه الكريمة وحكمه العادل: إنه لا يضل قومًا بعد بلاغ الرسالة إليهم، حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ الآية [فصلت: ١٧].

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب برقم (٣٨٨٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي لأبي طالب برقم (٣٦٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٩٥)، (٤/ ٢٧١).

(٣) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ قال: بيان الله ﷻ، للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة، وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة، فافعلوا أو ذَروا.

وقال ابن جرير: يقول الله تعالى: وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به وبرسوله، حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوا، فأما قبل أن يبين لكم كراهيته ذلك بالنهي عنه، ثم تتعدوا نهيه إلى ما نهاكم عنه، فإنه لا يحكم عليكم بالضلال، فإن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهي، وأما من لم يُؤمَر ولم يُنْهَ فغير كائن مطيعًا أو عاصيًا فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مثل قوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾، حتى يرسل الرسل، ويوضح الأمر، قال: ﴿يُبَيِّنَ﴾، ما قال: حتى يتبين، حتى يبين، إذا بين لهم كفى قامت الحجة، ولو قالوا: ما فهمنا، ولو قالوا: ما تبين لنا؛ لأن الله قال: ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ﴾ ما قال: حتى يتبين؛ بل قال: ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾، ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ فإذا جاءت الرسل وبينت أمر الله ونهيه، ثم عاند المخاطبون، فقد قامت عليهم الحجة.

مداخلة: أحسن الله إليك، وإن لم يفهموا المراد بتفاصيله؟

الشيخ: إذا خوطبوا بلغتهم يكفي، ما يصدقون قولهم: ما فهمنا، إذا خوطبوا بلغتهم وبين لهم الأمر؛ لأن الله قال: ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن

دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ قال ابن جرير: هذا تحريض من الله لعباده المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر، وأن يثقوا بنصر الله مالك السماوات والأرض، ولم يرهبوا من أعدائه فإنه لا ولي لهم من دون الله، ولا نصير لهم سواه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن صفوان بن مُحْرِز، عن حكيم بن حزام قال: بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم: «**هل تسمعون ما أسمع؟**» قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله ﷺ: «**إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تَئِطَّ، وما فيها من موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم**»[(١)].

وقال كعب الأحبار: ما من موضع خرمة إبرة من الأرض إلا وملك موكل بها، يرفع علم ذلك إلى الله، وإن ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب، وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى مُخّه مسيرة مائة عام.

مداخلة: ما ورد في بعض الروايات هنا (موضع ذراع) بدل شبر؟

الشيخ: .. ما أعلم ذلك.

مداخلة: كلمة واحدة.

الشيخ: فلم تضيعوا.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٣) ط. ابن الجوزي، وأبو الشيخ (٣/ ٩٨٦) رقم (٥٠٩)، وأخرجه أيضًا ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٤٢٢) برقم (٥٩٧)، والطبراني (٣/ ٢٠١) رقم (٣١٢٢)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٥٨) رقم (٢٥٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٧).

الشيخ: على كل حال، ما كان في كلام ابن جرير، يراجع تفسير ابن جرير ويصلح على تفسير ابن جرير. نعم.

مداخلة: الحديث أحسن الله إليك يا شيخ؟!

الشيخ: تكفي الآية ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ سبحانه وتعالى.

مداخلة: إذا أسمع خطيب بارك الله..؟

الشيخ: هذا له أصل آخر، المقصود أن السماء مبنية بالملائكة، الله أكبر! سبحان الله! نعم. سبحان الذي خلقهم لا إله إلا هو!

*

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩][(١)].

معناها واضح، يخبر سبحانه وتعالى أنه تاب على النبي والمهاجرين والأنصار بسبب أعمالهم الطيبة واتباعهم للرسول ﷺ ساعة العسرة وهي غزوة تبوك، فأخبر أنه تاب عليهم، وأكد التوبة مرة أخرى بسبب أعمالهم الطيبة، وبسبب جهادهم في سبيل الله فتاب عليهم وعفا عنهم وغفر لهم سبحانه وتعالى بسبب أعمالهم الصالحة وتوبتهم الصادقة، وهكذا الثلاثة الذين خُلِّفوا وهم: كعب بن مالك وصاحباه تخلفوا عن غزوة تبوك بسبب شيء

(١) من برنامج نور على الدرب رقم الحلقة (٢١٠/١٢).

من الكسل والتساهل حتى فاتهم الغزو وصار تخلفهم بدون عذر، فلما قدم النبي ﷺ من تبوك وسألهم أخبروه أنه لا عذر لهم وإنما هو تساهل حتى فرط الأمر، فأمر النبي ﷺ بهجرهم وعدم تكليمهم حتى يقضي الله فيهم، فمضى عليهم خمسون ليلة وهم مهجورون لا يكلمهم أحد، ثم أنزل الله توبتهم في هذه الآيات في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾... فتاب الله عليهم، وكلمهم النبي ﷺ وأمر الناس وأذن لهم بتكليمهم بسبب الصدق، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فالصدق عاقبته حميدة، والكذب عاقبته وخيمة، فهؤلاء الثلاثة صدقوا، وصبروا فتاب الله عليهم، وعفا عنهم ﷻ.

• **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

الحمدُ لله، وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، **أما بعد**(١):

فيقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

يأمر ﷻ عباده المؤمنين بأن يتقوه؛ يعني: في جميع الأحوال لأن تقوى الله أساس كل خير، وهي سبب السعادة في الدنيا والآخرة، وهي جماع الخير فإن التقوى تشمل أداء الواجبات وترك المحارم والإخلاص لله في العمل والوقوف عند حدوده ﷻ، هكذا التقوى.

ثم قال بعده: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

الصدق من التقوى والكذب ضد التقوى؛ فالمؤمن مأمور بالصدق في قوله وعمله ومنهي عن الكذب في قوله وعمله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فهو تأكيد على المؤمنين بأن يلزموا الصدق وإن

(١) حديث المساء، (ص١٠٧) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

كان داخلًا في التقوى وهو من التقوى وشعبة من شعبها، لكن ينبه الله عليه لعظم شأنه، فالناس في أشد الحاجة إلى الصدق في أقوالهم وأعمالهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم، ومتى دخل الكذب في المعاملات والأقوال والأعمال اختل أمر العالم وفسد المجتمع وسادت الفوضى وزالت الحقيقة؛ ولهذا يقول سبحانه وتعالى في موضع آخر من كتابه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]. هذا جزاء الصادقين في أقوالهم وأعمالهم الجنة والكرامة والسعادة والرضا من الله عز وجل.

فينبغي للمؤمن أن يتحرى الصدق بل يجب عليه أن يتحرى الصدق في سائر أعماله وأقواله، وأن يبتعد عن الكذب في جميع أقواله وأعماله إلا ما أذن الله فيه، في ثلاثة أشياء: في الحرب والإصلاح بين الناس وحديث المرأة زوجها والزوج امرأته، وما سوى ذلك فقد حذر الله من الكذب فيه[(١)].

وصحَّ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»[(٢)].

---

(١) يشير بذلك لحديث أسماء بنت يزيد. أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إصلاح ذات البين برقم (١٩٣٩) وحسنه.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] برقم (٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله برقم (٢٦٠٧).

فعليك يا عبد الله أن تتحرى الصدق والإخلاص في أعمالك وأقوالك، وأن تحذر الكذب في أقوالك وأعمالك فيما يتعلق بحق الله وفيما يتعلق بحق العباد هذا هو طريق السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة؛ فالصلاة تحتاج إلى صدق، والزكاة تحتاج إلى صدق، والصيام يحتاج إلى صدق، والحج يحتاج إلى صدق، وهكذا بقية الأعمال من بر الوالدين وصلة الرحم من دعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا اجتناب المحارم يحتاج إلى صدق حتى يبتعد عن المحارم وعن أسبابها ووسائله.

* * *

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧][(١)].

حدّثنا أحمد بن صالح، قال: حدّثني ابن وهبٍ قال: أخبرني يونس (ح). قال أحمد: وحدَّثنا عنبسة، حدّثنا يونس، عن ابن شهابٍ قال: أخبرني عبد الرّحمن بن كعبٍ قال: أخبرني عبد الله بن كعبٍ، وكان قائد كعبٍ من بنيه حين عمي ـ قال: سمعت كعب بن مالكٍ في حديثه ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [١١٨] قال في آخر حديثه: «**إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**»، فقال النّبيّ ﷺ: «**أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ، فَهْوَ خَيْرٌ لَكَ**»[(٢)].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ...﴾ إلخ [التوبة: ١١٧] برقم (٤٦٧٦)، ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه برقم (٢٧٦٩).

• **س: يعني: عبد الرّحمن روى عن أخيه عبد الله: «قال: أخبرني عبد الرّحمن بن كعب قال: أخبرني عبد الله بن كعب»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهر السّياق أنّه روى عن أخيه، يحتمل أن عبد الرّحمن بن كعب بن مالك، ماذا قال عليه الشّارح(١)؟

وهذا استدلّ به العلماء على أن الأفضل أنّ الإنسان لا يوقف ماله كلّه، ولا يتصدّق به كلّه، يخلّي بعض الشّيء يستعين به في طاعة الله، ولهذا قال ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْك بَعْضَ مَالِكَ**»(٢)، فإذا تصدّق بالشّيء الكثير أو بالأكثر فلا بأس، لكن يبقي له ما ينفعه ويعينه على طاعة الله وعلى الاستغناء عمّا في أيدي النّاس، إلّا إذا كان له كسبٌ فلا بأس، الصّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنفق كلّ ماله في تأييد الدّعوة، وتأييد النّبيّ ﷺ ومواساته، فأنفق كلّ المال، ولكنه كان له أسبابٌ، كان يبيع ويشتري ويتّجر، فتجارته تقوم بحاله.

أمّا إنسان عنده مالٌ وليس عنده أسبابٌ فالمشروع ألّا ينفقه كلّه.

• **س: أحسن الله إليك: قوله: (مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله) الصدقة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مما يتعلّق بالرّسول ﷺ.

• **س: يعني: يتصرف فيها وينفقها؟**

---

(١) قطع قراءة الشرح من الأصل.

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب برقم (١٤٦١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدق على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (٩٩٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: الصدقة إلى الله يرجو ثوابها، والرّسول ﷺ لتوزيعها على نظره، يوزّعها؛ ولهذا قال بعدها: فضعها يا رسول الله، حيث أراك فقال: «**بَخٍ، بَخٍ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**»(١)، في قصّة أبي طلحة رضي الله عنه، وهذا هنا قال: «**أمسك عَلَيْك بَعْض مالِك فَهُوَ خيرٌ لك**».

• **س: هل هو من باب النذر أو من باب شكر النعمة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من باب الخبر والاستشارة.

• **س: من باب شكر الله عليه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم.

• **س: يقال: يسنّ للإنسان إذا حدث له نعمةٌ أن يقدمه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

طيبٌ نعم هذا من الخير العظيم.

• **س: أحسن الله إليك: الرّواية الّتي فيها أخذ الثلث وأنّه يجزئ عن هذا ثلث المال؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا في قصّة أبي لبابة رضي الله عنه، أمره أن يُخرج الثّلث رضي الله عنه؛ فأخرج الثلث وهو شيءٌ كثيرٌ: «**الثُّلُثُ والثُّلُثُ كثيرٌ**»، مثل ما قال لسعدٍ رضي الله عنه لما أراد أن يوصي بماله قال: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ**»(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث سعد. أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث برقم (٢٧٤٤)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث برقم (١٣٢٨).

(٢) متفق عليه من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، =

• **س: عندنا: عن شهاب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، عن ابن شهاب ساقطٌ عندكم (ابن) ابن شهاب محمّد بن شهاب الزهري.

• **س: ما هي قصّة أبي لبابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما بعثه النّبيّ ﷺ إلى قريظة ينصحهم وأن يبقوا على العهد وألا يساعدوا قريشًا؛ فاستشاروه؛ يعني: إن نزلوا على حكم النّبيّ ﷺ؛ أشار أنّه الذّبح إن نزلتم على حكمه سيقتلكم، ثمّ ندم ورأى أن هذه خيانةٌ؛ كونه قال لهم هذا الكلام.

فذهب وربط نفسه في ساريةٍ من سواري المسجد وقال: لا يحلني إلّا الرّسول ﷺ؛ فجاء النّبيّ ﷺ وحلّه، وقال: يا رسول الله، إنّ من توبتي كذا.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ **[التوبة: ١١٧]**(١).

قال مجاهد وغير واحد: نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مُجدبة وحر شديد، وعسر من الزاد والماء.

= باب ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾... إلخ برقم (٤٦٧٧)، ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه برقم (٢٧٦٩).

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال قتادة: خرجوا إلى الشام عام تبوك في لَهَبان الحر، على ما يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهد شديد، حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم، يمصها هذا، ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها، [ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن عتبة بن أبي عتبة، عن نافع بن جُبَير بن مطعم، عن عبد الله بن عباس؛ أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة، فقال عمر بن الخطاب: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلًا فأصابنا فيه عَطَش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع] حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فَرْثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله ﷻ، قد عَوّدك في الدعاء خيرًا، فادع لنا. قال: «**تحب ذلك**». قال: نعم! فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأظَلَّت ثم سكبت، فملئوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.

وقال ابن جرير في قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾؛ أي: من النفقة والظَّهر والزاد والماء، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: عن الحق ويشك في دين رسول الله ﷺ ويرتاب، بالذي نالهم من المشقة والشدة في سفره وغزوه، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ﴾ يقول: ثم رزقهم الإنابة إلى ربهم، والرجوع إلى الثبات على دينه، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة: ١١٨][(١)].

حدّثني محمّدٌ، حدّثنا أحمد بن أبي شعيبٍ، حدّثنا موسى بن أعين، حدّثنا إسحاق بن راشدٍ أنّ الزّهريّ حدّثه قال: أخبرني عبد الرّحمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ، عن أبيه، قال: سمعت أبي كعب بن مالكٍ وهو أحد الثّلاثة الّذين تيب عليهم «أنّه لم يتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها قطّ غير غزوتين: غزوة العسرة، وغزوة بدرٍ، قال: فأجمعت صدق رسول الله ﷺ ضحًى، وكان قلّما يقدم من سفرٍ سافره إلّا ضحًى، وكان يبدأ بالمسجد فيركع ركعتين، ونهى النّبيّ ﷺ عن كلامي وكلام صاحبيّ، ولم ينه عن كلام أحدٍ من المتخلّفين غيرنا؛ فاجتنب النّاس كلامنا، فلبثت كذلك حتّى طال عليّ الأمر، وما من شيءٍ أهمّ إليّ من أن أموت فلا يصلّي عليّ النّبيّ ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ، فأكون من النّاس بتلك المنزلة، فلا يكلّمني أحدٌ منهم، ولا يصلّي عليّ، فأنزل الله توبتنا على نبيّه ﷺ حين بقي الثّلث الآخر من اللّيل، ورسول الله ﷺ عند أمّ سلمة، وكانت أمّ سلمة محسنةً في شأني معنيّةً في أمري، فقال رسول الله ﷺ: **«يَا أُمَّ سَلَمَةَ، تِيبَ عَلَى كَعْبٍ»**، قالت: أفلا أرسل إليه فأبشّره؟ قال: **«إِذًا يَحْطِمَكُمُ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمُ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ»**، حتّى إذا صلّى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا، وكان إذا استبشر استنار وجهه حتّى كأنّه قطعةٌ من القمر، وكنّا أيّها الثّلاثة الّذين خلّفوا عن الأمر الّذي قبل من هؤلاء الّذين اعتذروا حين أنزل الله لنا التّوبة، فلمّا ذكر الّذين كذبوا رسول الله ﷺ من المتخلّفين، فاعتذروا

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

بالباطل ذكروا بشرّ ما ذكر به أحدٌ، قال الله سبحانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ الآيَةَ [٩٤][١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

قصتهم أنّهم تخلفوا من دون عذرٍ في هذا، كعبٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصاحباه تخلّفوا عن غزوة تبوك من دون عذرٍ، مضى الأمر وهم كلّ ساعةٍ سيخرجون سيخرجون؛ حتّى فرط الجيش؛ لأنّ الرّسول ﷺ أمر بالنّفير، أمر النّاس بالنّفير جميعًا؛ فسألهم النّبيّ ﷺ عن أسباب تخلّفهم لما قدم؛ بينوا أنّهم لا عذر لهم، صدقوا، إنّما هو التمهّل شيئًا فشيئًا، كلّ يومٍ أخرج أخرج حتّى مضى الجيش؛ فأمر النّبيّ ﷺ بهجرهم؛ فلم يسلّم عليهم النّاس، كان لا يسلّم عليهم أحدٌ حتّى مضى خمسون ليلةً، ثمّ أنزل الله توبتهم في قوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، والله المستعان.

قوله: (**وَكَانَت أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي أمرِي مَعْنِيَّةً...**): رضي الله عَنْ الجميعِ.

• س: إذا قدم الإنسان من السّفر في وقت النّهي هل يصلي في المسجد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

محلّ احتمالٍ، أقول: محلّ احتمالٍ، ممكن أن يتقدّم قليلًا أو يتأخّر قليلًا؛ حتّى يكون في وقتٍ ما هو بوقت نهيٍ، يتقدّم قبل العصر، أو يتأخّر بعد المغرب أو يتقدّم قبل الفجر، أو يتأخّر بعد طلوع الشّمس؛ يكون أحوط؛ لأنّ هذا فيه حيلة الخروج عن وقت النّهي، قد لا يكون مضطرًّا، أمّا إذا كان مضطرًّا قد يكون من ذوات الأسباب.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ برقم (٤٦٧٧).

والجمهور على منع ذوات الأسباب، يمنعون صلاة التّطوّع في وقت النّهي.

ولكن الصّواب أن ذوات الأسباب تفعل في وقت النّهي؛ كصلاة الكسوف بعد العصر، وكتحية المسجد وصلاة الطّواف الصّواب أنّها تفعل في وقت النّهي، هذا الأرجح من القولين؛ لعموم الأدلّة.

لكن صلاة قدوم الغائب من السّفر فهو محلّ نظرٍ، هل تلحق بهذا أم لا تلحق بهذا؟

• س: عفا الله عنك: «إذًا يحطمكم النّاس فيمنعونكم»، أليس الأولى فيها النصب لتقدم (إذًا)؟ يحطمكم النّاس فيمنعوكم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما هي من أدوات الشّرط.

(السّائل): إذا تقدمت الجواب عفا الله عنك: ما تنصب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما هو في هذا بالناصب، حينئذٍ يحطمكم النّاس، حينئذٍ، معناها: حينئذٍ.

• س: أحسن الله إليك: الّذين تخلفوا غير الثّلاثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **هل هم منافقون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أعرابٌ كذبوا، أعذارٌ كذبوا فيها.

• س: أحسن الله إليك: صلاة الرّكعتين في أوّل مسجد في البلد أو المسجد القريب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في أيّ مسجدٍ ما يختصّ بمسجدٍ، في أي مسجدٍ.

• س: ما يكون دخوله المسجد يعتبر سببًا من الأسباب، دخول القادم من السّفر في وقت النّهي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هو داخلٌ ليصلّي، ما دخل للمسجد، أمّا لو دخل ليجلس في المسجد أو ليقرأ يكون سببًا، لكن هذا جاء قصدًا ليصلّي هذا محلّه ما يصلح ما هو في وقت النّهي، لا يدخل ليصلّي، لكن دخل ليستريح، ليقرأ، ليحضر دروسًا، لأسبابٍ أخرى؛ يعني: غير الصّلاة.

● **س: ذوات الأسباب تصلّى حتّى في الأوقات المضيّقة من النّهي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا الظّاهر، ظاهر الأدلّة عامّة؛ لقوله ﷺ في الطواف: «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا تَمْنَعُوا أَحَدًا طَافَ بِهَذَا البَيْتِ، وَصَلَّى أَيَّةَ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ**»(١)، وقوله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِد، فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ**»(٢). فقوله: «إذا» تعمُّ الأوقاتَ كلّها، وقوله ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ** - في الكسوف - **فَصَلُّوا**»(٣)، «**فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ**»(٤)، هذا يعم الأوقات كلّها، هذا الصّواب، هذا هو مذهب الشّافعيّ رَحِمَهُ اللهُ، وهو

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث جبير بن مطعم في كتاب الحج، باب الطواف بعد العصر برقم (١٨٩٤)، والترمذي في كتاب الحج عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الصلاة بعد العصر وبعد الصبح لمن يطوف برقم (٨٦٨) وصححه وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب الرخصة في الصلاة بمكة في كل وقت برقم (١٢٥٤)، والنسائي في كتاب الصلاة، باب إباحة الصلاة الساعات كلها بمكة برقم (٥٨٥)، والإمام أحمد (٤/ ٨٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبا قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى برقم (١١٦٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل صلاتها... برقم (٧١٤).

(٣) أخرجه البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة برقم (١٢١٢).

(٤) أخرجه البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في كتاب الكسوف، باب خطبة الإمام في الكسوف برقم (١٠٤٦).

روايةٌ لأحمد رَحِمَهُ اللهُ، وقول جمعٍ من السّلف؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وجماعة.

● **س: الوضوء هل هو من ذوات الأسباب، سنّة الوضوء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم، إذا توضّأ لأمرٍ ما سنّ له أن يصلّي ركعتين.

❋

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩][(١)].

حدّثنا يحيى بن بكيرٍ، حدّثنا اللّيث، عن عقيلٍ، عن ابن شهابٍ، عن عبد الرّحمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ أنّ عبد الله بن كعب بن مالكٍ، وكان قائد كعب بن مالكٍ ـ قال: سمعت كعب بن مالكٍ يحدّث حين تخلّف عن قصّة تبوك: «فوالله ما أعلم أحدًا أبلاه الله في صدق الحديث أحسن ممّا أبلاني، ما تعمّدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبًا، وأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يقول الله ﷻ في آخر المائدة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾. فالصدق يشمل القول والعمل، الصدق في القول، والصدق في العمل بتوحيد الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأداء الفرائض

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ برقم (٤٦٧٨).

وترك المحارم. الصادقون هم الكمَّل، كمل قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وقال في أقسام المؤمنين قال والصادقين والصادقات الصدق له شأن عظيم في صلاتك تخشع فيها وتؤديها كما ينبغي، في صومك، في زكاتك في حجك، في أدداء حق أهلك، في صلة رحمك وبرك والديك واجتناب المحارم، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله. الصدق في كل شيء وهو بذل الوسع، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الغوثية والصدق توحيد والإرادة: وهو يذل الجهد لا كسل ولا نتوان في بذل الجهد والجهد الطاقة في الخير قولًا وعملًا هذا الصدق بذل الجهد فيما يأتي من عمل صالح وفيما تدعه من عمل سيئ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والصدق والإخلاص ركنا ذلك كالتوحيد كالركنين للبنيان:

وحقيقة الإخلاص توحيد المراد ... فلا يتراحمه ومراد شائن
والصدق توحيد الإرادة ... وهو بذل الجهد لا كسل ولا متوان
فعلى واحد كن واحد في واحد ... أعنى سيل الحق والإيمان

لواحد هو الله، كن واحد يعني كن صادقًا لواحد في سبيل الحق.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩][(١)].

هذه الآية الكريمة فيما يتعلق بالصدق، والصدق شأنه عظيم وفائدته كبيرة في الدين والدنيا جميعًا، فالصادقون هم أولياء الله، أما الكذابون من جملة أولياء الشيطان، فالواجب على المؤمن أن يتحرى الصدق في

(١) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٣٦).

أعماله وأقواله، وأن يحذر الكذب في أقواله وأعماله دينًا ودنيا، ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فالتقوى هي طاعة الله ورسوله، وهي الاستقامة على دين الله والصدق من ذلك، الصدق من التقوى ولكن نبَّه عليه الرب ﷻ لعظم شأنه فقال: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ خص الصدق بالذكر؛ لأنه من أهم التقوى، ومن أعظم شعب التقوى، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فالصادقون والصادقات لهم شأن عظيم في عبادتهم لله، وفي أدائهم ما أوجب الله، وفي تركهم ما حرم الله، وفي وقوفهم عند حدود الله، وقال ﷻ: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]؛ يعني: لو عاملوه بالصدق في أقوالهم وأعمالهم لكان خيرًا لهم، والصدق صفة المؤمنين، والكذب صفة المنافقين، فالواجب على المؤمن أن يحذر خصال المنافقين ويبتعد عنها، وقال ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

والصدق يكون في القول ويكون في العمل فالصادق في القول هو المبتعد عن الكذب، وفي العمل هو الذي يؤدي حق العمل، فيكون صادقًا في صلاته، صادقًا في زكاته، صادقًا في صومه، صادقًا في حجه، صادقًا في جهاده، صادقًا في بره لوالديه، صادقًا في دعوته إلى الله، صادقًا في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر إلى غير ذلك، بعض الناس يرضى بالرسوم فقط مجرد الرسوم، والحقائق لا حقائق عنده، هذه حال المنافقين نعوذ بالله يتظاهرون بالصدق ويُخفون الكذب في أقوالهم

وأعمالهم ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣]. هذه حال أهل النفاق نسأل الله العافية، فلا يجوز للمؤمن أن يتصف بصفاتهم ولا أن يتخلق بأخلاقهم، وقال عليه الصلاة والسلام: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(١). يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، فالكذابون هم الذين يجترئون على محارم الله ويتركون ما أوجب الله ﷻ، فعلى المؤمن أن يتحرى الصدق في أقواله وأعماله، ويبتعد عن صفات أهل النفاق وهي الكذب في الأقوال والأعمال، والتظاهر بالصدق وهو مع الكذابين في أقواله وأعماله.

وهكذا حديث الحسن بن علي بن أبي طالبٍ، ﵄ يقول: إنه سمع النبي ﷺ يقول: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالكَذِبَ رِيبَةٌ**»(٢)، والمؤمن يتحرى الشيء الواضح البيِّن الذي لا شبهة فيه فيفعله ويدع ما فيه شبهة حتى لا يقع في الكذب ولا يقع في الحرام «دَعْ مَا يَرِيبُكَ»؛ يعني: ما تشُكُ فيه «**إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**» إلى شيء لا ريب فيه ولا شك فيه، بل هو واضح في حله وفي كونه طاعة لله، ليس فيه

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة عن رسول الله ﷺ،... إلخ، باب منه برقم (٢٥١٨).

شبهة. فالمؤمن يتحرى هذا الشيء، يتحرى الشيء الطيب، والواضح البين الحلال، أو الواضح أنه طاعة لله، أما ما فيه شبهة حلال أو ليس بحلال، أو فيه شبهة هل هو طاعة أو ليس بطاعة يتركه، يكفيه الواضح البين من طاعة الله ومما أحل الله ﷻ، وما كان موافقًا للصواب وحصلت معه الطمأنينة، فالصدق فيه الطمأنينة والراحة، راحة الضمير، والكذب فيه التردد، وفيه الريبة، وفيه اضطراب الضمير، بسبب عدم اطمئنانه؛ لأن هذا الشيء موافق لشرع الله، فالمؤمن يطمئن عند الصدق وعند البر، وإذا جاءت الأمور الأخرى التي فيها الريب تردد واقشعر قلبه من ذلك، وخاف أن يقع في الباطل، فينبغي للمؤمن أن يتحرى الصدق في كل شيء، وألا يكون حظه الترسُم أو القول من دون حقيقة كالمنافقين، نعوذ بالله من ذلك.

وهكذا حديث أبي سفيان بن حرب حين سأله ملك الروم عن أمر النبي ﷺ قال له: ماذا يأمركم؟ يعني محمدًا عليه الصلاة والسلام، وكان أبو سفيان في تجارة إلى الشام قبل فتح الشام في حياة النبي عليه الصلاة والسلام وكان ملك الروم في فلسطين ذاك الوقت في القدس، فأخبر أن هنا رهطًا من قريش من أصحاب هذا النبي فدعاهم وجمعهم إليه، وقال: إني سائلكم عن هذا النبي، عن هذا الرجل الذي يدعي أنه نبي فاصدقوني، وجمع أصحابه معه وسأل من أقربهم إليه نسبًا؟ قالوا: أبو سفيان فجمعهم إليه، وقال: إني سائلك عن شيء يتعلق بهذا النبي فإن كذب فكذبوه، فجمعهم حوله وسأله عن مسائل، منها قال له: بماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده، وألا نشرك به شيئًا، وأن نترك ما يقول آباؤنا من الشرك ـ هذا أول شيء وأعظمه أنه يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك بالله ﷻ.

كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا

﴿تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال: ويأمرنا بالصلاة والصدق والصلة والعفاف، هكذا أخبر ملك الروم أنه يأمرهم بتوحيد الله والإخلاص له وترك الإشراك به ويأمرهم بالصلاة؛ يعني: بإقامة الصلاة ويأمرهم بالصدق في القول والعمل، ويأمرهم بصلة الرحم، ويأمرهم بالعفاف عن الفواحش، وفي آخر سؤالاته قال: لئن كان كما قلت؛ يعني: هذه أوصافه ليملكنَّ موضع قدمي هاتين، وقد وقع ذلك فلما استخلف أبو بكر ثم جاءت خلافة عمر وتوجهت الجيوش إلى الشام أجلوا الروم من الشام وتملَّكها المسلمون، فالمقصود أنه ﷺ يأمر بالصلة والصدق والعفاف، كما أمر بالتوحيد والإخلاص والصلاة، فهو يأمر أيضًا بالصدق بالأقوال والأعمال، ويأمر بصلة الرحم، ويأمر بالعفاف عن المحارم، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، وإلى محاسن الأعمال، وينهى عليه الصلاة والسلام عن سفاسف الأخلاق وسيئ الأعمال، فينبغي على المؤمن أن يتحرى ما أمر الله به ورسوله فيعمل به ويستقيم عليه، وأن يترك ما حرم الله ورسوله فيبتعد عنه ويحذره ويُحذره الناس، يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥][(١)].

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فمن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ﴾؟ أي: يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانًا؟ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء؛ بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد، وقد بسط الكلام على هذه المسألة في أول «شرح البخاري» رَحِمَهُ اللَّهُ، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾؛ أي: زادتهم شكًا إلى شكهم، وريبًا إلى ريبهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، وهذا من جملة شقائهم أن ما يهدي القلوب يكون سببًا لضلالهم ودمارهم، كما أن سيئ المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده إلا خبالًا ونقصًا.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾، هذا أيضًا إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله ﷺ، ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي: تلفَّتوا، ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ﴾ أي: تولوا عن الحق وانصرفوا عنه، وهذا حالهم في الدين لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يقيمونه كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ [المدثر: ٤٩ - ٥١]، وقال تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٦، ٣٧]؛ أي: ما لهؤلاء القوم يتقلّلون عنك يمينًا وشمالًا هروبًا من الحق، وذهابًا إلى الباطل.

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ

ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]؛ أي: لا يفهمون عن الله خطابه ولا يتصدون لفهمه، ولا يريدونه؛ بل هم في شغل عنه ونفور منه، فلهذا صاروا إلى ما صاروا إليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا كله من عدم إيمانهم، من عدم الإيمان وما في قلوبهم من الإنكار والكراهة والتكذيب، هكذا، إذا نزلت السور؛ نفروا وانقلبوا على أعقابهم وأظهروا ريبهم وشكهم، وتخاطبوا فيما بينهم بذلك؛ ليجتمع رأيهم على الفرار والهروب من الحق. نسأل الله العافية، نعم.

مداخلة: المقصود بارك الله فيكم بالكِذبة والكِذبتين؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: المقصود بالكذبة والكذبتين؟

الشيخ: هذا قول بعض السلف. نعم. قول بعض السلف.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ، الحديث عن أنس: (لا يزداد الأمر إلا شدة) عندي حاشية عليه يا شيخ.

مداخلة: عندي حاشية أقرأها عليكم يا شيخ؟

الشيخ: نعم.

القاري: يقول هنا: [هذا الحديث مركب من حديثين عن أنس: **الأول** رواه ابن ماجه في السنن، والحاكم في المستدرك من طريق محمد بن خالد الكندي، عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**لَا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ، وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**»(١)، ففيه ضعف ونكارة بيَّنهما المؤلف الحافظ ابن كثير في النهاية

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب شدة الزمان برقم (٤٠٣٩)، والحاكم في كتاب الفتن برقم (٨٥٦٣ و٨٥٦٧ و٨٥٦٨).

في الفتن والملاحم. وأما **الثاني**: فرواه البخاري في صحيحه من طريق سفيان عن الزبير بن عدي، قال: (أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحَجَّاج، فقال: اصبروا؛ فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ انتهى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، الثاني يشهد له الأول، والمعنى: أن الشيء لا يزداد إلا شدة وشرًّا من حيث العموم، ولكن لا ينافي أن يكون بعض الجهات أحسن من بعض الجهات في بعض السنوات المتأخرة، قد يقع هذا، مثلما وقع في وقت عمر بن عبد العزيز، وبعده في أوقات كثيرة، ومثلما وقع في نجد في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعده، رحمهم الله، لكن من جهة العموم ـ عموم الدنيا ـ لا يزداد الأمر إلا شدة، مثلما قال ﷺ، لا يزداد إلا غربة: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[١].

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ **[التوبة: ١٢٨، ١٢٩]**[٢].

يقول تعالى ممتنًا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولًا من أنفسهم؛ أي: من جنسهم وعلى لغتهم، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا

(١) أخرجه مسلم في كتاب الايمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وإنه يأرز بين المسجدين برقم (١٤٥).
(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: منكم وبلغتكم، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته، وذكر الحديث.

وقال سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، وقال ﷺ: «**خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح**».

وقد وصل هذا من وجه آخر، كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمٰن الرامهُرْمُزي في كتابه «الفاصل بين الراوي والواعي»: حدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زياد، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال: أشهد على أبي لحدثني، عن أبيه، عن جده، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يمسني من سفاح الجاهلية شيء**».

وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: يعز عليه الشيء الذي يَعْنَتُ أمته ويشق عليها؛ ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: «**بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**»(١) وفي الصحيح: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ**»(٢)، وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/٢٦٦).
(٢) أخرجه النسائي في كتاب الإيمان وشرائعه، باب الدين يسر برقم (٥٠٣٤).

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾؛ أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم.

قال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا سفيان بن عيينة، عن فِطْر، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر قال. تركنا رسول الله ﷺ، وما طائرٌ يقلّب جناحيه في الهواء، إلا وهو يذكّرنا منه علمًا، قال: فقال: ﷺ: **«مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ»**[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من نصحه عليه الصلاة والسلام؛ فإنه بلَّغ الأمة كل ما فيه نفعها، وهكذا كل نبي، يقول ﷺ: **«إن حقًّا على كل نبي أن يبلِّغ أمته خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم»**، **«ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يبلغ أمته خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم»** وهو أفضلهم وأكملهم بيانًا عليه الصلاة والسلام، فقد بلغ البلاغ المبين، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني تعرفون نسبه وصدقه وأمانته، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ يعني: حريص على هدايتكم، وعلى إنقاذكم من النار، هذا شأنه عليه الصلاة والسلام، يشق عليه ما يُعنِت أمته، ويشق عليه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ هو بالمؤمنين رءوف رحيم، حريص على هداية الأمة ونجاتها من النار، يشق عليه ما يعنتها ويشق عليها، ولهذا دعا لها بكل خير، وحرص على كل خير، عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٥٥) (ح١٦٤٧). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقري، وهو ثقة. مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٥).

مداخلة: الصحيح فطر وليس قطن؟

الشيخ: الصحيح فطر

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو فَطَن، حدثنا المسعودي، عن الحسن بن سعد، عن عبدة النَّهدي، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ حُرْمَةً إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَطَّلِعُهَا مِنْكُمْ مُطَّلِعٌ، أَلَا وَإِنِّي آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ أَنْ تَهَافَتُوا فِي النَّارِ كَتَهَافُتِ الْفَرَاشِ أَوِ الذُّبَابِ**»(١)

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النّائم ملكان فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه، فقال الّذي عند رجليه للّذي عند رأسه: اضرب مَثل هذا ومثل أمّته. فقال: إنّ مثله ومثل أمّته كمثل قوم سفرٍ انتهوا إلى رأس مفازةٍ فلم يكن معهم من الزّاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلٌ في حلّةٍ حبرةٍ فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضًا معشبةً وحياضًا رواءً أتتّبعوني، فقالوا: نعم. قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضًا معشبةً وحياضًا رواءً فأكلوا وشربوا وسمنوا، فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لي إن وردت بكم رياضًا معشبةً وحياضًا رواءً أن تتّبعوني. فقالوا: بلى. قال: فإنّ بين أيديكم رياضًا أعشب من هذه وحياضًا هي أروى من هذه فاتّبعوني. قال: فقالت طائفةٌ: صدق والله لنتّبعنّه. وقالت طائفةٌ: قد رضينا بهذا نقيم عليه(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٦٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله المستعان، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم، لا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذَّر منه عليه الصلاة والسلام، اللَّهُمَّ صل عليه، جزاه الله عن أمته أفضل الجزاء، وخير الجزاء، اللَّهُمَّ صل عليه وسلم.

مداخلة: أقول: يقول في الحديث: «**اللَّهُمَّ اغسله بالماء والثلج والبرد**»، والعادة أن الثلج والبرد ما ينظف، الذي ينظف الحار، ما أدري وجه المناسبة يعني؟

الشيخ: الله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال البزار: حدثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن منصور قالا: حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثنا أبي، عن عِكْرِمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ ليستعينه في شيء - قال عِكْرِمة: أراه قال: «في دم» - فأعطاه رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: «**أحسنت إليك؟**» قال الأعرابي: لا ولا أجملت. فغضب بعض المسلمين، وهموا أن يقوموا إليه، فأشار رسول الله إليهم: أن كفوا. فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منزله، دعا الأعرابي إلى البيت، فقال له: «**إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك، فقلت ما قلت**» فزاده رسول الله ﷺ شيئًا، وقال: «**أحسنت إليك؟**» فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا. قال النبي ﷺ: «**إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك، فقلت ما قلت، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب عن صدورهم**». قال: نعم. فلما جاء الأعرابي. قال إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال، وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي، كذلك يا أعرابي؟ قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا. فقال النبي ﷺ: «**إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة، فشردت عليه،**

فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورًا. فقال لهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها، وأعلم بها. فتوجه إليها وأخذ لها من قَتَام الأرض، ودعاها حتى جاءت واستجابت، وشد عليها رحْلها وإنه لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار». ثم قال البزار: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه.

قلت: وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في متنه نكارة؛ لأن قوله ﷺ: **«قد أحسنا إليك؟»**(١) ليس من عادته أن يقول للناس هكذا: أحسنا إليك. وهذا فيه شيء، مثلما قال المؤلف: غرابة، والحكم أيضًا أبوه كذلك الظاهر فيه كلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٥ ـ ٢١٧]. وهكذا أمره تعالى.

وهذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾؛ أي: تولوا عما جئتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة، ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الله كافيَّ، لا إلٰه إلا هو عليه توكلت، كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ أي: هو مالك كل شيء وخالقه؛ لأنه رب العرش العظيم، الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله

---

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار برقم (٢٤٧٦) وسند ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم بن أبان وهو العدني كما في التقريب (ص٦٩) وكذا ضعفه الحافظ ابن كثير.

تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وَقَدَره نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثني محمد بن أبي بكر، حدثنا بشر بن عمر، حدثنا شعبة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مِهْرَان، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن أبي بن كعب قال: آخر آية نزلت من القرآن هذه الآية: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخر السورة.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا رَوح بن عبد المؤمن، حدثنا عمر بن شقيق، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، رضي الله عنه؛ أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر، رضي الله عنه، فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبي بن كعب، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة: ﴿ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]، فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن. فقال لهم أبي بن كعب: إن رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ إلى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ قال: «هذا آخر ما أنزل من القرآن». قال: فختم بما فُتح به، بالله الذي لا إلٰه إلا هو، وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّآ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] غريب أيضًا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، قال: أتى الحارث بن خَزَمة بهاتين الآيتين من آخر براءة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى عمر بن الخطاب، فقال: من معك على هذا؟ قال: لا أدري، والله إني لأشهد لسمعتها من

رسول الله ﷺ ووعيتها وحفظتها. فقال عمر: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله ﷺ ـ ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا سورة من القرآن، فضعوها فيها. فوضعوها في آخر براءة.

وقد تقدم أن عمر بن الخطاب هو الذي أشار على أبي بكر الصدِّيق ﵄، بجمع القرآن، فأمر زيد بن ثابت فجمعه. وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون ذلك. وفي الصحيح أن زيدًا قال: فوجدت آخر سورة «براءة» مع خزيمة بن ثابت ـ أو: أبي خزيمة وقدَّمنا أن جماعة من الصحابة تذكروا ذلك عن رسول الله ﷺ، كما قال خزيمة بن ثابت حين ابتدأهم بها، والله أعلم.

وقد روى أبو داود، عن يزيد بن محمد، عن عبد الرزاق بن عمر ـ وقال: كان من ثقات المسلمين من المتعبدين، عن مدرك بن سعد ـ قال يزيد: شيخ ثقة ـ عن يونس بن ميسرة، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: من قال إذا أصبح وإذا أمسى: حسبي الله لا إلٰه إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، سبع مرات، إلا كفاه الله ما أهمه.

وقد رواه ابن عساكر في ترجمة «عبد الرزاق بن عمر» هذا، من رواية أبي زُرْعَة الدمشقي، عنه، عن أبي سعد مُدْرِك بن أبي سعد الفزاري، عن يونس بن ميسرة بن حليس، عن أم الدرداء، سمعت أبا الدرداء يقول: ما من عبد يقول: حسبي الله، لا إلٰه إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، سبع مرات، صادقًا كان بها أو كاذبًا، إلا كفاه الله ما هَمَّه.

وهذه زيادة غريبة. ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد، عن أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق، عن جده عبد الرزاق بن عمر، بسنده فرفعه فذكر مثله بالزيادة. وهذا منكر، والله أعلم.

* *

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]**(١).

من الرّأفة.

حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني ابن السّبّاق أنّ زيد بن ثابتٍ الأنصاريّ رضي الله عنه وكان ممّن يكتب الوحي، قال: «أرسل إليّ أبو بكرٍ مقتل أهل اليمامة، وعنده عمر، فقال أبو بكرٍ: إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بالنّاس، وإنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء في المواطن، فيذهب كثيرٌ من القرآن إلّا أن تجمعوه، وإنّي لأرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكرٍ: قلت لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خيرٌ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتّى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الّذي رأى عمر، قال زيد بن ثابتٍ: وعمر عنده جالسٌ لا يتكلّم، فقال أبو بكرٍ: إنّك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ، ولا نتّهمك، وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبّع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلّفني نقل جبلٍ من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله النّبيّ ﷺ؟ فقال أبو بكرٍ: هو والله خيرٌ، فلم أزل أراجعه حتّى شرح الله صدري للّذي شرح الله له صدر أبي بكرٍ وعمر، فقمت فتتبّعت القرآن أجمعه من: الرّقاع، والأكتاف، والعُسُب، وصدور الرّجال، حتّى وجدت من سورة التّوبة آيتين مع خزيمة الأنصاريّ، لم أجدهما مع أحدٍ غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ إلى آخرها، وكانت الصّحف الّتي جمع فيها القرآن عند أبي

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

بكرٍ حتّى توفّاه الله، ثمّ عند عمر حتّى توفّاه الله، ثمّ عند حفصة بنت عمر»، تابعه عثمان بن عمر، واللّيث عن يونس، عن ابن شهابٍ، وقال اللّيث: حدّثني عبد الرّحمن بن خالدٍ، عن ابن شهابٍ، وقال: «مع أبي خزيمة الأنصاريّ»، وقال موسى: عن إبراهيم، حدّثنا ابن شهابٍ: «مع أبي خزيمة»، وتابعه يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، وقال أبو ثابتٍ: حدّثنا إبراهيم وقال: «مع خزيمة، أو أبي خزيمة»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من رحمة الله ﷻ أن يسّر جمع القرآن الكريم، وشرح صدور الصّدّيق وعمر رضي الله عنهما وزيدٍ رضي الله عنه لذلك، ثمّ يسّر الله لعثمان والصّحابة رضي الله عنهم أيضًا العناية بذلك، وجمعه على حرفٍ واحدٍ، ثمّ توزيعه بين المسلمين حتّى كتبه النّاس واستقر في قلوب النّاس وحفظوه.

وهذا من حفظ الله له كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. فحفظه الله في الصدور، ثمّ حفظه في الصّحف، وهو حجة الله على عباده مع سنّة الرّسول ﷺ، الوحي الثّاني.

ويقول اللهُ ﷻ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ﴾ - فِي آخر المَائِدَة - ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

فالصّدق يشمل القول والعمل، الصّدق في القول والصدق في العمل: في توحيد الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وأداء الفرائض وترك المحارم.

فالصادقون هم الكمّل، كمّل الإيمان؛ صدقوا في أقوالهم،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾... إلخ برقم (٤٦٧٩).

وصدقوا في أعمالهم؛ فأنجاهم الله وأدخلهم الجنّة ورضي عنهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال في أقسام المؤمنين قال: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فالصدق له شأنٌ عظيمٌ، في صلاتك تخشع فيها وتؤدّيها كما ينبغي، في صومك، في زكاتك، في حجّك، في أداء حقّ أهلك، في صلة رحمك، في برّ والديك، في اجتناب المحارم، في الأمر بالمعروف، في النّهي عن المنكر، في الدّعوة إلى الله. الصدق في كلّ شيءٍ وهو بذل الوسع.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية»:

والصّدق توحيد الإرادة وهو بذ ... ل الجهد لا كسلًا ولا متوان

بذل الجهد يقال: الجُهد والجَهد ـ الطاقة يعني ـ في الخير قولًا وعملًا، هذا الصدق، بذل الجهد فيما تأتيه من عملٍ صالحٍ، وفيما تدعه من عملٍ سيئٍ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصّدق والإخلاص ركنا ذلك التّـ ... ـوحيد كالركنين للبنيان

وحقيقة الإخلاص توحيد المرَا ... د فلا يزاحمه مرادٌ ثان

والصّدق تَوحيد الإرادَة وَهوَ بَذ ... ل الجهد لا كسلًا ولا متَوان

فلواحدٍ كن واحدًا في واحدٍ ... أعني سبيلَ الحَقّ والإيمان

«لواحد» وَهوَ الله، «كن واحدًا»؛ يَعني: كن صادقًا، «في واحِد»؛ يَعني: في سبيل الحقّ.

- **س: التورية لغير حاجةٍ هَل تعتبر من الكذب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا مَا هيَ بكذبٍ، إذَا ورَّى لحاجةٍ، أمَّا لغير حاجةٍ مَا يَنبَغي.

• **س: الحديث: «إن اللهَ يحب أن تؤتى رخصه كَمَا يحب أن تؤتى عزائمُه»[(١)]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا يستحبّ، الرّخصة يحب أن تؤتى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما يكره أن تؤتى معصيته، كون الإنسان يأخذ بالرّخصة؛ يعني: في السّفر يصلّي ثنتين، وإذا دعت الحاجة إلى الجمع جمع، وإذا دعت الحاجة إلى الميتة أكل من الميتة؛ لأنّه مضطرٌّ، الله يحبّ هذا؛ لأنّها رحمةٌ منه بعباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

آخر سورة براءة، والحمدُ لله وحده.



(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عمر (٢/١٠٨).

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث | الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة
ـ اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ	٤٠٣
ـ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ	٤٠٣
ـ اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا	٩٧
ـ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ	١٨٩
ـ اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها	١٨٤
ـ لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا	١١٢، ١٢٨
ـ لِيَرُدَّ قَوِيُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعِيفِهِمْ	١١
ـ لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ	٤٧٤
ـ مَا أُدِّيَ زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ	٣٧٣
ـ مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ	٥٨٨
ـ مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ	١٦٤
ـ ما ترى يا ابن الخطاب	٤١
ـ مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ مِنْ	٤٦
ـ مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الأُسَارَى	٢٤٠
ـ ما رئي الشيطان يومًا هو أصغر ولا أحقر ولا أدحر	١٩٩
ـ مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا	١٧
ـ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا	٤٠١
ـ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ	٨٧
ـ ما منكم من أحد إلا	٥١٨
ـ مَا قَوْلِي فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ	١٦١
ـ مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ	٩٦
ـ مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ	١٠٨
ـ مَا مِنْ قَوْمٍ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَفِيهِمْ	١٠٨
ـ مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي	١٠١
ـ مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ	٤٥٩
ـ مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا	١٠٥

طرف الحديث	الصفحة
ـ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ	٢٥٥، ٢٦٢
ـ إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ	٥١٨
ـ نزلت في بدر	٥
ـ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ	٣٤١
ـ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي	٥٦٣
ـ نَفَرٌ من بني عبد الدار (أثر)	٨٣
ـ هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ	٢٩٢
ـ هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها	١٨٤
ـ هل عرفتم القوم	٤٥٦
ـ هم نَفَرٌ من بني عبد الدار	٨٤
ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ وَهَذِهِ ابْنَتُهُ أَوْ بِنْتُهُ حَيْثُ	١٦١
ـ وأملك إن كان الله نزع	٥٠٤
ـ وإن الرجل ليعمل بعمل	٥٢٣
ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ	١٠٣
ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ فَرَسٍ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو	٢١٧
ـ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ	٤٨٠
ـ والله ما أنعم الله على	٥٠٢
ـ وَاللهِ لَا تَذَرُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا	٢٤٩
ـ وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ	٤١٦
ـ وكل بلاء حسن أبلانا	٧٧
ـ وَلِمَ	٣٧
ـ وَمَنْ لَزِمَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ	٥٠٤
ـ وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ، قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ	٤٦١
ـ يَا أُمَّ سَلَمَةَ تِيبَ عَلَى كَعْبٍ	٥٧٤
ـ يا أيها الناس، أنا فتتكم	٦٦
ـ يا بني عبد مناف لا تمنعوا	٥٧٧

فهرس الوضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة